البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد السابع

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد السابع

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

اسم الكتاب :
البرتغاليون في بحر عُمان ، أحداث في حوليات ، من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م ، المجلد السابع .
الدكتور سلطان بن محمد القاسمي (الإمارات) .
....
اسم الناشر : منشورات القاسمي ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة .
سنة الطبع : ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة

التوزيع : منشورات القاسمي
ص . ب : ٦٤٠٠٩ الشارقة ، دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف : ٠٠٩٧١٦٥٠٩٠٠٠٠ – براق : ٠٠٩٧١٦٥٥٢٠٠٧٠
البريد الإلكتروني : Info@aqp .ae
....
الفهرسة الوصفية أثناء النشر :
مكتبة الشارقة العامة ، هيئة الشارقة للكتاب ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة :
٩٥٣،٠٧٥٣
ق س . ب
القاسمي ، سلطان بن محمد بن صقر ، حاكم الشارقة ، ١٩٣٩م- البرتغاليون في بحر عُمان : أحداث في حوليات ١٤٩٧م – ١٧٥٧م / سلطان بن محمد القاسمي . - الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي ، ٢٠٢٥م .
٢١ مج . ؛ ص : ٥٣٠ ؛ ١٥,٥ X ٢٣,٥ سم .
يشتمل على هوامش .
تدمك : ٦-٩٥-٧٢١-٩٩٤٨-٩٧٨
١- عُمان (السلطنة) – تاريخ – العصر الحديث – الاحتلال البرتغالي ٢ - عُمان (السلطنة) – تاريخ – عصر اليعاربة ٣ – دول الخليج العربي – تاريخ – الاحتلال البرتغالي أ – العنوان
....
الترقيم الدولي : ٦-٩٥-٧٢١-٩٩٤٨-٩٧٨
إذن طباعة رقم MC-٠٣-٠١-٧٦٢٨١٢٥ بتاريخ ٢٥ /٢٠٢٥/٠٢م ،
مكتب تنظيم الإعلام ، وزارة الثقافة والشباب ، الإمارات العربية المتحدة
الطباعة : AL Bony Printing Press – Sharjah، UAE
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

المحتويات

مقدمة المجلد السابع ٧

- أحداث عام ١٥٤٢م ٩
- أحداث عام ١٥٤٣م ١٠٥
- أحداث عام ١٥٤٤م ١٠٩
- أحداث عام ١٥٤٥م ١١٥
- أحداث عام ١٥٤٦م ٢١٩

دليل الباحثين ٤٩٧

هوامش المجلد السابع ٥٢٣

مقدمة المجلد السابع

يضم هذا المجلد بين دفتيه ، أحداث خمسة أعوام ، من العام ١٥٤٢م إلى العام ١٥٤٦م ، جرت بها أحداث كثيرة خاصة لمدينة هرمز فهي مرة تنعم بالرخاء والسلام وبعدها بالفقر والاضطرابات . طيلة تلك الفترة ، كانت هرمز مهددة بهجوم من قبل الأتراك .

في تلك السنوات ، كانت القوات التركية قد وصلت إلى بغداد ومنها إلى زكية على مشارف البصرة ، وبعدها تم احتلال البصرة من قبل القوات التركية .

في عام ١٥٤٦م ، استطاعت القوات البرتغالية هزيمة ملك "كامباي" واحتلال ميناء "باسين" "Bassin" ، القاعدة العسكرية التركية على ساحل الهند الغربي ، وعقد اتفاقية سلام مع ملك "كامباي" "Campay" .

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

أحداث عام ١٥٤٢م

رسالة من "القسطنطينية" في الثامن والعشرين من شهر مايو عام ١٥٤٢م ، من "ديوغو دا ميسكيتا" "Diogo da Mesquita" إلـى سكرتير الدولة "بيرو دي ألكاسوفا كارنيرو" "Pero de Alcacova Carneiro" ، مع ترجمة لرسالة كتبها التركي ، إلـى سموه ، ومخبراً بأنه لا يشك في أنه سيعطيه أربعة آلاف قنطار فلفل مقابل الخمسة آلاف "مويو" "Moio" التي طلبها سموه[أ] وذلك يشير إلـى السلام بين تركيا والبرتغال : [١]

سيدي ،

أردت الكتابة لك مطولاً لكن لم يسمح لي الوقت بذلك ، وعليه

(أ) "سلام" بين تركيا والبرتغال في هذا الوقت (بعد الحصار الأول لـ"ديو" في ١٥٣٨م) اعتمد على تبادل الفلفل من "مالابار" ويرسل إلى تركيا ، وعلى القمح من الشرق الأدنى ويرسل إلى الهند . المباحثات تمت بواسطة "دوارتي كاتانهو" وكان من البندقية . لكن لم تقرر أبداً الكمية ولأي أماكن سترسل قبل الحصار الثاني لـ"ديو" في (١٥٤٦م) .

---

(١) رقم الوثيقة والهامش.

أبعث بهذا الرجل لذلك الغرض ، من خلال رسائل مولانا الملك و"الكونت" ستطلع على أوضاع هذا المكان ، ومن المحتمل أن تكون قد علمت سابقاً عن كل ذلك من "دوارتي كاتانهو" الذي غادر من هنا قبل شهرين ونصف ، كان لهذا الأمر أن يتطور ويتقدم بطريقة أكثر سلاسة لو ابتدره شخص يحمل في قلبه حباً عظيماً لبلده ووطنه وكان قد ولد هناك .

لا أقول هذا لأن الشخص الذي قام بذلك لا يستحق تقديراً عظيماً عنها ، لكن فقط لأنه لم يعش هناك لما يقتضيه الوطن ، على الأقل فإن قدراتي وإمكاناتي هامة لهذا البلد وللذين يحكمونه ؛ لأن أشياء كثيرة يمكن تحقيقها بالمال .

على الأقل ، أو يسمع إلى ما يخبر به الرجال الأربعة ، وبخاصة سليمان باشا ورستم باشا صهره ، في أوضاع لها هذه الطبيعة فإن سليمان باشا يتحكم في كل شيء ، أما بخصوص الفلفل والمنتوجات الأخرى خاصة الغذاء فإن أولئك الأشخاص على قناعة بأنها لن تنفد .

أكتب بكل ذلك لسموه وللكونت ، عليك بتذكيرهما بذلك وأن يتم التعامل مع هذا الأمر بسرعة ، أعطوني ثمانية أشهر لإرسال هذه الرسالة والرد عليها ، قبلت بهذه الرسالة لأنها كانت معقولة في انتظار "دوارتي كاتانهو" "Duarte Cutinho" وما أمر به سموه في هذا الشأن .

ترجمتها للبرتغالية ملحقة بهذه الرسالة ، لأن أحداً ما بعث بها ، سيسلمها الأتراك لك هناك ، إذا وجدت الأخرى احتفظ بهذه ، ولا تعرضها لأحد ؛ لأنهما نفس الرسالة بالضبط .

كتبت لسموه وللكونت بأنني كنت سأبعثها (الرسالة) عبر رحلتين لكنني أحجمت عن ذلك خوفاً من أن (....) رسائل ، خاصة منذ أن هذا سيذهب (....) . ستقدم لي حسنة عظيمة إن أكدت لي التعامل الفوري مع هذا الأمر .

بما أن عظيم الترك راغب كثيراً في تسليمه فسيحاول تقديم الأخبار الخاصة بالبلاد وكل شيء ترغب في معرفته منه ، وأرجو إخطاري بما تود مني القيام به .

كتبت للكونت إذا أمكن ترتيب رحلتي من هنا وذلك بسبب مرضي فسيسعدني ذلك كثيراً ، خاصة إذا اتضح أن البلاد في حالة حرب مع الإسبان ، وإن لم يكن ذلك هو الحال (....) فيمكن لهم أن يعترضوا (.....) .

ابعث بتصريح مرور آمن عن طريق السفير ، فهو قادم حاملاً رسالة الملك ، التي جئت بها أنا لم تكن ضرورية ، أثق في الله أن هذا العمل الذي سيباشر في البرتغال ، سواء كان جيداً أو سيئاً فيما سيكتبه للأتراك ، لهذا دع الرسالة تكتب باللغة البرتغالية وما يبقى يمكن القيام به هنا .

المرسوم الرسمي الموجود هنا سيكون كافياً إن لم يأت "دوارتي كاتانهو" ، نحتاج لرسالة تبين باختصار أنه في طريقه للاتفاق عن هذا ، حتى لا يتوقع وصول أي دوق أو "ماركيز" .

عندما يبعث سموه بهدية لعظيم الترك فكثيراً من الأمور ستتم تسويتها ، وأعتقد أن هذا يعتمد على الأسطول ، كل ما تم القيام به هو تجميع المواد العديدة التي يحتاجها وكل ما عدا ذلك غير مهم .

أقبل يديك الكريمتين .....

من "القسطنطينية" في الثامن والعشرين من مايو ١٥٤٢م .

"آنا مارجاريدا" "Anna Margarida"

إلى عالي المراتب ، عظيم السلطة على كل المسيحيين ، عظيم البيت وسيد دين المسيح ، الملك الجليل الذي جاء بالسلام للمسيحيين ، والذي أنعم الله عليه بالنعم ، النموذج الذي يأتي بالسلام للجميع ، يصدر التعليمات والشرق ، "دوم جواو" "Dom Joao" ملك البرتغال ، العلامة البارزة للعطف الكامل .

ستعلم من هذه الرسالة وما جاء بمحتواها أن "دييجو دي ميسويتا" ، الشاب المثالي كامل الصفات فيما يتعلق بدين المسيح وصل إلى مينائي ، وأفاد أن سموك كان سعيداً بصداقتنا ، وأنك منحت ثلاثة آلاف قنطار من الفلفل ، وأن عليَّ أن أقدم خمسة آلاف "مويو" من القمح في مقابل ذلك .

لم يقدم "دوارتي كاتانهو" أي بيان عن هذا الاتفاق قبل الآن ، وبالرغم من أن سيادتكم سيعلم أنه منذ أسلافي وحتى هذه اللحظة ، لم يقدم قمح لأي شخص بهذه الطريقة حيث إنها لا تتناسب وكرامتنا .

في مناسبات أخرى سمحنا بهذا وقدمناه لـ "دوارتي كاتانهو" ، ونحن نؤكد الآن ونشهد أمام الرب المعظم ، خالقنا الذي منحنا النعم والعديد من الممالك ، بأننا لا نحتاج إلى أي شيء من أي أمير أو ملك .

الناس والملوك والسادة الذين يأتون إلى أبوابنا نبدي لهم الاحترام وحسن النية ، وكل الذين يبغون مساعدتي وفضلي يتلقونه مني .

إذاً ، طالما أنك تريد السلام معنا فستقدم لنا ثلاثة آلاف قنطار من الفلفل مغلفة بقماش سميك ، وأرد لك هذه الخدمة .

بهذا الوضع أقسم لك وأعدك بأن سموك سمح بأربعة آلاف قنطار من الفلفل وبعض الأدوية الأخرى ، نيلة أو أقمشة ، وعمائم يتم شراؤها في "كلكتا" ومن الأراضي الهندية .

التجار الأتراك الذين يبحرون من هنا ويأتون من هناك دعوهم يأتوا ويذهبوا دون أي تحرشات بهم أو أضرار تحدث تجاههم وستعاملهم كما تعامل أصدقاءك ، لا تجعل أي شخص يعترض سبيل أولئك الذين يبحرون من عدن ، "جدة" ، "سواكن" أو "زبيد" ، ولا تسمح لأسطولك أن يذهب إلى ميناء الشحر التي منحنا لها الرب أو سواحل الحبشة ، إن وضح أنهم ليسوا بتجار وفي أماكن أخرى إذا كانوا أتراكاً فلا تعترض سبيلهم .

عندما يتم الاتفاق على هذا السلام وتلك الصداقة فسنأمر أسطولنا وقواتنا بعدم الذهاب إلى مدنك وحصونك ، كما نأمر كل ضباطنا وقواتنا بعدم ارتكاب أي ضرر أو أذى ضد تجارك الذين يسافرون بإذن منك أو حاكمك أو قادتك والذين يودون القدوم ، وإذا من ناحية أخرى لم يبرزوا التصريح الصادر منك ، إذا توفي أحد التجار فستسلم بضائعه إلى مندوبك هنا أو إلى أي ضابط أو قبطان يطلبها .

نحن نطلب تصريح عبور يسلم لكل سلطة الإبحار لكل الموانئ التي يتاجرون فيها ولن يمنعهم أحد ؛ لأنني أقدم لأصدقائي كل ما يطلبوه ، وبما أن سموك في حاجة للقمح ، فسآمر بإعطائه لك مقابل ما تدفعه من مال أينما ترغب ، كما أفعل مع ملك فرنسا وأهل البندقية .

رغباتي دائماً واضحة لكل من يود السلام أو الحرب معي ، ولا أمارس ضغطاً على أحد ، إن كنت تريد هذا السلام في خلال ثمانية شهور من كتابة هذه الرسالة فابعث لي بردك حتى أوافق وأؤكد على ذلك .

نفذ في اليوم الثالث والعشرين من مايو عام ١٥٤٢م الموافق سنة ٩٤٩ هجرية في "القسطنطينية" .

هذا رد عظيم الترك ، ما يقوله مضمن في الرسائل الأخرى .

"رويز كويروس" "Ruis Queros"

للسيد الأعظم "بيرو دي ألكاسوفا كارنيرو" ، سكرتير ملكنا .

وفي العام نفسه (١٥٤٢م)

جاءت اتفاقيات الاستسلام المبرمة بين "هيتور دا سيلفيرا" "Heitor da Silveira" وملك عدن في عام ١٥٤٢م ، الذي جعل نفسه تابعاً لملك البرتغال : [٢]

إن ملك عدن جعل نفسه تابعاً لـ "دوم جواو" ملك البرتغال ولجميع أحفاده ، مع دفع عشرة آلاف "بارداو" كجزية في كل سنة ، وسيسلم منها على الفور ألفاً وخمسمائة ليصنع بها في هرمز تاجاً من الذهب للملك لإرساله على أول سفن كأول تقديم للجزية .

إن سفن ملك عدن وتجاره ستبحر بحرية بطول كل الأجزاء التي يرغبون فيها والانسحاب من مكة دون تدخل أساطيلنا لاعتراضها ، وعن هذا يقول "كاستانهيدا : جرى تحرير صكوك بحثنا عنها بعناية في أرشيف الهند دون أن نعثر لها على أثر ، ولم نعثر في دفتر الوكيل التجاري لهذا الأسطول الذي مررنا به ،ولم نعثر في دفتر الوكيل التجاري

(٢) رقم الوثيقة والهامش.

الذي كان وكيل هرمز التجاري آنذاك ، تلك الألف وخمسمائة أشرفي المفروضة في حين كان من المفترض أنها جرى استلامها .

عليه فإننا لا نعرف أين تكمن حقيقة هذا الأمر الذي وجدناه مذكوراً في بعض المذكرات الخطية ومشاراً إليه في "كاستانهيدا" "Castanheda" الذي كان هناك عند ذاك ، وما من شك أنه لم يكتب ذلك دون أساس .

وفي العام نفسه (١٥٤٢م)
بعث سكان هرمز برسالة إلى ملك إسبانيا جاء فيها أنهم يطالبون بإعادة "مارتيم أفونسو دي ميلو" "Martim Afonso de Melo" كقائد لهرمز : [٣]

"نحن أصحاب المقام الرفيع والمواطنون المقيمون في مدينة هرمز نبعث بهذه الرسالة للجناب العالي الرفيع الملك "دوم جواو" ملك الملوك وسط المسيحيين والمسلمين الذين نرجو أن يحمي الرب ويعين ممالكه وسلطاته ودولته الملكية .

نود نحن أن نفيده عندما جاء الموقر "مارتيم أفونسو دي ميلو" "Martim Afonso de Melo" ، قائد هرمز إلى هذه المدينة كان دائماً في خدمة الناس وحمايتهم ، وقام بأعمال بناء جيدة في القلعة ، ودفاعات متينة من الأسوار ، حتى أصبحت هذه القلعة أكثر قوة ومنعة ، فقد قام بتشييد أسوار جديدة بجانب القديمة وشيد جداراً عظيماً حول القلعة ما جعلها أقوى مما كانت .

(٣) رقم الوثيقة والهامش.

الآن يمكن القول إن هذه القلعة هي كما يجب ويمكننا التفاخر بها ، أمر أن تهدم كل منازل الملك التي حولها وشيد ...... الأرض للمواكب ساحة عرض كبيرة جداً حول القلعة ، وهي آمنة أكثر بكثير عن ذي قبل .

لم يتمكن أي شخص حتى ذلك الوقت من تنظيم وترتيب مثل هذا العمل ، بعد أن أكمل بناء القلعة جمع الكثير من الناس في هذه البلدة وحافظ عليها وأقام فيها العدل ، كل ما قام به كان نموذجاً واعتبر مثالاً في تلك البلاد وعبر كل فارس ، وعندما انتشر خبرها امتلأت بالكثير من القوافل والتجار الذين تدفقوا على هرمز .

كان كل شيء في عهده في ازدياد ، الأرباح ، وعدد السكان ، والتجارة ، وكان أيضاً المقيمون في هذه البلاد والأجانب في غاية السعادة بوجوده وبالعدل الذي أرساه ، وفي كل الأوقات التي يتواجد فيها هنا كان يتعامل مع المقيمين والأجانب بصدق ونزاهة حتى أصبحت هرمز الآن أكثر سكاناً .

لم يتصرف أو يسلك في السنوات القريبة أي قائد مثل ما كان هو ، لأنه عبر عدله ومصداقيته أطاعته كل القلاع التي في الجزيرة العربية وفارس ، وكانت تؤدي المستحقات التي عليها طواعية ، كان كل المقيمين متفائلين به ولهم فيه آمال عراض بسبب الصدق والشفافية التي عامل بها الجميع .

إن المقيمين يلتمسون من سموك أن تعيده بأسرع ما يمكن إلى هرمز من أجل الجميع ، لأن كل من يسافر بحراً أو براً راضون عنه ويحمدون

الله أن ييسر لهم قائداً مثله الذي لأمانته قد أصبحت المدينة أكثر سكاناً ، كما يحمد المقيمون أيضاً الرب للحياة والمنزلة الملكية التي ينعم بها سموك ، ويتمنوا أن تبعث لنا هذا القائد .

لعل الرب يطيل عمر سموك ومنزلتك الملكية ويوفقك في كل أعمالك .

الأشخاص الحاضرون الذين وقعوا على هذه الرسالة هم الآتي أسماؤهم :

١- شرف الدين ... ٢- خواجا بو آدم ٣- .... محمود شاه

٤- روح الدين ... ٥- ناجي الدين ٦- .... فريدون

٧- عبدين ... ٨- إبراهيم ٩- ماجد علي

١٠- علي بن الحسن

أرسلها : مرشد نعمة الله

وفي العام نفسه (١٥٤٢م)
أرســل قــاضي هرمــز رسالة إلـى الملك "دوم جواو الثالث" "D . João III" يذكر فيها الأحوال في هرمز : [٤]

رسالة من قاضي هرمز ، ابن أخي ريس نور الدين ، قاضي تلك المدينة السابق ، إلى الملك "دوم جواو الثالث" ، أشاد فيها به لإخلاصه وتفانيه الذي تعامل من خلالهما معه دائماً (وليس معه فقط بل مع أسلافه في المنصب) وطلب منه أن يكتب لقائده الأعلى ليتعامل بعطف مع ملك هرمز الذي كان خاضعاً له .

جاءت الرسالة كالتالي :

ليدم حكم الله على وجه الأرض إلى ما لا نهاية ، وإلى الأبد في الميدان الملكي للملك المعظم والمكرم ، بصر عيون ملوك الماضي والحاضر ، وأمل جميع الشعوب والملك "ألكساندر" "Alexandre" ، في هذا العصر ؛ تابع الرب وحامل دين يسوع وجميع المسلمين بمشورتكم

(٤) رقم الوثيقة والهامش.

الصالحة وعلمكم وذوقكم الرفيع ؛ نصير ممالكم من خلال تطبيق العدالة ، ومهدئ الأشرار بشجاعتكم وفروسيتكم .

أدعو الله أن تؤدي قوتكم وكرامتكم في خدمة الله تعالى ، والملك "جواو" الجبار ، في شؤونكم وفضائلكم وعدالتكم ، إلى توسيع ممالككم وسلطانكم ، وأحيطكم علماً ، أنا العبد السابق والخادم المخلص لسموكم ، أن الله شاء أن يهدي سموكم هذه الممالك الإسلامية بقوة جيوش سموكم البرتغالية .

عــــندما وصـــل أول قائــد أعلـــى - "أفــونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" ، إلى هرمز في عهد "تورون شاه" ، كان عمي ريس نور الدين هو القاضي ، وكان الأفضل من جميع القضاة السابقين ، وكان على اتفاق دائم مع الملك الذي يحكم ومع خدم ملك البرتغال أيضاً ، وكان يهتم بالأشياء الذي تهمهما أكثر من اهتمامه بالأشياء التي تهم المسلمين .

كان سعيداً بأن يخدمهما بشخصه وممتلكاته ، وكان يحارب دائماً ضد المسلمين إلى أن تم تشييد قلعة لجيوشكم ، خلافاً لرغبات الملوك المسلمين ، وكان خادماً طيباً ومخلصاً بشكل دائم إلى أن توفي .

بناء على نصيحة قائدكم الأعلى ، عيّن الملك "تورون شاه" ابنه ، ريس شرف ، في منصب القضاء ، وأنهى خدمته إلى أن أمر سموكم باستدعائه حتى يستطيع أن يكون في خدمتك ، وفي ذلك الوقت ، تزوج الملك "تورون شاه" ابنة الشيخ قطب الدين نعمة الله ، الذي نصح الملك "تورون شاه" بارتكاب خيانة ضد النصارى .

أبلغ ريس "ليمي شاه" - نجل ريس نور الدين - القائد بما عرفه بشأن ملك هرمز ، وحيث إننا ننتمي إلى عائلة أناس مخلصين منذ قديم الزمان ، لم أشأ لسموكم أن يفقد الثقة بي وأن تنصتوا لحديث تافه يردده وكلاء تجاريون فاسدون لأنهم يعرفوننا ، وأعني ، يعرفنا النبلاء النصارى والجميع .

إن رغبة أسيركم هي أن يكون ضمن صفوف خدمكم وأولئك الأكثر ولاء لكم ، وإنني كنت متفانياً في خدمتكم لوقت طويل ، وعندما كان الشيخ راشد هو القاضي وأصبح ابنه القاضي بعده ، كنت في خدمة ملك هرمز في "جلفار" وقائد هرمز إلى أن أراد الله وتوفي الشيخ .

نظراً إلى أن البدو اختلفوا مع الشيخ أحمد عندما كنت في "جلفار" "Gulfar" ، فقد هدأتهم وأوقفت الجرائم التي كانوا يرتكبونها ضد ممتلكات وقلاع ملك هرمز .

كما قلت ، وعندما كنت هناك ، استلمت رسالة من "مارتيم أفونسو دي ميلو" - قائد هرمز ، يبلغني فيها بالتوجه على الفور وتقديم نفسي في هرمز بما أنها رغبة الملك أن أخدمه كقاضٍ .

قدمت أنا - خادم سموكم - أعذاري ولكنهم لم يقبلوا أي عذر منها ، وكان قادة البرتغاليين حاضرين وأمروني بأن أتولى المنصب بما أن مصلحة ملك البرتغال ألّا أرفض ذلك ، وعلى الرغم من الأعذار الكثيرة التي قدمتها لم تكن لديهم أي رغبة في أن يقبلوها ، ولم يقفوا إلى جانبي في الموقف الذي اتخذته .

قد مضى عامان الآن منذ اليوم الذي توليت فيه منصب القضاء ،

وخلال الوقت الذي عمل فيه قضاة عرب غادر جميع الفرس هرمز ، ويحمد قائد هرمز الحالي - الذي قمت بخدمته - الله ويشكر سموكم لأن كل شيء من ممتلكات الملك مربح الآن .

قد استسلمتْ لسموكم سبع قلاع على الفور لأننا نخدم سموكم بولاء تام بأشخاصنا وممتلكاتنا ، وإنني أتطلع الآن لمكافأة وتكريم وعطف من سموكم .

فيما يتعلق بأعمال دار جمارك هرمز وعائداتها فهي - ولله الحمد - أفضل مما كانت عليه أثناء عهد العرب الذين كانوا يفتقدون للحصافة وقد بددوا وأضاعوا أرباح دار الجمارك بكل الطرق التي ناسبتهم ، وإنني - خادمكم الوفي - أحقق دخلاً جيداً من دار الجمارك وأدفع منه إلى الـ "pareas" وأقوم بسداد الالتزامات الأخرى .

عندما وصل "دوم بيدرو دي كاستيلو برانكو" "D . Pedro de Castello Branco" ، إلى هرمز قبل ثمانية أشهر ونصف كانت دار الجمارك تدر ألفين وستة وعشرين "لاخ" وخمسين (...) وثمانية وسبعين ديناراً ، وقد استولى القضاة العرب على نصف الدخل وأنفقوه على أشياء غير ضرورية كلياً في هرمز ، ولكن عبدكم لم ينفق أكثر من ربع الدخل على نفقات لم يكن بالإمكان تفاديها .

إن مصروفات هرمز تبلغ هذا الحجم سواء جاءت قوافل أم لم تأت ، وإن "دوم بيدرو دي كاستيلو برانكو" الذي - لم يدخر وسعاً في حماية هذه الأراضي وجلب أرباح لخزانتكم - سيقدم لكم تقريراً بهذه الأمور وغيرها .

هناك الكثير من الأشياء الأخرى التي يبدو لي أن الكتابة عنها غير ممكنة إذ إن ملك هرمز يتولى منصب قائد الهند الأعلى ، علاوة على حقيقة أن "دوم إيستيفاو دا جاما" "D . Estifao de Gama" بعث إلي وجعل ابنه سلطان "تورون شاه" ، الذي كان في خدمة سموكم ، في مكانه ، وأمرني وجميع المسلمين بخدمته ، باسم سموكم .

هكذا أمرني القائد "دوم إيستيفاو دا جاما" بألّا أسلمكم أي شيء من جميع إيرادات ملك هرمز .

إنني خائف للغاية من أنه في حال معرفة هذا أن تحدث نزاعات وخراب في هذه المدينة ولن يبقى شيء لصيانتها ، وحالياً ، يخضع ملك هرمز - وهو رجل بريء - لنفوذ سموكم ، وسيعرف سموكم بأمور تهم سموكم .

ليس ضرورياً أن أحدد الشخص الذي ينجزها لكم بأفضل طريقة ، وإنني أتوسل لسموكم - كمعروف منكم - أن تكتب لقائدكم الأعلى وإلى قائد هرمز لكيلا يتعاملا مع ملك هرمز وشؤونه بعدم عناية أو بإهمال .

إنني - عبدكم - أرجو منكم كمعروف أن تكتبوا وتوجهوا قائدكم الأعلى ومسؤوليه بعدم نسياني أو نسيان ما أطلبه منكم ، واجعلهم يردوا سريعاً على عبدكم .

أسأل الله أن يطيل عمر سموكم .

إلى الملك "دوم جواو الثالث" .

وفي العام نفسه (١٥٤٢م)

في العاشر من أغسطس عام ١٥٤٢م ، كتب "جواو دي سيبولفيدا" "Joao de Sepulveda" رسالة إلـى الملك ، يذكر فيها أنه كان متوجهاً إلـى ساحل ماليندي وأنه سيرتب الأمور لأن الأتراك سيأتون بأسطول ضخم للاستيلاء على ذلك الساحل : (٥)

مولاي ،

كتبت لسموكم في العام الماضي بأنني في طريقي إلى ساحل "ماليندي" لأداء خدمة سموكم ؛ لأن الأتراك أحدثوا أضراراً كبيرة بسفنهم الخفيفة السريعة التي ذهبت إلى هناك ، ولأؤكد بقوة أنه في تلك السنة سيأتي أسطول ضخم للاستيلاء على هذه القلاع ومعاقبة جميع أصدقائنا .

كان ذهابي ، يا مولاي اضطرارياً ؛ لأنني إن لم أفعل لثأر كل ذلك

(٥) رقم الوثيقة والهامش.

الساحل ضدهم ، والمسلمون خائفون من أن يسلم القائد "سوفالا" إلى رأس "غاردافوي" ، ولهذا السبب توسلوا للحصول على نجدة مني ، أصدقاؤنا الذين كانوا خائفين من هؤلاء الروم وكانوا واثقين للغاية إذ إنهم أعلنوا أن أي إغاثة لن تصل من تلك القلاع ، وأنهم لديهم ما يكفي ليجعلوا أنفسهم على استعداد .

حيث إنني عرفت أنني أستطيع الذهاب بأمان ، وأن الأمر ملائم لسمعتنا ، ولأمن هذه القلاع للقيام بذلك في المستقبل ، فقد ذهبت وقلت وفعلت ، واصطحبت معي مائة رجل .

قد وصلت إلى "ماليندي" في نهاية أغسطس ، حيث رؤي أن من المؤكد أن يأتي الروم بما أنهم تركوا عدة أدلة وسفينة شراعية خفيفة من مجموعة سفنهم في "مقديشو" .

في "ماليندي" استوليت على سفينتين شراعيتين من "القاهرة" وجدتهما هناك ، ومع السفن الأربع التي كنت أصطحبها وبعض سفن "السنبوق" ومسلمين من "ماليندي" كانوا مسرورين بذهابهم معي ، بدا لي أن الصواب هو أن أذهب إلى "مقديشو" المذكورة التي تقع على مسافة حوالي مائتي فرسخ من هناك ، وهي آخر مكان للمسلمين في الساحل المذكور ، وبينهم بعض المشهورين ، وكانوا ينظرون إلى وصول الروم على أنه مؤكد للغاية وكانوا ودودين معكم إلى حد بعيد عندما وصلت ، ولكن أحداً لم يأت إلى الأمام إلى البحر .

ذهبت على الفور إلى البر وأخذت السفينة الشراعية الخفيفة

المذكورة التي كانت راسية هناك ودمرت المدينة وأحدثت ما يكفي من الأضرار والأذى .

تقدمت أكثر لمسافة ستة فراسخ حيث يوجد مكان جيد للتزود بالماء ومحطة جيدة لتصليح السفن الصغيرة وهي البقعة الرئيسة التي تتجه إليها كل السفن وهي قادمة من شبه جزيرة العرب والمضيق ، وقد بقيت هناك لعدة أيام إلى أن وصلت إلى هناك بعض السفن والتي عرفت منها بشكل مؤكد أن الروم ليسوا قادمين في ذلك العام .

حيث إن الوقت كان شهر نوفمبر وإن الرياح الشرقية بدأت تهب بالفعل فقد عدت إلى "مقديشو" المذكورة وأبرمت سلاماً مع ملكها ، وجئت عن طريق "برافا" "Brava" وفي ذلك المكان رسوت على الشاطئ ودمرته وأشعلت فيه النار ، وقد سبب هذا لهم الكثير من الخسائر وقتلنا بعض المسلمين ، وقد استحقوا جميعاً ذلك بسبب صداقتهم وتحالفهم مع الروم ، وقد سلموا ثلاثة أو أربعة برتغاليين عندما ذهبوا إلى هناك .

بعد معاقبتهم عقوبة شديدة ، أبرمت معهم سلاماً ، وجئت بطول الساحل وأقمت صداقات حينما حللت حتى "ماليندي" ، حيث وجدت رسالة من "مارتيم أفونسو دو سوزا" "de Susa Martim Afonso" الحاكم ، بأنه سيقضي الشتاء في "موزمبيق" ، وقد كتب لي بأنه في حاجة ماسة لإمدادات غذائية ومعدات ، وهي أشياء بعثتها إليه بكميات كبيرة قدر استطاعتي .

توسل إليَّ ملك "ماليندي" لكي أدمر بعض الأماكن في المناطق المجاورة كان قد خاض ضدها حروباً لسنوات كثيرة ، وقد فعلت ذلك ،

ومن أجل إتمام ذلك قدم لي كمساعدة خمسمائة مسلم ، وكان العدد كافياً لتنفيذ رغبته .

حيث إنني تعرضت لتشويه السمعة إلى حد بالغ مع "ممباسا" وتوسل إلي مسلمو ماليندي" وزودوني بأولئك الرجال ، وبوجود المائة رجل الذين أحضرتهم معي صممت على مهاجمة المكان بنية وأمل الاستيلاء عليه .

بما أنهم سمعوا بقدومي فقد استعدوا استعداداً جيداً للغاية ، وكان معهم عدد كبير كتعزيزات ، وذهبت إلى الشاطئ في صباح أحد الأيام ورفض المسلمون الذين رافقوني النزول .

حيث إنه كان من الممكن إتمام المهمة بقليل من الخطر ، فقد دنوت من سور المكان المذكور ، بما أنني لم أكن مجبراً على القيام بذلك ولأن عددنا كان قليلاً ، وكان لابد للمسلمين من أن يرفضوا الخروج إلى البر ، فقد تعرضنا لمضايقات شديدة وأصيب الكثير من مرافقيّ بجراح وتلقيت ضربتَيْ سهم في العنق أوشكتا أن تؤديا بحياتي ؛ لأن أحد السهمين كان مسموماً .

تجمّع الرجال معاً ، وركبوا السفينة بأفضل ترتيب ، تمكنا من تنظيمه في ذلك الوقت ، وعلى متن السفينة توفي سبعة أو ثمانية رجال متأثرين بالجراح التي تلقوها على البر ، ومن بينهم "لوزو دو غوسماو" "Loso do Gosmao" ، نجل عمي "ألومزو أمريك" "Alonso Amrique" سامحه الله ، جراء جرح سببه سهم مسموم ، وكان قد ساعدني في هذا المشروع كثيراً حيث كان رجلاً شجاعاً .

من "ممباسا" المذكورة توفي كثير من المسلمين من بينهم الزعيم ، والمدينة الآن أقوى من أي وقت مضى ؛ لأنها لم يكن بها سور ويحيط بها الآن سور جديد .

بعد هذا طلبوا السلام ولن أسمح بأي حديث عن هذا ؛ لأنهم أناس خونة للغاية ولا يقفون معنا أبداً ، وعليهم في البداية الامتناع عن الخيانات وكل الشرور التي يرتكبونها .

من هناك جئت إلى جزيرة "زنجبار" حيث بقيت فيها لمدة ثلاثين أو أربعين يوماً بسبب تردي حالتي الصحية ، ووصلت إلى "موزمبيق" في نهاية يناير ، وكنت لا أزال أخضع للعلاج .

ووجدت الحاكم "مارتيم أفونسو" مصمماً على التوجه إلى الهند في نهاية إبريل ، وهو أمر بدا لي عزيزاً للغاية لخدمة سموكم لأسباب عدة لا أذكرها هنا ، وأنتم تعرفونها من خلال الأشخاص الذين ذهبوا من الهند العام الماضي .

قد غادر هذا المكان على متن سفينة "غليون" في نهاية فبراير وكان الطقس جيداً ، وهو شخص يحظى بشعبية كبيرة في الهند ويتمتع لها بمؤهلات كثيرة ، ويؤدي خدمات جليلة لسموكم ، وقد أمر بأن تؤخذ من هذه الوكالة التجارية مائة وسبعون أو ثمانون "بهار" "Bahar"[أ] من العاج ، وكان الجزء الأكبر منها من الأجزاء التي جرى سداد قيمتها إليه .

ترك أوامر بأن عليهم أن يسددوا تلك الأجزاء من أول ما يأتي إلى

(أ) بهار : "Bahar" ، وزن من "ملايو" ، نقله البرتغاليون إلى الهند ، ويساوي البهار الواحد ٤٠٠ رطل .

هذه الوكالة التجارية ، وقد أمرت بأن يتم هذا فور وصولي إلى هنا من "سوفالا" ، وكانت السفن غير جاهزة ولهذا السبب لم تذهب معه ، وقد كلفني بأن أعمل على إرسالها في أقرب وقت ممكن .

قد أصبحت جاهزة في الثامن من مارس وأبحرت في العشرين من الشهر المذكور ؛ لأن الطقس لم يكن ملائماً قبل ذلك ، وحملت كل واحدة من تلك السفن اثنين من كبلات "القاهرة" (ألياف) مصنوعين حديثاً كانوا بحاجة ماسة إليها ، وجرى تزويدها كذلك بأفضل ما يمكن صنعه في أرض مجدبة كهذه ، وندعو الله أن يجعل رحلتها موفقة .

بقي كثير من العجزة في هذه المستشفى ، وآخرون يقضون خارجها فترة نقاهة وهم فقراء للغاية ، وفور مغادرة السفن تلقوا معونات أفضل ، ونظراً لليأس من قدرة السفن على الحضور إلى هنا بما أن الوقت تأخر كثيراً فقد نقلتهم إلى الهند .

مولاي ،

بعد مغادرة الحاكم والسفن ، ذهبت إلى "سوفالا" ووجدت البلاد قد دمرتها الحرب القائمة وسط الكفار إلى حد أنهم لا يسمحون بوصول أي فدية إلى القلعة ، وبسبب عدم توفر أي سبب أو معرفة لديهم ، ونظراً إلى أنهم لا ينفذون أي شيء يقولونه ، فإنها مشقة كبرى أن ينتظر المرء مماطلاتهم ، كما أنه لا جدوى هناك من إجراء أي مفاوضات جيدة أو سيئة معهم ، كما أنه لا يوجد لديهم (بقلم الرصاص) خطأ يمكن قيادتهم به ، ويقول الجميع أنهم يرغبون في صداقة القلعة المذكورة .

الحرب هي من أجل الدفاع عن بعضهم البعض حتى لا يأتي

أحد للفدية أو يحمل بعيداً أي بضائع من الوكالة التجارية ؛ لأن من يأخذها سيصبح على الفور أغنى من الآخرين ، وهذا فقط لأنهم يروننا ويعمدون فوراً إلى الحرص والمكر ، ويعود هذا ، وفقاً لما تعلمته ، إلى أنهم وعلى مدى أكثر من عامين لم يسمحوا بأي فدية بالوصول إلى القلعة ، حيث يوجد في المناطق الداخلية الكثير من الذهب ، كما يقال ، وهناك حاجة كبيرة للبضائع التي ينظرون إليها بتقدير كبير .

بينما كنت على وشك المغادرة إلى "موزمبيق" هذه ، جاء رسول من "بينوماتابا" ، وهو أقوى رجل بينهم جميعاً ، وكانت هناك صداقة عظيمة دائماً بيننا وبينه وعلى الرغم من أنه بعيد حيث إن أجزاءه الداخلية تهيمن على كل الأراضي والطرق حتى القلعة .

خلال السنتين الماضيتين قام ضده أتباعه الذين عاشوا بينه وبين القلعة الآمنة إلى حد أنه بينما كان لا يرغب في شيء أفضل من صداقتنا والتواصل معنا منعوه حتى الوقت الحاضر عندما أرسل أربعة برتغاليين مع الرسل المذكورين وكلفهم بأن يطلبوا مني أن أرسل إليه رجلاً موثوقاً به مع بعض الأشخاص الآخرين ، وأنه يعد بفتح الطرق بطريقة يستطيع من خلالها الكفار والتجار الحضور لمزاولة التجارة كما كانوا يفعلون في السابق .

قد رغب فقط في أن يحتفظ هناك بهذا الرجل ليتأكد من أننا نرغب في صداقته ، وهي الرغبة التي يشك فيها ، إذ إن وقتاً طويلاً قد انقضى ولم يرسل ليزور القلعة المذكورة ، ويبدو أن ذلك عائد إلى أنه لم يستطع القيام بذلك .

كان رأي المسلمين الأهالي وكبار السن في المكان ، ورأيي أنا أيضاً أنه سيكون من الأفضل أن نرسل له الرجل المذكور ، الذي أرسل في طلبه لنؤكد لأولئك الذين يأتون من هناك بأنه يستطيع الذهاب دون أي خطر وأن يصل إلى قانون الرسل البرتغاليين المتجهين إلى "بيناموتابا" المذكورة وأن يحظى بمعاملة حسنة .

الشخص الذي اختير لهذه المهمة هو "فيرناو دو بروينسا" الذي كان كاتب الوكالة التجارية ، وهو رجل يتمتع بفهم جيد وذو تجارب ومطلع على البلاد ، وكان مسروراً بالذهاب معتقداً أنه بذلك يقدم خدمة لسموكم ، وحمل معه عدة هدايا بأمل أن يعود ذلك بإذن الرب بفوائد عظيمة على سموكم ، وفي حال لم يتحقق هذا خلال حياتي ، فسأكون حزيناً للغاية .

مع ضرورة حل مشاكل "سوفالا" هذه ، وأعني أن تنحل المشاكل من تلقاء نفسها ، ونترك الوكالة التجارية في حالة جيدة ، فإنني رأيت أن الخدمة الأفضل التي أؤديها لسموكم هي أن أتوجه إلى "موزمبيق" حتى وإن تعرضت من خلال إقدامي على ذلك لخسائر ومشقة ، حيثما اضطررت أن أكون إلى أن أعرف بالتأكيد إذا كان الروم قادمين لهذه القلعة أم لا ، طبقاً للأقوال التي تشير إلى أنهم قادمون إليها .

إن رأيي المخلص هو أن ذلك لن يحدث ، ولكن طالما كان الأمر كذلك ، فإنني مجبر على البقاء هنا حيث لا ينجز أي عمل مما كتبت لسموكم في العام الماضي بسبب قضاء الحاكم فصل الشتاء بعيداً ، وقد شغل كل السفن التي كانت ستجلب الحجر وكل المواد الأخرى

المطلوبة للعمل ، وسأعمل خلال السنة الحالية - إن شاء الله - لكي أنجز أكبر قدر ممكن .

بسبب انقضاء عام بالفعل من مدتي فلن أكون قادراً على أن أفعل أكثر من تحصين هذه القلعة في الموقع الذي تقف فيه بأفضل طريقة أستطيع إنجازها ، ولكن لكي تكون قوية فإنني آمل في أن أتمكن من الدفاع عنها بعدد قليل من الرجال ضد عدد لا متناه .

كان يجب بناء هذه القلعة في موقع آخر على هذه الجزيرة حيث يكون ملائماً لها بصورة عظيمة ويمكن بناؤها بكلفة قليلة للغاية ، وكانت ستكون هناك حاجة فقط لفني بناء الحجر وإرساله مع عدد قليل من البنائين الآخرين .

أما الباقون فيمكن العثور عليهم وسط الأهالي القادرين على تنفيذ كل الأعمال التي يطلب منهم إنجازها ، ويبدو لي أن هناك حاجة عظيمة لهذه القلعة وقد جرت مناقشة هذا الأمر مع الحاكم "مارتيم أفونسو" وكان رأيه مماثلاً ، لأنه في حال - إن كان على حق أو باطل - لم تتجه هذه السفن الخمس إلى "موزمبيق" وقضت الشتاء هنا ، وستفقد السفن رجالها دون شك ، وكذلك الحال بالنسبة للسفن الأخرى التي قضت الشتاء هنا .

على سموكم أن تروا هذا ، وستجدون أنه لن يكون هناك من ضرر ، وعلى العكس ربما تستدعي الضرورة أن تكون هنا قلعة صغيرة ومسالك ، وأن تكون قوية للغاية وهذا يمكن إنجازه دون أن تكون هناك ضرورة لعدد من الرجال للدفاع عنها يزيد عن العدد المخصص لهذه القلاع .

في حال وافق سموكم على هذه الفكرة ، نرجو أن تأمروا من ترون ليرتب أول أسطول يأتي إلى هنا ، ليتذكر أولاً إرسال بنائي الحجر هؤلاء والذين يمكن أن يكون من بينهم موظف جيد للغاية وسيتم بناء القلعة المذكورة بكلفة قليلة .

إن أي قائد يعمل هنا ، عندما يأمر سموكم بهذا ، سيفرح بذلك في ضوء ما ينبغي أن تكون عليه خدمة سموكم العظيمة ، لأنه أمر سيئ بما يكفي لشيء يتوقف عليه الكثير ويكون ضعيفاً إلى هذا الحد ، ولا تكون بداخله أي مقاومة في وقت يمكن تقويته بالكلفة ذاتها التي أشير إليها أعلاه ، ولن تزيد عنها ، وأود تذكيركم بهذا عند مغادرة السفن .

كان هذا الشيء ذاته هو رأي الحاكم "مارتيم أفونسو" ، وكونه لم يكتب عنه فإن هذا يعود إلى ضغط الشؤون الكثيرة للغاية التي يتولاها وجعلته يغفل ذكره .

أرجو أن أتقدم بهذا التذكير بسبب الواجب الذي تحتمه عليّ خدمتكم ، ونأمل من سموكم إصدار تلك الأوامر فيما يتعلق بهذا بما يرضيكم على أحسن وجه .

أرجو أن أذكر سموكم أن لدي إرادة ورغبة قوية في أن أخدمكم ، وإنني لهذا أستحق من سموكم كل العناية الممكنة .

عن نفسي ، أرجو من سموكم التكرم بتزويدي بسفينة أغادر على متنها .

أدعو الرب أن يطيل عمر سموكم .

حررت في "موزمبيق" في العاشر من أغسطس عام ألف وخمسمائة واثنين وأربعين

"جواو دو سيبولفيدا "

على الغلاف :

إلى : مولانا الملك

من : "جواو دو سيبولفيدا"

وفي العام نفسه (١٥٤٢م)

أرسل "ديوغو لوبيز دي سوزا" "Diogo Lopes de Sousa" ، رسالة إلـى "دوم استيفادو دا جاما" "D . Estevado da Gama" ، الحاكم في الهند ، جاء فيها أن أشراف المضايق قد أرسلوا الرسل والسفراء إلـى الأتراك يخبرونهم بتواجد الأتراك في البحر الأحمر : [٦]

سيدي ،

الأخبار المتداولة هنا ، ولا أعرف إلى أي مدى هي مؤكدة ، حسبما يقول المسلمون وسكان "كامباس" أنها مؤكدة جداً ، فقد جاءت من البصرة ، وهي أن أشراف المضائق قد أرسلوا الرسل والسفراء إلى الأتراك ليبلغوهم بأن البرتغاليين يبحرون في المضائق طوال العامين المنصرمين .

(٦) رقم الوثيقة والهامش.

أن الحاكم شخصياً كان هناك أيضاً ، وأنهم هدموا ودمروا العديد من المدن ، وهي الآن في أحوال خربة وسيئة ، فإذا ما عاد الأسطول مجدداً فلا سبيل أمامهم غير الاستسلام ، لقد توسلوا إلى (عظيم الترك) تقديم العون والمساعدة بسبب مكانته وبسبب العقيدة المشتركة .

عند استلام الرسالة أرسل عظيم الترك قائداً بحرياً إلى السويس ليجعل الأسطول الذي يرابط هناك على أهبة الاستعداد وليتم بناء سفن جديدة (..) .

كذلك أرسل بعض رجاله في لباس التجار برسائل إلى ملوك وسادة "كامباي" ، لا أعرف يقيناً مدى صحة ذلك ، ولكنني أقول إن هذا هو ما يؤكد هنا ، فإذا ما اقتنع سموكم بهذا فيمكن لكم الكتابة إلى حول الأمر وإلى مولانا الملك مثلما أفعل أنا الآن ، وبهذه التحفظات ، حتى يكون الملك قد استفهم عن حقيقة الأمر وصحته من عدمها .

أنا أكتب هذا ، وصلتني أخبار أن قائد مركز الشرطة ، فقد أصدر أوامره بإغلاق أبواب مركز الجمارك ، وكذلك فعل كل تجار المدينة ، وهو لا يسمح بشراء أو بيع أي شيء في المدينة .

أقبل يديّ سموكم .

من "ديو" ، في الثامن والعشرين من شهر ديسمبر

خادم جلالتكم "ديوغو لوبيز دي سوزا"

وفي العام نفسه (١٥٤٢م)

جاء وصف أحداث عام ١٥٤٢م ، كما وردت في كتاب : "عقود آسيا" "Da Asia Nova" ، للمؤرخ البرتغالي "ديوغو دو كوتو" "Diogo do Couto " ، والإجراءات التي اتخذها الحاكم للهند "مارتيم دي سوسا" في النظر في القوانين المتبعة والأمور الخاصة بالخزينة : [٧]

الفصل الأول : بعض الإجراءات التي اتخذها الحاكم "مارتيم أفونسو دي سوسا" ، والأسطول الذي غادر هذا العام ١٥٤٢م بلاد البرتغال ، ذهاب الحاكم والسكرتير "أنطونيو كوردوسو" "Antonio Cardoso" إلى "كوتشين" .

بعدما تولى الحاكم "مارتيم أفونسو" منصب الحاكمية ، بدأ في النظر للقوانين المتبعة والأمور الخاصة بالخزينة ، حيث اكتشف وجود عجز

(٧) رقم الوثيقة والهامش.

كبير فيما يتعلق بالجزية التي يدفعها حكام هرمز ، والتي كانت من اهتمامات الحاكم "د . إيستيفاو" في الصيف الماضي .

لأجل تفادي القصور والنقص في إيرادات الدولة أكثر فأكثر ، وأيضاً كيلا يتورط حاكم هرمز في المزيد من الديون ، قام بدعوة المجلس للانعقاد لبحث هذا الموضوع .

ولمزيد من الإيضاح في هذا الأمر ، فإنني سوف أشرح محدداً أسباب دفع هذه الجزية بواسطة ملوك هرمز :

كانت أول اتفاقية أبرمت بين "أفونسو دي البوكيرك" والملك سيف الدين قد أقرت فرض جزية سنوية قوامها خمسة عشر ألف أشرفي ذهبي ، وعندما ذهب "أنطونيو دي سالدانها" "Antonio de Saldanha" إلى المضائق بصفته قائداً ، عمل على قضاء الشتاء في تلك الجزيرة ، أي عندما كان "تورون باشا" ابن [شقيق] سيف الدين حاكماً ، وقد أضاف مبلغ عشرة آلاف "أشرفي" على تلك الجزية .

في عام ١٥٢٣م اتجه "د . دوارتي دي نورونها" "Duarte de Noronha" إلى هناك لإخماد الحركة التي قامت ضد البرتغاليين في الجزيرة ، وبما أن ذلك صادف وفاة الملك "تورون شاه" ، فقد أمر الحاكم بتنصيب ابنه محمد شاه على العرش ، ومن ثم عقد معه اتفاقية جديدة تم تحريرها بواسطة "سبستياو دي فارقاس" "Sebastiao de Vargas" ، وزير الخارجية .

كانت شروطها الأساسية الإقرار بأنه استلم مملكة هرمز من "د . مانويل" ، ملك البرتغال ، الذي كان حياً في ذلك الوقت ، بحيث

يلتزم هو وخلفاؤه من بعده بإعادة المملكة وتسليمها إلى أي شخص يتم إرساله من قبل ملوك البرتغال .

يلتزم بأن يدفع مبلغاً إضافياً وقدره خمسة وثلاثون ألف أشرفي ذهبي بحيث يصبح كامل المبلغ بالإضافة إلى مبلغ الخمسة والعشرين ألفاً ، سبعين ألفاً ، وأن يلتزم هو وخلفاؤه من بعده بدفع هذه الجزية بالعملة الذهبية الفضية أو اللؤلؤ ، وذلك لأجل نفقة البلاد بشرط أنه إذا ما قامت حرب ضد "كامباي" التي تعتبر الممول الرئيس للدخل في مركز الجمارك هناك فإنه لا يدفع سوى مبلغ خمسة وعشرين ألف "أشرفي" ، أي المبلغ الذي نصت عليه الاتفاقية الأولى .

يمكن أن يتم معرفة هذا بوضوح من خلال الاطلاع على كتاب اللوائح الداخلية في قلعة الهند ، والموجود في مكتب الحسابات في "غوا" "Goa" ، وقد تم تدوينها بواسطة "سيماو بوتلهو" "Simao Boutelho" ، المسؤول الأول في الخزينة ، ولقد قمت بنسخها في الكتاب الذي كتبته عن جميع أتباع الملوك ، ويوجد هذا في "تورى تومبو" .

بعد عام ١٥٢٩م ، أي عندما كان "نونو دا كونها" "Nuno da Cunha" يقضي الشتاء في هرمز ، أثناء عودته من البرتغال ، بعد سقوط "البحرين" ، عقد معاهدة سلام مع القاضي الذي حكم عليه بدفع أربعين ألف أشرفي ذهبي ، وذلك بسبب تزعمه الثورة ، وقيادته تلك الحركة .

مؤخراً فإن هذا المبلغ قد فرض على ملك هرمز بواسطة "نونو دا كونها" ، بسبب أن أحد أتباعه قد دون المبلغ في حسابات القلعة ، وبالتالي أصبح المبلغ مائة ألف "بارداو" .

هكذا أمر الحاكم بأن يؤخذ من دخل مركز الجمارك ، وفي حالة عدم التغطية يجب الحصول على الباقي من كل مصادر الدخل الأخرى في المملكة حتى يكتمل المبلغ ، لكن عندها لم يعد للملك أي مصدر للإنفاق على نفسه .

أصدر "نونو دا كونها" أوامره بألّا تمس مصادر دخل الملك ، وأن يتم الحصول على الجزية من دخل مراكز الجمارك لجمع ثلثي المبلغ بحيث يترك الثلث الآخر للملك لمواجهة نفقاته ، ولما كان الدخل آنذاك كافياً لتغطية كل الاحتياجات فقد ظل ملك هرمز مديناً بمبلغ ضخم بسبب العجز ، وعدم قدرته على الوفاء بالدين .

عندما أرسل نائب الملك "د .غارسيا" "Dom Garcia" إلى هرمز مستفسراً عن المبالغ المستحقة ، تبين أن الملك كان مديناً في نهاية عام ١٥٣٩م بمبلغ ثلاثمائة وسبعة وسبعين ألفاً واثنين وخمسين "أشرفيا" وسبعة "كواديس" وأربع وسبعين ديناراً ، وقد كتب الملك إقراراً بهذا الدين وختم بختمه ، ووجده الحاكم "مارتيم أفونسو" في مكتب حسابات "غوا" .

هناك من يقول إن مبلغ الأربعين ألف "بارداو" التي ورد ذكرها أعلاه قد أضيفت بواسطة الحاكم "نونو دا كونها" إلى مبلغ الجزية التي كان يدفعها ملك هرمز بسبب اكتشافه أنه متورط في موضوع وفاة الريس حامد الذي نجح في تولي الوزارة في هرمز أثناء غياب الريس شرف الذي أخذ سجيناً للبرتغال وفق ما جاء في الوثيقة الرابعة .

لكن هذا ليس صحيحاً ؛ لأنه في سجل حسابات الوكلاء الذين

خدموا في هرمز في ذلك الوقت اكتشفت أن مبلغ الأربعين ألف أشرفي قد سجلت بموجب ملحوظة تشير إلى أنها دفعت بواسطة قاضي "البحرين" كجزية ، وذلك بسبب الثورة التي قادها .

بما أن هذا قاضي تابع إلى ملك هرمز وأنه دفعها له بصفتها جزية أو كدخل ، فمن الصعب أن نفترض أن دفع أربعين ألف "بارداو" إلى ملك البرتغال وغيرها الكثير إلى ملك هرمز .

عموماً أمر "نونو دا كونها" أن هذه الأربعين ألف الإضافية يجب أن تستوفى من ملك هرمز ، ويجب أن يطالب بها من قاضي بصفته كان تابعاً له ، وأن الأموال التي سبق أن دفعها قاضي "البحرين" يجب أن تخصم من الدين المستحق على ملك هرمز كجزية واجبة الدفع .

هذا الأمر شائك ومربك ؛ لأن الوثائق الحقيقية الخاصة بهذا الموضوع فقدت ، وليس هناك من طريقة للتسوية غير اللجوء للوائح الداخلية في قلعة هرمز ، حيث أمرت تلك بجمع مبلغ المائة ألف "بارداو" من الملك دون أي تعليق آخر غير أنها جزية فحسب .

وجد "مارتيم أفونسو دي سوسا" إقراراً بالدين ضمن الحسابات ، ومن ثم أمر بتحرير حسابات جديدة ابتداء من عام ١٥٣٩م وحتى بداية العام الحالي ١٥٤٣م ، وقد اكتشف أن الملك مدين بمبلغ ثمانية عشر ألفاً وخمسمائة وسبعة وثلاثين أشرفياً ذهباً ، وهذا مبلغ يعتبر ضخماً جداً ، وليس هناك من طريقة لاستيفائه .

بما أنه لا يريد أن يصبح المبلغ متراكماً ويزداد أكثر فأكثر فقد رفع هذا الأمر إلى عناية المجلس للنظر فيما يجب عمله ، وبعد التفاوض

أقر أنه ليس في مقدور ملك هرمز تسديد هذا المبلغ الضخم ، كما أنه يفتقر إلى أية وسائل أخرى تمكنه من الحصول على المال ، وأنه إذا ما لُجأ إلى عائدات مركز الجمارك فلا شك أنه سوف يصبح معدماً تماماً ولا يجد ما يبتاع به الغذاء ، لأنه لم يعد هناك أي مصدر آخر للدخل غير مركز الجمارك .

يجب أن يتم إشعاره بأن يسلم ملك البرتغال كل النقد الذي يحصل عليه ، إذ لديه الحق في ثلثيه ، وبعدها سوف يتم إلغاء كل الديون المستحقة عليه ، ويجب أن يدفع له من ريع مركز الجمارك والسناهية (الدخل السنوي) كي يتمكن من الإنفاق على أهل بيته وخدمه .

يجب أيضاً أن يحجب عنه دخل "الأوركا" على أن يظل كل ما دون ذلك متروكاً له لمقابلة نفقاته ، وعلى السكرتير "أنطونيو كاردوسو" الذهاب إلى هرمز لأجل تنفيذ ذلك .

قرر سعادة الحاكم الذهاب إلى "كوتشين" "Cochin" بمجرد وصول السفن من البرتغال ، وقد أمر بضرورة تجهيز أسطول كي يرافقه ، إذ إن المجلس قرر أيضاً معاقبة ملكة "باتكال" "Patakal" التي استمرت ثورتها عدة سنوات ؛ نظراً لامتناعها عن دفع الجزية المستحقة .

بينما شغلت هذه الأمور أذهان الناس في بداية شهر سبتمبر ، كانت سفن أسطوله التي قضت الشتاء في "موزمبيق" وثلاث سفن أخرى من الأربع التي غادرت في مارس الماضي من دون قائد قد وصلت إلى حاجز "غوا" .

نذكر من قباطنتها "هنريك دي ماسيدو" "Henrique de Macedo" ،

و"بالتاسار جورج" "Balthasar George" ، و"لوبو فيريرا" "Lopo Ferreira" والقبطان الرابع "فيسنت جِل" "Vicente Jill" ، وقد تحطمت سفينته على مبعدة من ساحل "ماليندي" في موقع أمكن إنقاذ جميع من كانوا معه .

شرع الحاكم في دفع أجور العاملين في أسطوله والسفن ؛ لأنه رغب في الإبحار إلى "كوتشين" بشكل عاجل ، وكان عليه تجهيز السفن والكتابة للبرتغال .

بما أن "د . إيستيفاو دا غاما" كان في "بانجيم" "Banjim" ، كما ذكرنا ، فقد طلب – دون أن يستشير الحاكم – من المسؤول الأول في الخزينة أن يسمح له بأخذ ثلاث من السفن العاملة بالمجاديف ، وهي سفن تابعة لصاحب الجلالة ، كي تبحر إلى "كوتشين" .

على أية جال ، فقد تم إبلاغ الحاكم الذي أمر بإعطائه السفن وتوفير كل ما يطلبه ، وبالفعل تم له كل ذلك وبعدها أبحر دون أن يستأذن من الحاكم الذي كان حينها مشغولاً بتجهيز أسطوله ومعالجة الكثير من الأمور خاصة وأنه في عجلة من الأمر حيث يعتزم المغادرة قريباً .

كان من بين الأمور التي أنجزها عملية إسكان اليسوعيين الذين كانوا حينها موجودين في المستشفى ، حيث فاوض المجلس حول الكيفية التي يجب اتخاذها لإيوائهم .

لقد تقرر أنهم يجب أن يؤخذوا إلى معهد التعليم الذي أسسه "د . إيستيفاو" في "كاريرا دوس كافالريوس" ، وذلك كي يتم جمع الأيتام الصغار وحديثي الدخول في المسيحية من الأطفال ، وضرورة تلقينهم وتعليمهم أصول الدين المسيحي ، وهكذا تم نقلهم إلى هناك حيث

أعطى لهم المقر ، وهناك أنشأوا كنيسة لهم حسبما سمحت به الظروف ، وكانوا يقومون بإنشاء مكاتب مقدسة ، ويحتفلون بإعطاء الأسرار المقدسة ، يعاونهم في ذلك سكان مدينة "غوا" .

أصبح عددهم يتنامى شيئاً فشيئاً فكبرت مجموعتهم وزادت مناقبهم لأنهم فيما بعد ، وسوف يأتي ذكر ذلك ، أسسوا في نفس المكان جماعة القديس "بول" ، التي أصبحت فيما بعد جماعة معروفة لا تقل شهرتها عن مثيلاتها في أوروبا .

عندما اكتملت كل الاستعدادات لمغادرة الحاكم ، أبحر في الخامس عشر من أكتوبر ، لكنه بداية أرسل السكرتير "أنطونيو كاردوسو" إلى هرمز ، وأمره باستجواب "مارتيم أفونسو دي ميلو زوارتى" ، قائد القلعة هناك .

من ضمن ما سمعته من نبلاء تلك الفترة أن الحاكم هدف إلى إيجاد خطأ يمكنه أن يحسبه عليه ، لأنهما ليسا على علاقة وطيدة ، وقيل إنه حرر أمراً بصورة سرية للسكرتير يوصيه فيه أنه إذا ما تبين أن الكابتن مذنب ، في ضوء الشكاوى التي رفعت ضده ، أن يقوم بإرساله سجيناً إلى "غوا" ، وأنه سوف يظل هناك إلى حين وصول الكابتن المعين ، لكن الحقيقة أنه كان قد تسلم عدة شكاوى من هرمز ضد الكابتن ، ولذا أمر بضرورة استجوابه .

شرع الحاكم في الإبحار ، ومعه السفن التي قدمت من البرتغال ، وكانت مجموعة القباطنة التي رافقته في هذه الحملة تتألف من : "د . مانويل دي ليما" "Manuel de Lima" ، "بيرو فاز دي سيغويرا" "Pero Vaz de Sequeira" ، "د . مارتيم دي سوسا" ، "أفونسو هنريكس" "Afonso Henriques" ، "مانويل

دي سوسا دي سيبولفيدا" "Manuel de Susa de Sipulveda" ، "برنارديم دي سوسا" "Bernardim da Susa" ، "فيرناو دي سوسا دي تابورا" "Fernao de Susa de Tavora" ،

"د . ديوغو دي رينوسو" "D . Diogo de Rinocio" ، "فرانسيسكو دي سا دي منسيس" "Francisco de Ca de Meneses" "ذي النظارات" ، "فرانسيسكو لوبيز دي سوسا" "Francisco Lopez de Susa" ، "أنطونيو دي سا" "Antonio de Sa" "التـــركي" ، "د . دوارتـي دي مـنسيس" "D . Duarte de Meneses" ،

"أنطونيو دي سوتومايور" "Antonio de Soutomayor" ، "أفونسو بيريرا دي لاسيردا" "Afonso Perriera de La Cerda" ، "جورج دي ميلو (الأول" "George de Milo Benho" ، "لوبو فاز دي سيغويرا" "Lopo Vaz de Sequeira" ، "ديـــوغـــــو بيـــزارو دي ايـــكـــا" "Diogo Bisaro de Eka" ، "فيرناو دي ليما" "Fernao de Lima" ، "غـــاسبار دي سوســـا" "Gaspar de Susa" ، "أفونسو فيرنادو" "Afonso Fernado" ،

"ألفارو دي مندونسا" "Alvaro de Mendonca" ، "د .فرانسيسكو دي نورونها" "Francisco de Noronha" ، "فيرناو جوميز دي سوسا" "Fernao Gomes de Susa" ابـن "الفـــارو فيرنانـــدس دي سوسا" "Alvaro Fernandes de Susa" ، قاضي قضاة البرتغال "جواو دى مـــندونسا" "Joao de Mendonca" ، "د . جـــواو هـــنريكـــس" "D . Joao Henriques" ، "د . جـــواو مـــاســكاريـنـــهـــاس"

"فاسكو" ، "Luis Cayado" "لويس كايادو" ، "D . Joao Mascarinhas" دا كونها" "Vasco da Cunha" ، "لويس فالكاو" "Luis Falcao" . وجمع كبير من النبلاء والشخصيات الهامة لم يتم التعرف على أسمائهم بجميع سفن أسطوله .

*

الفصل الخامس : ماذا حدث عند ذهاب السكرتير إلى هرمز؟ وكيف تخلى الملك عن مركز الجمارك في الجزيرة؟ وبعض الأمور الأخرى .

في فبراير ، غادر هذا الرجل الحكيم "أنطونيو كاردوسو" مدينة "غوا" ، متجهاً إلى قلعة هرمز ، وحتى قبل نزوله هناك ، كان "مارتيم أفونسو" قد علم بأسباب قدومه ، لذا فقد أعطى أوامره كي يتم استقباله بحيث يحل ضيفاً عليه .

اعتقد السكرتير أن هذه إشارة تدل على عدم الثقة ، لذا فقد نزل على الفور ، واستقبله "مارتيم أفونسو" أحسن استقبال ، وبعد هذا الاستقبال كان أول ما بدأ به الشروع في إجراء الاستجواب تماماً كما أمره الحاكم ، وقد تم ذلك بكل ثقة ، لكن كانت المعلومات التي تبينها مختلفة تماماً عن تلك التي تلقاها الحاكم ، لأنه ما من أحد أقدم على رفع أية شكوى ضده ، وإنما العكس تماماً ، فالكل قد ذكره بالخير ، لأنه شخص نبيل كريم النفس عطوف عزيز النفس بعيد عن الطمع .

عندما كتب السكرتير تقريره ، قام بإرساله للحاكم في أول سفينة استعدت للإبحار ، وأبلغ أن "مارتيم أفونسو دي ميلو" هو شخص نبيل ، يستحق أن يمنح أعظم المكارم والامتيازات .

كتب الحاكم رسالة يعتذر فيها من "مارتيم أفونسو" ، أعرب فيها عن شعوره بالسرور عندما ثبت أن كل ما قيل له عليه من مساوئ ليس سوى افتراء وأكاذيب ، وأنها أقاويل كيدية زائفة ، وأنه لم يكن يتوقع أن يجد في شخصه سوى الاحترام وحسن السمعة ، لأنه بحق شخص نبيل ذو معدن أصيل وكريم النفس ، وقد طلب منه أن يرسل السكرتير لقضاء الشتاء في "غوا" ، وأن يبقى هو في منصب المسؤول الأول في هيئة الخزينة .

قيل إن "مارتيم أفونسو دي ميلو" رد بشيء من الحدة على الحاكم ، لأنه يدرك تماماً أن الحاكم كان يسعده أن يجده مخطئاً ، وقد ذكر تحديداً في إحدى النقاط ، ربما كان هذا الأمر بين اثنين من "المارتينهوس" "Martinhos" ، ولكن إذا كان يرى في نفسه قرداً فإنه سعدان ، آخرون يقولون إنه كتب له هذه الرسالة من "كوتشين" عندما كان يستعد للإبحار إلى البرتغال في العام التالي ١٥٤٤م .

بالعودة إلى السكرتير ، فقد شرع الرجل في بحث وتداول الشؤون الخاصة بالملك ، وكانت له عدة لقاءات معه بحضور الكابتن وقاضي ، واقترح عليه أن يتنازل عن كل عائدات مركز الجمارك لمصلحة ملك البرتغال ، لأن هذه أفضل وسيلة للوفاء بديونه والتزاماته وتحرير نفسه ، كما أنها أفضل طريقة تجنبه التورط في المزيد من الديون ، التي يصعب عليه دفعها بسبب افتقاره إلى الوسائل والمصادر التي تدر عليه الأموال ، ولا شك أن ملك البرتغال سوف يضع في حسبانه النفقات والتكلفة ، لأن الحاكم لا يعتزم سلبه من كل شيء .

في هذه السطور ذكر ما يكفي كي يوافق الملك على التنازل المطلوب مشيراً إلى أنه تابع إلى ملك البرتغال الذي يؤول إليه كل شيء بما في ذلك تلك المملكة التي أهداها له وبوسعه أن يستردها منه وقت ما يشاء .

أيضاً ذكره بأنه لم يعد لديه أي شيء يمكنه بواسطته أن يدفع "الموكاريا" "mocarrias" إلى الملوك المجاورين له ، وكذلك المنح والعلاوات لأجل النبلاء وخدم قصره .

لقد وافقه السكرتير الذي منح سلطات واسعة في هذا الأمر على الشروط التالية :

أن يقوم بإرسال عائدات مركز الجمارك في الجزيرة نقداً إلى ملك البرتغال الذي سوف يعمل على إعفائه من كل الديون السابقة ويمنحه بالمثل بشكل سنوي أربعين "لاك" أي ما يعادل ألفاً وثمانمائة "أشرفي" ذهبي كبدل ملابس ومائتين وخمسين "لاك" بما يعادل تسعة آلاف وستة وثلاثين أشرفيا ذهبيا لأجل "البارداو" ومقابله "الموكاريا" التي يجب أن تدفع إلى قاضي الذي سوف يقوم بمهمة الإشراف على مركز الجمارك ، وذلك كي يوزعها .

بالإضافة لذلك سوف تسلم له جميع المنح ونفقة الإعاشة التي يدفعها لخدمه وتبلغ هذه نحو ألفي "بارداو" ممن يقوم المسلمون بتوظيفهم في مركز الجمارك كي يواصلوا عملهم هناك ، وسوف يترك أمر توظيفهم لملك هرمز .

تم تدوين جميع هذه الشروط ، وتم التوقيع على جميع الوثائق وذلك

في سجلات الوكالة في القلعة ، هذا إلى جانب اللوائح الداخلية بالنسبة لمركز الجمارك ، وبالإضافة لذلك قام الملك "سلغور شاه" بتحرير فرمان أقر فيه بتنازله عن مركز الجمارك لملوك البرتغال ، وقد ورد هذا كملحوظة جديرة بالاهتمام :

هذا الفرمان الذي حررته ، يجب أن يجد الإذعان من جانب كل شخص من الغرب وحتى الشرق ، وليكن معلوماً أنني برغبتي وحر إرادتي قد أمرت بتحريره في ضوء الصداقة العريقة التي تربطني بالملك ، وكذلك في إطار الاتفاقية والالتزام بيني وبين سيدي الملك ، الذي طالت عظمته عنان السماء ، وامتد نفوذه مغطياً العالم بأكمله .

خاصة وأن هيبة مملكته تماثل هيبة ملك الصين ، المنصور في كل حروب البشر ، الملك العادل الأعظم من كل ملوك العالم ، مفتاح خزائن الأرض في الفضل والنبل ، المثل الأعلى في فن الحكم ، المنقى والمطهر في جميع بحار المملكة ، باني المدن السكنية ، الوعاء الذي يحوي أجمل وأغلى اللآلئ والمجوهرات ، الحصن المنيع السامي ، حامي الجميع ، شمس العدالة والحق ، النبع الصافي الذي ينقي الأرض المسكونة والجرداء ، المؤمن بالرب الواحد الأحد ، صاحب المقام الرفيع ، الإمبراطور "جواو" حفظه الرب وأنعم عليه بالأمن والسلام ، أسأل الرب أن يمنحه من الثروة ما يزيل به بؤس وفقر شعوب العالم .

لقد كان حظّي عظيماً عندما منحني حمايته وأحاطني بظله كي أحصد الثمار الجنية التي سقاها بعظمته .

إنني على بينة من أن إحسان سيدي ملك البرتغال السامي يلازمني وينمي الآمال العريضة في قرارة نفسي .

لكل هذه الأسباب فإنني أفهم أنني ملزم بالوفاء تجاه مصالحه ووضع مملكتي وخزينتي في خدمته ، وأنني لن أحيد عن التزامي هذا قط ، في ظل إيماني أن ما أقوم به هو الواجب عليّ عمله .

إنني أعتزم أن يكون دخل ميناء مملكة "جارون" "Jaron" بعد توفير "الموكاريا" وإعانات النبلاء ومنح مسكن امتيازات جميع المسؤولين في مركز الجمارك المسلمين منهم والبرتغاليين بالطرق المعتادة فإن المتبقي من المداخيل المالية من الميناء في مملكة "جيرون" .

كل شيء آخر أتلقاه من مركز الجمارك سوف أرسله إلى جلالة ملك البرتغال في شكل مدفوعات عن الجزية المفروض عليّ دفعها له ، وألتزم بأن يتم تسليمها إلى مسؤوليه ، وعليهم استلامها ، وسوف آمر جميع المسؤولين في مملكتي بضرورة الإذعان وتنفيذ كل ما ورد في هذا الأمر دون تسويف أو تردد ، وأن يلتزموا بشكل مستمر بما يجب عليهم تنفيذه بكل اللطف والاحترام .

حرر هذا في الفاتح من شهر محرم عام ٩٤٨ من الهجرة المحمدية ، الموافق السابع والعشرين من فبراير من عام ١٥٤٣م .

تم التوقيع ووضع الختم على الأمر بواسطة ملك هرمز ، ويترتب إرساله للبرتغال كي يحفظ في "توري دو تومبو" حيث لم يُطلع عليه في الهند .

عندما صدر هذا الأمر ذهب السكرتير "أنطونيو كاردوسو" إلى مركز الجمارك برفقة قاضي ووكيل الملك وبقية المسؤولين حيث تسلمه بالإنابة عن ملك البرتغال .

منذ ذلك اليوم وإلى ما بعده أصبح يدار لمصلحته ، لكن لم تجر أية تغيرات فيما يختص بإدارته .

بعد ذلك ، تسلم السكرتير ، شخصياً ، الدخل العائد من العرق ، وقد بلغت قيمته أكثر من أربعة آلاف "كروزادو" وفق توجيهات الحاكم ، لأنه في إطار منح الملك جميع نفقات مسكنه من دخل مركز الجمارك فقد أشارت الأوامر أن يتم أيضاً جمع العائدات الأخرى للجزيرة .

غير أن الملك احتج على ذلك مقدماً اعتراضه قائلاً : إنه فقير لا يملك أية مصادر أخرى يمكنه أن يحصل منها على أية أموال ، وعليه فإنه يناشد المسؤولين أن يرسلوا الوثائق للبرتغال .

يوجد متجر واحد فقط في الجزيرة للـ "أراك" "arak" لبيع الخمور التي تصنع من شجر البلح (أو من قصب السكر) ، لكنه كان متجراً صغيراً جداً ، كان بداية قد أوجده "أفونسو دي البوكيرك" عندما بنى القلعة ، وتركه لرجل اسمه "جاسبار بيرسي" ، كان مترجم الملك سيف الدين ، لأنه يجيد تلك اللغة ، وكان الملك قد أعطاه دخل ذلك المتجر كمنحة له ، بعدها أصبحت بمقدار مئتي "بارداو" .

هكذا أصبح المتجر يعرف باسم "كونا غاسبار" أي بمعنى (مسكن غاسبار) ، وفي ظل تنامي دخله ، أمر ملك هرمز بمصادرته منه حيث استأثر به لنفسه ومن ثم أصبح يعطيه مبلغ المئتي "بارداو" كمنحة له

عن قيامه بالترجمة والعمل معه ، وفي بعض الوقت كان الملك يعطي ذلك المال للبعض من قباطنته ، وهناك آخرون يحصلون عليه عنوة ، وسوف نتحدث عن هذا الأمر لاحقاً .

بعدما أنهى السكرتير مهمته في هرمز ، أبحر عائداً إلى "غوا" ، على متن السفن الأخيرة المتجهة إلى هناك لقضاء الشتاء .

أصبح لملك الأتراك مطلق السيادة على البصرة ، رغب على إثر ذلك في أن يكون السيد المطلق على جانبي مضيق الخليج حتى جزيرة هرمز التي لم يستبعدها من نواياه ، وذلك نسبة لضخامة حجم التجارة التى تجتذبها هذه الجزيرة ، خاصة وهي تجتذب معظم تجارة جزر الشرق ، وبالتالي فقد وجه باشا البصرة كي يبذل قصارى جهده للاستيلاء على "القطيف" و"البحرين" وضرورة اقامة حصن ضخم هناك .

في صيف العام الماضي ١٥٥٠م بدا الباشا حريصاً لاتخاذ الخطوة الأولى في هذا الاتجاه ، فاتفق مع بعض عرب "القطيف" ، بعدما كسب جانبهم بالوعود ، وكان نتيجة ذلك أن وافقوا على قيامه بإرسال أسطول يقوم بمحاصرتهم في القلعة ، وبعد ذلك سوف يسلمونها له .

في هذا الأثناء حصل الباشا على مجموعة كبيرة من السفن ملأها بالجنود والعتاد وشرع في الإبحار صوب "القطيف" ، وبعدها أطبق عليها حصاراً من جهة البحر .

وكان الكابتن هناك مراد بيك (باربروسا) ومعه حوالي ثلاثمائة أو أربعمائة جندي من العرب ، وسواء أكان قد تم تحذيره من جانب الأتراك ، أو بسبب الشكوك التي راودته في أن البعض من رجاله تمت

رشوتهم من جانب الأتراك ، فقد عمل على اخلاء القلعة ، ومن ثم انسحب إلى الداخل كي ينجو بنفسه .

عليه قام الأتراك باحتلال القلعة ، ثم شرعوا في ترميمها وتزويدها بأسلحة المدفعية .

عندما وصلت الأخبار هرمز أحدثت تأثيراً كبيراً بحيث إنها أثارت الرعب في نفوس السكان ، نظراً لقرب موقع الأتراك بجنبهم .

عموماً شعر الملك بالكثير من الحسرة والألم بعدما علم أنه قد فقد قلعة بمثل تلك الأهمية ، فاتفق مع الكابتن "دوم ألفارو دى نورونها" "D . Alvaro de Noronha" على ضرورة إرسال خطابات عاجلة إلى نائب الملك كى يُعنى بهذا الأمر لأن هذا الاحتلال سوف يحدث ضرراً بالغاً .

تلقى نائب الملك هذه الرسالة في "غوا" ، في نفس الوقت الذي استقبل فيه سفراء ملك البصرة ، وفي إطار التحالف مع أهل الجزائر الذين يعتبرون ألد خصوم الأتراك ويقيمون في الجزر الواقعة عند مدخل نهر الفرات .

كان الملك يشن حرباً في الداخل ضد عدو مشترك سلبه مملكته ، ولقد أرسل طلباً إلى نائب الملك بواسطة أولئك السفراء يناشده المساعدة بارسال أسطول يتولى حراسة الميناء ، لأنه هو وجميع الملوك العرب من جيرانه موجودين في الريف مع ثلاثين ألفا من الرجال على أهبة الاستعداد لطرد الأتراك واستعادة تلك المدينة ، وتعهد بتسليم ملك البرتغال تلك القلعة التي بنيت على الحدود ونصف عائدات مركز الجمارك .

عندما قرأ نائب الملك الخطابات واستمع لأقوال السفراء أدرك أهمية الموقف ، ومن ثم دعا النبلاء وقادة المجلس لحضور الاجتماع ، حيث عرض عليهم المشكلة برمتها .

بعدها قرأ على الحضور الرسالة التي تلقاها وشرح لهم مضمون ما طلبه منه ملك البصرة وما وعده به .

بعد الانتهاء من تداول الأمر ، كان الجميع يرون أنه من الضروري أن يتم إرسال الأسطول والقوات في الحال لأجل استعادة القلعة ، لأنها تؤول إلى ملك هرمز ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى إبعاد الأتراك وطردهم من المناطق المجاورة لقلعتنا ، وبالإضافة لذلك سوف يصرحون لهم بوضوح أنه إذا ما وطئت أقدامهم أي جزء من تلك المناطق مجدداً فسوف نكون قادرين على طردهم فوراً .

عندما تمكن نفس الكابتن الذي أرسل لمعالجة هذا الأمر من تسويته اعتزم الإبحار للبصرة لأجل مساعدة الملك حتى يتمكن من استعادة مملكته ، سيما وأن القلعة ومركز الجمارك اللذين تنازل لنا عنهما يُعتبران مهمين للغاية ، أيضاً إرسال مسؤول أول الخزينة لنفس السبب وذلك لأجل ترتيب هذه الأمور بدقة .

بموجب هذا الاتفاق قام نائب الملك بتعيين "دوم أنتاو دى نورونها" ابن أخته كقائد للحملة ، حيث ترأس مجموعة ألف ومئتي جندي وسبع سفن واثنتي عشرة سفينة من السفن العاملة بالمجاديف ، وأمره بإعداد وتجهيز هذا الأسطول بشكل عاجل ، وأن يعمل على دفع أجور العاملين سيما وهم كثر .

(...)

عندما تم تجهيز أسطول "دوم أنتاو دى نورونها" "D . Antao de Noronha" ، أمر نائب الملك بالإبحار في بداية شهر إبريل ، ومن ضمن القباطنة الذين أبحروا فيه نذكر الآتية أسماءهم :

بداية أبحر هو شخصياً في السفينة "ساو لورنسو" "Sao Lorenco" .

"جواو فيرناندس دى فاسكونسيلوس" "Joao Fernandes de Vasconcilos" ، "مانويل دى فاسكونسيلوس" "Manuel de Vasconcilos" ، "مارتيم دى ميلو أومبرينهوس" "Martin de Melo Ombrenhos" ، "بدرو أفونصو دى أفيلار" "Pedro Afonso de Avilar" و"أنطونيو لوبيس دى اوليفيرا" "Antonio Lopez d'Oliveira" مع "جيرونيمو رودريغيز" "Jeronimo Roderigues" بصفته مسؤول أول الخزينة .

قد انطلق الجميع في سفنهم ومراكبهم الشراعية .

كان قباطنة السفن هم : "دوم جيرونيمو دي كاستيلو برانكو" " D . Jeronimo de Castelo Branco" ، "ديوغو بيريرا" "Diogo Perreira" ، "جواو سيراو" "Joao Cerao" ، "أنطونيو هنريكس" "Antonio Henriques" "غونسالو دى موريس دى سوسا" "Goncalo de Moris de Susa" ، "مارتيم باربودو" "Martim Barbodo" ، "أنطونيو دى بتانكور" "Antonio de Betancore" ، "جواو كويلهو" "Joao Quelho" ، "روى لوبيس" "Rui Lopes" ، "بدرو الفاريز" "Pedro Alvares" ، "غونسالو بيرس" "Goncalo Perez" وآخرون أبحروا معهم في تلك الرحلة .

سوف نعود للحديث عنها فيما بعد .

وفي العام نفسه (١٥٤٢م)

جـاء وصف دولـة الهنـد ، ومنطقة الخليج ، وحـكام الخليج الأوائل : [٨]

تبدأ حدود دولة الهند من "رأس الرجاء الصالح" على خط عرض أربع وثلاثين ونصف درجة جنوباً وتمتد حتى خليج نانكن في الصين على خط عرض أربعة وثلاثين شمالاً ، وتضم منطقة ساحل آسيا بكاملها والتى تمتد لمسافة ثلاثة آلاف وتسعمائة وسبعة عشر فرسخاً وهي مسافة تم تحديدها بواسطة جداول الملاحة وهي أفضل وأدق أنواع المقاييس التى وضعت في الهند وتم استخدامها عالمياً فيما يختص بهذا الساحل والبحار الآسيوية .

هذا الحجم لا يتضمن الخلجان والمضائق ومصبات الأنهار وكذلك القلة من المداخل والأنهار والتي إذا أدرجت لزادت المساحة بواقع فراسخ كثيرة .

(٨) رقم الوثيقة والهامش.

يلاحــظ على طــول ساحل آسيا أن البحر يخلق ثلاثة تدخلات في اليابسة على شكــل ثلاثة أقواس تسمى بالخلجان ، ويبدأ أول خليج منها عند "رأس الرجاء الصالح" ويمتد حتى "رأس كومورين" "Comorin Cape" حيث يبدأ الخليج الثاني وينتهي هذا الخليج عند نهر فيرموسو إلى ما بعد "ملقا" وهنا يبدأ الخليج الثالث الذي يمتد حتى منطقة خليج نانكن التى سبق ذكرها وراء الصين .

يمتد هذا الخليج الثالث لمسافة تسعمائة فرسخ بينما يمتد الثاني نحو تسعمائة وواحد وأربعين فرسخاً مع وجود بعض الأخاديد كما يمتد الأول نحو ألفين وخمسة وسبعين فرسخاً .

في إطار اشتمال هذه المنطقة على سواحل ومضائق مكة وهرمز فإن طول ساحل آسيا يبلغ بالكامل خمسة آلاف ومائة وستة وثلاثين فرسخاً لأن مضيق مكة وحده يبلغ سبعمائة وعشرين فرسخاً من سواحل "إثيوبيا" والجزيرة العربية من المدخل وحتى المضيق وكذلك مضيق هرمز الذي يبدأ من رأس الحد مع الجزيرة العربية وفارس وهذه تقدر بحوالى خمسمائة فرسخاً .

على طول ساحل آسيا هذا تنتشر مجموعة لا تحصى من الجزر مثل جزر المالديف التى يبلغ عددها أحد عشر ألف جزيرة ، هذا بالإضافة إلى جزر أخرى أهمها "اس لورينسو" (مدغشقر) التى يبلغ طولها مائتين وسبعة وثمانين فرسخاً وعرضها خمسة وتعسين فرسخاً كما يبلغ محيطها سبعمائة واثنين وثمانين فرسخاً . أيضاً هناك جزيرة

غنية ورائعة هي جزيرة سيلان بطول خمسة وسبعين فرسخاً وخمسين فرسخاً عرضاً ويبلغ طول محيطها مائة وخمسة وتسعين فرسخاً .

هناك أيضاً جزيرة "آورى شيرسونيسو" الجميلة وتسمى "سومطرة" ويبلغ طولها مئتين وعشرين فرسخاً وعرضها خمسة وسبعين فرسخاً ومحيطها على مدى خمسة وعشرين فرسخاً .

يبلغ طول جانبي جزيرة جاوه مئتين وواحد وسبعين فرسخاً ، أما بخصوص مساحة الجزيرتين بينها وبين تيمور فإن الأولى بطول اثنين وأربعين فرسخاً وثلاثين عرضاً ويبلغ محيطها مائة وخمسة وعشرين فرسخاً ويبلغ طول ماكسار مائة وخمسة وأربعين فرسخاً كما تبلغ مساحتها ثلاثمائة وعشرين فرسخاً .

يشير أيضاً إلى "سيرام وامبون" بطول ثلاثة وستين فرسخاً وعرض يبلغ حوالى خمسة عشر فرسخاً ومحيط يبلغ مائة وأربعين فرسخاً .

يبلغ طول جزيرة "بورنيو" مائة وخمسة وسبعين فرسخاً ويبلغ محيطها أربعمائة وستين فرسخاً .

هناك أيضاً جزيرة "باتوشاينا" (هالمحرة) ويبلغ محيطها مئتين وأربعين فرسخاً أما الجزيرة الكبرى "بابوناس" الواقعة على حدود الصين الجديدة فإنها بطول مائة وخمسة وعشرين فرسخاً ، وتقع على مبعدة سبعين فرسخاً شرق "باتجان" التي تفصلها مسافة عشرين فرسخاً من "تيرينت" في الشمال التي نعرفها باسم "مالوكو" .

أما الجزيرتان الرئيستان في اليابان فيبلغ طولهما مائة وأربعين فرسخاً وعرضهما ستة فراسخ .

لقد أغفلت ذكر الجزر الأخرى التى تؤول إلى ملك اليابان نظراً لكثرة عددها وصغر حجمها .

توجد على طول هذا الساحل العديد من الأقاليم الغنية والخصبة والتى يحكمها زعماء وحكام أقوياء ، وفي البداية كان البعض منهم قد نزع لمقاومتنا غير إنهم اضطروا لمصالحتنا فيما بعد وعملوا على توقيع معاهدات سلام حتى يتم اعتبارهم مسؤولين يمكن التعويل عليهم ، بينما وافق البعض الآخر على بناء القلاع في موانيهم ، وكان بعضهم قد قام بتسليمها بالفعل ، وانتزعت من قبضة البعض الآخر الذي قاوم في سبيل الإحتفاظ بها .

أصبحت أيضاً فئة منهم تابعة لسيادة نفوذ مولانا الملك وآخرين إخوة في السلام - أما البقية فقد تم اخضاعها ولم تعد تمتلك أية سفن مقاتلة أوتمتلك حق الإبحار دون الحصول على تراخيص من قبل قباطنتنا ونواب الملك .

لهذا السبب كان لدينا في البداية أساطيل قوية تقوم بحراسة البحر وتواجه الثورات والاضطرابات في البر ، ولكن بمرور الوقت كسرت شوكتهم وهدأت الأحوال بحيث إن السلع والبضائع والتبادل التجاري أصبح السمة الغالبة أكثر من الخصومة والعداوة في الهند ، وأصبح نواب الملك الذين كانوا في الماضي ينزعون لإكتساب الشهرة يذهبون للبرتغال لجني الثروات وحيازة المال .

عندما وجد المسلمون والهندوس في تلك المناطق الأدلة القاطعة على جشعنا بدأنا حينها نفقد احترامنا وتضاءلت هيبتنا في نظرهم .

توجد حوالي ست وثلاثين قلعة في أهم الموانئ الواقعة على هذا الساحل ، كما توجد أيضاً مدن أخرى بقلاعها وتحصيناتها تكفي لقيام البرتغاليين بواجب الدفاع والهجوم .

بسبب هذا ظل حكام الأقاليم المجاورة يرسلون سفراءهم لزيارة نواب الملك والقباطنة ، وكانوا يأتوننا بالهدايا الثمينة .

منذ سنوات عديدة مضت تمكن بعض الكهنة من اليسوعيين من الحصول على مرسوم من ملك سبستياو يبيح لهم الحصول على هذه الهدايا ، وبالتالي أصبحوا يتلقونها أو عملوا على توقيع اتفاقيات مع نواب الملك بحيث أصبحوا يحصلون على مبالغ مالية معينة كل عام .

حكام الخليج الأول :

في هذه الإمبراطورية البحرية نفترض وجود عالم مختلف ومناخ مختلف لكل خليج لأن كل واحد من الخلجان الثلاثة يختلف عن الإثنين الآخرين بشكل ما ، وفي ضوء ذلك فإنني أشير إلى أن "رأس الرجاء الصالح" ، حيث يبدأ الخليج الأول متخذاً شكلاً هرمياً : قدم في الشرق من "راس قواردفوى" بامتداد ألف ومئتين وخمسة وعشرين فرسخاً والقدم الأخرى في الغرب من مضيق جبل طارق(أ) وتشمل مسافة الألف ومئتين وخمسة وعشرين فرسخاً هذه مملكة "إثيوبيا" "بريستر جون" في الإنديز ، وهي أقدم الأماكن المسيحية التى عرفت آنذاك .

أما في البر فإنها تُحد بإقليم "مونوموتابا" "Monomotopa" و"كافيرز"

(أ) ملحوظة ثانوية – هذا خطأ .

التى تمتد على طول الساحل من "موزمبيق" و"ماليندى" وحتى البحر الأحمر ، ولقد قيل إن في إقليم ملك الحبشة يتوفر اثنا عشر ألف محارب قوي ، تم تسليحهم بشكل جيد وهم مجهزون بكامل عدتهم وعتادهم الحربي لكنهم جميعاً حُفاة ، ولم تكن لديهم أسلحة سوى البنادق ولم يحدث أن امتلكوا قلاعاً قط غير إنهم يتجولون في أماكن حصينة طبيعياً .

يعرف ملكهم باسم "لوقوس" وهذا لفظ كلداني يطلق على الشخص الذي يحكم الآن "كالديوس" "Caldius" بمعنى خادم الرب ، تتعامل هذه المملكة تجارياً مع البرتغاليين عن طريق عمولة من ملك البرتغال[أ] الذي هدف لتنويرهم من خلال الديانة المسيحية ومذهبها وثقافتها ، غير أن ذلك لم يتحقق له بسبب لجوء الاتراك لبسط هيمنتهم في ساحل البحر الأحمر .

الأتراك ما يزالون مسيطرين على كل المضيق بما فيه سواحل "إثيوبيا" والجزيرة العربية الأمر الذي أضعف ملك الحبشة بشكل كبير حتى تقلص نفوذه وضعفت سيطرته .

هناك ثلاثة علامات تميز الأحباش ، واحدة فوق الأنف بين الحاجبين ، واثنتان في نهاية الحاجبين ، أما غير المسيحيين فلديهم واحدة فقط فوق الأنف .

من الحدود الداخلية للبلاد لهذه المملكة تجاه "رأس الرجاء الصالح"

(أ) هما مانويل وجواو الثالث .

يُلاحظ إن المنطقة محتلة بواسطة "كافيرز" وحاكمهم للمرة الثامنة ملك "مونوموتابا" سيد مناجم الذهب التى تمتد من مينا في الجانب الغربي من "سوفالا" ، أيضاً هناك مناجم أخرى للفضة وعلى طول حافة المحيط يوجد ملوك وزعماء وشيوخ مسلمون وهندوس يدينون له بالولاء والطاعة متى وكيفما يشاءون إذ إنهم يذعنون للبرتغاليين بسبب علاقاتهم التجارية والتبعية والتآخى .

أحد هؤلاء هو ملك مالندى الذي استقبل أول فوج للبرتغاليين الذي أسس مدينة "كاليكوت" في ساحل الهند .

يعيش الكثيرون في الجزير لأنها نسبياً تكون أبرد من البر الرئيس ، ومن بينها نجد قلعة سوفالا ، وإلى الداخل قليلاً توجد البقية ، وأيضاً هناك "موزمبيق" التى تبعد خمسة آلاف وثمانمائة فرسخ من "رأس الرجاء الصالح" ، وقلعة "ممبساً" في ساحل مالندى التى أمر صاحب الجلالة ببنائها عندما كان "ماثياس دي البوكيرك" "Mathias de Albuquerque" يعمل في منصب نائب ملك الهند .

تعتبر "مونوموتابا" مصدراً رئيساً لرفد نهر النيل الذي ينحدر مخترقاً الأراضي الحبشية والتي اتخذها القدماء كحد فاصل بين قارتي إفريقيا وآسيا غير مدركين أن المضيق الممتد من هرمز إلى البصرة هو الأكثر ملاءمة ، فالمسافة من طرفه وحتى البحر الأبيض المتوسط هي أقصر من المصدر وحتى المحيط وبالتالي فهذه تجعل قارة آسيا أكثر ملاءمة من إفريقيا التى تبدو أكثر امتداداً ، مع الجناحين العربيين .

تعتبر هذه منطقة موحدة بسبب المناخ فالسكان متشابة أحجامهم

والخيول جميلة ورائعة بل حتى إننا نجد التشابه في قطعان الماشية والأنعام مثل حمير الوحش ، الكركدن ، وحيد القرن والتى لا تعيش في المناطق الأخرى .

قد كانت لملك مونوموتابا علاقات حميمة مع البرتغاليين فقد قام بزيارة الكاهن "غونسالو كوتنهو" "Goncalo Coutinho" في جمعية اليسوع عيسى (عليه السلام) الذي أحسن استقباله وتم تعميده ساعة تعميد أمه وبعض الأمراء في البلاد .

عندما أحس المسلمون بأن هناك خطراً يتهدد مصالحهم التجارية شرعوا في الضغط عليه من خلال الرشاوي وغيرها ، وقد أغروا مجموعة من المحيطين به من ثقاته لقتل الكاهن الذي أدعو أنه كطبيب مشعوذ ، يدعو من كتاب ، ويخطط لملك البرتغال كي يستولى منه على المملكة وكذلك المناجم على أن يتم اغتياله بشكل سرى بواسطة عشرين من الكافيرز وقد حدث الفشل في مرتين سابقتين بحيث إنهم لم يتجرأوا على مهاجمته ، ولكن حدث في ليلة ما أن وجد مخنوقاً أثناء نومه .

عندما أدرك الملك خطأه عمل بعض البرتغاليين على تشجيعه فأقسم على أن يقتل الفئة التى قامت بالتحريض ، وبالفعل نفذ ذلك ، ولقد بدأ الأتراك ، من رأس غاردافوى في المضيق ، هم بالفعل المسيطرون الحقيقيون وسادة السواحل في كل من الجزيرة العربية وبلاد الحبشة ومن طرفها مدينة "جدة" التي تقع على خط عرض إحدى وعشرين ونصف درجة شمالاً والتي بنيت تخليداً لذكرى "يهوذا" اسم الابن

الأكبر ليعقوب وذلك عندما سلَّم الله عشيرته وأهله من سطوة وظلم فرعون بعدما عبر البحر الأحمر .

على كل ، لا يوجد حول ساحل الجزيرة العربية وحتى راس الحد التى تقع على خط عرض اثنتي عشرة ونصف درجة شمالاً ، أي معلم جدير بالذكر باستثناء ما يلاحظه المرء عند دخوله في مضيق هرمز الذي ينتهي عند طرف مدينة البصرة ، وعلى الرغم من أن هذه المدينة تؤول لملكية الأتراك إلا أن سكانها ومن يقيمون في المناطق المجاورة لها تربط بينهم علاقات تجارية قوية ، يتبادلون السلع التجارية مع البرتغاليين في هرمز بالرغم من أن ما يعود على جلالته من الدخل يعتبر ضئيلاً جداً في هذه التجارة .

في كل عام نجد أن أتباع ملك الأتراك يحققون حوالي مليونين من عملات الفضة في هرمز دون أن يقوموا بدفع أية رسوم للملك أو دفع الرسوم الخاصة بالاستيراد على البضائع بإستثناء تلك التي تستوفى من كميات الأقمشة ، وهي الدخل الذي يعرف باسم "كورفيوس" "Corfeus" التي لا تعود على خزينة جلالة الملك بأكثر من خمسة آلاف كروزادوس في العام ، وإنه إذا ما استوفيت على كميات الفضة نسبة خمسة أو ستة٪ وكذلك رسوم التصدير على جميع أنواع السلع والبضائع ، فإن ناتج المبلغ سوف يتجاوز بالفعل مبلغ مائة وأربعين ألف كروزادوس سنوياً .

هذه الأرباح خاصة بعناصر الأتراك بعدما كانت قد صدرت مراسيم قديمة تحرم التبادل التجاري مع هرمز ولا يسمح لأي شخص بدخول

البلاد ماعدا التجار الأتراك فقط ، ولم تتضمن تراخيص المرور التى منحت لهم بواسطة القباطنة أية إشارة توجب عليهم الذهاب للبصرة ، وانما ذكرت "مهوز" (الاهواز ؟!) وهي المنطقة الواقعة على الساحل الفارسي في مملكة "لار" وسمحوا لهم بالتجارة مع البصرة .

هذا إلى جانب إقدام القباطنة في هرمز على إقامة نظام جمركي سموه ما "تصاريح مرور للبصرة" بحيث يترتب عليهم أن يشتروا عن كل بضاعة تصل قيمتها مائة كروزادوس ، شراء بضائع أخرى بقيمة مائة كروزادوس من المصنع بزيادة نسبة ١٥٪ من قيمتها في البر ، وأن يدفعوا للكابتن عن كل قنطار من النيلة أو الثوم أو السلع الأخرى أربعمائة وخمسين ريساً عند مغادرتهم أي ما يعادل بارداواً واحداً وخمسة لارينات .

كانت تلك صورة طمع القباطنة التى ظهرت في هرمز وظلت سائدة لسنين طوال في هذه المنطقة ، الأمر الذي أعطى الملك أسباباً موضوعية كثيرة ؛ كي يفرض الرسوم على الأموال القادمة من البصرة إلى هرمز وكذلك على البضائع التى تصدر من هنا إلى هناك .

تقع هرمز على خط عرض سبع وعشرين درجة شمالاً ، ويعتبر ملكها تابعاً إلى مولانا الملك ، ولديه ممتلكات في سواحل كل من فارس والجزيرة العربية ، كانت تلك سبباً في قوة نفوذه يوماً ما ، لكن الآن يبدو ضعيفاً بسبب المقاومة التى وجهت ضدنا في البداية ، وكذلك بسبب أعمال التآمر والمكائد التى ارتكبها .

يضاف لهذا ازدياد حدة أطماع وزراء الملك في القلعة الأمر الذي

ترك آثاره على الملك وأعوانه وأراضيه ، وبما اننا بصدد البحث في شؤون هرمز فسوف أتطرق لموقعها الذي لم يتناوله أي أحد بالكتابة .

بدايات مملكة هرمز وملوكها في الوقت الراهن ، تم جمع المعلومات من المصادر المكتوبة وكذلك من بعض المتعلمين من المسلمين العرب إبان فترة الإحدى عشرة سنة الماضية .

في عام ١٢٩٣م ، كانت فارس[أ] تحكم بواسطة أباقا ابن الحاكم لخان عظيم التتار الذي أطلق عليه الكثيرون من الكتاب اسم "أليس" أو "ألونو" أو "هولاكو" الذي عرف كملك في جميع مناطق الخليج الفارسي بإستثناء جميع الجزر البعيدة التى كانت تحت سيطرة المدعو مالك كيش ، والذي اتخذ كيش عاصمة له ، وهي جزيرة تقع إلى جانب الخليج وتبعد نحو أربعين فرسخاً من البصرة وهرمز وتجاور الساحل في الجزء المجاور لساحل فارس الذي يطلق عليه السكان المحليون إقليم "لاستان" .

في نفس الوقت فيما كان الملك "نافاو" كان هناك أيضاً ملك مسلم باسم "قرودو شاه" يحكم إقليم "موغستان" "Mogustan" وجميع المناطق الداخلية في إقليم هرمز في الجانب الفارسي والتى تمتد حتى "رأس جاسك" "Jask Cape" ، وقد اتخذ هرمز كقاعدة لملكه ، وقد ذكرت هذه المدينة في خرائط بطليموس .

مازالت أنقاض هذه المدينة واضحة حتى اليوم بالقرب من قلعة "كوهستان" ، والتي تغير اسمها ليصبح "كوستك" ، هناك البعض ممن

(أ) ملحوظة على الهامش : المقصود مملكة هرمز .

يرجحون أن موقعها ربما كان في مكان يسمى (منجان) على النهر الذي يخترق إقليم "موغستان" الذي يمثل الإقليم الأساس لهذه المملكة في الجانب الفارسي مقابل هرمز الجديدة التى نوجد فيها الآن .

كان قرودو شاه يشعر بالغيرة إزاء الحركة التجارية التى أسسها ملك كيش وذلك في ظل مجموعة السفن العديدة التي كانت ترتاد هذه الجزيرة قادمة من جميع مناطق الشرق ، من مقاطعات الصين وحتى مضيق البحر الأحمر وهي تحمل مختلف السلع والبضائع من أدوية وأقمشة وحرائر وحجارة كريمة وبضائع أخرى ثمينة ، لتأخذ طريقها عبر فارس إلى بلاد اليونان والبلدان الأوروبية ، بـ رسوم الاستيراد تلك كانت سبباً في إثراء حاكم .

تشكيل مركز جمركي يسمح بالمرور للبصرة ويقومون نظير دفع مبلغ ألف كروزادوس نظير ابتتاع بضاعة بشراء ما قيمته مائة درهم من المصنع بواقع ١٥٪ زيادة عن قيمتها في البر ، وعن كل فاردو من التيلة وكل قنطار من القرنفل أو الثوم أو أية سلع تجارية أخرى يحصلون عليها ويقدمون بدفع الأموال بمناسبة مغادرة قبطان القلعة بما يقدر بحوالي أربعمائة وخمسين ريساً أي ما يعادل برادو واحداً وخمسة لارينزات .

هذا هو الطمع الذي أدخل القباطنة في هرمز والمنطقة منذ سنوات طويلة مضت ، لهذا تعددت الأسباب التي دفعت الملك كى يفرض رسوماً جمركية على الأموال التى تأتي من البصرة إلى هرمز وعلى السلع التجارية التى تؤخذ من هنا إلى تلك المنطقة .

تقع هرمز على خط عرض سبع وعشرين درجة شمالاً ، ويحكمها

ملك يعتبر تابعاً لسيدنا الملك وللعديد من الممتلكات الواقعة على سواحل كل من فارس والجزيرة العربية ، كان في وقت ما سبباً في تقوية نفوذه وسطوته غير أنه الآن يبدو ضعيف القوة ؛ وذلك نظراً للمقاومة التى أبدوها لمواجهتنا في البداية وكذلك العديد من الأعمال العدوانية التى ارتكبوها .

بسبب أطماع الملك ووزرائه في القلعة خاصة وقد ازدادت وتوسعت هذه الأطماع في القلعة ، وكانت قد تركت آثارها عليه وعلى أتباعه وعلى أراضيه ، وطالما أننا بدأنا بـ هرمز فإنني سوف أسوق الحديث عن موقعها لأنه ما من أحد آخر قد تطرق له بالكتابة .

"كيش" "Qeish" الذي ازدهرت مملكته بشكل ملحوظ ، وكان يمني نفسه بأن يكون بحوزته ويحصل على ميناء يجتذب تجارة تلك السفن .

تبين "قرودو شاه" أن لحاكم كيش جزيرة مهجورة تسمى "جارون" تقع بجوار مملكته وتمر بميناء هذه الجزيرة كل السفن التى تدخل مياه الخليج ، فما كان عليه سوى أن أخفى أطماعه هذه ، وشرع في التفاوض مع حاكم "كيش" كي يوافق على بيعه هذه الجزيرة خاصة وهي عديمة الفائدة بسبب القحل الذي تعاني منه ، إذ تنعدم فيها الغطاءات الخضراء وهي في جملتها ليست سوى منطقة جبلية ليس فيها من شيء سوى الملح والكبريت وليس من الممكن أن تعود للمرء بأية فائدة تذكر كما هي عليه اليوم .

لم يدرك حاكم "كيش" حقيقة نوايا قرودو شاه ، فقام ببيع هذه الجزيرة للملك قرودو بالرغم من معارضة والدته لعملية البيع ، ولقد

ذُكر أنها كانت قد تكهنت بما يمكن أن يحدث مستقبلاً فيما يتعلق بمصير هذه الجزيرة .

عموماً ، عندما آلت جزيرة "جارون" لملكية قرودو شاه شرع المذكور في إصدار أوامره بضرورة استقرار السكان في الجزيرة ، ونجح في بناء أسطول كبير تمكن بموجبه من اجتذاب حركة جميع السفن التي كانت تتجه إلى "كيش" ، ومنح مجموعة تجار السفن العديد من الامتيازات فيما يتعلق بالرسوم الجمركية وصفقات البيع والشراء في السلع والبضائع ...

كانت النتيجة أن اتجهت حركة التجارة إلى هذه الجزيرة بعدما تحولت من جزيرة "كيش" ... ، وقد تسبب ذلك في قيام الحرب بين اثنتين من القبائل العربية لكن حينها كان نفوذ قرودو قد أصبح قوياً بما يكفي ، وأصبح ثرياً جداً كيش بوسعه أن يدافع عن نفسه فقط وانما اتجه للاستيلاء على جزيرة "كيش" وهكذا أصبح سيداً على المملكة بكاملها .

كان مالك كيش تابعاً للملك الفارسي ولذلك اتجه إليه طالباً منه المساعدة لمواجهة خصمه وعدوه ، ولكن يبدو أن ذلك قد جاء متأخراً إذ وصلت المساعدة بعدما فقد مملكته ، إذ إن الفرس الذين جاءوا لمساعدته ضد عدوه قرودو انتزعوا منه السيادة وأصبحوا حكاماً على مملكته ، وبعدها انسحب قرودو إلى جزيرة هرمز ومنها شرع في إرسال وفوده إلى فارس حاملين الهدايا والأموال .

عرض على حاكم فارس أن يقبله بصفته تابعاً له ، وقد رضي الحاكم الفارسي بهذا العرض فأعاد له مملكته ، ومنذ ذلك الوقت أصبح قرودو

تابعاً لملك فارس ملتزماً بدفع جزية سنوية له بالإضافة إلى إرسال سفرائه كل خمس سنوات إلى فارس لتجديد الولاء لملك فارس .

بعد أن استتب الأمن والسلام شرع قرودو شاه في اتخاذ جزيرة "جارون" عاصمة لمملكته ، فأسس مدينة سماها هرمز تماماً كتلك التي أسسها في مملكة "موغستان" وشرع في تطويرها وتنميتها تجارياً ، بحيث أضحت المدينة قبلة ترتادها السفن التجارية بكثرة حتى بلغت أوجاً عظيماً وأضحت من أهم وأشهر المدن التجارية في الشرق .

امتدت فترة حكم قرودو شاه مدة ثلاثين عاماً ، وكان لهذا الملك ابنان ، الأكبر تورون شاه وقد حكم هذا مدة أربعة وعشرين عاماً ، أما الآخر فهو محمد شاه وقد خلف أخاه على الحكم واستمر حاكماً مدة تسعة وعشرين عاماً ، وقد ورث المملكة لأن أخاه الذي استمر في الحكم مدة ثلاثين عاماً لم يكن لديه أبناء يرثون الحكم من بعده ، وكان قد أنجب أربعة أبناء هم مقصد شاه ، شهاب الدين وصالقور وشاه فايز .

كانت فترات جميع هؤلاء الأبناء مضطربة وعاصفة ، إذ حكم الابن الأكبر مقصد شاه عشر سنوات ، وشهاب الدين إحدى عشرة سنة وشاه فايز آخرهم مدة عام ونصف ، أما صالقور فقد كان قد هرب إلى "الأحساء" بعدما ثار ضده أخيه وانتزع الحكم من قبضته بمساعدة من ملك "الأحساء" ، حيث شن هجوماً على أخيه وطرده من المملكة ، فأصبح ملكاً واستمر يحكم المملكة مدة ثلاثين عاماً ، ولقد شهد صالقور هذا قدوم "افونصو دى البوكيرك" للمضيق كقائد ، ومن ثم ذهب إلى هرمز في عام ١٥٠٧م .

توفى هذا الملك دون أن يترك أبناء يرثون عرشه فاتجه السكان لتنصيب سيف الدين ملكاً ، وهو ابن شاه فايز الذي طرد من المملكة بواسطة شقيقه عندما كان صبياً عمره عشر سنوات .

لقد كان هو من يتولى الحكم عندما كان "افونصو دى البوكيرك" حاكماً على الهند . حيث حكم المملكة في عام ١٥١٤م وجعلها تابعة لملك البرتغال .

استمر سيف الدين حاكماً مدة عشرين عاماً ، خلفه بعدها شقيقه تورون شاه ابن شاه فايز ، ولما توفي حكم من بعده صالقور شاه ابن تورون شاه وهو من أمر "نونو دا كونها" عندما كان حاكماً على الهند مدة تسع سنوات ، بإحضاره من هرمز تجنباً لحدوث الشقاق في المملكة ، وقد تم حبسه في "كوتشين" ، وكان قد ولد له ابن اسمه تورون شاه من أم حبشية اسمها بغزالة التي قيل إن عينيها تشبهان عيني الغزالة ، ومؤخراً كان "نونو دا كونها" قد أرسل "سلغور شاه" ليكون خلفاً له في هرمز عندما بلغته أخبار وفاة سيف الدين .

قيل إن صالقور شاه أهدى ملك البرتغال مركز جمارك مدينة هرمز ، وسوف نتطرق لهذا الأمر فيما بعد ، وقد توفي في شهر نوفمبر ١٥٤٣م .

في شهر مارس التالي أرسل القاضي وبعض الشخصيات المرموقة في المملكة خطاباً للحاكم "مارثيم أفونصو دي سوسا" كي يسمح لابنه تورون شاه في "غوا" أن يرث المملكة بسبب عدم وجود أي وريث آخر للحكم ، وكان قد بلغ من العمر حينئذٍ اثني عشر عاماً ، وبالفعل تم

تنصيبه ملكاً في احتفال بهيج ، وأقسم على الولاء للحاكم قائلاً إنه تسلم مقاليد الحكم وسوف يظل يمارسه طالما رغب حاكم البرتغال في ذلك .

بعد إنتهاء مراسم التتويج أرسل الحاكم المدعو "لويس فالكاو" إلى هرمز قبطاناً على القلعة مزوداً إياه بسفينة ، وفي اليوم الذي غادر فيه كان الملك قد عهد إليه بمسؤولية هرمز وقد رافقه الحاكم حتى وصل إلى أروى .

استمر حكم الملك "تورون شاه" لعدة سنوات ، ولقد اعتبر أفضل حاكم شهدته مملكة هرمز ، إذ كان متعاطفاً بشكل كبير مع البرتغاليين ، وحتى الآن ما يزال من عرفوه يتحسرون على وفاته ، وتوجد صورته معلقة في مقر حكام هرمز ، وكثيراً ما شاهدتها مع صور الحكام الذين ظلوا يتعاقبون على الحكم حتى اليوم .

توفي تارون شاه دون أن يترك أولاداً يحكمون من بعده ... ، وبالرغم من مرور سنوات عديدة على وفاته ، أي عندما كان "ماثياس دى البوكيرك" قبطاناً على هرمز .

كانت هناك محاولة لتقديم ابن لهذا الملك ، وهو الشيخ جويت ، وهو ابن إحدى النساء من جزيرة "قشن" ، وقد جاء إلى "غوا" ؛ كي يطالب بالحكم في فترة نائب الملك "د . دوراتى دى منسيس" لكنه توفي بشكل مفاجئ ، ويقال إنه توفي مسموماً ، وقد ترك ابناً يافعاً اعتنق المسيحية في هرمز في عام ١٥٩٣م ، عندما كان "د .جيرونيمو ماسكرينهاس" "D . Jeronimo Mascarinhas" قبطاناً وسمي "د .جيرونيمو جويت" "D . Jeronimo Jouete" ، وقد ذهب إلى "غوا" بأمر من نائب الملك

"ماتياس دى البوكيرك" ، وبعدها أرسل إلى إخوانية الأوغسطينيين كي يتلقى التعاليم الدينية وما زال موجوداً هناك عندما غادرنا الهند للمرة الثانية في عام ١٦٠٠م ، وفي العالم التالي أي ١٦٠١م انضم إلى رهبنة القديس أوغسطين في إخوانية "غوا" .

بما أن تورون شاه توفي دون أن يترك وريثاً فقد خلفه ابن عمه محمد شاه الذي كان في "غوا" وظل في الحكم مدة أربعة عشر يوماً ، بعدها خلفه تاراك شاه عندما كان "د .بدرو دي سوسا" " "D . Pedro de Susa" قبطاناً على هرمز ، وهو الملك الحالي ، وقد استمر حكمه مدة تشعة وثلاثين عاماً وأصبح يبلغ من العمر سبعين عاماً ، وأضحى كسولاً وشخصاً غير جدير بالحكم يقضي جل وقته في مقارعة كؤوس الخمر ويظل فاقداً الوعي طوال الوقت .

بدت تصرفاته توحي بأنه لا هم له غير تبديد أموال المملكة فيما لا فائدة فيه بالرغم من أن المملكة تعتبر من أغنى الممالك في تلك المناطق ، وهنا تجلى إهمال نواب الملك والقادة والوزراء بشكل واضح ، ولم يعد هناك من شئ في المملكة سوى البؤس والاضطرابات ، وفي ظل غياب القانون وطمع القائمين بالأمر وجشعهم والسعي لتحقيق المصالح الشخصية تجلت ظاهرة سرقات الشعب لأجل الملك وسرقات الملك لشخصه .

بخصوص موضوع هرمز أرى من الضروري أن أشير إلى مسألة هدايا الملوك التي تقدم على حساب مركز الجمارك ، والتي تم تدوينها في سجلات مصنع هرمز ، إذ سيكون من المفيد لصاحب الجلالة

أن يعلم كيف يتصرف أعضاء مجلسه ونواب الملك تجاه زعم ملوك هرمز ومطالبتهم بالجزية التي يقومون بدفعها لملوك فارس وملوك "لار" وأشياء أخرى تم تدوينها في الوثائق ذات الصلة بتلك الهدايا التي يقدمها الملوك .

في سبتمبر من عام **١٥٤٣**م كان المستشار "أنطونيو كاردوسو" وزير خارجية الهند قد غادر "غوا" بأمر من نائب الملك "نونو دا كونها" متجهاً إلى هرمز ، وهناك بادر إلى إجراء تحقيق مع قبطان القلعة "مارتيم أفونصو دى ميلو" ؛ وذلك بشأن الشكاوى التى رفعت ضده إلى الحاكم ، وقد اكتشف أن تلك الشكاوى لا تقوم على أدلة ومعظمها تافه لا يقوم على بينات وهي شكاوى عادية كثيراً ما تحدث في الهند ، لأن "مارتيم أفونصو" شخص نبيل له أفضال كثيرة .

بعدما أكمل تحقيقه كانت له مفاوضات أخرى مع الملك صالقور شاه الذي رغب في أن يهدي لملك البرتغال عائدات مركز الجمارك ، لأن تلك الوسيلة هي أفضل وسيلة يمكن لملك هرمز من خلالها أن يسدد المبالغ الكبيرة التى يدين بها لملك البرتغال من جراء الجزية .

هناك أيضاً الكثير من الأمور التي تضاف لهذا ...

في حضور قبطان القلعة والقاضي وسعادة "أنطونيو كاردوسو" المخول بالعديد من السلطات من جانب مسؤول الخزينة ، قام الملك صالقور شاه بتقديم دخل مركز الجمارك كهدية إلى ملك البرتغال ، وذلك بالشروط التالية :

١- أهدى ملك هرمز مركز جمارك جزيرة "جارون" إلى ملك

البرتغال ، بشكل لا يقبل الجدل ، شريطة أن يتم اعفاؤه من جميع الديون التى في ذمته حتى ذلك الوقت ، وبموجب ذلك يكون في حلٍ منها فوراً .

لقد رأيت ذلك في الدفتر الذي نقلت منه هذه الفقرات وبقية المعلومات ورسائل الهدايا ومنشأ وتأسيس مملكة غوا ، وذلك عندما أرسلت تقريراً إلى "ديوغو دو كوتو" ، وهو أحد المقيمين في غوا ، وكان قد طلبه مني لأجل الاستمرار في إنهاء كتابه .

٢- اعتزام ملك البرتغال المطالبة بإعطائه ما يلي من العائدات : أربعين لكيوسا أي ما يعادل ألفاً وثمانمائة كروزادوس سنوياً من مركز الجمارك ، وذلك كعلاوة شخصية لتغطية نفقات ملبسه .

أضف لهذا مئتين وخمسين لكيوساً ما يعادل تسعة آلاف وستة وثلاثين كروزادوساً عبارة عن "موكاريا" ، وهي جزية تدفع لملك فارس والآخرين ، ويتم تسليمها ليد القاضي بصفته قاضي مركز الجمارك كى يقوم بتوزيعها .

٣- يترتب منحه أيضاً علاوات الاسكان والإقامة لمقابلة نفقات خدمه .

٤- على مجموعة المسؤولين العرب في مركز الجمارك أن يستمروا في مناصبهم التى تم تعيينهم فيها حسب رغبة ملوك هرمز .

تم تحرير الرسائل ذات الصلة بهذه الفقرات ، ومن ثم تم التوقيع عليها كلها وسجلت في دفاتر المصنع والقلعة ، إلى جانب اللوائح الداخلية المعمول بها في مركز الجمارك ، والتى نقلت منها ذلك .

بالإضافة لهذا قام ملك هرمز بتحرير (فارمان) مختوم بخاتمه الملكي تنازل بموجبه عن مركز الجمارك لمصلحة ملوك البرتغال وقد ضمن هذا التنازل في نفس الدفتر ، وينص على ما يلي :

وثيقة إهـداء مركز جمارك هرمز التي وقعهـا الملك صالقور شاه لملوك البرتغال .

بموجب هذا الفرمان الذي لايماثله أي فرمان آخر ، آمر الجميع بأن يلتزموا بتنفيذه .

ليعلم الكل أنني بمحض رغبتي وإرادتي قد قررت في إطار علاقات الصداقة الحميمة والمتبادلة بيني وبين سيدي "اللورد دوم جواو" ملك البرتغال ، والذي عمت شهرته الآفاق وبسط نفوذه في جميع بقاع الأرض .

حتى ماثلت عظمة مملكته عظمة مملكة الصين ، المنصور في جميع الحروب والخطوب والملك الذي فاق عدله جميع ملوك العالم مفتاح خزائن الأرض ذو الفضل والنبل الذي يتمنى كل حاكم أن يُحظى به في حكمه ، مصدر التثقيف والتنوير الذي ينهل منه الجميع ، الحصن المنيع الذي يحتمى به الجميع ، شمس العدالة والحق ، الينبوع الصافي الذي يروي القحل والصحارى ، لقد أتيت كي احتمي بالملك "السامي دوم جواو" ، داعياً الرب أن يحفظه من كل شر ويؤمنه في مملكته .

لقد أتيت إليه كي أحظى بنبله ورعايته وجئت إليه كي يروى ثمار جهدي بماء أفضاله وإنني على ثقة أنني بفضل سيدي ملك البرتغال قد بلغت مقاماً رفيعاً اعتز به ، ومقابل هذا فإنني أدرك أن من واجبي أن

أعمل في إطار خدمته بكل تفانٍ واخلاص حتى أصبح مقبولاً ومرضياً عني في المملكة والخزينة ، وأن أحظى بالمزيد من أفضاله بحمايتي وحماية بلدي ، وأتعهد بالوفاء بكافة التزاماتي تجاهه .

بما أن هذا ما سأفعله فإن افتراضي هو أنه بعد حسم مبلغ الموكاراريا وعلاوات النبلاء في بلاطي والامتيازات والعلاوات المعتادة بالنسبة للمسؤولين والموظفين في مركز الجمارك من العرب والبرتغاليين ، يجب أن يتم تسليم عائدات جزيرة "جارون" إلى مسؤولي ملك البرتغال كمدفوعات لقاء الجزية المستحق عليَّ دفعها ، وبهذا فإنني آمر جميع المسؤولين في مملكتي بألا يصار إلى تغيير أي شيء ورد في هذا الفرمان .

حرر في شهر محرم ٩٧٨هـ - الموافق السابع والعشرين من شهر فبراير ١٥٤٣م .

بعد ذلك اتجه كل من القبطان وكبير مسؤولي الخزينة ومسؤلي الملك إلى مركز الجمارك وأخذوا كل ما فيه من ممتلكات ، وظل المركز منذ ذلك الوقت يقوم بجمع الأموال لمصلحة ملوك البرتغال .

بموجب هذا الفرمان استمر ملوك البرتغال يتلقون عائدات هذا المركز إلى أن قام الملك فيراجوت شاه باصدار فرمان آخر .

ترجمة الوثيقة التي بموجبها تم إهداء مركز الجمارك إلى ملوك البرتغال بعدما تم تحريرها بواسطة فيراجوت شاه ملك هرمز .

أنا الملك فيراجوت شاه أبلغ جميع المسؤولين في مملكة "جارون" هذه أنني قد اطلعت على الفرمان الذي بموجبه منح صالقور شاه ملك هذه

المملكة دخل هذا الميناء ودخل مركز الجمارك لملك البرتغال ، في شهر محرم من ٩٤٨ هجرية ، الموافق السابع والعشرين من شهر فبراير من عام ١٥٤٣م .

في هذا الفرمان لم تدرج كلمة منح كما كان ينبغي ، وذلك بسبب الفوائد التي كان يتلقاها من صاحب الجلالة ، وأيضاً لأنه يعيش تحت حمايته مقابل التزامه بالولاء والطاعة له ، وأيضاً لأسباب أخرى .

بالتالي لم يتم التعبير عن ذلك الإجراء كما يجب ، خاصة فيما يتعلق بإشعار ما يجب إشعاره من عائدات مركز الجمارك بعد دفع المبالغ والنفقات التى أشير إليها في الفرمان وتسليمها إلى وكلاء ملك البرتغال لاستغلالها في دفع أجور الجنود العاملين في هذه القلعة .

على كلٍ ، اعتقد أن الأشياء الخاصة بخدمة ملوك البرتغال الذين نعتمد عليهم في كل شئ في حكمنا وفي توفير الحماية لنا يجب أن يشار لها بكل دقة ووضوح ، حتى لا يصار إلى إساءة فهمها ، وهذا أمر يمكن أن يحدث بكل سهولة .

لقد نبهنى القبطان "دوم بدرو دى سوسا" ، ولفت نظري لهذا الخطأ الذي ورد في الفرمان القديم ، وبين لي أنه إجراء جزئي وليس كلياً .

أدركت أن التزامي تجاه صاحب الجلالة عظيم بحيث إنه يفوق كل التزاماتي تجاه الملوك السابقين ، منذ أن صعد والدي محمد شاه إلى سوة الحكم غثر وفاة تورون شاه ، لكنه لم يستمر طويلاً نظراً لكبر سنه ، إذ سرعان ما وافته المنية ، وبعد وفاته كان القبطان "دوم بدرو" قد جعلني ملكاً باسم سيدي اللورد ملك البرتغال بالتزامات وتبعية تصبح ملزمة

لملوك هرمز طالما ظلوا يحكمون البلاد ، لقد رأيت كل ذلك خاصة والدي وشخصي وأحسست بالكثير من الفخر بأن أصبحت ملكاً حراً دون قيود ودون أي إجراء آخر لأن مثل هذه الأمور غالباً ما تصبح معقدة في ضوء الالتزامات المالية والضرائب الجديدة التى يصار إلى فرضها بحيث يعمل أصحاب الأمر في معظم الأحيان على إضافتها للمرؤوسين .

بموجب هذا الفرمان الجديد أؤكد على كل ما ورد في فرمان الملك صالقور شاه الذي وهب بموجبه عائدات مركز الجمارك التي ضمنها ذلك الملك لأن كل منها أو جميعها قد ألغيت أو انتقصت ، وبالتالي فإنني أعتبرها لاغية منذ يوم تحرير فرمان الملك صالقور وحتى اليوم الذي يشهد تحرير واصدار فرمانى هذا .

إنه من دواعي غبطتي وسروري أن أحرص على خدمة مولاي ملك البرتغال من خلال توجيه عائدات هذا المركز لمصلحته وذلك من خلال ممارسة سلطات مبسطة ومشتركة وفق ما يراه سموه مناسباً بصفته الحاكم الحقيقي في مملكة "جارون" هذه .

بهذا يكون في يد صاحب الجلالة كل الصلاحيات التى كانت لدى الملوك السابقين في هرمز ، وبصفتي الملك الحالي ، فإنني أوافق على أن يتم جمع كل العائدات بواسطة مسؤولي صاحب الجلالة بنفس الأسلوب من الآن فصاعداً وأن يستمروا في ذلك طالما طلعت أو غربت الشمس ، على أن يتم ذلك وفق ما يراه نواب الملك والحكام مناسباً وفق تصورهم ، وفي إطار لوائحهم وأوامرهم القضائية .

هذا مع احتفاظي فقط بالعلاوات المكاراياس (المقررات) الخاصة بالزي

الخاص بي وأزياء النبلاء والمسؤولين في بلاطي وفي مركز الجمارك ، وأن يتم تنفيذ ذلك بالكامل وفق المرسوم الأول الذي صدر عن الملك صلقور باشا ، وعليه يجب عليكم - القاضي والمسؤولين - الحرص على تنفيذ هذا الفرمان دون إحداث أي تغيير فيه ، ولو فصلة واحدة ، ومراعاة ذلك حاضراً ومستقبلاً دون خلل أو تشويه أو اساءة الفهم .

كتب في شهر ربيع في ٩٧٣هـ

أمر بكتابته في هرمز الريس نورالدين .

تم نسخ فرمان الملك هذا من الدفتر رقم ٧ ، وتم تسجيله في وكالة هرمز ، الصفحات من ١٤٩ إلى ١٧٩ في .

على إثر الخلافات التى نشأت بين الملك ، والقباطنة والمسؤولين في الخزينة حول الأموال التي تدفع للشاه طهماسب وحكام المناطق المجاورة ، فقد قام نائب الملك د .انتاو بإرسال "غاسبار بيريس دى ماتوس" "Gaspar Peres de Matos" كبير مسؤولي الخزينة في هرمز للتحقيق في هذا الأمر وكانت النتيجة كما يلي :

نسخة من فقرة الأمر الصادر من نائب الملك "د .انتاو دى نورونها"

فيما يتعلق بالأموال التي تدفع من عائد مركز الجمارك في هرمز للشاه طهماسب وبقية حكام المناطق المجاورة .

قد أخذت من دفتر الأوامر الداخلية في وكالة هرمز – من الصفحة ١٠ والصفحة ١١ .

تحدد في اللائحة الأولى بأنه يخصص في كل سنة مبلغ خمسة

ليكوسات وثلاثة عشر أزاراً تحسم من عائدات مركز الجمارك كمدفوعات تقدم إلى ملوك وحكام الممالك المجاورة لمملكة هرمز وسفرائهم الذين اعتادوا الذهاب إلى هناك لجمع هذه المبالغ والنفقات عن الوقت الذي يستغرقه هذا العمل ، هناك استثناء لملك البصرة الذي لا يتلقى منها شيئاً .

نظراً لما أُبلغت به أن هناك جزءاً كبيراً من هذه المدفوعات يدفع بصورة خطأ من خزينة صاحب الجلالة ، فقد أرسلت "السيد غاسبار بيريس دي ماتوس" ، كبير المسؤولين في الخزينة في قلعة هرمز ، كى ويوضح إن هذه المدفوعات ليست ضرورية حاضراً أو في المستقبل .

يجب أن تتم مراعاة ذلك وتنفيذه كما ورد ، دون اللجوء إلى تحريفه أو إساءة فهمه .

تم تحريره في ربيع الأول عام ٩٧٣هـ

أمر بكتابته الريس نورالدين / قاضي مملكة هرمز .

تم نسخ فرمان الملك هذا من الدفتر رقم : ٧ في سجلات وكالة هرمز الصفحات ٩٧-١٤٩ في - ويجب إهمال كل ما تم شطبه تحت هذا العنوان ، والأخذ فقط بما ورد أدناه .

المعلومات الواردة في هذه النقطة يجب أخذها بالاعتبار ودراستها بعناية وبكل التفصيل ، كما يجب أن يتم التأكد من كل حقائق هذا الأمر فيما يتعلق بالمدفوعات نظرًا لأهمية هذا الأمر بالنسبة إلى خزينة صاحب الجلالة .

قد تم هذا ومن ثم أرسلت لي الوثائق ذات الصلة بالتحقيقات بالإضافة إلى التقارير ونسخ اللوائح الداخلية والإفادات التي أدلى بها الشهود الذين تم التحقيق معهم ، وكل ما له صلة بهذا الموضوع .

لقد قمت بفحصها جميعاً مع الأفراد المذكورين وأيضاً المسؤولين الذين تعاونوا معي في بحث هذا الأمر .

لقد وضح لي أن الشاه طهماسب وسفراءه والمسؤولين في بلاطه يتلقون ستة وستين ليكوساً وستة وستين أزاراً من المبلغ .

لقد عمل شاه طهماسب على إبراء ذمة تارون شاه ملك هرمز السابق من ضريبة الموكاراريا وذلك لأنه عاد مجدداً إلى طائفة "مرتضى علي" .

في هرمز تمت ترجمة الفرمان الذي أصدره له شاه طهماسب وذلك بأمر من كبير المسؤولين في الخزينة في التاسع من سبتمبر من هذا العام ١٥٦٨م حسبما أشير له في هذه الوثائق .

الحال نفسه بالنسبة للسجل الذي ظل يستخدمه ملوك "ريشهار" كى يحصلوا على الموكاراريا بواقع تسعة عشر ليكوساً واثنين وثلاثين أزاراً لتوزيعها بين سفرائهم والمسؤولين في بلاطهم .

عندما كان "مارتيم افونصو دى ميلو" قائماً بأمر قبطانية هرمز ، أرسل الشاه طهماسب جنوده لمهاجمة هذا الملك ، وبالفعل تم القبض عليه وعلى من معه من زوجاته وأطفاله وأقربائه وتم قتلهم جميعاً في بلاط شاه طهماسب بناء على أوامره ، إذ قيل إنهم ثاروا ضده وعندما هاجمه الجنود أرسل القبطان كتيبة لمساعدته .

عليه نجد أنه منذ ذلك الوقت وحتى الآن لم يعد هناك أي ملك يحكم في ريشهار وفي بعض الأحيان يكون خادم الشاه هو المسؤول ، وفي أحيان أخرى يتولى المسؤولين خادم الأمير أداشير ، لكن لم تكن لديهم أي مقار رسمية أو مواقع استقرار ، كما لا يوجد أي تعامل أو تفاهم بيننا وبينهم في ظل عدم وجود أية قوافل يمكن أن تمر عبر هذه البلاد إلى هرمز .

يتلقى ملك مكران وسفراؤه ومسؤولو بلاطه حوالي ستة ليكوسات وخمسة وتسعين أزارزاً من الموكاراريا ، وذلك باعتبارأن سيد النوطاق يحتاج للدعم والتشجيع في سبيل الوقوف بجانب مصلحة هرمز ، وهو ما فعله ، أيضاً كان قد فعل النقيض من خلال تحريض النوطاق (Nodhki) ومساعدتهم في الإبحار لأجل القيام بالنهب في مضيق هرمز ، وهي أعمال سرقة يحصل على نصيبه منه ، وعندما عوتب في هذا الأمر لم يحاول تبريره .

لم يكن هنالك أيضاً ما يبرر حصوله على الموكاراريا أو أي شئ آخر ، ويبلغ ما يتم الحصول عليه من المدفوعات للملك شاه طهماسب وملك ريشار وملك مكران حوالي ثلاثة وتسعين ليكوساً وثلاثة أزار ، إذ يتم استلامها في شكل موكاراريا .

هناك إجماع عام من قبل المسؤولين المهتمين بهذا الأمر أنهم لا يستحقون أن يحصلوا عليها أو تعطى لهم ابتداء من يوم التاسع من سبتمبر ١٥٦٨م فصاعداً إذ لا يتبقى سوى مائة واثني عشر ليكوساً من العائد السنوي لمركز الجمارك لكي يتم توزيعه بين حكام المناطق

المجاورة والنبلاء من خلال سفرائهم ، ولقد تقرر من الآن فصاعداً تسليم مبلغ المائة واثني عشر ليكوساً من العائدات إلى قاضي مملكة هرمز في التاسع من سبتمبر كل عام وفقاً لما كان يعمل به .

سوف يقوم بالتوقيع على وثيقة التزام تتضمن أسماء الحكام والنبلاء والأشخاص الواجب دفعها لهم مع تحديد نصيب كل منهم حتى يكون واضحاً من الآن فصاعداً أنه في حالة عدم استلام أي فرد منهم نصيبه أن يراجع خزينة صاحب الجلالة ، سوف يتم إيداع هذا التعهد لدى الوكيل الذي يترتب عليه تسجيله في الوكالة وإعطاء القاضي اشعاراً بالاستلام .

تم نسخ هذه الاتفاقية كلمة كلمة تماماً كما كتبت في السجل .

بما أن اللوائح الداخلية لم توضح حجم المبلغ الذي سوف يتلقاه كل حاكم وكل نبيل فقد اطلعت على أرشيف الوكالة في هرمز واكتشفت أنه في ص ١١٢ أن هذا التعهد الجديد للقاضي قد ورد في الفقرة السابعة بحيث تبين لي أن مبلغ الموكاراريا يجب أن يدفع على النحو التالي :

بعد المبالغ الثلاثة المشار لها أعلاه ، يجب أن يحصل ملك "لار" والمسؤولون في بلاطه على مبلغ اثنين وخمسين ليكوساً واثنين وتسعين إزاراً كل عام .

يحصل سلطان شيراز ومسؤولو بلاطه على تسعة عشر ليكوساً وستة أزار .

كما يحصل مير [عاقبيار] زعيم [مازونقا] ومن معه من المسؤولين في بلاطه على ليكوسين (٢ ليكوس) وثمانية أزار .

الأمير شمس الدين وعاريااميرا في [زاراو]؟= [قاروم] على سبعة ليكوسات وستة وعشرين أزاراً لقد أخذت هذه البيانات من الدفتر المشار له أعلاه من وكالة هرمز ، هذا بالرغم من أن أولئك السلاطين لم يحصلوا على أنصبتهم نظراً لانتهاء المدة .

قد رأيت طالما أنني بصدد الكتابة عن هرمز ، أن أعمل على تسجيل وثيقة اهداء مركز الجمارك لكي أبين حق ملوك البرتغال الذي امتلكوه لسنوات عدة ، وكذلك الأسباب التى دفعت ملوك تلك المملكة للقيام باهدائه .

في إطار ذكر الموكاراريا من حين لآخر وصلتها بـ هرمز فإنني سوف أتطرق بشكل مختصر لمعناها .

منذ وقت قليل مضى كنت قد تطرقت لتاريخ مملكة هرمز وتأسيسها ، وكيف تمكن قرودو شاه زعيم موغستان من تنصيب نفسه ملكاً في جزيرة "جارون" ، وبمرور الوقت تم تسليم المملكة إلى خلفائه من بعده .

في ظل ما طرأ من تغييرات على مملكة فارس والتي سبق أن خضعت في زمن ما لنفوذ التتار بقيادة الإمبراطور "جنكيز خان" ومن ثم "تيمور لانك العظيم" وبعده الصفوي الكبير انتهز ملوك هرمز الفرصة لتحرير أنفسهم من نفوذ الملك الفارسي ، بل إنهم أخذوا أشياء عدة لأجل إثراء مملكتهم ، وعلى سبيل المثال مملكتي "البحرين" و"القطيف" اللتان انتزعهما الأتراك منهم في الجانب العربي .

لهذا وبفضل تجارة تلك الجزيرة ، ازدادت عائدات ملك هرمز ، وازدهرت التجارة من خلال ارتياد القوافل التجارية من مختلف مناطق

الشرق ومن داخل مناطق "فارس" "خرسان" و"جورجيا" وبقية الممالك الأخرى ، بل وقد شهدت تلك الفترة وصول التجار من مسكوفوى ببضائعهم بغرض البيع والشراء وللتسويق ...

لكن كثيراً ما واجهت تلك القوافل التجارية بعض الصعوبات والاعتراض عندما كانت تعبر مناطق وأقاليم ملوك "شيراز" و"لار" وبعض مناطق زعماء الأقاليم الداخلية .

بالفعل كانت تلك خسارة كبيرة بالنسبة لجزيرة هرمز ، حيث سببت نقصاً كبيراً في وارداتها ، وبالتالي وجد ملك هرمز نفسه مضطراً لتوقيع اتفاقية مع ملوك وزعماء تلك المناطق التي تمر عبرها القوافل التجارية ، وذلك كي يضمن عدم قيام آراء تلك المناطق بقفل الطرق أمام القوافل .

وافق على منحهم مبالغ من ليكوس ، مبالغ مالية بشكل سنوي ليس بصفة الجزية وإنما كهدايا لهم ، عرفت حينها باسم (موكاراريا) ، ولقد ذكرت هذا في إطار علاقته بتأسيس وقيام مملكة هرمز لكن دون أن أشرحه بالتفصيل .

هذا ما كان سفير فارس يأتي للحصول عليه من هرمز ، عندما استولى "افونصو دى البوكيرك" على تلك المدينة ، والذي أرسل له سلال مليئة بذخيرة المدافع وبعض رؤوس الرماح ، قائلاً : تلك هي الجزية التى تدفعها المملكة التى تؤول لحاكم البرتغال للذين يطلبونها .

أما الملك صالقور شاه فسواء كان السبب عدم استطاعته دفع الموكاراريا إلى ملك شيراز لعدة أعوام ، فإنه عند وفاته قدم ملك

"شيراز" إلى ساحل "موغستان" مقابل هرمز على رأس عشرة آلاف من الجنود كي يضرب الحصار على القلاع وإخضاع الجزيرة ، وكان ذلك في فترة قبطانية "مارثيم أفونصو دى ميلو" .

لكن تم طرد الملك بعدما تكبد خسائر فادحة ، وكان ذلك على يد مجموعة من الجنود البرتغاليين الذين أبدوا بطولة وشجاعة لا نظير لها ، ستظل ذكراهم خالدة في صحف التاريخ ، وسوف أترك هذا الأمر للمؤرخين والكُتاب الذين عهد لهم بكتابة تقرير عن الأوضاع السائدة في هرمز .

لقد أعطيتهم الكثير من المعلومات عن تلك المناطق ، لكنها ظلت حتى الآن مخفية عن جميع من كتبوا عنها .

فيما يختص بالملوك الثلاثة العميان الذين يقول عنهم "جواو دي باروس" "Joao de Barros" إنهم أرسلوا إلى "غوا" بواسطة "أفونصو دى البوكيرك" .

خلال الإحدى عشرة سنة التي قضيتها في هرمز كنت في معظم الأوقات أتحدث إلى الملك ، القاضي ومع بعض العرب والأمراء المستنيرين ، ولقد رأيت كل الكتابات التاريخية وآثار العصور القديمة في هرمز ، ولم أجد في واحدة منها قط أي ذكر للملوك العميان الذين كتب عنهم جواو في كتابه ، كما إنني لم أسمع شيئاً قط عن ملك أصبح ملكاً بالفعل وتم فقأ عينيه بحيث يأتى ملك آخر كي يحل محله في العرش .

لقد أجريت عدة بحوث وتحقيقات مع ذوي العلم والمعرفة من العرب المسنين ، وبشكل خاص مع أحدهم باسم خواجا سعد الدين وهو رجل كفيف ، وكان يبلغ من العمر مائة وثلاثة وعشرين عاماً ، وكان قد

بلغ سن الرشد إبان فترة حكم "أفونصو دى البوكيرك" ، ومن ثم توفي في عام ١٥٨٩م ، عندما كنت في هرمز ، وكان "د .جواو بيرير كوند دى فيرا" "D . Joao Peres Conde de Vera" الآن يتولى القبطانية .

لم أجد أي كفيف من الثلاثة في الحصون التى ما تزال قائمة ، ولكن كان هناك الملك في حالة رثة ، لكنهم جميعاً أخوة وأبناء عمومه مع أبناء مقصود شاه وشهاب الدين وصالقور شاه وشاه فايز إلى جانب أبناء تورون شاه وجميعهم حكموا الواحد بعد الآخر ، إذ جرت عادة الملوك أن الواحد منهم إذا ما تولى الحكم يعمل على فقء أعين إخوته وأبناء عمومته وأقربائه حتى لا يطالب أحدهم بالحكم ، وكانوا يستخدمون في فقء العيون نوعاً من الأسباخ المحماة بالنار يتم تمريرها أمام عيونهم فيؤدى لهيبها للذهاب ببصر الملك ، لكن يظل بؤبؤ العين سليماً ، وبالتالي يسقط حق الكفيف في تولي الحكم .

كما يشير "جواو دى باروس" ، كان "أفونصو دى البوكيرك" قد وجدهم جميعاً أحياء ولقد اكتشفت في "غوا" أن السكان ما يزالون يذكرون اثنين من هؤلاء الحكام الذين أهملوا وغفل عنهم تماماً للحد الذي جعلهم يتسولون في الطرقات كى يعطيهم الناس الصدقات .

في "غوا" أكد لي أحد الرجال المسنين أن أحدهما ظل يعيش في أسفل "الميسريكورديا" تحت ظل شجرة ضخمة ما تزال موجودة هناك يتوسل للمارة كي يمنحوه الصدقة مردداً "ارحموا شخصاً فقأوا عينيه لكي يستولوا على مملكته" .

ليست هذه القسوة بالأمر العجيب لأن الطمع يدفع البعض لارتكاب أفظع الجرائم .

وصف جزيرة هرمز وما تحتوي عليه :

كان العرب يطلقون على جزيرة هرمز في الماضي اسم "جارون" ، وهي تقع على خط عرض سبع وعشرين درجة شمالاً ، وتبلغ المسافة بين "ترنباق" و"كاهورو" حوالي فرسخين ونصف ، وتقع في المضيق وتفصلها مسافة بطول فرسخين من ساحل فارس وعشرة فراسخ من ساحل الجزيرة العربية ويبدو شكلها "كالوصلة أو الكوع" شاهقاً عند جانب البحر وعرضه للهزات الأرضية ، وتحتوي الجزيرة على سلسلة من الجبال الملحية التى تتكون وتنمو سنوياً بفعل تدفق مياه الأنهار المالحة التى تجرى في نعظم شهور السنة وتتحجر في فصل الصيف متخذة شكل الثلوج البيضاء .

هناك بعض التلال والمناجم التى تحتوي على الكبريت ، أما المياه فلا يوجد منها سوى القليل المالح في الجداول التى كان قد اكتشفها الملك "فيراجوت" .

شاه في حديقته في "ترنباق" في عام ١٥٩٣م ، وقد عمل على إيجاد العديد من الصهاريج للاحتفاظ بتلك المياه في حديقته التي أسسها هناك .

هناك أيضاً بعض الصهاريج التى تحتفظ فيها بمياه الأمطار في أماكن أخرى في هذه الجزيرة .

على كل فإن كميات المياه المستخدمة يتم جلبها بواسطة مراكب من البر الرئيس ومن الجزر المجاورة كما تجلب أيضاً كميات وفيرة من المؤن والغذاءات مثل القمح والشعير والأغنام والفواكه والدواجن ، وأيضاً تجلب الخضر والفواكه مثل السفرجل ، العنب ، البطيخ ، الكمثرى ، الخوخ والبرقوق ، الجوز وفواكه كثيرة أخرى كالموجود لدينا من الفواكه الناضجة والمجففة للأصحاء والمرضى ، وهي عادة ما تجلب من فارس والمناطق المجاورة .

يمتلك الملك قلعة رائعة في هذه الجزيرة وهي مزودة بشكل جيد بأسلحة المدفعية والذخائر وأيضاً بأحواض وصهاريج لحفظ المياه ، وكذلك بعض الماكينات لاستخدامها في صنع البارود الذي يصنع بشكل مستمر ، ويتم إرسال كميات كبيرة منه للهند سنوياً .

أيضاً لدى جلالته قوة عسكرية قوامها خمسمائة جندي برتغالي في القلعة ، يترتب عليه دفع أجورهم ، وذلك بمعزل عن بقية الجنود الذين تدفع أجورهم بعد كل ثلاثة شهور حيث يتلقون أجور (الربعية) التى تستقطع من عائدات مركز الجمارك .

بالإضافة لهذا لديه ترسانة لصناعة السفن التجارية والمراكب لأجل الأساطيل العادية التى تبحر من هناك لأجل حراسة المضيق ومراقبة حركة الأتراك ، وأيضاً لاجل مرافقة رتل السفن القادمة ببضائعها وسلعها التجارية لمركز الجمارك .

يوجد في المدينة حوالي مئتين من المتزوجين البرتغال والعديد من أهالى البلاد من المسيحيين والمقيمين بحيث يبلغ عددهم حوالي سبع

آلاف نسمة ، هذا بخلاف التجار البرتغاليين الذين يأتون ويروحون ، وكذا الجنود الذين يقيمون هناك .

أما بالنسبة للمسلمين واليهود والهندوس فإن عددهم يربو على الأربعين ألف نسمة بغض النظر عن الفرس والأتراك والمغول ومجموعات أخرى من التجار يأتون ويذهبون ببضائعهم وتجاراتهم .

يمتلك صاحب الجلالة مركز للجمارك في هرمز وقد تم إهداؤه إلى الملوك البرتغاليين في هرمز ، وذلك وفق الإعلان الذي ورد في اثنين من الفرامانات أشير إليهما أعلاه .

حتى قبل قيام الملوك بإهداء مركز الجمارك إلى ملوك البرتغال كان مركز الجمارك هذا يؤول للأخيرين وذلك بعدما أصبح ملوك هرمز أتباعاً للبرتغال بقوة السلاح ، وحتى بعدما قاموا بالثورة مجدداً تمكن "أفونصو دى البوكيرك" من هزيمتهم مرة أخرى في عام ١٥١٤م .

بالإضافة إلى اعتبار حقيقة ملوك هرمز اتباعاً لملوك البرتغال ووجود قلعة لنا وهناك ، وأنهم غير مسموح لهم بامتلاك الأسلحة ، لم يتمكن ملوك هرمز من إبقاء البحر مفتوحاً أمام التجار الذين يأتون ببضائعهم ويدفعون الرسوم ، ولعل السبب الأساسي الذي يجعل الملوك يفرضون الرسوم في مراكز الجمارك هو اضطرارهم لإبقاء البحار مفتوحة أمام التجار وتوفير أسطول لكبح حركة القراصنة في البر والبحر .

بعدما استولى ملوك البرتغال على هرمز ووافقوا على أن يكون الملك تابعاً لهم أصبحت الرسوم حقاً من حقوقهم لأن حماية تلك البحار وإبقاءها مفتوحة أصبحت تمثل عبئاً على عاتق ملوك البرتغال وليس

ملوك هرمز ، وبعدما ثار الملوك أصبحوا أتباعاً يدينون بالولاء والطاعة لملوك البرتغال للمرة الثانية .

هذه هي الأرضية التى يعتمد عليها صاحب الجلالة ليرفض أن يدفع من خزينته مبالغ الموكاراريا لملك الفرس والآخرين الذين وردت أسماؤهم في فارمان ملوك هرمز والذي بموجبه آلت لهم عائدات مركز الجمارك .

سوف يكون من الأفضل لصاحب الجلالة أن يوعز لمجلسه كي يتأكد من هذا الإجراء ، وذلك حتى لا يعتقد نواب ملكه ولو للحظة واحدة أن على سموه أن يصبح دافع جزية لملوك "فارس" و"لار" والمناطق المجاورة الأخرى ، ويجب ألا يترك هذا لرغبة نواب الملك الذين لا يتورعون عن اهدار موارد الخزينة الملكية ومقدراتها اعتباراً لنزوات الملك وقاضي هرمز ومطالبهم بأنه يجب أن تدفع الموكاراريا عندما لا يكون صاحب السمو ملزماً بدفعها لهم .

يوفر مركز جمارك هرمز للملك عائداً سنوياً يتجاوز مبلغ مئتي ألف كرازادوس ومن المؤكد أنه لو اختفت ظاهرة السرقات والاختلاسات التى يمارسها المسؤولون في المركز لتجاوز الدخل الثلاثمائة وخمسين ألف كروزادوس سنوياً .

إذا ما كانت الرسوم تدفع في شكل عملات معدنية فضية كتلك التي تأتي من البصرة وتدخل المنطقة سنوياً ولو أنها لا تتعدى نسبة الـ ٥٪ ولو صدر الأمر بأن البضائع التى يشتريها الأتراك يجب أن تستوفى عنها ضريبة التصدير فلا شك أن هرمز سوف تدر دخلاً للملك لا يقل عن خمسمائة ألف كرادوس .

لقد كتبت مذكرة عن هذا الأمر وقدمت معلومات جد هامة لخزينة صاحب الجلالة وكذلك لحكومة مملكة الهند ، وتوجد هذه بحوزة "بدرو الفاريز بيريرا" وحاكم "كاسا دو بورتو" .

بالمناسبة كانت لي ملاحظة وهي أن نائب الملك قد كان أن يقدم على اتخاذ خطوة جد غريبة وذلك إما بسبب قلة معرفته بالهند أو لأسباب أخرى مبهمة ، وذلك عندما حاول أن يؤجر مركز الجمارك في هرمز لقاء أقل من مائة ألف كروزادوس سنوياً بينما كان الامتياز الذي أُعطى للمستأجر قد بلغ ثلاثين ألف كروزادوس في السنة الواحدة .

من هذه تدفع أجور القلعة ، ولن يتبقى للملك أكثر من عشرين أو حتى خمسين ألف كروزادوس ، ومن الضروري أن تجمع عائدات جمارك الهند لأجل صاحب الجلالة وأن يلتزم نواب الملك بتنفيذ تلك الوسيلة التى عرضتها حتى لا يصار إلى سرقة تلك الرسوم .

عموماً فالأجور التي تدفع عادة في هرمز تكون بنحو ستين ألف كروزادوس وتتضمن أجور الكابتن وكبير مسؤولي الخزينة وبقية الموظفين ورجال الدين والكتبة وكذلك مدفوعات الربعية للجنود والحراس والمدفعجيين والضروريات الأخرى ومبالغ الموكاراريا إلى ملك "لار" والآخرين .

يمكن أن تبلغ نفقات قلعة مسقط عشرة آلاف كروزادوس سنوياً يُنفق منها على أجور الكابتن وكبير مسؤولي الخزينة والمؤن وهي أيضاً تؤخذ من عائدات مركز الجمارك في هرمز .

أما بقية المال فتذهب للهند أو تنفق حسبما يأمر به نواب الملك ، ولقد

علمت أن اثنين من نواب الملك قد أنفقوا تسعين ألف بارادوس في سنة واحدة في شكل جوائز منحت لأفراد وأن واحداً آخرا أنفق مبلغ مائة وخمسين ألف بارادوس في أقل من عامين في أعمال خاصة بالجوائز وبعض الديون القديمة .

عندما يذهب نواب الملك إلى الهند للحصول على الامتيازات ، فإنهم لا ينفقون كرازودساً واحداً على الجوائز أو الديون القديمة في هرمز لأن مركز الجمارك ذاك لا يتحمل قط تبعة الأموال التي يستخدمونها كاجراءات لإصدار الأمر بأن تلك الأموال التى يصار إلى جمعها ، يجب أن ترسل لأجل تجهيز أساطيلهم في الهند .

الآن يتم إنفاق كل شيء لأجل مصلحة الأقارب ويتم اعتبار الديون القديمة بواقع الثلث وفي آحيان أخرى أكثر من النصف وليست هنالك نهاية وشيكة لسرقة تلك الرسوم ، وبالتالي أصبحت الخزينة الملكية من دون فلوس ، ومركز الجمارك مفلساً تماماً .

يجب على جلالة الملك أن يأمر بإجراء تحقيق في الأمر كما يجب الانتباه للمملكة إذ من الممكن اعادة الأمور إلى نصابها والمحافظة عليها وبالتالي تزداد نسبة الدخل دون أن يكلفه ذلك شيئاً ، والآن تنخفض المداخيل للملك بشكل دائم بسبب الإهمال والتسيب في الخزينة بسبب أطماع وزرائه .

كانت تجارة هرمز هي الأضخم والأعظم في بلاد الهند بكاملها إذ تؤخذ إلى هناك مجموعات كبيرة من الخيول سنوياً من فارس والجزيرة العربية ، وهما المصدران لتزويد المسيحيين والهندوس والعرب في جميع مناطق الهند بهذه الخيول ، وجميعها خيول جميلة وأصيلة

وجدت عناية فائقة خاصة عن العرب حيث تجلب الخيول من مسقط و"البحرين" ، وتمتاز هذه بالرشاقة وخفة الحركة والأصول العريقة .

أيضاً تجلب كميات وفيرة من الحرير والمخمل من فارس ، كما يجلب منها أيضاً السجاد بأنواعه الأعشاب الطبيعية وكميات أخرى من مختلف السلع والأموال .

أما ما يأخذه الفرس من هناك فإنه يتمثل في المنسوجات بجميع أنواعها والبورسلين ، الصفيح ، السكر ، النيلة والأدوية .

من البصرة تجلب الأموال كالفضة متمثلة في العملات المعدنية والسبائك ومنسوجات وبر الجمال وغيرها من المنسوجات من كل نوع [روسامالها] "rossamalha"-الزعفران ، الورق- النسيج وأيضاً عن طريق البصرة يأتي أهالي فنيسيا بالزجاج والحلي الصغيرة وأشياء أخرى كثيرة كانت تعود للملك بفوائد قليلة عند مرورها على الجمارك .

أما البضائع التي تصدرها هرمز إلى كل من البصرة ومناطق سوريا وبلاد ما بين النهرين ، وتركيا وأرمينيا ، فتتضمن شحنات الثوم ، الصولجانات (عصى الملوك) القرفة ، حب الهال ، والمنسوجات ، والبورسلين ، وجميعها تصدر بكميات وفيرة وخاصة النيلة .

هكذا أصبحت هرمز قبلة تستقبل جميع السلع التى تأتي للهند من أي مكان لتأخذ طريقها إلى مختلف الأماكن والبلدان في العالم ، حتى الفلفل والذي حظي بالكثير من الحظر كان يصل إليها إذ تمر كميات كبيرة منه عبر المضيق ليتم توزيعها في الجزيرة العربية ، وكذلك بقية السلع التي يتم تصديرها إلى مختلف بلدان العالم .

بالرغم من أن جزيرة هرمز هي منطقة قاحلة إلا أنها تزخر حقيقة بكل أنواع وأصناف البضائع حتى إنها أصبحت تعرف باسم مركز العالم "امبوريوم مندى" ويقول عنها جيرانها الفرس والسكان المحليون "إذا كان العالم خاتماً فإن هرمز جوهرته" ، لأنه بالإضافة إلى حجم التجارة الكبير وإقبال التجار عليها ببضائعهم من كل حدب وصوب من جميع بلدان العالم فإن هرمز باتت أيضاً كمخزن كبير توجد فيه جميع الأدوية والمستحضرات الطبيعية بكل أصنافها .

من فارس تصلها أفضل أنواع الأعشاب الطبية المستخدمة على مستوى العالم والكثير من أنواع العطور وأفضل أنواع الترياق الحجرى في العالم الذي يبلغ قيمته ثلاثة أضعاف قيمة الترياق الوارد من "ملقا" .

بجانب المضيق تقع جزيرة "البحرين" الباردة حيث يوجد أفضل أنواع اللؤلؤ في العالم ، ويتم اصطياده بكميات ضخمة ويوجد في مناطق تمتد إلى أن تصل جزيرة مصيرة التى تقع خارج المضيق ، حيث توجد هناك مصايد اللؤلؤ ، وكذا حبات اللؤلؤ الصغيرة التى توجد أفضل أنواعها في مسقط .

الطقس الحار في هرمز ويبدو غير محتمل على الإطلاق ، وابتداء من شهر مايو وحتى شهر سبتمبر يضطر الناس للمبيت فوق سطوح الشرفات العالية التى تهب عليها الرياح ، ويقضى الناس معظم ساعات النهار في صهاريج المياه في منازلهم .

على مسافة عشرة فراسخ من البر الفارسي توجد سلسلة من الجبال يمكن رؤيتها من هرمز ، وخلال هذه الشهور تكون هذه السلسلة مغطاة

بالثلوج ، وكثيراً ما شاهدت ذلك ، وأرسلت كي يؤتى لي بالثلج في فترة الصيف إذ يكون ذلك منعشاً جداً في موسم الحر الشديد .

في شهرى مايو ويونيو تنشط رياح على طول الساحل الممتد حتى مسقط وتسمى هذه الرياح "صورى" وهي على درجة من السخونة والجفاف بحيث إنها يمكن أن تهشم وتكسر كل شيء تصيبه ، وبالرغم من أنها رياح حارة وعنيفة إلا أنها تجعل الماء بارداً بحيث يصعب على الإنسان شربه وكأن ذلك في شهر يناير .

أما ما يفعله الناس كي يتحملوا حرارة هذه الرياح فإنهم يعمدون إلى إغلاق جميع النوافذ ونثر المياه في الغرف مع الحرص على ارتداء ملابسهم جيداً وبهذه الطريقة يكون أحد أجزاء المنزل قد أصبح بارداً كي يرتاحون فيه .

هناك الكثير مما يمكن قوله عن هذه الجزيرة ، لكنني تعمدت حذفه خشية ألا يصدقه من لم يعرف هذه الجزيرة .

بالقرب من قلعة مسقط على بعد فرسخين على طول الساحل يوجد نهر ذو مدخلين ، ويتكون سكان مسقط من العرب المسلمين ، وهم سحرة يطلق عليهم السكان المحليون اسم كافريتس "Cafarates" وبوسعهم أن يتلفوا ما يوجد داخل أي إناء من خلال تركيز أنظارهم عليه ، وهم مشهورون بأنهم يتمتعون سيئة .

لذا فإن أهالي مسقط يراقبونهم بحذر شديد ، وعندما كان "ماتياس دى البوكيرك" يتولى قبطانية هرمز كنت موجوداً معه على سطح منزله وحينها أتاه بعض العرب بامرأة سجينة من ذات القبيلة ، وحينها جيء

إليه بباتيكا patecas وعندئذٍ سأل "ماتياس دى البوكيرك" المرأة ما إذا كان في وسعها إتلاف ما بداخل المركب فأجابت أنها سوف تفعل ذلك ، وعليه بدأت تركز نظرها على "الباتيكا" وبعد مضي ربع ساعة طلبت منهم فتحها وبالفعل وجدت "الباتيكا" خالية تماماً .

بعد مرور سنوات قليلة ذهبت مرة ثانية للهند ومن ثم توجهت في رحلتي إلى هرمز ، وفي التاسع عشر من شهر مارس تحطمت سفينتي بسبب رداءة الطقس ، غير أنني وصلت سالماً وبدأت أتمشى مع رفقائي التجار والبحارة على طول ساحل الجزيرة العربية .

عند وصولي إلى "قريات" وهي قلعة بالقرب من مسقط استقبلت بحفاوة من قِبل أحد العرب كان يقيم هناك بصفته كابتن القلعة ، وقد أراد أن يروح عنى قليلاً فدعاني للذهاب معه إلى الشاطئ مع رفقائي كي أشهد عملية إغراق أحد السحرة كان قد التهم أحشاء أحد إخوته ، وقد سبب لي موته ألما مفاجئاً .

تم أُخذ هذا الساحر إلى البحر تحت حراسة مشددة في مركب ، وهو مقيد بشكل محكم وذهب الجميع لإغراقه ، وعندما أصبحوا على مسافة إطلاق قذيفة مدفع من البر وفي أعماق سبع قامات أخرجوا الساحر ، وربطوا أقدامه بأثقال ضخمة ثم رموه في البحر ، وفي لحظة رميه في البحر جاء صوبي حيث كنت أقف على الشاطئ أشاهد هذا المنظر ومن ثم ذهب في سبيله سعيداً يضحك- وبعد مرور ثلاث سنوات ، وعندما كنت أقضي الشتاء في مسقط غادرت متجهاً للهند في شهر يوليو على إحدى السفن .

حينها هبت علينا رياح اضطررنا بسببها للرسوء على مبعدة من قرية يسكنها أولئك السحرة تدعى "إيتم" ، وعند الرسو انقطع الحبل وقد حدث هذا الأمر لكل البقية الذين حاولوا الرسو .

نظراً لأننا نعتزم الإبحار إلى الهند وليس هنالك من مرسى ، ولا أمل لنا أن نجد أي شيء في ساحل الجزيرة العربية فقد أرسلنا إلى مسقط كي يأتى الغاصة ، ومن يقومون بصيد اللؤلؤ كي يسعفونا بإيجاد المرسى داخل تلك الأعماق وربطه بسفينتنا .

عموماً شرع أولئك الرجال في الغوص حتى وجدوا المرساة غير أنهم صعدوا جميعاً إلى سطح الماء ، وقد أصيبوا بجراح غائرة ، وكانت تسيل الدماء من أجسادهم ، وأخبرونا أنهم وجدوا رجالاً حول المرساة ، وحالوا دونهم ومنعوهم من الوصول للمرساة وحينها أصابنا الغم حيث أصبحنا دون مرساه وأصبح قدرنا أن نواجه الموج والرياح .

حاولنا أن نصنع مرساة من الخشب لكن بدت لنا هذه عملية يائسة وذهب بعضنا للبحث عن جذع شجرة ضخمة ، وبالفعل وجدنا جذعاً ضخماً ، وعندما شرع اثنان من البحارة ، في قطعه واستمر عملهما طوال اليوم أتانا أحد عرب الساحل كي يخبرنا أنه لا داعي أن نضيع وقتنا وجهدنا لأن هذه الشجرة لن تغيثنا عن المرساة التى سقطت منا في البحر ، وإننا إذا ما ابتعدنا عن هذه القرية فإن كل شيء سيسير على ما يرام .

بالفعل فعندما فرغنا من قطع جذع الشجرة وجدناه مجوفاً وخالياً تماماً وكأن أحدهم قد خطط لهذا الأمر بكل عناية .

هؤلاء السحرة يحظون بكراهية الكثيرين من السكان المحليين ، وعندما يتعرف العرب على أحدهم في المدينة ، فإن جميع السكان يعارضونه ويعملون على طرده منها عنوة ويرجمونه بالحجارة ، ويحدث هذا بصفة خاصة في مسقط حيث يعيش أولئك الشجرة بالقرب منها ويتعاملون مع أهلها بالرغم من القباطنة يحاولون التخلص منهم بشتى الوسائل الممكنة .

ملك فارس

كان الشاه طهماسب ملك فارس ، والذي كثيراً ما تعاملنا مع أتباعه ، ملكاً عظيماً وقوياً ، لم يعمل الأتراك على مهاجمته قط إلا وكانوا هم الخاسرين ، لكنه الآن لم يعد ذلك الحاكم القوي .

في فترة حياة الجدة العظيم للحاكم الحالي والذي يحكم البلاد سراً وقت وصولنا للهند ، خرج الحاكم وسيفه في يده كي يبشر بمذهب ديني تمجيداً للإمام علي صهر محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي يفترض أنه يكون خليفته الشرعي ، خاصة وأن أتباعه قد ارتضوا التغيرات التي أحدثها ...

بعد ذلك سرعان ما أصبح زعيم تلك الطائفة ، أما حفيده العظيم وهو والد الحاكم الحالي فقد كان محفوظاً أيضاً بحيث إنه تمكن من إزاحة النفر الذين كانوا يسعون للاستيلاء على ملكه وتمكن من تحقيق انتصارات عظيمة ضد الأتراك ، كانت إحداها في عام ١٥٧٧م عندما أرسل الأتراك مصطفى باشا في أربعين ألفا من القوات لأجل بناء قلعة في "خرج" ، التي توجد في طرفي الأقليمين ، غير أنهم لقوا الهزيمة على

أيدي الفرس الذين تمكنوا من قتل سبع بكوات وأكثر من ثلاثين من (السنة) والأوزبك والكثيرين من الجنود وأخذوا كثيراً من الغنائم إلى جانب الأربعمائة مدفع من النحاس كانوا قد تركوها على أرض المعركة .

أما القائد مصطفى الذي أيب ببعض الجراح فقد لجأ للاحتماء بمدينة "هواو" ومن ثم أرسل (بيالا) باشا على رأس كتيبة أخرى من الجيش كي يدخل فارس عن طريق "جورجيا" حتى ولو واجه المقاومة من مدينة "تبريز" وهي تابعة وتقع بالغرب من إقليم "ريزواو" ، وهي مملكة تخضع لفارس تحدها من أحد الجوانب "جورجيا" ومن الجانب الأخر بحر قزوين الذي سماه القدماء (لاغوا ميوتس) .

هناك شرع في تحصين معسكره والبدء في بناء قلعة جديدة لأن زعيم تلك المقاطعة وهو من أتباع النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) انصاع لأمره ، هنا قام الفرس بإرسال كتيبة ، قوامها ثلاثون ألفا من الخيالة لمواجهته ، اتحدت هذه الكتيبة مع "الردس" "Reds" وتمكن جنودها من منع وصول الإمدادات له من جميع الجهات .

تمكنوا كذلك من الاستيلاء على خمسة آلاف بعير محمل بالمواد الغذائية والأموال ، وبالمثل الكثير من التعزيزات من الرجال وبالتالي تقلص عدد الأتراك وأصبحوا في حالة من الفاقة والحرمان اضطرتهم لطلب الهدنة كي ينقذوا أنفسهم ، هنا لم يوافق الفرس على هذه الهدنة وأمر قائدهم جنوده ألا تأخذهم شفقة بالعدو ... ، وهذا ما فعلوه .

على كل حال ، وبعد عدة انتصارات حققها الفرس أيضاً تمكن الأتراك من تحقيق انتصارات أخرى عليهم ، وتمكنوا من احتلال مدن

هامة أصبحت لديهم الآن حاميات عسكرية دائمة فيها كما هو الحال بالنسبة إلى مدينة "تبريز" .

بعد انتصارات الأتراك تلك أصبح الشاه أكثر ضعفاً ، وقام أتباعه باثارة عدة ثورات ضده خاصة إبان فترة الحاكم الحالي ، بالرغم من أنه في السنوات الماضية كان قد استعاد بعض أراضيه ، وخضعت له اقاليم أخرى كانت قد ثارت ضده ... ، والآن فالفرصة مهيأة للشاه كي يعود مجدداً لاستعادة أراضيه .

البرتغاليون لم يتلقوا بعد أي رد من هؤلاء الفرس وإنما استمروا في علاقاتهم الودية وتواصلهم عبر قوافل تجارية عبر هرمز ، وكذلك من خلال معاملاتهم التجارية وتبادل السفراء .

يتجه شاطئ المدخل للمضيق من "رأس جاسك" الذي يقع على خط عرض عشرين درجة شمالاً إلى مدخل نهر الأندس الذي يعتبر حدود مملكة "السند" حيث تمتد مملكة ملك فارس نحو الجنوب مرة أخرى .

هناك توجد جزر على مبعدة من الساحل ، لكن تصعب الملاحة نحوها وكذلك الإنزال ، حيث يعيش السكان على أعمال النهب والسرقة .

أحداث عام ١٥٤٣م

أبـرمت اتفاقـية بـين السكـرتير "أنطونـيو كاردوسـو" "Antonio Cardoso" وبين ملك هـرمز ، بنـود الاتفاقية المتعلقة بتسديد كل الديون المستحقة لملك البرتغال : [٩]

- أن يتخلى ملك هرمز عن دار الجمارك القائمة في جزيرة "جيرون"/ هرمز المذكورة إلى ملك البرتغال بكاملها شريطة أن تسدد كل الديون المستحقة حتى ذلك الوقت والتي يجري إصدار إخلاء طرف علانية بعد ذلك .

- أن يأمر ملك البرتغال بأن يعطى من تلك الإيرادات ذاتها البنود التالية : أربعون "لاك" تمثل ألفاً وثمانمائة أشرفي من الذهب سنوياً لملبسه الشخصي ، ومئتان وخمسون "لاك" أخرى والتي تساوي تسعمائة وستة وثلاثين "بارداوا" ذهباً لسداد قيمة الهدايا التي سيجري تقديمها

(٩) رقم الوثيقة والهامش.

إلى القاضي الذي سيكون قاضي دار الجمارك ، وله أن يقرر ما سيعطيه إضافة إلى ذلك كل السناهيات والرواتب التي يدفعها لخدمه .

- أن يستمر الموظفون المسلمون هناك في دار الجمارك دائماً في شغل وظائفهم ، وأن يوفر ملك هرمز الموظفين الذين يريدونهم .

وقد جرى إعداد نسختين من هذه الفقرات ، ووقع عليهما الجميع ، وجرى تسجيلها في دفاتر الوكالة التجارية في تلك القلعة مع قانون دار الجمارك .

بالإضافة إلى هذا أجاز ملك هرمز فرماناً تنازل بموجبه عن دار الجمارك لملوك البرتغال ، وقد رأينا أن إدراج هذا الفرمان هنا صحيح ، ونظراً لأهميته فإن محتوياته هي كما يلي :

فرمان ، تخلى بموجبه ملك هرمز عن إيجارات دار الجمارك في تلك القلعة للملك "دوم جواو الثالث" :

فرمان لا يوجد فرمان آخر مساو له ، وآمر الجميع بالانصياع له حتى يكون معلوماً للجميع :

إنني بدافع من إرادتي وتصميمي ، وبالنظر إلى الصداقة العظيمة للغاية وإلى الشكل والواجب القائم بيني وبين مولاي الذي تمتد عظمته إلى السماء وتسود سلطته على الأرض برمتها ، والذي يتساوى في الوضع مع ملك الصين ، والمنتصر في كل حروب البشر ، وملك العدالة العظيم ، والأعظم من جميع ملوك العالم ، ومفتاح الكنز الموجود على الأرض ، وهو كنز الفضيلة والنبل ، وحبات المسبحة

التي تؤدى بها الصلاة لمعرفة كيفية الحكم ، وصفاء مياه المملكة ، ومعماري مساكن المدن ، وعلبة المجوهرات التي تحتوي على أروع الزمرد وأغلاه ثمناً ، المتراس العالي والمدافع عن الجميع ، وشمس العدالة والحقيقة ، والينبوع الصافي الذي يحفظ نقاء العالم ، سواء في المدن أو الصحراء .

الأمل في رب واحد ، والأكثر رجاء لفضله ، الملك "دوم جواو" الذي أدعو الرب ليعينه في مملكته باطمئنان وسلام ، ويقدم هداياه دائماً لنجدة فقراء العالم ، والذي ألجأ إلى ملاذه ، ويتوقف مصيري الحسن على أن أكون محاطاً بظله ، وبذلك أقطف أجمل ثماري المروية بنهر فضله ، وإنني أعرف أن عطف مليكي ملك البرتغال يبقى معي ، وقد جعلني أتعلل بآمال عظيمة .

هكذا ، ومن خلال كل هذه السبل ، وجدت أنني ملزم بأن توافق مع أشيائه ، وأن أضع المملكة وثروتها في خدمته ، وسأنظر إلى قصر ملك البرتغال على أنه مسكني الخاص وألّا أحيد شعرة واحدة عن واجبي .

حيث إن هذا الذي أقوم به هو واجبي ، فإن أمري هو أن إيرادات جزيرة "جيرون" - وبعد تحصيل معاشات أعيان أسرتي والأرباح ومتطلبات ضباط الجمارك سواء كانوا مسلمين أو برتغاليين ، كما جرت العادة ؛ فإنني آمر بتسليم كل ما يبقى مما تغله دار الجمارك المذكور إلى موظفي ملك البرتغال ؛ لسداد الجزية التي ألتزم بسدادها إليه ، وإنني آمر جميع موظفي مملكتي بأن يتقيدوا بهذا الفرمان وألّا يحيدوا عنه قيد أنملة .

صدر في شهر محرم عن سنة ٩٤٨ لهجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، الموافق السابع والعشرين من شهر فبراير عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة وألف الذي نعيش فيه حالياً .

أحداث عام ١٥٤٤م

بعث حاكم هرمز ، "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلـى الملك ، هرمز ، في الخامس والعشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٤م يبين فيها علاقته مع والـي "البحرين" : [١٠]

لسيّدنا الملك من "لويس فالكاو" :

الملك "دوم جواو الثالث"

رسالة من "لويس فالكاو" ، حاكم قلعة هرمز ، من بين معلومات أخرى تتعلق بالإدارة هناك ؛ فإنه يفيد قيامه بإنشاء حصن في التحصينات التي هناك ، والذي سيساهم في الدفاعات عنها ، يبلغ ارتفاع السور خمسة عشر شبراً حيث يساوي الشبر ، ٨,٦٦ بوصه ، وسمكها خمسة عشر شبراً .

حُرّرت في هرمز في الخامس والعشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٤م .

---

(١٠) رقم الوثيقة والهامش.

سيدي ..

في رسالة كتبتها لسموّك ، قدّمت لك فيها بيانًا بشؤون هذه المملكة ، كما أنني ذكرت لك أيضاً العديد من المسائل التي تحتاجها هذه المملكة ، وطلبتُ من سموّك النظر فيها ، كتبتُ لسموّك لأنني أمّلت أنه عند وصول الحاكم ، "مارتيم أفونسو" أن أتلقى ردًّا من سموّك ، كتبت لك بناءً على طلب سموّك ، إلا أنني وحتى تاريخ اليوم الرابع والعشرين من شهر نوفمبر لم أتلقّ أيّ رسالة من الهند .

إذا طال انتظاري فلن تصل هذه الرسالة في وقت تلحق فيه بالسفن قبل مغادرتها .

بناء عليه ؛ ففي في هذه الرسالة سأتمكّن فقط من تقديم تفصيلٍ آخر عما حدث منذ المرة الأخيرة التي كتبت فيها لسموّك .

قمتُ ببناء متْراس حول القلعة ويحيط بالكنيسة ، يبلغ ارتفاع الجدار خمسة عشر شبراً وسُمْكه خمسة عشر شبراً ، ويشمل الستة ستة شبرا التي كانت للجدار القديم ، وأصبح ارتفاعها الآن ستة وثلاثين شبراً مما يعني صعوبة هدمها أو اجتيازها .

في رسالة أخرى كتبتها لسموّك أطلعتك فيها أني بصدد اتخاذ قرار يتعلق بصيد اللؤلؤ ، وأمّلتُ أن يوّفقني الرّبّ أن أرسل كمية كبيرة من اللؤلؤ وبذور اللؤلؤ لسموّك .

ذهبتُ بنفسي لمتابعة ذلك النشاط لأنني لا أثق في أي شخص آخر ، لم تسنح لي الفرصة لأخدم سموّك في هذا الأمر لأن الآلهة قد

حفظته لشخص آخر ، بالرغم من جمْعنا لبعض الـمَحّار ، وبعض بذور اللؤلؤ بداخلها ، إلا أن المحّار ما زال صغير الحجم ، يقول الصيادون إنه ومن خلال السنوات الثلاث أو الأربع سيزداد الصيد ويتكاثر ، لعل رضا الرّبّ سيجعل ذلك يحدث حتى يصبح لسموّك كنزاً هنا .

أنا لستُ حاقدًا أو حاسدًا "لدوم مانويل دا سيلفيرا" لأنه سيتلقّى شكرك عما وجدته أنا ، ولا زلتُ آمل من الرّبّ أن أجد شيئًا يستحق من ذلك الصيد خلال تواجدي هنا ، وأن يحالفني الحظّ في هذه المرة .

قمتُ بعمل الكثير من الأشياء لأزيد من أرباح مكتب الجمارك هنا ، لكن حتى يبعث لي الحاكم برسالة ، أو يأتي بنفسه ؛ فإنني لن أتمكن من اتخاذ أي قرارات أخرى ، يدفع سموّك ثلاثين "ليكوس" لـ "Mogostao" في مكتب الجمارك هذا .

لقد توصلت تقريبًا إلى اتفاق مع أمير Jask على أن يوفّر ثلاثة آلاف من رماة السهام من أتباع ملك هرمز إلى الـ Mogostao خلال فترة حياته ؛ شريطة ألا تكون ملزمًا بأداء الثلاثين "ليكوس" له من مكتب الجمارك .

كان هذا ليتمّ من قبل أيام عدة إن كان القباطنة على استعداد لخسارة العشرة "ليكوس" التي يدفعها لهم الـ Mogostao كل سنة ، لذلك أنا أنتظر فقط وصول الحاكم حتى يكتمل هذا الأمر ، بالرغم من أن ذلك ضدّ رغبات رئيس الوزراء والملك .

مع وجود هذا الرجل (أمير جاسك Jask) كونه Mogastao لرئيس الوزراء لا أحد يكسب أيّ شيء باستثناء سموّك والبلاد ، وذلك

لأنهم يبعثون برئيس وزراء إلى هناك كل سنة ، ويضيع لذلك كل شيء ويصيبه الخراب .

في عهد "أنطونيو دا سيلفيرا" كان هناك سلامٌ مع "البحرين" ، بناءً على الاتفاقية كان عليهم أداء ثلاثة آلاف "بارداواس" بموجبها لسموّك وخمسة آلاف "بارداواس" كل سنه لملك هرمز ، وحتى الآن لم يتمّ سداد ذلك تماماً لسموّك ، ولم يتلق ملك هرمز أي شيء ، ابناه الاثنان هنا كرهائن عند رئيس وزراء "البحرين" ، هربا قبل شهرين بناءً على أوامر من أبيهما ، لست آسفاً على مغادرتهما ؛ لأن ذلك كان مُعينًا لي فيما قررت القيام به .

يوجد هنا العديد من الأمراء الذين طلبوا مني إعطاءهم "البحرين" ، لكنهم سيأخذونها على حسابهم ، وسيؤدون لسموّك كل عام عشرة آلاف "بارداواس" ، وعليه هناك أمران يمكن كسبهما بأخذ تلك القلعة من الملك "شرف" بهذه التكلفة ، أنا أعتبرهم جميعاً في غاية السوء وخونة ، ويمكن إضافة العشرة آلاف "بارداواس" إلى عائدات مكتب الجمارك .

قبل عدة أيام كتب لي ملك "لاسا" (الحسا؟) (Lasa) يودّ كثيرًا أن يصبح صديقًا لسموّك ، قال إنه استولى على "القطيف" فقط حتى يقوم بتسليمها لنا ، وأصرّ على الأسباب التي بموجبها يقوم سموّك بحمايته ومساعدته في حربه ضد البصرة ، كان ملكًا حقيقيًّا ، لكن سلبت منه المملكة بالقوة .

بعثت له بالرد عبر شخص برتغالي أرسلته إلى هناك ، وأخبرته بأنني لن أتمكن من الرد على رسالته قبل أن يقوم بتسليمي "القطيف" بما

أنها كانت دائماً خاضعة لمملكة هرمز هذه ، كما أخطرته بأنه حالما يقوم بذلك فسيتلقّى المساعدة من سموّك ؛ لأن سموّك يدعم كل أولئك الذين يحكمون بالعدل والحق .

أيًّا كان ما أقوم به في هذا الشأن لن يتم قبل أن يسلمني "القطيف" (على اعتبار مساعدته ضد ملك البصرة) ، سيتولى كل سنة مسؤولية أداء العديد من الجزية لسموّك لأن مَن يدفع سيصبح صديقًا عظيمًا لسموّك .

ليس لسموّك أي أرباح من البصرة سوى مبلغ الأربعين ألف "بارداواس" التي تتلقاها كل سنة كعائد ماليّ يُجمع من العديد من التجار الذين يذهبون إلى هناك مع بضائعهم ، ولشراء الخيول ، بالإضافة لذلك له سفينة ترسو خارج الشاطئ كان سموّك قد منحها له ، لا يؤدي هو أيّ مستحقات عليها لمكتب الجمارك هنا ، وعادة ما يقدم سموّك مكرُمات للضباط في هذه القلعة ، لكن ، للتكريم الذي قدّمته لملك البصرة فقد قمت بإيقاف كل الضرائب على البضائع التي كانت عادة تذهب إلى القباطنة .

حتى وإن كان ذلك سيحرمني من شعارات النبالة خاصتي فإنني لن أتردد في إطلاع سموّك على الحقيقة ؛ لأن المكاسب قليلة جدًّا ، لم آت لهذه القلعة لأصبح ثريًّا ولا يهمني إن كان سموّك قد سلّمها لي دون مكافأتي على الخدمات القليلة التي قدمتها له ، جئت فقط آملاً أن يقدّم لي سموّك الشرف الذي أستحقه .

أحداث عام ١٥٤٥م

بعث الملك "دوم جواو الثالث" "D . Joao III" رسالة إلى "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، نائب الملك في الهند ، "ايفورا" "Ivora" ، الثاني عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٥م ، وفيها يذكر الأسطول البرتغالي والبحر الأحمر : (١١)

خلاصة/ مقتطف :

أبحر الأسطول من حاجز "غوا" في الحادي والثلاثين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٠م ، وقد دخل المضائق في نهاية يناير ١٥٤١م ، وأبحر إلى مسافة قريبة من السويس حيث كان بالإمكان مشاهدته منها .

ذهب "دوم جواو دي كاسترو" إلى هناك ؛ حيث أوكلت إليه المهمة الصعبة والخطرة بالتجسّس على الأسطول التركي الذي كان في هذا المرفأ الذي اعتاد التوقف عنده .

---

(١١) رقم الوثيقة والهامش.

قد أنجز المهمة في السابع والعشرين من شهر إبريل ، عام ١٥٤١م خلال قيامه بالمهمة ، كتب "دوم جواو ودي كاسترو" "توجيهات الإبحار" التي يذكرها "جاسينتو فريري" "Jacento Ferriere" هنا ، وهو يتمتع بشهرة واسعة بين المثقفين ، ولذلك يشتد الطلب على مطبوعته .(أ)

قد خرجت "توجيهات الإبحار" في خاتمه المطاف للعامة في باريس في العام الماضي ١٨٣٣م ، كما سنوضح ذلك لاحقاً ، الملحوظة ١٤ .

(أ) بالنسبة لهذه ال Rutter نرجو الصفح من القارئ لنسختا هنا كلمات الراهب "جواو دي سانتوس" في كتابه : "أثيوبيا أورينتال" الكتاب "٥" الفصل ٢٠ حيث يقول في إشارة عابرة إلى الطرق المختلفة التي حاول الناس من خلالها توضيح اصطلاح البحر الأحمر : "لم يكن هذا البحر أحمر في أي وقت من الأوقات ، وهو ليس أحمر الآن . ولكن ، يظهر الحطام من وقت لآخر في أجزاء مختلفة منه بسبب الشعب المرجانية الحمراء الكثيرة التي نمت في قاع تلك المناطق ذاتها . لذلك السبب لا يظهر بلون واحد ماعدا في تلك الأماكن حيث توجد هذه الشعب المرجانية والتي تجعل البحر يبدو أحمر اللون أو أرجواني اللون مع انعكاس أشعة الشمس عندما يكون الماء صافيا .

قد مر "دوم جواو دي كاسترو" بهذه التجربة عندما جاء إلى هذا البحر على متن أسطول ضخم من الهند التي أصبح حاكماً لها لاحقاً . وقد سافر هذا القبطان الحكيم بإصرار بطول ذلك البحر الأحمر وعرضه ، كما يروي في كتابه "تعليقات جغرافية "Geographical Commentaries" الذي كتب فيه عن كل هذه البلدان .

في الأماكن التي شاهد فيها تلك البقع الحمراء ، أصدر أوامر لبعض الغواصين البارعين ، الذين أحضرهم معه لهذا الغرض ، ليغوصوا حتى القاع ، وعندما غاص هؤلاء حتى قاع البحر لاستكشاف تلك الحمرة أحضروا معهم قطعا كثيرة من الشعب المرجانية الحمراء التي انتزعوها من القاع . وزعموا أن كل باقي الحمرة التي ظهرت هي حمرة ناتجة عن الشعب المرجانية أيضاً .

وفي العام نفسه (١٥٤٥م)

جاءت مراسلات تتعلق بالإعفاء من رسم القماش "للشاه طهماسب" ، هرمز الثاني عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٥م ، تبيّن العلاقة الودية مع ملك فارس : (١٢)

صورة رسالة من "الشاه طهماسب" إلى "لويس فالكاو" ، قائد هرمز :

أنا ، "الشاه طهماسب" ، أفيد القائد الممتاز والشجاع ، حاكم مملكة "جارون" ، بأن سيدي الموقّر والمحترم جلال الدين "مرتضى كاتونيم" سيجلب ألف لاك من السلع والبضائع من "تبريز" تخصني ، لاستخدامها واستبدالها من أجل إعداد أشياء بعينها لاستخدامي الشخصيّ ؛ مثل القماش الناعم الذي يروق لي بسعر جيد ، وأشياء أخرى صدرت له الأوامر بجلبها ، وبينما يشتري المذكور سيدي جلال الدين (مرتضى) هذه الأشياء ، لن يسمح لشخص آخر بشراء الأشياء التي يريد ،

(١٢) رقم الوثيقة والهامش.

وسيحصل على كل المساعدة والعطف والتكريم ، ويجب ألا يُطْلب منه دفع أيّ رسوم أو حقوق في رسوم .

يجب أن يحصل على العون والمساعدة بحيث إنه عندما يعود إلى هنا فسأعتبر كل شيء إيجابي أو سلبي يحدث له ، وكأنه حدث لي شخصيا ، وسأتذكر ذلك دائما .

كتبت هذه الرسالة في شهر صفر من سنة تسعمائة واثنين وخمسين للهجرة ، وقد مهرت الرسالة بالخاتم الملكي "للشاه طهماسب" ، وبخاتم آخر خاص بالقاضي "يوهون" ، "القاضي" التابع له وخاتم آخر خاص بالسكرتير .

ترجمها "جارسيا دي لابينها" ، مترجم مملكة هرمز هذه إلى لغتنا البرتغالية .

صورة أمر من الحاكم "مارتيم أفونسو دي سوسا"

أنا القائد العام وحاكم الهند الخ أفيدك يا "لويس فالكاو" ، قائد قلعة هرمز ، بأنني أطلب منك في سياق الواجب الذي تقوم به لخدمة مولانا الملك .

متى وجدت وقتا بعد أعمال القلعة أن تذهب إلى حيث تتم مباشرة أعمال دار جمارك تلك المملكة ، وأن تساعد وتعين "القاضي" والوكيل التجاري والمسؤولين هناك في كل ما هو مطلوب لخدمة مولانا المذكور ، واني آمر أيضا "القاضي" والمسؤولين بأن عليهم في حال ظهور أي شكوك أو أسئلة بشأن ما إذا كان يتعيّن على الملوك أو الحكام أو مبعوثيهم دفْع رسوم ، ألا يتخذوا قرارات دون إخطاركم حتى تتمكن من اتخاذ القرار .

كتبها "أنطونيو غونسالفيز" في "غوا" في الثاني والعشرين من شهر

يناير ١٥٤٤م ، على "أنطونيو كارد" وسعر على أن تتم كتابتها ، وبموجبها آمرك إذا تمكنت من القيام بذلك ، بألا يفعلوا أي شيء إلى أن تذهب أنت أو ترسل رسالة بأنك لا تستطيع الذهاب بسبب عملك .

صورة أمر آخر من الحكام "مارتيم افونسو دي سوسا" .

أنا القائد العام وحاكم الهند الخ ؛ أحيطك علما يا "لويس فالكاو" ، قائد قلعة هرمز و"القاضي" الريس ركن الدين ، "غوازيل" دار جمارك القلعة المذكورة والمسؤولين المعنيين بأنني أرغب بما أن ذلك يخدم مصالح سموّه في أن يتم إرسال الأقمشة الخاصة "بالشاه طهماسب" ، الموجودة حاليا في دار الجمارك ، مجاناً له دون سداد أيّ رسوم جمركية .

يجب أن يقسم الشخص الذي سيحضر بالنيابة عن الشاه على القرآن حسب عقيدته بأن الأقمشة كلها تخص "الشاه طهماسب" ، وأنها ستخرج من هنا باعتبارها ملكا له ، وأن الوضع يختلف إذا كانت تخص شخصاً آخر ، وإنني أطلب تنفيذ طلبي هذا على الرغم من أمري الخاص بسداد الرسوم ، وإنني أبلغكم بهذا حتى تنفّذوه دون تردد ، وأن ترسلوا الأقمشة المذكورة مجانًا بهذه الطريقة ، وأن يتم قيدها في دار الجمارك فور إرسالكم إياها .

كتبت في "غوا" في الثاني عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٥م

إن هذا القماش "غوا" الذي كان جاهزا للإرسال في الوقت الذي كان فيه السكرتير هناك .

كتب هذه "أنطونيو كاردوسو"

صورة فقرة من الأوامر المستديمة للحاكم "دوم ايستيفاو داجاما"

إن موضوع الرسوم المستحقة الدفع عن بضائع خاصة "بالشاه طهماسب" ، والتي بعث برسالة بشأنها إلى المدينة ، سيتم تنفيذه بالطريقة المعتادة كما كان يحدث دائما إلى أن آمر بخلاف ذلك .

وفي العام نفسه (١٥٤٥م)

بعث "دوم جواو الثالث" "D . Joao III" رسالة إلى "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، نائب الملك في الهند ، "ايفورا" "Ivora" ، في الثالث عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٥م ، يأمره فيها ألّا يتدخل في سفن التجار أو سكان الساحل العربي : (١٣)

الصّديق ، "دوم جواو" ، أبعث إليك أنا الملك بتحياتي .

كتب ملك هرمز يطلب مني في مذكرته أن أهتم وأباشر الأعمال المذكورة أدناه ، والتي أطلب منك ترتيب والقيام بما هو مبين ومدوّن في نهاية كل قسم من هذه الرسالة :

مادة . أولاً : عليك الطلب من ريس محمود رئيس وزراء "البحرين" وريس بدر الدين رئيس وزراء "جلفار" ورؤساء الوزراء الآخرين أن

(١٣) رقم الوثيقة والهامش.

يقدّموا تقارير له بسبب انقضاء وقتٍ طويلٍ منذ أن قاموا بذلك ، أثق في أنك ستصدر أوامرك لأولئك الرؤساء للوزراء أن يقدموا له بياناً عن كل الفترة التي خدموا فيها ، وهو ما لم يقدّموه قبل ذلك .

كما عليك الطلب من قائد البحر لـ هرمز ألا يضرّ أو يتدخل في سفن التجّار أو سكان الساحل العربي أو يقوم باستحداث إجراءات جديدة .

لا تسمح لأي برتغاليين بقضاء فصل الشتاء بطول خط الساحل المذكور بسبب الضرر الضخم والكثيف الذي مارسوه في تلك المناطق .

إنني أنصحك بشدة أن تبعد نفسك عن الضرر الذي تم على تلك السفن والتجار بواسطة القباطنة السابق ذكرهم في نفس ذلك الساحل وبأولئك الذين يقضون الشتاء هناك .

إن وجدت أنهم يقومون بشيء ما كان عليهم القيام به ؛ عليك التعامل مع الأمر بأي طريقة ترى أنها تخدم مصالحي .

بالمثل : على المراقب البحري عدمُ التطرق لممارسات جديدة كما قام بذلك قبل وقت قريب ، ولا أن يتلقى في موقعه أكثر مما أمر به بواسطة التعليمات التي رفعت له .

خذ مذكرة بذلك ، واطلب أن يتم العمل بها بهذه الطريقة ، وأي شخص رفعت له ، خذ مذكرة بذلك ، واطلب أن يتم العمل بها بهذه الطريقة ، وأي شخص يقوم بأي شيء مخالف أو قام به عليك معاقبته بما يستحق بنص القانون ، وألا يتمكن القباطنة التابعون لي بنفي أو طرد خدمهم أو عبيدهم أو موظفيهم إلى بعض الأماكن خارج مدينة هرمز

لإذلالهم كما يفعلون ذلك الآن ، وعندما لا يقوم خدمهم وعبيدهم أو موظفوهم بما يفترض أن يقوموا به فعليهم إخطاره ، وعليه أن يأمر بالعقوبة المناسبة ، في هذا الأمر عليك أن تطلب منهم الإيفاء والتقيد تماماً بما جاء في نصوص اتفاقية السلام .

إن قباطنة وقضاة هرمز ليس عليهم تسوية النزاعات التي تنشب بين المسلمين ، واليهود والوثنيين باستثناء أخذ الإذن منهم ، وليس على المفتش الإداري القيام بإدخال أي تجديدات ، أما بخصوص النزاعات ؛ فعليك إصدار الأوامر بأن ما تم التعهد به بمقتضى العقد المذكور يجب أن ينفذ ويتم الإيفاء به ، وإن قام المفتش الإداري بما لا يجب عليه القيام به فعليك بمعاقبته بما يستحق بنص القانون .

كما ليس على أي من القباطنة المذكورين أو أي ضباط مسيحيين أو من المسلمين الذين لهم سلطة ونفوذ في المدينة أن يفرضوا ضريبة أو يطلبوا قرضًا من التجار أو المسلمين المقيمين أو يهود أو وثنيين أو السكان المحليين أو الأجانب ، ولا أن يطلبوا منهم تسليم أي مؤن أو بضائع ضد رغبتهم كما يفعلون ذلك الآن ، كما ليس عليهم إعاقتهم عن بيعهم لبضائعهم لكل من يرغبون في البيع له ، هذه هي رغبتي ، كما آمرك بأن تمنع مثل تلك الأشياء في الحال ، وتصدر أمرًا لهم بعدم القيام بذلك .

إن أولئك القباطنة في هرمز لن يكون لهم من وكلاء تجاريين في البصرة أو في "جلفار" أو أي مكان آخر في مملكة هرمز ، ولا لأي موظف تابع لي لأن الكثير من المشاكل ستنجم من ذلك ...

أنصحك بالحصول على معلومات عن ذلك ، والتعامل معها بما تراه مناسباً ومفيداً لمصالحي ، وستكتب لي بالتفصيل عن كل شيء تكتشفه ، والتأكد منه في كل تلك الأمور .

"بيرو فيرنانديز" "Pero Fernandes" / قام بهذا في الثالث عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٥م ...... / "الملك" .

(في الأسفل) لطرف "دوم جواو دي كاسترو"

(في الأعلى) من الملك - إلى "دوم جواو دي كاسترو" ، عضو مجلسه للدولة ، القائد المسؤول وحاكم أقاليم الهند .

وفي العام نفسه (١٥٤٥م)

بعث جلالة الملك رسالة يأمر رجاله بعدم الاستيلاء على المساكن عنوة في مدينة هرمز ، "إيفورا" "Ivora" ، الثالث عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٥م : (١٤)

أنا "دوم جواو" حاكم "البرتغال" بفضل الله و"القارمينز" في هذا الجانب من بحر إفريقيا والمناطق الأخرى ، سيد الفتوحات والملاحة والتجارة في "إثيوبيا" وبلاد العرب وفارس والهند .. إلخ ، ليكن معلوماً لكل من يطلع على هذه الرسالة أن ملك هرمز قد أبلغني أن قباطنتي والمسؤولين عند خدمتي في تلك المدينة قد دأبوا على الاستيلاء على مساكنه ، وإصدار الأوامر بالاستيلاء عليها عنوة وضد رغباتهم ورغبة أتباعه وخدمه .

أخبرني أيضاً بأن المسؤولين والمحاربين الذين يعملون في خدمتي بعدما اتجهوا هناك لأداء العمل أصبحوا متورّطين بالإقامة في مساكن

(١٤) رقم الوثيقة والهامش.

للإيجار غير أنهم لا يرغبون في دفع بدل الإيجار لـمُلاك المساكن ، ولقد طلب مني أن أصدر الأمر الذي يجب عليهم مراعاته وتنفيذه ، وذلك حتى لا يصبح هو أو خدمه عرضةً لمثل تلك التصرفات العدوانية .

بعد الاطلاع على الطلب قررت إصدار الأمر التالي :

إنه وابتداءً من الآن فصاعداً أوجّه وآمر قباطنتي والمسؤولين والعاملين في خدمتي مهما كانت مقاماتهم وأوضاعهم الاجتماعية ألا يُقْدموا على الاستئثار لأنفسهم ، أو إصدار الأمر لغيرهم باحتلال أيّ منزل ؛ سواء كان من ممتلكات الملك أو لغيره من ممتلكات خدمه أو عبيده دون موافقتهم .

كما أنني قد قررتُ أيضاً وأصدرتُ أوامري بأن جميع البرتغاليين وجميع التابعين لسلطتي ونفوذي ممن في خدمتي أو يؤدون أعمالهم في تلك المدينة في مملكة هرمز ، ومن يقيمون في مساكن مؤجرة أن يدفعوا لملاك تلك المساكن كلّ ما عليهم ، وكلّ ما تم الاتفاق عليه فيما بينهم وبين ملاك المساكن كبدل الإيجار أو غيره في وقت الاتفاق على موضوع السكن فيما بينهما .

بناء عليه ؛ فإنني أوجّه هذا الأمر بشكل خاص إلى عناية كلٍّ من القائد الأعلى وسعادة الحاكم في الهند ، سعادة قاضي القضاة وقاضي السلطة الحاكمة في مدينة هرمز وجميع بقية المسؤولين والعاملين الذين اطّلعوا على هذه الرسالة أو ممن نقلت إليهم ، وبالتالي ؛ فإنني آمرهم بضرورة المراعاة والإذعان الكامل والالتزام بالتقيد بتنفيذ ما تضمنه هذا دون أيّ تشكّك أو تردّد في تنفيذه .

لأجل وضع هـذا الأمر فـي مســالك التنفـيذ أمرتُ بعمل هذا الخطاب حيث قمتُ بالتوقيع عليه واضعًا عليه ختمي وصدّر في مكتبي القضائي .

تم تحريره في مدينة "ايفورا" في الثالث عشر من شهر مارس "بيرو فيرناندس" في سنة ميلاد سيدنا المسيح عيسى (عليه السلام) ١٥٤٥م .

هذا الأمر لا صلة له بالمساكن المحتجزة أو المصادرة ؛ لأن القوانين ذات الصلة بالإسكان سوف يصار إلى تطبيقها ؛ فالأطراف التي تم تخصيص مساكنها كي تشغل بواسطة مسؤولي وموظفي الشركة سوف تتولى الشركةُ الدفع عنهم على النحو المعمول به في لائحة القوانين ، ولو كانت قد خصصت لهم من خلال الموظفين الذين يتولون مسؤولية توزيع المساكن تلك .

إذا لم تكن قد خصصت بواسطة موظفي الإسكان ؛ فيجب عليهم أن يدفعوا ما تمّ الاتفاق حوله للطّرف المستفيد كما بيّنت أعلاه ، حتى ولو كانت تلك المنازل يُحتاج لها للإقامة والسكن .

وفي العام نفسه (١٥٤٥م)

صدر توجيه من جلالة الملك يشدد على منع البرتغاليين كيلا يتصرفوا بعدوانية تجاه ملك هرمز وأتباعه ، "إيفورا" "Ivora" الرابع عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٥م : [(١٥)]

أنا "دوم جواو" - ملك "البرتغال" - بفضل الرّبّ - وملك ... هنا وهناك في أفريقيا ، سيد بلاد جويتا والفتوحات وملاحة التجارة في "إثيوبيا" وفي الجزيرة العربية وفارس والهند ... الخ

إلى جميع من يطلعون على هذه الرسالة - ليكن معلوماً للجميع أن ملك هرمز قد قدّم لي شكوى ضد قادتي والمسؤولين العاملين في خدمتي في تلك المدينة ، وأنهم قد أجبروه على أن يعطيهم "التنك" أرديه إغريقية طويلة" ، وذلك عند وصولهم للمملكة ، وكذلك في مناسبات الأعياد السنوية .

---

(١٥) رقم الوثيقة والهامش.

كما أجبروه أيضا على منحهم امتيازات الخيل و"الكروزادو" ، وكان لزامًا عليه أن يمنحهم إياه دون رغبة منه ، وبالمثل أجبروه أيضاً أن يدفع عنهم كل الخسائر التي لحقت بهم في بضائعهم ، وقال لي أيضاً : إن أولئك القادة قد استولوا أيضا على منزل "الاوراكاس"

ملحوظة المترجم : (إحدى أنواع "الخمور الهندية" لها لون أبيض)

فرضوا الضرائب على السكان ، وعلى دخولهم من إنتاجهم .

لقد طلب مني أن أتعطف وأهتم بهذه الأمور ، وأن آمرهم بضرورة التوقف عن هذه الممارسات التعسّفية في حق حريته وعمله ، والآن وبعدما اطلعتُ على هذا الطلب ؛ فإنني أقرّر وآمر بموجَب هذا الخطاب أنه يجب على قادتي ووكلائي وغيرهم من المسؤولين الآخرين العاملين في خدمتي أن يتوقّفوا عن تلك الممارسات ؛ بحيث يمتنعوا عن أخذ الأردية أو يقبلوا امتياز الخيل و"الكروزادو" من الملك حتى ولو وافق الملك بمحض إرادته ورغبته على منحهم تلك الامتيازات .

الاستثناء الوحيد الذي يمكن أن يحدث هو إذا ما تبين لنا ورود ذلك في بنود وشروط اتفاقية السلام التي تم إبرامها بيني وبين الملك .

اتضح لنا أنها تجيز حصول أولئك القادة والمسؤولين على تلك الأردية وامتياز الخيل و"الكروزادو" ، إذ في هذه الحالة يمكنهم التمتع بها ؛ لأنها وردت ضمن شروط الاتفاقية ، وعمومًا ليس هنالك ما يُلْزم ويُجْبر الملك في أن يدفع لهم الخسائر التي طالت بضائعهم ؛ إلا إذا ثبت أن هنالك فوائد يجنبها الملك بسبب تلك الخسائر ، أو إذا ما كانت هنالك مادةٌ في نص القانون تجبره على أن يدفع لهم بالنسبة إلى منزل "الاركاس" .

قد قررتُ وأمرتُ قادتي وكلّ المسؤولين الآخرين أن يرفعوا عنه أياديهم كما لا يجب قطّ أن يحصلوا عليه بأية وسيلة ، حتى ولو رغب الملك في إعطائهم إياه بمحض رغبته وإرادته ، هذا ولا يجب أن يقوموا بفرض أي نوع من الضرائب على الأهالي الذين يعيّنهم الملك "للفوازيلدوس" guazilados .

هكذا - أعلن قائدي الأعلى والحاكم في بلاد الهند هذه ، ومسؤول أول الخزينة ، والموظفين والقادة والوكلاء التجاريين ، والمسؤولين عن القلعة في مدينة هرمز ، وجميع القباطنة والضباط والسكان الذين يطلعون على هذه الرسالة ، وإلى من تصل إليهم أن يعرفوا ما تضمنت ، وآمرهم جميعاً بضرورة الالتزام بما ورد فيها ، والالتزام بتنفيذ ومراعاة واحترام كل ما تضمنته من أوامر وتوجيهات ، ويجب ألا يتم التشكك أو وضع أية عراقيل أمام تنفيذ تلك الأوامر ، وأن يُصار إلى المحافظة والإذعان للأوامر ، لأن ذلك سيكون من دواعي سروري .

في سبيل تأكيد هذا ، فقد أمرت بأن يتم تسليم ملك هرمز هذه الرسالة التي قمت بتوقيعها ، وتم وضع خاتمي الملكي عليها ، وقد أمرت بأن يصار إلى تسجيل هذه الرسالة في المحطة التجارية في مدينة هرمز لكي يعرف الكل وللأبد أوامري هذه .

تم تحريره في مدينة "ايغورا" في الرابع عشر من شهر مارس بواسطة "بيرو فيرناندس" في سنة ميلاد المسيح عيسى (عليه السلام) ١٥٤٥م .

لقد قررتُ وأمرتُ بضرورة المراعاة والالتزام بما ورد في هذه الرسالة ، وإذا ما حصل أن استولى أي قائد أو مسؤول على تلك أو أي من تلك

الأغراض من ملك هرمز ؛ فيجب أن يُصار إلى تغريمه ما يعادل ثماني مرات من ثلث القيمة إلى من يقوم بالإبلاغ عنه ، وثلثي القيمة لدار الأيتام التي أمرتُ الآن بأن تبنى في مدينة هرمز ، كما أنه سوف يكون عرضةً لفقدان معاشاته مهما كان نوع المنصب أو الوظيفة التي يشغلها .

وفي العام نفسه (١٥٤٥م)

رسالة من قاضي هرمز إلـى سعادة الحاكم في الهند ، من هرمز في الرابع والعشرين من شهر أغسطس ، عام ١٥٤٥م ، يخبره أن مدينة ومملكة هرمز تنعم بالنمو والازدهار ، وتنعم بالهدوء والسلام : (١٦)

سيدي – من قاضي هرمز

لقد سبق أن خاطبني هنا "مارتيم أفونصو دي سوسا" في مايو كي وأبلغني أنه يتوقع وصول الحاكم الجديد من "البرتغال" في شهر سبتمبر الجاري ، وأن هذا الأمر لا شك فيه لأنه على يقين تام وبيّنةٍ منه ، ولهذا فقد رغبت في كتابة هذه السطور القليلة لسموّكم ، وهذا ما يمْليه عليّ واجبي ، وأتمنى أن يكون وصولكم في ميعاده ، وأدعو الرّبّ أن يكون في ذلك مرضاة له وخدمة لمولانا جلالة الملك .

---

(١٦) رقم الوثيقة والهامش.

الآن تنعم مدينة ومملكة هرمز بقدر واف من النمو والازدهار ، كما تنعم بالهدوء والسلام ، وقد أصبحت مملكة قوية منيعة ؛ ففي العام المنصرم كانت لدينا بعض المشاكل من قبل خان شيراز الذي شن هجومًا على "موغستان" بأمر من الملك "طهماسب" سيده تمخض عن مقتل البعض وخسائر كبيرة في الممتلكات ، كانت قد طالت أهالي هذه المملكة .

في النهاية تمكّنّا من الاتفاق على شروط السلام ، وأصبحنا ندفع له مائة ألف "بارادوس" كتعويض عن نفقاته ، وذلك من خلال مدفوعات ، ما زالت هنالك مستحقات علينا لكنها ليست كبيرة ، لقد تحمّل سكان هذه المملكة كل هذه النفقات لأن سعادة الحاكم "مارتيم أفونصو" لم يكن راغبًا في تقديم أية مساعدة مالية لنا من أرباح مركز الجمارك هنا ، وغالبًا ما يحدث هذا التصرف عندما تقع مثل تلك الأحداث ما حدث في الماضي ، والآن ظلت الأراضي هامدة ساكنة .

قبل مضي أربع سنوات تقريباً كان "أجيم جبر" قد قاد ثورة في مدينة "صحار" وهي قلعة قوية منيعة ضخمة تؤول إلى مملكة هرمز على ساحل الجزيرة العربية ، ومن هناك تمكن من إحكام سيطرته على مدينة صحار ، وأمسك بزمام الأمور فيما يتعلق بدخولها وعائداتها ؛ حيث انتزعها من قبضة ملك هرمز .

سيدي ؛ في هذا الصيف أصدرتُ أوامري لتكوين فرقة حربية يتم تجميعها في "جلفار" و"البحرين" ، ومن ثم أرسلت أخي ريس عبد الدين قاضي "جلفار" للاستيلاء عليها ، وقد كان الرّبّ عوناً له ونصيرا ،

وبالفعل تمكّن من الاستيلاء عليها ؛ حيث قتل الكثيرين الذين كانوا فيها ، ومن ثَم قام بهدمها وتسويتها بالأرض .

قبل تسعة أعوام مضت استولى "لورد لاكا" ، وهذه منطقة تقع في إقليم العصرة – قلعة ، ومدينة "القطيف" التي تعتبر واحدة من ممتلكات هذه المملكة الرئيسة باستثناء "البحرين" ، لكن لا شيء أمكن عمله فيها حتى الآن ؛ لأن الظروف كانت تقف دون ذلك ، وفي مايو الماضي وفي ظل الأخبار التي انتشرت ورُوّجت عن قدوم الأتراك إلى هذه المدينة ، قام الحاكم "مارتيم افونصو" بإرسال "بيرنالديم دي سوسا" إلى هنا بقوات تعزيزية مساعِدة .

بسبب أن هذه القوة التي أرسلت لم تكن كافية بحيث تمنع الأتراك من الاقتراب ؛ فقد ناشدت "لويس فالكاو" بأن يتكرم بإعطاء الإذن للقائد " برنارديم دي سوسا" وتهيئة الفرصة له بالذهاب إلى هناك في قوة من "البرتغاليين" قوامها مئتي جندي ، ولقد وافق على ذلك ، وبالفعل اتجه بقواته إلى هناك ، وذهب معهم جميع أقربائي وألفين من الفرس ، وأربعة آلاف من العرب .

نتضرع للرب أن يمن عليهم بنصر من عنده ، ويوفقهم في إنجاز مهمتهم هذه مثل إنجازهم في صحار ، وأن يتمكنوا من الاستيلاء على المدينة والقلعة ويعيدونها إلى هذه المملكة كما كانت عليه من قبل .

في هاتين المهتمين ، سيدي كنت قد أنفقت مبلغ مائة "ليقوس" من مالي الخاص ومن أموال بعض الأصدقاء لأنني لم أتلق شيئاً من

المحطة التجارية ، ولقد ضمن إلى "لويس فالكو" إعادة المبلغ كما أن دخول "البرتغال" لن تساهم بشيء .

ليس هنالك من شيء عليه إنفاقه على المتطلبات والالتزامات الأخرى ، والآن وبشكل يومي نتوقع الأخبار من "بيرنالديم د سوسا" والريس نور الدين ابن الملك شرف ، وندعو الرّبّ أن نتلقى أخبارًا سارة منهما .

أما بالنسبة لمركز الجمارك ؛ فباستثناء العام الماضي والعام الذي قبله ؛ لقد كانت العائدات جيدة جدًا ، ويمكن لـ "فرانسيسكو لوبيز" أن يعود لمولانا الملك بحصيلة معتبرة من المركز .

في العام الحالي أعتقد أن المركز سيكون مَدينًا ، وذلك ربما كان بسبب تأثير الأخبار التي تفيد بأن هنالك هجومًا ممكنًا من قِبَل الأتراك على هرمز ؛ فالسفن العائدة من الهند قد جاءت بحمولات هزيلة من البضائع ، أما صبغ النيلة من "كامباي" فلم نره قط هذا العام خاصة ، وكانت هذه الأصباغ تدرّ أرباحًا بحوالي اثني عشر ألف "بارادوس" في العام .

بسبب بعض الحذر قام "لويس فالكاو" بإدخال الملك داخل القلعة ، الأمر الذي أدى إلى إثارة الرعب والهلع في فارس ، ولم يعد يصل للمنطقة الكثير من التجار ، وبالتالي ؛ وفي ظل هذه الأسباب سيكون مركز الجمارك مَدينا هذا العام لكن ما زال هناك شيء من الأموال من السنوات الماضية ، عندما أتأكد من وصول سموّكم سوف أكتب

لكم بشكل مطوّل كي أعطيك انطباعًا عن نفسي وما أقوم به ، وأتناول بعض أمور هذه المملكة والملك ، وكل ما هو ضروري وهام .

أدعو الرّبّ أن يمدّ في عمر سعادتكم ويوفقني لخدمتكم .

من هرمز الرابع والعشرين من شهر أغسطس ، عام ١٥٤٥م

أنا "القاضي" أقبّل أيديكم النبيلة .

وفي العام نفسه (١٥٤٥م)

بعث كبير وزراء هرمز رسالة إلـى حاكم الهند ، من هرمز في الرابع والعشرين من شهر أغسطس ، عام ١٥٤٥م ، يخبره بالرخاء والسلام بمدينة هرمز : [١٧]

سيدي ..

من كبير وزراء هرمز

كتب لي "أفونسو دي سوزا" في مايو ليقول إنه كان يتوقع وصول الحاكم الجديد من "البرتغال" في سبتمبر الحالي ، ولم يساوره شك في وصوله ؛ لأنه اعتبر أن ذلك كان أمرًا أكيدًا ، لذلك رغبتُ في الكتابة لسيادتك هذه السطور البسيطة انطلاقًا مما يحتمه الواجب ، أرجو أن يكون وصولك في وقت مناسب ، وأن تقوم بخدمة الرّبّ حتى يرضى عنك وأيضاً خدمة لسيدنا الملك .

(١٧) رقم الوثيقة والهامش.

مدينة ومملكة هرمز تنعم حاليًّا بكل الرخاء والسلام والقوة ، كانت لنا في العام الماضي بعض القلاقل من حاكم "خان" مدينة شيراز ، الذي هاجم "موغستان" بأمر من سيده الشاه "طهماسب" ؛ حيث تعرض سكان هذه المملكة لخسارة في ممتلكاتهم والكثير من القتلى بينهم .

قمنا في نهاية الأمر بالاتفاق على السلام ، وضعنا له الشروط المناسبة معه ، على أن تؤدى له مائة "باردواس" تقريباً كتعويض على مصروفاته ؛ على أساس دفعات معيّنة ، والتي لا زال جزءٌ منها تدين به له ، لكنه ليس بالمبلغ الكبير .

كان كل ذلك على حساب سكان هذه المملكة ؛ لأن الحاكم "مارتيم أفونسو" كان غير راغب في تقديم أي مساعدة من أرباح مكتب الجمارك هنا ، والذي كان يكون متاحًا عندما تحدث مثل تلك الأمور ، حدث ذلك في الماضي ، لكن البلاد ظلت هادئة الآن .

قبل أربع سنوات قاد الحاكم ابن جبر (Ajemjebre) ثورة في مدينة صحار ، وهي قلعة ضخمة ومنيعة تعود ملكيتها لمملكة هرمز على ساحل الجزيرة العربية ، قام ببنائها "مارتيم أفونسو" ، ومن هناك كان مسيطرًا على مدينة صحار ، وكان يستفيد من عائداتها التي استحوذ عليها ، ومنعها عن سلطة سيدي ملك هرمز .

لذلك أمرتُ في الصيف الماضي بإعداد جيش يتجمع في "جلفار" و"البحرين" ، وبعثت بشقيقي ريس عبد الدين كبير وزراء "جلفار" لمهاجمة "صحار" ، أعانه الربّ بيده اليمنى واستولى عليها ، وقتل العديد من أولئك الذين كانوا معه ، ودمّر القلعة بناءً على أوامر الملك .

قبل تسع سنوات قام سيد (الحسا) التي تقع في حدود البصرة بالاستيلاء على مدينة وقلعة "القطيف" التي كانت إحدى الممتلكات الرئيسة لهذه المملكة باستثناء "البحرين"، لم يتم أيّ شيء بخصوصها منذ ذلك الحين بسبب الظروف التي حالت دون القيام بذلك .

في مايو الماضي ومن الأخبار التي كانت تدور هناك بأن الأتراك قادمون إلى هذه المدينة ، بعث الحاكم "مارتيم افونسو بيرنارديم دي سوزا" إلى هنا بتعزيزات من الرجال .

لكن بما أنّ ما أرسل إلى هنا لم يكن كافيًا لمنع الأتراك من القدوم ، التمستُ من "لويس فالكاو" أن يتكرّم ويمنح "بيرنارديم دي سوزا" الإذن والفرصة بأن يذهب إلى هناك مع مائتين أو أكثر من "البرتغاليين"، وقد وافق على ذلك ، وذهبوا فعلاً إلى هناك ، وبرفقتهم كل أقربائي وألفين من الفرس وأربعة آلاف من العرب ، نسأل الرّبّ أن يمنحهم ما يمكّنهم من تحقيق مثل ما تم إنجازه في صحار ، وأن يتمكّنوا من الاستيلاء على المدينة والقلعة ، وإعادتها لهذه المملكة كما كانت من قبل .

من أجل هذين الأمرين ، سيدي ، أنفقت ما يقارب الخمسمائة "ليكوس" من مالي الخاص ومن أموال أصدقائي ، وذلك لعدم الحصول على أي أموال من المحطة التجارية ، والتي كانت قد منحت إلى "لويس فالكاو" كشرط منه ، وإن عائدات "البرتغال" لم تساهم بأي شيء ، لا يوجد أي شيء من هناك للإنفاق منه على الالتزامات الأخرى .

نحن نتوقع يوميًّا أخبارًا من "بيرنارديم دي سوزا" والريس نور الدين ، ابن

الملك شرف ، وهما المسؤولان عن هذا الأمر ، نسأل الرّبّ أن تكون الأخبار طيبة .

أما ما يتعلق بمكتب الجمارك ، ففي السنة الماضية والسنة التي قبلها تمّ تحصيل مبلغ جيد لسيدنا الملك بواسطة "فرانسيسكو لوبيز" الوكيل التجاري لهذه المدينة ، أما في السنة الحالية فإنني أعتقد أنها ستكون تحت وطأة الدَّيْن ، وذلك بسبب الأخبار التي تقول باحتمال الهجوم التركي على هرمز .

السفن التجارية الضخمة القادمة من الهند جاءت بالقليل من البضائع ، ولم تصل أيّ صبغة (نيلة) من "كامباي" التي كانت عادة توفر اثني عشر ألف "باردواس" في السنة .

بسبب بعض التحذيرات أيضاً قام "لويس فالكاو" بأخذ الملك إلى داخل القلعة ، الأمر الذي تسبب في بعض الرعب في فارس ، كما لم تأت أعدادٌ كبيرة من التجار ، لذلك ، ولتلك الأسباب ؛ فسيصبح مكتب الجمارك مُدانًا بمبالغ كبيرة هذه السنة ، لكن معه بعض العائدات من الأعوام السابقة .

عندما تأكدت تماماً أن سيادتك قد وصل ؛ فإنني سأكتب لك مطوّلاً لأقدّم بيانًا عن نفسي ، وعن مواضيع أخرى في هذه المملكة ، والملك ، وكل ما هو ضروري .

ليطيل الله عمر سيادتك حتى تقوم بخدمته .

من هرمز في الرابع والعشرين من شهر أغسطس ، عام ١٥٤٥م

أنا كبير الوزراء أقبّل يدي سيادتك النبيلتين .

وفي العام نفسه (١٥٤٥م)

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلـى حاكم الهند ، من هرمز في الرابع من شهر سبتمبر عام ١٥٤٥م ، ويذكر أنه بالاستيلاء على عُمان ستصبح الجزيرة العربية خاضعة لمملكة هرمز : (١٨)

سيدي

من "لويس فالكاو" قائد هرمز

تعود ملكيةُ "القطيف" الآن لملك هرمز ، وقد منح الرّبّ رحمة واسعة بعودتها ، لأنها مهمةٌ وأساسية لهذه المملكة ، ولأنها كانت قوية ومنيعة ، على سموّك أن يُسَرّ كثيرًا أن هذه القلعة قد استعيدت في عهدك ، وبما أن الحظّ مؤاتٍ ويسير بجانبك ؛ فعليك أن تكون شاكرًا أن تلك القلاع موجودة هنا ، وقد استعيدت بقليل من الجهد .

سيُطلع "أنطونيو ميننديز" سموّك كيف قاتل "بيرنارديم دي سوزا"

(١٨) رقم الوثيقة والهامش.

ببسالة ، وكيف كانوا في انتظاره على الشاطئ ، وعن كل شيء حدث حتى تم الاستيلاء عليها ، لأنني في غاية السعادة ؛ حيث لن أستطيع أن أخبر سيادتك بأكثر من أنها استُعيدت بالقوة دون أن يتعرض أيّ برتغاليّ للقتل أو الإصابة بجروح .

على وجه الخصوص فقد استولوا على الكثير من الخيول والعديد من الفتيات الجميلات ، لقد كان انتصارًا يوجب من سيادتك تقديمَ الكثير من الشكر والامتنان لله بأن نصرك ونجاحك وحسن حظك قد وصل حتى هنا في هذا البعد الساحق .

في أوقات الفرح على الرجل أن يبحث عن الفضل والإحسان ، لذلك أعتقد أن هذا هو الوقت الأكثر مناسبة للطلب من سيادتك بأن تأذن لي بالذهاب والاستيلاء على (عمان) ، لقد كتب لك كبير الوزراء من قَبْل يطلب العون لأخذها ، قائلاً إنه سيقدّم لسيدنا الملك عشرة آلاف "كروزادواس" كجزية كل سنة .

"عمان" مدينة غنيّة جداً وتقع بالقرب من "قالهات" ، عاصمة كل الجزيرة العربية ، والتي كانت تؤدّي مائتين "ليكوس" كجزية كل سنة إلى ابن جبر الـ (Bemjaure) ، وفي مكان آخر تكتب (Abemjavre) والتي سمعت عنها من كبير الوزراء وأشخاص في مواقع عندهم المعرفة بهذا الشأن .

إذا تم الاستيلاء على (عمان) ؛ فإن كل الجزيرة العربية ستصبح خاضعة لهذه المملكة ، من "ظفار" وحتى "جلفار" ، ما يتم كسبه من هنا إن نجح في الاستيلاء عليها فستكون هناك زيادة على الجزية تبلغ

خمسة عشر أو عشرين "باردواساً" ، وأيضاً خمسمائة خيل أخرى يمكن أن تُرْسَل إلى الهند ، لن تكون هذه الحرب حربًا ظالمة لأنهم في أوقات ماضية أدّوا دائمًا جزية لملوك هرمز .

لن يجرؤ الأتراك بالقدوم إلى هذه البلاد إن علموا إننا سادة الجزيرة العربية ، ما نحن في حاجة إليه للاستيلاء على (Amman) وكل الجزيرة العربية هي فقط أربعمائة أو خمسمائة برتغاليّ ، وألفين من الفرس رماة السهام ، وثلاثة أو أربعة آلاف من العرب .

أؤكد لسيادتك أنه وبمساعدة أولئك الرجال يصبح من الممكن أن نذهب مباشرة عبر الجزيرة العربية وحتى عدن ، دون أن يتمكن أي أحد من الدفاع عنها .

كان كبير الوزراء يطلب من سيادتك قرضًا من عشرة آلاف "باردواس" من مكتب الجمارك هنا ، وسيقوم بردّها فيما بعد ، بالإضافة لمائتين "ليكوس" كجزية لسيدنا الملك ، الفضل الذي أطلبه حاليًّا من سيادتك هو أن تسلّف كبير الوزراء وشخصي خمسة عشر ألف "باردواس" ، والتي نضمن للوكيل التجاري أن تُرَدّ له خلال سنة .

من تلك الخمسة عشر ألف "باردواس" ، وخمسة أخرى يستطيع كبير الوزراء جمعها من أسرته ، ونَفس المبلغ أقوم أنا أيضاً بسداده ، كما سيتبرع الملك بكل الأرز الذي يتلقّاه كعائد ، وخمسة آلاف أخرى من عائدات المملكة ... ، قمنا بحساب كل ذلك ، عندها سيصبح عندنا أكثر مما هو كافٍ من الأموال لتنفيذ هذا التعهد .

بجانب استحقاقيّ من سموّك بتكريمي لأنني خادمك ، يجب

ملاحظة أن كل الشرف الذي نحقّقه ونكسبه في هذا الأمر ، هو لك وأن جلالته سيكسب المزيد من الشرف والإجلال والمكسب في الوقت الذي يتمّ فيه ذلك بقليل من النفقات ، فقط مؤن وموادّ للبرتغاليين نحتاج إلى أداء قيمتها إن كانت موجودة هنا في القلعة .

الوقت الذي أغادر فيه هذا المكان سيكون في نهاية سبتمبر عندما نعلم بعدم وجود أي أتراك في الجوار ، أقوم بالحفاظ على الرجال جميعاً معًا حتى عندما تكون كل سُفُن التجار جاهزةً للمغادرة ، والتي سيصعد الرجال على ظهرها دون أي منصرفات إضافيّة تذهب سوى في الذهاب والعودة إذا ما يسّر لنا الرّبّ ذلك .

نستطيع الانتظار لشهرين أو ثلاثة على أكثر تقدير مع كل التأخير والإبطاء الذي قد يحدث .

عندما تتم تسوية هذه المسألة والتي سنكسب فيها المزيد من الاحترام سيقوم سيادتك بالإحسان الكبير لي وتكريمي ، لن ترغب في خسارتي لأنني تاجرٌ سيئ وأعمالي من الأسباب الكثيرة التي تجعلني ألتمس الإحسان من سموّه ، فإن ذلك الآن تحت سلطة سيادتك ، لأنني حاليًا هنا وأنت هناك ، وأسأل الله أن يغمرني بإحسانه لأنني أثق فيه .

أعلم أن سيادتك سيسرّه كثيرًا أن يبدي لي الإحسان خاصة في أمر سيؤثر كثيرًا في سمعتي وكرامتي ، لهذا السبب لن ألحّ عليك كثيرًا لأن "أنطونيو مينديز" سيقدّم لك المزيد من المعلومات عن ذلك ، وكل ما يتعلق بشؤون هذه البلاد .

منذ تواجدي هنا كتبت رسالتين أو ثلاثة لسيادتك عن "البحرين" ، وكيف أن ريس محمود يتمسّك بأنها تخصه بموجب القانون والوراثة ، وأنه خلال الأربع أو الخمس سنوات الماضية لم يؤدي لملك هرمز الخمسة آلاف "باردواس" التي هو ملزم بسدادها كل سنة .

عندما ذهب "بيرنالديم" إلى هناك كان كل المبلغ قد وضع في القلعة قبل وصوله ، وكانوا على استعداد للدفاع عنها ، وهو لم يثق فقط في "بيرنالديم دي سوزا" لكنه لم يكن ليسمح لريس نور الدين ابن ريس شرف بالدخول إلى القلعة أيضاً بالرغم من إطْلاعهم له أنه فقط في طريقهم إلى "القطيف" .

عندما كتب له كبير وزراء هذه المدينة ومعه أقرباؤه كان أكثر ما قام به هو أن يأخذ كسوة cabaya كان الملك قد بعث بها له خارج القلعة ، وعندما ارتداها طلب من "بيرنالديم دي سوزا" الدخول إلى القلعة مع عشرة أو اثني عشر رجلاً بالرغم من أن معه ثلاثمائة أو أربعمائة بالداخل .

لم يعتقد البرتغالي أن هذه علامة سيئة فقط ، لكن حتى المسلمون أنفسهم اعتبروها كذلك .

يتحدث معي الملك كلّ يوم عن "البحرين" وأنني لم أطلب من ريس محمود بالقدوم إلى هنا ، ولماذا لا أجعله يؤدي ما عليه ، ولماذا لا آمر بالاستيلاء على "البحرين" بَدَلا عن "القطيف"؟

على سيادتك التعاملُ مع هذا الأمر وحلّه لأنه من الخطأ ترك ريس محمود مع الثلاثين ألف "باردواس" التي تُمدّه بها "البحرين" بينما هي تعود أصلاً لملك هرمز .

على سيادتك إرسالُ أمر كتابي للريس محمود الذي أرسلت له الكثير من الأوامر تطلب منه الحضور إلى هنا في الحال حتى يُقدّم الولاء والطاعة للملك ، ويؤدي له كل المستحقّ عليه ، وإن لم يستجب لذلك فعليك اعتباره متمرّدًا وثائرًا ، وعليك بالطلب مني في حالة عدم طاعته لمرسومك الكتابيّ ؛ فإن عليَّ الذهاب والاستيلاء على "البحرين" ، فإنه وبمساعدة الرّبّ فإنني سأستعيدها في أيام قليلة ، وأقل من تلك التي استغرقتْنا للاستيلاء على "القطيف" .

كما يجب عليك الكتابة إلى كبير الوزراء حتى يكون خادمًا مخلصًا ، ويدين بالولاء لسيدنا الملك ، وسيفرح كثيرًا بمرافقتي بنفسه ، أرجو ألا تتردد في الاستجابة لهذا الموضوع لما تراه صحيحًا ، وهو شيءٌ يخصّ سيادتك لدرجة بعيدة .

سيقدم لك "أنطونيو مينديز" بيانًا مفصّلاً ومعلومات كافية عن كل ما كتبته ، وعن كل شيء آخر يتعلق بهذه المملكة ؛ لذلك لن أتحدث أكثر من ذلك سوى أن أرجو من الرّبّ أن يزيد من عمر سيادتك ودولتكم .

من هرمز في الرابع من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٥م

"لويس فالكاو"

وفي العام نفسه (١٥٤٥م)

بعث قاضي هرمز رسالة إلـى سعادة الحاكم ، من هرمز في السادس من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٥م ، يخبره عن السفن في السويس وأنه لم يستطع الوصول إلـى "القطيف" لوجود الحرب هناك : (١٩)

قرّر الكابتن أن يرسل "جواو فيناو" "Joao Finao" بصفته مبعوثه الذي يحمل الرسالة لكي يطّلع على السفن في (السويس) ، ولقد جاء لمقابلتي لكي أقرّر ما إذا كان مناسبًا للقيام بمهمة كهذه ، ولقد تبيّنت إنه مناسبٌ لهذا العمل أكثر من أي شخص آخر ومن كل الذين تحدّثت إليهم ؛ لأنه يجيد التحدّث باللغة العربية بشكل لم يسبق لي أن شهدته في كلّ "البرتغاليين" الذين عرفتهم ، أضف إلى ذلك إحساسًا برغبته الشديدة ، وحماسه لخدمة الملك في هذه الرحلة ، وأشياء أخرى كذلك .

لذا ؛ فقد أرسلته عن طريق "القطيف" ، وبالفعل اتجه إلى هناك لعدة

(١٩) رقم الوثيقة والهامش.

أيام ، وفي النهاية قفل راجعًا ؛ نظرًا لسدّ الطرق وإغلاقها بسبب حالة الحرب في البلاد ، وعلمي أنه مناسبٌ لسعادتكم في القيام بأية مهمة تحتاجون فيها لخدمته ، ولن تجد له مثيلاً آخر هنا .

ادعو الرّبّ أن يطيل عمر سعادتكم ويمتعكم بالصحة .

من هرمز السابع من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٥م

وأقبّل أيادي سعادتكم الكريمة

وفي العام نفسه (١٥٤٥م)

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى سعادة حاكم الهند ، من هرمز في الحادي والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٥م ، يخبره بأن سليمان باشا ، القائد التركي ، قد انتحر ، وبانتحاره اختفى أتباعه في الهند : (٢٠)

من "لويس فالكاو"

سيدي : كثيرا ما كتبت لسعادتكم مشيرًا إلى أنه من المستحيل أن أرسل لكم بواسطة هذه (........) أخبار مسيرة الأوضاع في هذه المملكة ، والصعوبات العديدة التي تحيط بي وأواجهها في كل ساعة ، ونظرًا لصعوبتها وتعقيدها بل كثرتها ، بتُّ أعتبر أن لي الشرف أن أتمكن من تركها والابتعاد عن هذه البلاد ، هذا إذا ما استطعت ، وكثيرا ما أخبرت سعادتكم كم سيئ أنا في مجال التجارة ، وأن طبيعتي لا تتحمل قط التحقير والمسبّة ، وغالبًا ما أجد نفسي مباليًا لطلب

(٢٠) رقم الوثيقة والهامش.

العفو من الذين يسرقونها ، وسوف أناشد سعادتكم أن تسدى إليّ معروفًا واحدًا .

أما البقية فالأمر متروك لسعادتكم لتحقيقها ، إلا إذا شئتم ورأيتم ذلك من مصلحة خدمة صاحب السُّمُوّ ، وحقيقة لم أعد أحتمل الأمر ، في كل مرة أصدر أمري إلى الوكيل التجاري كي يدفع للجندي أو للبحّار مستحقّاته في هذه القلعة ، ويرد عليّ أنه لا يملك المال ، وبالطبع ليس هنالك من حلٍّ لديّ سوى الصمت ؛ إذ ليس بوسعي أن أمسك دفتر حسابات والاحتفاظ بمبلغ مائة ألف "كروزادوسا" إذا ما قام مركز الجمارك بإدخاله في الحساب .

سيدي : إذ كنت سعادتك تريدني أن أحمي هذه القلعة وأذود عنها ضد الأتراك ، وأدافع عن هذه المملكة ضد خصومها وأعدائها ؛ فعليك أن تمنحني سلطات وصلاحيات أكثر من السلطات المخوّلة لي الآن .

القباطنة الذين عملوا هنا قديمًا لم يكونوا في نفس المنصب الذي أشغله الآن في القلعة لكنهم كانوا كالأمراء والملوك وحكام البلاد في ذهابهم وإيابهم ،ولم يكتف سعادتكم فقط بإعطاء السلطة والصلاحيات للمسلمين ؛ بحيث لا أستطيع التفاهم معهم ، بل أصبحت المراسيم القضائية التي ترسلها من هناك تنصّ صراحة أن واجبي هو تنفيذ المباني ، أو بعض الأعمال ذات الصلة بخدمة صاحب السّموّ إذا ما وافق سعادة الوكيل التجاري وموظَّفوه .

إنني أدرك أن سعادتكم قد خصّني بالكثير من الأفضال والامتيازات ، وأنك لا تريدني أن أزعج نفسي بأيّ شيء ، وأنا أقدّر لك هذا الشعور ،

ولكني بفعلك هذا بأن سعادتك لا تُعينني على أداء عملي في الدفاع عن هذه المملكة ، وأن ألاطف الناس وأطيّب خواطرهم ، وأصادقهم بوسائل كثيرة أخرى ، حتى يُقْبلوا لتقديم مساعداتهم لي في الدفاع عن المدينة .

لكن هذه (سيدي) لا يمكن أن تتحقق دون تقديم المال ؛ لأن الرجال هنا لا يمكنهم أن يعيشوا على ما يُعطى لهم من معاشاتهم ، وعلاوة الصيانة خاصة ، وهناك عدة شخصيات من النبلاء والفرسان ممن لا يَحْصلون على الرّبّعيات أو أية معاشات من جلالة الملك ، ولقد ترتّب عليهم أن أعطيهم مالي الخاص ، ولم يكن لديّ الكثير لأنفقه كلّه حتى لا يُظنّ أنني أستجدي عَلَنًا في المدينة كي أحصل لنفسي على الصدقات ، وليس للأسرى لكي أسدّ تلك المتطلبات ، ولأجل خدمة صاحب السّموّ .

لابد لك من اعتماد مبلغ عشرين "باردوساً" تلك التي أدفعها للرجل (إذا ما ثبت مرضه أو أصيب بجراح) عندما أرسلهم للعمل في خدمة صاحب السّموّ ، وإذا ما رأى سعادتكم أن من الأفضل والمناسب أن تُعطى هذه الصلاحية إلى قباطنة "ديو" ، وهم في الكورال (Cural) ؛ فيترتب عليك أن تنظر في اعتبار الأعمال الضخمة الملقاة على عاتق قبطان يتولى مسؤولية هذه المملكة الضخمة التي عليه أن يحميها بحد السيف ؛ لأنها لا يمكن أن تؤمَّن وتُحمى بواسطة المال وحده حسبما يحدث الآن .

عودة للامتياز الذي طالبت به ، أقول سيدي ، لقد سبق أن كتبت إليك في معظم الأوقات كي ترسل لي استنابة قضائية ، يمكنني من

خلالها استدعاءُ الوكيل التجاريّ ومحاسبته عندما يخبرني أنه لا مال لديه ، ولا شك أن هذا الأمر يصبّ في مصلحة صاحب السّموّ ، وبالطبع ؛ فإذا ما تكرم سيادتكم ، وأرسلت لي هذه الاستنابة ؛ فإنك تكون قد أسديْتَ لي معروفًا عظيمًا بحيث إذا ما أخبرني في كل وقت ألا مال بحوزته فسوف أتمكن من زجّه في السجن .

في حالة عدم تمكنك من إرسال الاستنابة القضائية ؛ فأقول لسيادتكم أن تعتبرني من الآن فصاعدًا غير مسؤول عن شؤون هذه القلعة .

إنني لا أستطيع الدفاع عنها وحمايتها بمفردي ، ولأجل قيادة هؤلاء الرجال لابد أن أُمْنَح سلطات كافية كي أتمكن من التأكد بأنهم يستلمون أجورهم ؛ لأنني لا أملك أية وسيلة وإمكانيات لكي أكافئهم بها .

لعل سبب طلبي هذا من سعادتكم هو لأجل مصلحة خدمة صاحب السّموّ أن يمنحني سلطات أوسع من السلطات التي كان قد منحها لمن قِبَلي من القباطنة حتى الآن ، وبوسع "لجيرنالديم دي سوسا" أن يخبر سعادتكم لماذا ، لأن تلك أشياء لا يمكن كتابتها على الورق لأنها سوف تزعج سعادتكم وتكلفكم عناء القراءة .

نظراً لما يقوم به "بيرنالديم دي سوسا" وشقيقه من إطعام هذا الكم من الجنود في سياق ما تعانيه البلاد من فقر وعوز ، وبسبب ما بلغني عن سعادتكم فيما يختص بوعدك له كي ترسله هنا من باب التفضّل والمعروف ؛ فقد طلبت من الوكيل التجاريّ أن يعطي كل واحد منهما ثلاثمائة "بارادوسا" ، وأعتقد أن هذه مساعدة متواضعة جدًّا تجاه النفقات ، ولكني استرشدت بما فعلته له ، ولقد سلمت الوكيل

التجاري وثيقة تحسّبًا في حالة عدم موافقتك على دفع كل هذا المبلغ ؛ لأنني أعتقد هذا نوعًا من الإنصاف والعدل ، وربما يستاء سيادتكم إذا لم أتصرف كما ينبغي على ذلك النحو .

أقول بسبب ما بلغني من أن سعادتكم قد أشرت إلى أنك سوف ترسله إلى هنا من باب التفضل .

أعتقد أن الاستنابة القضائية ربما أصحبت طيّ النسيان ، أو ربما أرسلت بواسطة "قاسبار بيريس" الذي لا أعرف له وجودًا .

هنا ، لا أريد أن أتطرق بشيء عن موضوع "القطيف" ؛ لأن "بيرنالديم دي سوسا" قادم في طريقه إليك ، وسوف يبلغ سعادتك بكل شيء عنها وعن هذه المملكة أيضا ، ولقد سبق أن ناقشتها معه ، وسوف يطلعك على كل الأمور .

أما عن الأتراك ؛ فإن الأخبار التي تلقيتها هي كما يلي :

في العشرين من شهر سبتمبر أرسل لي خادمي الذي أرسلته إلى البصرة خطابًا يخبرني فيه أنه عندما كان يتجوّل في السوق في أحد الأيام طلب منه أحد المسلمين وكان قد وصل قادمًا من بغداد في مركب له في نفس اليوم الذي كتب خطابه لي ، وطلب منه أن يعود إلى منزله ؛ لأنه يريد أن يخبره عن أمور لها أهميتها البالغة بالنسبة لخدمة سعادتكم .

بالفعل ذهبا سويًّا إلى منزله ، وكان ما أخبره به هو أن يسارع بالكتابة لي ليبلغني أن سليمان باشا قد توفي منتحرًا بجرعة من السّمّ ، وكان قد أرسل بواسطة التركي إلى الهند ، وبمناسبة وفاته هذه اختفى جميع

أتباعه ورجاله ، وترتب على التركي أن يسعى لتجنيد عدد كبير من الجنود ، وسوف يقوم اليهودي في مصر بإرسالهم إليه .

بالفعل يعمل اليهودي على ترتيب هذا الأمر ، وعندما ينتهي من بناء سبعة أو ثماني سفن سوف يقوم بإرسالها إلى عدن ، ولقد أمره التركي بأنه في حالة عدم ذهابه إلى الهند فعليه إرسال ثلاثين سفينة إلى "راس الحد" للبحث عن السفن القادمة من الهند ، وكان الكابتن الذي تولى قيادتها من المسلمين واسمه "موكومو" وهو من رجال الدين (..........) .

عندما كان يمر مؤخّرًا عبر دمشق أبلغ أن "ديوغو دي ميسكويتا" "Diogo de Mesquita" قد أبرم اتفاقية سلام مع التركي مدتها عامان ، لكنه لم يصدّق هذا الخبر ، وأشار قائلاً إذا كنت غير راغب في أن يصدق مثل هذه الأخبار فيجب عليه أن يكتب إلى سعادتكم ويخبره أن اسمه خواجا محمد شمس ، وأنك سبق أن جبرت بخاطره ، وأفرجت عن واحد من التجار كنت قد احتجزته .

هذا ما كتبه لي خادمي ، فإذا كنت تعرف اسمه وسبق لك أن صنعت له المعروف الذي ذكره ؛ فعليك أن تصدق روايته ، لكنني لم أصدق ذلك على الإطلاق ، لكني ما زلت أعتقد أن أولئك الرجال يمكنهم أن يأتوا متى شاءوا ، ولا أرى أن هذه دلالة جيدة أن يتواجد اليهودي في مسقط لأيام عديدة (أو ربما لعدة أيام مضت)؟ كما لا أصدق أن أعمال بناء السفن ما تزال قائمة ، وعلى كل حال لم أتلقّ

أيّة رسالة من المضيق بأية وساطة ، كما لم أتلق أيضاً رسالة من الرجل الذي أرسلته إلى هناك .

لكن ما هو أكيد بالنسبة لي هي قناعتي الثابتة بأن أولئك الرجال سوف يأتون لا شك ، لكن لا علم لي بالجهة التي سيأتون منها ، أو متى سيأتون ، ولكن يجب أن يكون الرجل مستعدًّا في أيّ وقت ، وليس هنالك أصعب على المرء من القيام بأعمال شاقة بعدد قليل من المال والرجال وسلطات أقلّ وأضعف .

إن هذه القلعة سيّدي في أمسّ الحاجة لكميات وفيرة من البارود اللازم ؛ إذ إنه لا يتم استخدامه هنا في القلعة وحدها ، ولكن يلزم استخدامه في العديد من القلاع التابعة لهذه المملكة ، وكذلك لتزويد العديد من السفن التي كثيرًا ما تدعو الحاجة لإرسالها في كل ساعة ، وفي كل يوم .

بجانب حاجتنا لكميات البارود هذه ، هناك الحاجة أيضاً إلى ثلاثة أو أربعة زوارق ، والعديد من المراكب العاملة بالمجاديف ؛ لأنه حقيقة ليس بحوزتنا سوى اثنتين فقط ، المراكب المستخدمة هنا تؤول إحداهما إلى "أنطونيو دي ازفيدو" والأخرى إلى "بلشيور دي سوسا" ، والتي أمر سعادتكم بأن تؤخذ للملك .

أما البقية فكلها قديمة ودفاعية ، ولا تصلح للاستخدام في أي شيء ، ولا توجد أعمال صيانة قط ؛ لأنها مُكْلفة ، وربما تعادل ثمن شراء واحدة جديدة ، ويجب على سعادتكم أن تصدر الأمر إلى الوكيل التجاري ليقوم ببيعها ، ويمكنه أن يجد أحدًا يقايضها بالأخشاب .

لن يضير صاحب السّموّ أن يأمر بأن تكون تحت الحراسة والرقابة ، وعليه ؛ فمن الضروري أن ترسل لي سيدي ثلاثة أو أربعة زوارق ، ولتكن من أفضل الأنواع الموجودة هناك ، نظرًا لحاجة القلعة الماسّة لها .

سيدي ؛ يجب ألا تفكر في إرسال الجنود لي في فترة "مونسون" شهر مايو ؛ إذ بوسعهم أن يأتوا إليّ من المضيق لهذه المدينة في أي وقت ما بين شهر يناير وإبريل ، لأنه في العام الماضي كنت قد أرسلت لي سفينتين أصبحتا قديمتين الآن ، وسوف يكون الوقت مناسبًا للمجيء والرجوع .

أما الرجال الذين سوف ترسلهم فيجب أن يأتوا في شهر يناير أو فبراير ؛ لأن هذا هو الوقت الذي تكون القلعة في حاجة ماسّة لهم أكثر من أي وقت آخر خاصة الآن ، يبدو الطقس عاصفًا هنا ، ونتوقع هبوب رياح وعواصف عنيفة .

لقد أعلن ملك "لار" عداوته لنا ، أما الشاه فقد أعطى "موغستال" لواحد من القباطنة الذي قيل عنه إنه قادم في طريقه .

حتى الآن ظلت هذه المملكة تجد كل الحماية عن طريق المال ، وقد عانت كثيرا من الأضرار بسبب المماطلة ؛ لكن الآن لا بد من إيجاد وسيلة أخرى بديلة ؛ لأن مثل هذه الأعمال المنكرة والغطرسة والتعاظم لن تسمح باكتساب الوقت والمماطلة ، وبالتالي فما قررتُ أن أفعله هو إذا ما هاجم ملك "لار موغستان" حسبما أتوقع فيجب استدعاء سفرائه الموجودين هنا ، وإبلاغهم بأن يكتبوا إلى ملك "لار" ، ويطلبوا منه أن يترك "موغستان" وشأنها ، وبالمثل أراضي ملك هرمز في الحال ؛ لأن الملك لا يدين له بشيء .

إذا ما رفض ذلك فسوف أودعهم السجن ، وفي أيديهم السلاسل والأغلال ، إلى أن يكتب لي سعادتكم كي يخبرني بما عليَّ فعله – ، وإذا ما أوكلت لي المسؤولين فسوف أصدر الأمر بربطهم إلى أعمدة ثلاثة على شاطئ البحر ، دون أن أنتظر رسالة من سعادتكم ؛ لأنه ما من علاج آخر لهذه الأمور الآن غير محاولة اتخاذ علاج آخر .

ربما يجب أن يكون أقوى وأمضى ، لأنني كما أخبرتك أن هذه المملكة لن تستمرّ مستقبلاً في جني الأموال كما كانت تفعل ، وسوف يكون من الجيد أن يتحرّروا من الوهم ، ومن تلك الفكرة ، وربما يحدث من خلال هذا الإحباط أن يصبحوا أكثر عطفًا وودًّا تجاهنا .

حقيقةً ؛ فالشعور القويّ المتنامي هو ما يدوم طويلاً ؛ سيما وهذه المشكلة لن تعالج إلا من خلال حلول صارمة عنيفة .

يجب ألا يفكر سعادتكم أن أيّ فرد يمكنه أن يعيش هنا سعيدًا وهانئًا مرتاح البال كما يعيش المرء في "الكوتيم" "Al Coutim" .

كما أن طعم الحياة هنا ليس كمثل ذلك في "سانتارم" ؛ لأنني أقسم لك صادقًا أن هذه البلاد لها من المساوي ما يمكن للمرء أن يقول في حقّها إن جوهرة ذات قيمة عظيمة (..........) تجد الاعتبار ، ويجب أن تصدقني سيدي : إن أكثر ما أريده أن أذهب بعيدًا عن هذه البلاد – أكثر من أي قبطان آخر فَكَّر في هجرها ومغادرتها ، ولا يُعزى هذا لأنني أقَلّ طمعًا وجشعًا عنهم ، ولكن بسبب الزمن الذي يتغلب على الجميع .

إن المعروف الذي أطلبه من سعادتكم هو أن تجيب على جميع الرسائل التي أرسلتها لسعادتك برسالة قصيرة جدًّا ؛ لأنني متأكد

من أنها رسالة قصيرة بحيث إنها سوف توفر عليك الكثير من الجهد والإزعاج ، لأنني أكثر من يدرك المشاكل والصعوبات التي تخلقها رسائلي هذه لسعادتكم ، وهناك الكثير مما يدفعني كي أبتعد عن الكتابة أكثر من الإقبال عليها ، وبما أنني لن أتمكن الآن من خدمة سعادتكم ؛ فلا يوجد مبرّر لإزعاجك والإلحاح عليك ، وبالتالي لن أقول في هذه الرسالة أكثر من دعواتي للرّبّ أن يطيل في عمر سعادتكم ، وعمر مملكتكم ويمتعكم بالصحة .

من هرمز الحادي والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٥م .

وفي العام نفسه (١٥٤٥م)

بعث قاضي هرمز رسالة إلى سعادة حاكم الهند "جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، من هرمز في الثاني والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٥م ، يخبره بأن "القطيف" بيد نور الدين ابن الريس شرف والريس محمود في "البحرين" : [٢١]

سيدي – من قاضي هرمز

لقد كنتُ قد خاطبت سعادتكم بشكل مطوّل بواسطة "أنطونيو منديس" فيما يتعلق بما رأيته أنه ضروري لأخبرك به قبل أن يغادر .

الآن ؛ فإن "برناديم دي سوسا" على وشك الرحيل لذا فكّرت في أن أرسل لك بواسطته شيئًا من الأخبار إضافة لما أخبرتك به .

بعدما استولى على "القطيف" ، وقام بترميم وإصلاح ما تم تدميره

(٢١) رقم الوثيقة والهامش.

قدر جهده ؛ قام بتسليم البلاد والقلعة للريس نور الدين – ابن الريس شرف ، ثم أبحر بعيدًا بعدما أخذ معه جميع "البرتغاليين" ، وبهذا فقد أعطى الانطباع الجيّد والمشرّف عن شخصه كقائد ممتاز نبيل من خلال تصرّفه الرائع تجاه الريس محمود في "البحرين" ، وكذلك في الموضوع الذي ذهب لإنجازه ، والذي كانت نتائجه بفضل الرّبّ جيدة .

أما مجموعة الجنود الذين كانوا معه كـ"البرتغاليين" والمسلمين فقد كان شعورهم نحوه ودّيّاً ، ويُكنّون له الكثير من الاحترام والتقدير ، وآمل سيدي أن تكون كريماً سخيّاً تجاهه ؛ نظرًا لكل هذه الإنجازات ، فهو يستحق كل فضل وتقدير ، وهو حقيقة لا يدع أيّ شخص لا يكمل عمله بالصورة التي ترضيه هو .

لقد علمت من الريس نور الدين أنه قد التقى "مانع" بعدما غادر الكابتن "بيرناليدم دي سوسا" ، ولقد تم الاتفاق بينهما على إبرام معاهدة السلام ، ولقد قام أمانع بتسليم المنتمين للقطيف الذين يوجدون في "البحرين" جميع بساتين النخل والأراضي هناك ؛ تماماً كما كانت بحوزتهم وقت الاستيلاء على القلعة ، وفي وقت الكتابة أؤكد لك أن كل شيء آل إلى الهدوء والاستقرار في هذه المناطق .

لعل الكثير من هذه يُعزى للهزيمة التي ألحقت بمانع في مناطق البلاد الداخلية ، ولولا ذلك لواجهنا صعوبة جمة في الاستيلاء على القلعة ، وكذلك في استعادة الأراضي وبساتين النخيل ، والتي كما ذكرت عمل على تسليمها كاملة ، وعمومًا بوسْع سعادتكم أن تعرف بقية هذه المغامرة من "بيرناليدم دي سوسا" .

حسبما شاهدت أعتقد أنّ الرجال الذين أتوا إلى هذه القلعة قد اعتزموا جميعاً الإبحار إلى الهند مثل الذين جاءوا ضمن القوات التعزيزية ، والآخرين الذين قدموا لحزم أمتعتهم وأغراضهم ، وأعتقد أن مئتين من الرجال سوف يتخلفون هنا كما حدث في السنوات الماضية .

مِن ضمن هؤلاء مَن تقدم في العمر ، والمرضى والعُمْي ، والعاملين الذين لا هَمّ لهم سوى العمل لاكتساب المال لقوتهم ، وتظل هرمز دائمًا في حاجة لتواجد أربعمائة أو خمسمائة رجل يرابطون فيها بشكل ثابت .

هذا بالإضافة إلى وجود "فيدالقو" ، Fidalgo محترم ومتميز في مكتبه ، والسيد "لويس فالكو" شخص عرضة للموت كما هو الحال بالنسبة لنا جميعاً ، وإذا ما حدث هذا ؛ فإنني لا أعرف شخصًا يمكن أن يكون بديلاً له هنا ، ويجب على سموّكم أن يتذكر أن بغداد قريبةٌ جدًّا من هنا ، وهي مزوّدة بكل ما يلزم من المؤن والجنود والذخائر وكل شيء .

كما أن عدن تقع أيضا قريبةً من هرمز ، ومن هنا إلى هناك لا تستغرق الرحلة سوى ستة أو سبعة أيام فقط ، ونفس الشيء من هناك إلى هنا ، بالرغم من أنه قيل إن هذا لا يمكن أن يحدث إلا في فترة نشاط "المونسون" ، لكن هذه طرفة لا أكثر ؛ لأن السفن غير التجارية تأتي وتروح طيلة موسم الصيف ، حتى ولو استغرقت الرحلة مدة أطول من هناك إلى هنا .

إذا ما تم هذا ؛ فماذا يمكن أن يحدث بالنسبة للذين يستخدمون المجاديف؟ سيدي ؛ حقيقة ليس في مقدوري أن أفعل شيئًا في مثل

هذه الأمور أكثر من تذكيري لك ، ووضعها بين يديك لكي تتخذ القرار الذي تراه مناسبًا .

لقد قمتُ بتنبيه الكابتن بأن عليه ألا يسمح "لجورج دي سوسا" بالذهاب ، وعمومًا أرى أنه لا فائدة من تنبيهي له طالما أن العكس قد حدث .

كما قلت فكل هؤلاء المحاربين ، وسيادتكم تدرك كل شيء ، وسوف تفهم كل شيء آخر يمكنني قوله عن هذا الموضوع .

أعترف أنني أحسّ بالحسرة والندم عندما أرى الإهمال يطال هذه الأشياء التي نُعوّل وتعتمد عليها كثيرًا ؛ لأنها تهمني أيضاً طالما بقيتُ مقيمًا في هرمز ؛ سيما وعائلتي تعيش هنا والمساكن والمقدرات .

لن يصيب الضرر هذه البلاد دون أن أصاب به ، وبمعزل عن منصبي والذي يكون أحيانًا مميتًا وخطيرًا إلا أنني أقبل بهذا ، وهذه الملاحظات التي أقدمها لك تأتيك من رجل مَدينٍ لك بالكثير ، رجل نال وحظي بالكثير من امتيازات وأفضال سعادتكم ، ويتحدث وكأنه فرد من عائلتكم ، وما كنت أفعل ذلك لولا أن لديّ من الأسباب ما أفصحتُ عنها .

لقد تلقيت الآن الأخبار بوساطة البصرة ، وتفيد أن سليمان باشا قد أرسل من "القاهرة" عائداً إلى هنا ، وأنه قد مات مسمومًا ، وعمومًا لم آخذ هذا الخبر بجدّية لأنه ما من أحد جاء ويمكن أن أثق فيما يحمله من أخبار لكن سيأتي رجل وسوف نعرف منه ما يحدث هناك .

أدعو الرّبّ جل وعلا أن يطيل لنا في عمر سعادتكم .

من هرمز الثاني والعشرين من شهر سبتمبر ، عام **١٥٤٥**م

أنا – "القاضي" أقبّل أيادي سموّكم الكريمة .

إلى سعادة اللورد الحاكم

من قاضي هرمز

وفي العام نفسه (١٥٤٥م)

بعث الريس شرف رسالة إلى سمو الأمير "د . لويس" يشكره على الحفاوة والتكريم الذي استقبله به "د . جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، من "غوا" "Goa" في الثامن من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٥م ، يطلب حضور ابنه الريس نور الدين من "القطيف" إلى "غوا" في الهند : [٢٢]

صاحب المقام الرفيع سموّ الأمير :

إن الريس شرف خادم سموّكم يقبّل أيدي سموّكم الملكية ، وأقدم أخبارًا مفادها أن كل سفن الأسطول وما رافقها قد وصلت بسلام ، والشكر والحمد للرّبّ رافع السماوات العلا ، ولقد تلقيت في رحلتي العديد من مظاهر الحفاوة وكرم الضيافة من "د . جواو دي كاسترو "سعادة

(٢٢) رقم الوثيقة والهامش.

الحاكم" ، وأيضا من جميع "البرتغاليين" من عناصره وزملائه ، وحقيقةً ؛ لقد وجدت معاملة طيبة من الجميع ؛ فأحسست بأنني في موطني ، وأن جميع مَن حولي هم أهلي وبنو وطني .

إثْر وصولي في هذه المدينة تَمّ استقبالي على نحوٍ هزّ كياني ، حتى ذرفت الدمع على لحيتي البيضاء ؛ سيما وقد انهالت عليّ الامتيازات والمكرُمات بالإضافة لتلك التي حظيتُ بها من "البرتغاليين" منذ عدة سنوات .

عند وصولي قدّم لي سعادة الحاكم سفينة أرسلتها إلى هرمز لكي تأتيني بابني الريس نورالدين الذي يعمل في خدمة صاحب السّموّ للاستيلاء على "القطيف" ، بغية إعادة بناء القلعة هناك ، والتي كانت تؤول سابقًا لملك هرمز ، والتي كانت تمر بها جميع السفن والقوافل التجارية القادمة من مكة .

لقد سقطت أثناء وجودي في "البرتغال" وحتى هذا اليوم لا نعرف ما حدث هناك .

عندما يصل ابني إلى هنا ؛ فسوف يُبحر على الفور لكي يخدم سموّكم .

إنني أوصيك به كما أفعل لسيدي الملك ، وهو أمير رائع – ، وسوف أكون نادمًا على هذه الجرأة طيلة حياتي ، وأحَيّي فيه الخصال الحميدة

من هرمز سوف أكتب إلى صاحب السمو لأبلغه أخبار البلاد وأخبار خدمة مولانا جلالة الملك ؛ إذ ليس في مقدوري أن أفعل هذا من هنا ؛ لأنني لم أتلقّ أيًّا منها .

في الحقيقة لقد وجدت الهند بلادًا عامرة ومزدهرة بدرجة عالية ، ولقد دُهِشْت كثيرا وأعجبت بها لأنني في "غوا" رأيت "لشبونه" أخرى ؛ فأسأل الرّبّ تعالى أن تزدهر وتنمو أكثر فأكثر في خدمه دولة صاحب السّموّ .

دعواتي للربّ أن يطيل في عمر مولانا جلالة الملك ، ويمتّعه بالصحة ، وأن يبقيني أنا وأولادي طيلة حياتنا في خدمته ، وكل ما أتمنى أن نُفني حياتنا في خدمته .

"غوا" الثامن من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٥م

خادم سموّكم

الريس شرف

وفي العام نفسه (١٥٤٥م)

جـاءت مـذكرات كتبهـا أسـقف "بـادري" "Paderi" "ميجيل فـاز" "Miguel Vaz" عـن دولـة الـهند ، وقدمت للملك "دوم جواو الثالث" "D . Joao III" ، "إيفورا" "Ivora" في شهر نوفمبر عام ١٥٤٥م ، تبيّن إعادة المسيحية إلـى سوقطرة : (٢٣)

كانت جزيرة "سوقطرة" مأهولة بالسكان منذ قديم الزمان بواسطة المسيحيين ، وكان ذلك من عمل القديس "توماس الرسول" ، أولئك الناس وحتى وقت قريب فقدوا وأصبحوا في حاجة ماسّة لكل تعاليم وتعليمات الدّين ، لقد عوملوا بطريقة سيئة من قِبَل مسلمين معينين جاءوا إلى هناك ، ألقوا القبض على الفتيات المسيحيّات وحولوهنّ إلى دينهم بالقوة ، كتبت لمرات عديدة لسموّك عن الحلّ لهذا الأمر الشيطانيّ .

جاء الوقت الذي ستحل فيه رحمة ربنا ، فقد ذهب إلى هناك اثنان من الرهبان "الفرانسيسكان" لفترة ثلاث سنوات ، وكان هذا هو أول

---

(٢٣) رقم الوثيقة والهامش.

عمل لتحويل شخص من دين لآخر يقومـان به ، واجه هذان المسيحيان اضطهاداً بشعاً من قبل المسلمين حتى فقدا الأمل في نيل إحسان أو حماية المسيحيّين ، ورفضوا الإنصات لتعاليمهم "الفرانسيسكينية" ، وطلبوا منهـم الذهاب وتركهم لحالهم ، وإلا فسيعامل مسيحيو "سوقطرة" بأبشع معاملة .

كانوا يخشون ذلك لعدة أيام ، ولم يستمعوا لتعاليم و"دوروس الكهنة" ، وأكّدوا لهم بأنهم لن يتركوهم دون حماية وأن على المسلمين أن يبتعدوا .

بدأوا بعد ذلك في تعميدهم حتى أتمّوا ذلك ، وعلّموهم الصلوات ومعظم التعاليم الأساسية للدين والإيمان .

عاد أحد الرهبان إلى الهند ليرجو من الحاكم طرد المسلمين ، لكنه لم يكن قادراً على ذلك في الوقت الراهن ، لم يكن الراهب يريد العودة إلى "سوقطرة" لأنه لم ينجح فيما كان يريد القيام به .

وافق راهبٌ آخر على الذهاب ، ولست أدري ما كان يمكنه القيام به ، سيكون الأمر جريمة وذنباً عظيماً إن كانت كل تلك الأرواح التي كسبناها بعد تعميدها ودخولها في الدين سوف نفقدها مرة أخرى .

على سموّك أن تطلب من الحاكم بعدم ترك أولئك المسيحيين دون حماية والذين يقدّر عددهم بخمسة عشر ألف نفس ، دون حساب أولئك الذيـن ترعرعوا وكبروا ، وأن عليه طرد أولئك المسلمين من هناك ؛ حيث هم الآن بخلاف القادة كما شاهدهم الرهبان .

لــيس الأمر بأكثر من أن يأمرهم بالمغادرة لأن الأرض ليست ملكهم ، إنما أخضعوها بالقوة ، وهي إنما يملكها المسيحيّون ، كما أنّ على سموّك أن تطلب من الرهبان الإصرار فيما بدأوا وسأطلب نفس الشيء من الذين هنا [أ] .

(على الهامش) : رسالة للحاكم عن هذا تقول : إنّ عليه مناقشة ذلك مع الأسْقُف ، تخبره بأن يقوم بذلك بأفضل طريقة ، ومحذّرة له من المشاكل مع الأتراك ،

وأيضاً عليه استشارة "مارتيم افونسو دي ميلو"[ب] .

(أ) الحاكم "مارتيم افونسو دي سوزا" كان قد كتب سابقاً للملك في الثامن عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٤م عن موضوع سوقطرة .

"سموّك تكتب لي بخصوص سوقطرة . إن سموّك لم يطلع جيداً على أن الشيخ لا يحاول تحويل أي شخص لدينه الشخصي . كل الذي قام به هو ارتداد الفتاة التي قبض عليها لدينها . لا شك بنفس القدر أن ذلك سيكون في خدمة الرّبّ أن تطرده . لكن هناك القليل منا لحصد هذا العدد الكبير الذي يريد سموّك جنْي ثماره" .

أيضــاً "شيــخ سوقطرة هو ملك "قشن" ، والميناء الوحيد الــذي لنا في كل ساحل الجزيرة العربية هي "قشن" ، ولا يوجد ميناء آخر يمكن أن يستقبل سفينة برتغاليّة ، وهي آمنه مثل ميناء "غوا" ، بالرغم من أنها هوجمت كثيراً ، وهددت من قبل الأتراك .

يجب أن يستمر في صداقته لنا ؛ لأنه يضع قيمة كبيرة وإصراراً عظيماً على ذلك أكثر مما هو متوقّع من صديق مسيحيّ من كونه مسلماً" .

وكما يلاحظ ؛ فإن وجهة نظر الحاكم اختلفت إلى حدّ بعيد من وجهة نظر الأسْقُف العام .

(ب) "مارتيم أفونسو" كان في "البرتغال" في ذلك الوقت .

وفي العام نفسه (١٥٤٥م)

صدر امتياز منح رحلة إلـى هرمز إلـى المراقب "ديوجو ميريليس" "Diogo Mereles" ، وما يتعلق بالرحلات والأشخاص الذين ذهبوا فيما وراء البحار ، بتاريخ عام ١٥٤٥م ، ويذكر الوظائف الشاغرة : [٢٤]

مقتطف (امتياز منح رحلة إلى هرمز إلى المراقب "ديوجو ميريليس") .

منـح الحاكـم رحلـة بحرية إلى الصين إلى "أفونسو آيزيكيز" "Afonso Aisekes" الذي أخذ قارباً كبيراً لحمل الفلفل ، وأثناء الرحلة توقّف في "مالقا" التي كانت في الطريق ، وتَقابَل مع "روي فاز بيريرا" الذي كان القبطان هناك ، والذي قَضى نَحْبه .

رغب "ألونسو آنريك" "Alonso Enrique" في أن يأخذ مكان القبطان ، وبينما كان كل فرد في الجنازة ، أخذ بعض الرجال الذين

(٢٤) رقم الوثيقة والهامش.

كان في رفقته وانطلقوا في الدخول إلى القلعة وأصبح قبطانها ، حينما رأى القاضي (قاضي خاص) الذي قابله في القلعة حاملاً معه قائمة جَرْدٍ لمقتنيات القبطان المرحوم ، أن "ألونسو آنريك" أراد أن يدخل البرج ، خرج لملاقاته حاملاً معه حربة ، ومنعه من الدخول ، عند سماع صوت الجلبة ، أسرع "سيمان بوتيلو" للمساعدة مع كل الناس الذين كانوا في الكنيسة ، حاضرين جنازة روي فاز ، وسأل ماذا كان هو محاولاً أن يفعل .

على هذا ، أجاب بأن الأشخاص المتزوجين قد أعطوه نصيحة خاطئة ، وقد أخبروه أن يقتحم القلعة ، وأنه من الممكن أن يكون قبطانها ، حينما سمع "سيمان بوتيلهو" بهذا ، أخبره بأنه حصل على رسالة (ورقة) من الحاكم ، التي يجب عليه أن يفتحها لكي يعرف الجميع في الحال مَن الذي كان يمكن أن يكون القبطان ، هذا الذي فعله وعلموا أنه يمكن أن يكون "سيمان بوتيلهو" ، على الفور أمر "آلونسو أنريك" أن يبحر مع رجاله ، الأمر الذي نفَّذه ، مواصلاً الرحلة التي كان حاملاً معه فيها من أربعين إلى خمسين رجلاً .

أعطى تفويضًا برحلات بحريّة أخرى : بواسطة أحد مراقبيه الذي يسمى "دايو جو يليس" أيضاً إلى "بينجالا" ، ومن هناك إلى هرمز ، مارّاً بـ الهند ، وبواسطة "دون بيدرو دي مينزيس" إلى "كوروманديل" ، ثم بعد ذلك إلى "مالكا" ، وبواسطة "ديوجو سواريز" إلى "باتان" – بعد أن أعطى تفويضاً في وقت سابق لمرحلة أخرى إلى جزيرة "مدغشقر" ، لكي يمكث في الخارج لمدة ثلاثة أعوام ؛ لأنه لم يوجد شيء آخر لكي يفعله

هناك ، وأخرى إلى "بينجالا" ، ومنها إلى "مالكا" بواسطة "فرانسيسكو داسا" الذي كان مخوّلاً لكي يعمل كمبعوث للحاكم ، مع واحدة من سفن "الناو" واثنتين من سفن "الفوستا" ، وواحدة أخرى بواسطة فرد آخر من مراقبيه إلى "نيجاباتان" ، وأخرى بواسطة ضابط قد أحضره من البرتغال ، قبطان على ساحل "كروماندل" .

حيث أصبح غنيّاً جدّاً ، وأخرى إلى الصّين بواسطة "جوان رويز كارفالهو" مع وحدة من سفن "الناو" ، وأخرى بواسطة "دون فيرناندو دي نورونها" إلى الصّين ، واثنين من الرحلات البحرية إلى الصّين بواسطة "أنطونيو دي سا" ، التي باعها في "مالكا" ، وأخرى بواسطة "فيرنان دي سيلفا" ، وأخرى بواسطة "بيلشور دي سوسا" .

قام "فيرنان دي دي سوسا دي تافور" برحلة أخرى إلى الصّين لكن أخباراً وصلت هذه الأرض بأن "القشتاليين" كانوا في "مالوكو" ، وذهب إلى الحاكم لكي يقول بأنه لم يُرد أن يذهب إلى الصّين ، وأن يطلب بأنه يجب أن يتم السماح له بأن يذهب إلى "مولاكاس" ، الطّلب الذي تمت الموافقة عليه .

إنه هناك في الوقت الحاضر مع واحدة من سفن "الغاليون" ، واثنتين من سفن "الفوستا" ، ولديه مائة رجل معه .

إنهم ذاهبون في خدمة سموّكم ، وكل القباطنة الذين قد ذكرتهم أعلاه ذاهبون في هذه الرحلات البحرية فيما وراء البحار بناءاً على أوامر الحاكم لن يكسبوا مالاً كثيراً إذا هم لم يأخذوا كثيراً من الأشخاص معهم من الهند .

لذلك فإنّ سموّكم يمكن أن يطلب من الحاكم تقارير منفصلة عن ألف وستمائة رجلٍ الذين يتم تسجيلهم ، باستثناء بعض الخسائر ، القديمة أو الأشخاص الموتى التي يمكن أن تصل إلى أربعة آلاف رجلٍ ، وهذا في الحقيقة لهامش كبير ، وكما أعتقد لن يوجد ذلك العدد الكبير ، حينما ذهبنا إلى "باجودا" كان عددنا ثلاثة آلاف رجلٍ بالإضافة إلى ألفين وخمسمائة رجلٍ متزوجٍ ، لأن العساكر لا يمكن أن يوجدوا في الهند .

أنه بسبب كل هذا ، فإنني أقول لسموّكم أن تطلبوا تقريراً من حاكم الشعب .

مقتطف آخر (صفحة ٢٠٥) : إرسال مركب "ناو" "الخواجا ساما الدين" إلى هرمز .

(فصل عن "خوجا ساما الدين")

إنّ المال الزائد عن الحدّ الذي امتلكه خواجا ساما الدين كان يعود ملكيته إليكم ، لكنه كان ماكراً جدّاً لدرجة أنه خدع الحاكم بشكل تامّ ، حينما أدرك الأخير بأنه قد تمَّ الاحتيال عليه ؛ حاول أن يلقي القبض على المغربي لكن بعد قوات الأوان ؛ لأنه قد وجد فعلاً ملجأ في "كانانور" ، إنه لا يزال هناك ، ومن هناك أرسل سفينة "ناو" شراعية في العام الماضي إلى الهند (من هناك لم يتم تحميل أي شحنة بضاعة في رحلة العودة) ، وأخرى إلى مكة ، وثالثة إلى ساحل هرمز .

لم يأت أحد من هؤلاء الرحلات البحرية بشيء فيما عدا بعض المقتنيات الشخصية لأطقم السفن ، في هذا الشتاء الأخير ، أرسل مبلغ مائة وعشرين ألف "باردو" عن طريق البر إلى "باتيكالا" ، واختفى

واحد من إخوته من هناك قبل شهر ، حاملاً شيئاً معه ، الله وحد يعلم ماذا معه .

إنّ سموّكم يمكنه أن يحاول جعْل هذا الرجل سجيناً حتى لا يستطيع أن يغادر ، كما هي رغبته ، ويأخذ معه ما يخصّكم ، فالشخص الذي يجب أن يُلقى عليه اللوم بسبب كلّ هذه المشكلة هو "مارتن أفونسو دي سوزا" ، الذي قد ألقي القبض عليه وأطلق سراحه مرة ثانية .

مقتطف آخر ، صفحة ٢٠٩ : وظيفة شاغرة لمدير في "قلهات"

"فصل فيما يتعلق بالتعيينات و(الهدايا)"

إليكم الوظائف الشاغرة في الوقت الحاضر التي سوف يتم ملؤها بواسطة الأشخاص المرشّحين من قِبَل الحكّام ، وليس من قِبَل سموّكم ، يمكن لعدد كبير من خدمكم أن يُسَرُّوا جيّداً بأيّ واحدة من هذه التعيينات ، ويمكنكم أن تطمئنوا عليهم .

وكيل بضاعة في "تشول" .

وكيل تجاري في "إيستميل" التي تقع على مسافة خمسة ليجا في أعلى النهر من "تشول" ، والتي يمكن أن تعطي دخلاً بمبلغ أربعة أو خمسة آلاف "باردو" .

وكيل بضاعة في "كوتشين" .

وكيل تجاري لدى "قاليات" ، التي هي وظيفة ممتازة : لدرجة أنني أُفضلها على بعض الوكالات التجارية المعطاة من قبل سموّكم .

كاتب في سفينة "ناو" "سيلان" الشّراعيّة

كاتب في سفينة "ناو" "بنجالا" الشّراعيّة

كاتب في سفينة "ناو" "مالكا" الشّراعيّة

كاتب في سفينة "ناو" "باندا" الشّراعيّة ، ولا يمكن لسموّكم أن يعتبر وظيفة كاتب مثل هؤلاء الوظائف ذات الأهمية القليلة ؛ حيث عين الحاكم واحداً من خدمكم في هذه الوظيفة "مالكا" الشّراعيّة ، واستمر لمدة عام واحد لكي يأتي ويذهب ، وفي ذلك العام جلب من ثمانمائة "باردو" .

كاتب في سفينة "ناو" "تيجا" الشّراعيّة .

مفتش أوزان ومكاييل في "مالكا"

كاتب دائرة جمارك في مالك .

مفتش دائرة جمارك في "مالكا" ، وهذه وظيفة جيّدة جدّاً ؛ لأنها دار جمارك كبيرة ، والتعيين هو لمدة ثلاثة سنوات ، وليست بشكل دائم مثل تلك التي في "غوا" .

كان رجلٌ يسمى فيرنان ، الآن متوفّى ، هو المفتش ويتقاضى ما يزيد على خمسة وثلاثين ألف "كروزادو" .

إن التعيين من الممكن أن يتم تنفيذه لفترات أكثر من ثلاثة أعوام ؛ لأنه بفعل هذا سوف يكون رجال كثيرون قادرين على الاستفادة منها .

وكيل بضاعة في "مالكا" ، فهذه جزيرة تتوقف فيها سفن "الناو" ، وأعتقد أنه تمَّ القيام بغرض الضرائب في الماضي أنتجت دخلاً بمبلغ سبعمائة "باردو" .

مفتش أوزان ومكاييل في "مالوكو" .

ناظر وقائد بحر "كانانور" .

قائد البحر في "غوا" : دع هذه تعطى إلى رجل صديق لله ولسموّكم ، دائماً يأتي في قارب "كاتور" ، والذي لن يسمح لأيّ سفينة أن تذهب إلى "كامباي" بدون تفتيشها بنفسه ، وإذا هي لم تمتلك شهادة منكم موجّهة إلى القلاع ، وفي حالة إيجاد سفينة بدون هذه الشهادة ، فإنه سوف يصادرها هي وبضاعتها ، ويحتجز الأشخاص .

بهذه الطريقة يستطيع المرء أن يتجنّب الحدوث اليومي للبضاعة الممنوعة الكثيرة جدّاً الذاهبة إلى "كامباي" ، سواءً إلى المسيحيين وإلى العرب ، وذلك هو لماذا أخبركم أن رجلاً كُفؤا في الحقيقة محتاجٌ إليه لهذه الوظيفة .

مقتطف آخر ، صفحة رقم ٢١٥

تُثمر هرمز ناتجاً بمبلغ مائة ألف "باردو" ، وتمَّ إخباري من خلال تاجر استفسرت منه عن هذا الناتج المنخفض أنّ ذلك حدث لأنها كانت في أيدي العرب ، إذا أمرها سموّكم بأن تنتج نفس المبلغ مثل دور الجمارك الأخرى ، فإنها يجب أن تنتج أربعين أو خمسين ألف "باردو" أكثر مما تنتج في الوقت الحاضر ، ولذلك فلا ينسى سموّكم أن يأمر بأن تُحسّن الدخل .

وفي العام نفسه (١٥٤٥م)

بعث قاضي هرمز رسالة إلى حاكم الهند ، من هرمز في الثامن عشر من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٥م ، يذكر له وضع ريس شرف في البرتغال ، وكذلك يذكر له طهماسب ملك فارس : (٢٥)

من قاضي هرمز

سيدي لقد كتبت مخاطباً سعادتكم بواسطة "جيرونيمو دا إسكوبار" الذي غادرنا في الثامن من هذا الشّهر ردّاً على خطابك الذي شرّفتني به بإرسال السفينة التي حملت لي أخبار وصولك بالسلامة ، ووصول عمّي الريس شرف .

الآن تقتضي الضرورة أن اكتب إليك بخصوص الكثير من الأمور بشكل مطوّل ولي عزر سعادتك إذا ما أسهبت الحديث في هذا الخطاب

(٢٥) رقم الوثيقة والهامش.

لأن الأوضاع الآن في هرمز أصبحت معقّدة كثيراً مع "البرتغاليّين" بحيث أصبح لزاماً على "القاضي" وحده أن يوصل أخبار "البرتغاليين" للحكام ، وهذا لم يكن يحدث في الماضي ؛ لأن المملكة وحكوماتها ومراكز الجمارك كانت تدار وتأتمر بأوامر "القضاة" والأمراء في البلاد ، لكن بات الأمر مختلفاً جدّاً في الوقت الراهن ؛ لأن مراكز الجمارك آلت إلى نفوذ مولانا جلالة الملك .

يتم ترتيب الأمور الأخرى بموجِب أوامر المجلس وقرارات القباطنة والوكلاء التجاريين والمسؤولين الآخرين والسادة الحكام ، الذين يطالبون بالتقارير عن كل شيء ، وكل صغيرة أو كبيرة ، وبوُسْع سعادتك التحدّث مع السكرتير "أنطونيو كاردوسو" كي تعرف ماذا تم وحدث أثناء فترته في الماضي .

أما بالنسبة لتحركات الريس نور الدين ، فقد أبحر إلى "القطيف" قائداً لمجموعة الجنود من هذه البلاد ، وقد غادر برفقة "بيرنالديم دي سوسا" ، ولقد خدم مولانا جلالة الملك وملك مملكة هرمز بشكل عظيم هناك ؛ حيث تمكّن من الاستيلاء على القلعة ، وبعدها توقيع معاهدة السلام التي أبرمها مع حاكم "لاكال" بعدما غادر "بيرنالديم دي سوسا" ، لكنه عاد وهو يشكو من مرض ما زال يعاني منه حتى الآن ، ومن المحتمل جدّاً أن يحصل على إجازة من عمله لكي (.........) من الآخرين .

أعتقد أنه سوف يقدّم لسعادتكم تقريراً جيّداً عن أعماله ، وإنني على يقين تام سيدي - إنه إذا مات - لا سمح الربّ - فإن الريس

شرف سيفتقد ابناً رائعاً ، وكذلك نحن ؛ لأن حياته وصحّته قد تأثرتا كثيراً بمرض حمى "البحرين" وهو مرض خطير وعضال .

أرى من الأفضل لنا وللكابتن "لويس فالكو" أن ترسل الريس ركن الدين شقيقه الأصغر والذي عاد مريضاً أيضاً من "القطيف" ، لكنه يبدو مستعدّاً وحادباً على القيام بأي عمل يحقّق له الامتياز والتشريف .

يوجد بعض المسلمين أيضاً في أوساطنا وهما شخصان مميزان ، وإذا ما رغب صاحب السّمّو مستقبلاً في تعيين شخص مثل عمي فأرى أن أيّاً من أبنائه أو أقربائه سوف يفي بالطلب ، لأننا جميعاً عناصر لصاحب السّموّ .

إن ذلك الشّابّ الذي أعَدّ نفسه ورتّب أمره سوف يغادر هذه المنطقة بنهاية شهر رمضان الحالي - اليوم هو الثالث عشر أو الرابع عشر من رمضان ، لكن يتوقف هذا على شفائه من مرضه ، وحينها يمكنه الإبحار في إحدى السفن لكي يأتي إليك ويَمْثُل أمامك ، وأصدقك القول بأنك سوف ترتاح لهذا الشخص عندما تراه وتقف على استعداده وحماسه للعمل ، وهو ليس أقل كفاءة عن الريس نورالدين .

لم يكتب لي عمي الريس شرف كي يخبرني عن ظروفه والتزاماته في "البرتغال" ، لكن يردد الناس هنا ويشيرون إلى إنها التزامات متعددة ، ويسود هنا نوع من عدم التفاؤل ، لأنه مرّ الكثير من الوقت ، ولا بد لسيادتكم أن تساعده كي يفي بها لأنه رجل تقدَّم به العمر ومعسر .

كما أقول إنه لا يجد إلا القليل من المساعدة في هذا البلد بخصوص شؤونه ، فقد مضت خمس أو ست سنوات وما زال يعاني من ديون

ثقيلة ونفقات أدّت إلى إفلاسه ، وعلى سبيل المثل : إبراهيم خان وحده الذي هاجم "موغستان" قد حصل على ألف خمسمائة "ليقوس" من المملكة ، وما زالت هنالك خمسمائة "ليقوس" أخرى متبقية وفق ما نصّت عليه اتفاقية السلام ، ويوجد في هذه المدينة أحد وكلائه يطالب بها ، وحقيقة لا أرى وسيلة في الوقت الراهن لدفع هذا المبلغ .

في بداية الحرب في "موغستان" كان القائد "مارتيم افونصو" ليتولى قيادة جنود هذا البلد وكذلك الجنود "البرتغاليين" ، وما حدث كان قد جاء مخالفاً لتوقّعاتنا ورغبتنا ، الآن حوالي خمسمائة أو ستمائة من جنودنا قد قتلوا في المعركة ، وعندما تحرك "بلشيور دي سوسا" على رأس خمسمائة أو ستين من "البرتغاليين" للدفاع عن "ميغاب" تمّت هزيمته في الطريق بواسطة فرقة مكوّنة من خمسمائة من خيّالة إبراهيم خان .

لم تكن هنالك من وسيلةٌ للانسحاب للسفن ، لقد انقلب الوضع بشكل خطير ، وتم الاستيلاء على قلعة "ميناب" ، وكان لزاماً عليَّ ومن الضروري أن أسعى لترتيب اتفاقية سلام نظراً لما آلت إليه الأوضاع ؛ فقد انسحب "مارتيم أفونصو" ووافقت على القرار الذي اتخذه أعيان المملكة خوفاً من أن يضيع كل شيء من بين أيدينا ، ليس فقط مقدّرات "موغستان" وبساتين النخيل التي بدأت بالفعل تتلف وتتردّى ، وإنما أيضاً احتمال تضرّر مصالح مولانا جلالة الملك ؛ سيما في ظل انقطاع وعدم وصول القوافل التجارية إلى هذه المدينة .

في التحاور والتفاوض مع "شاه طهماسب" لا يمكن للمرء أن يناظره في أمور الحرب ؛ إذ من المعروف أنه رجل حرب عظيم ، وبالتالي فإن

هذه الاتفاقية التي أمكننا أن ندفع مبلغ ألف "ليقوس" فقد دُفعت على حساب السكان .

بالإضافة إلى أن هنالك عدة ديون مستحقة يجب تسديدها في "غوا" لملك "شارقول" شاه ، وقد دفعت معظمها من عائدات هذه المملكة ؛ فالرّبّ وحده يعلم أن ما يفي منها قد أخذه الأمراء والخواجات وأعيان البلاد الذين لا يملكون شيئاً غير دخولهم السنوية "سناهيات" و"المكاريات" ؛ لأن جزيرة هرمز ليست سوى جزيرة تخلو من كل شيء إلا الرمال والملح .

أنفق أيضاً الكثير على احتلال قلعة "لوعة" التي بناها "آبيم جيري" في "صحار" وهي حوالي مائة وخمسين "ليقوس" كان أخي الريس عبيدين قد حصل عليها في العام الماضي ، كما أنفق الكثير أيضاً على الأسطول الذي أبحر لاحتلال "القطيف" ، وهي تقريباً حوالي ثلاثمائة "ليقوس" ؛ لأن الوكيل التجاري لم ينفق "تانقاً" واحداً من مقدّرات مولانا الملك في هذه الحملة .

لم يتم سوى استخدام خمسة مراكب فقط ، والبقية فقد قمت بتزويدها من الموجودات الخاصة بي مع الاستعانة ببعض أصدقائي الذين أقرضوني المال لمواجهة هذا الموقف ، وهي أموال ما زلت مطالَباً بتسديدها .

سيدي ..

سوف أكون شاكراً وممتنّاً جدّاً لسعادتكم إذا ما أصدرت استنابة قضائية توجب تعويضي من دخْل المملكة حسبما تراه مناسباً ، وهو

مبلغ أربعمائة وخمسين "ليقوس" أنفقتُها على هاتين القلعتين ، ولقد أحصيت تلك النفقات بواسطة أمين خزينة المملكة ، وذلك وفقاً لأوامر صدرت سوف يُقدَّم تقريرٌ بشأنها .

لقد حدث أيضاً أن الحاكم "مارتيم افونصو" أصدر أمراً بضرورة أن تؤول مراكز الجمارك هنا لملكية مولانا جلالة الملك ، وفي الماضي كانت معظم هذه الأشياء تتم تغطية نفقاتها من دخول مركز الجمارك ، لكن الآن لم يعد الأمر كما كان عليه قديماً .

إذ لا يُسْمح باستغلال ريالٍ واحدٍ من تلك المراكز ، ويمكن لسعادتكم أن تَطّلع على هذا الأمر ، وتتأكد منه من السكرتير ، وتعلم بطبيعة الظروف التي حَدَثْ بملك هرمز تسليمها ، وخلاصة الأمر هو أن .... ، المعتادة – ورسوم القوافل التجارية والنفقات العادية ، وكل شيء كان يتم دفعه منها يجب دفعه ، على أن يبقى ما تبقى مع الوكيل التجاري .

هذا الفَرَمان لم يراع فقط بالنسبة لهذا الموضوع وهو الموضوع الرئيس ، ولكن علمت الآن أنه تم الخروج منه ؛ لأنه يقرّ أيضاً أن المسؤولين المسلمين الذين يعملون في مركز الجمارك لا يجب أن يصار على تبديلهم أو إزالتهم من مناصبهم ووظائفهم ، وفوق هذا قيل هنا إن منصب قاضي الأوزان في مبنى الجمارك قد أُعطي للبرتغاليين .

أعرف أن هذا المنصب كان يشغله ولأكثر من عشرين عاماً خواجا باباك شاه وهو رجلٌ عريقٌ ومحترم ، شهد الجميع له بالأمانة والإخلاص والاستقامة ، وهو واحد من أرفع النبلاء مقاماً في البلاد ، والذي لا يمكن أن يفضّل عليه أحد آخرُ .

عموماً هذا ليس عدلاً ، وفي سياق ما يُمْليه الضمير آمل أن يُقْدم سعادتكم على إصدار الأمر بعدم السماح لأي برتغالي أن يُوَظّف في أي منصب في مركز الجمارك ، وبشكل خاص هذا المنصب لا يجب أن يؤخذ من الشخص الذي وصفته ، والذي يشغله الآن ، ولعل رجائي هذا يأتي من باب الإنسانية والشفقة والخوف من الرّبّ .

أما بالنسبة للملكة فيبلغ الدخل السنوي خمسة وأربعين أو ستة وأربعين ألف "باردوس" "ساديس" تنفَقُ كلها في النظام الاقتصاديّ ، وبوسع سعادتك التأكد من هذا الأمر من السكرتير الذي اطّلع على الواردات والنفقات .

سيدي ...

حتى هذا الوقت كنت قد حكمت البلاد على قدر جهدي ، ولقد أحدثت عدة تطورات في المدينة ، وهي الآن تنعم بالاستقرار والسلام مع جميع جيراننا ، وخلال فترة حكمي قمتُ بإدارة الحرب بأفضل ما يكون ، وتمكنت بفضل الرّبّ من انتزاعها من خان شيراز .

كما تمكنتُ من انتزاع بعض القلاع من لصوص "موغستان" ، كما استوليت على "القطيف" من قبضة "أبيم جير" ، وشيء آخر قدمته لمدينة هرمز هذه هو بناء صهريج ضخم ، وبالمثل بناء امتداد السور الذي اكتمل مؤخراً ، وتجدر الإشارة إلى أن خدمة مولانا جلالة الملك تجد كل الرعاية ، وتُؤدّى بكل التفاني والإخلاص في مركز الجمارك منذ أن أصبح ملكا له .

أما بالنسبة للسلطات المخوّلة لي فإن الأوامر التي تركها السكرتير

مؤخراً يتم الالتزام بتنفيذها بشكل جيد ، وبما أن عمي الريس شرف قد سلم لي مقاليد الأمور في هذه البلاد عندما غادر ؛ فقد حافظت على الأمانة بكل نكران للذات ، والشّكر للرّبّ على نعمه وفضله بإعادته لنا الآن إلى البلاد .

لقد تمّ عزل خواجا إبراهيم من منصب قائد الحرس ؛ فقد مضى عدة شهور لأنه بلغ من العمر سنّاً معينة ؛ لكن لم يتم قبول أبنائه للعمل في القصر ؛ لأنهم أقدموا على فعل أمور لا يليق أن أكتب لك عنها في هذه الرسالة ، أما الريس نور الدين وهو الابن الأكبر للريس شرف فقد تم تعيينه في منصب أبيه ، ويبدو أنه مناسبٌ جدّاً للمنصب .

وصل الآن قرار قضائي من "مارتيم افونصو" مؤكّداً من سيادتك مفيدٌ بإعادة المنصب له ؛ لكن شريطة ألا يسمح بدخول أبنائه القصر الملكيّ ، وبالرغم من هذا فقد أمرته بقبول المنصب بناء على نص الأمر القضائي الصادر ، مع أنه تبين لي أن تلك لم تكن بالفكرة الصائبة ؛ لأنه من غير أبنائه إلى جنبه لن يقوم بأداء عمله كما ينبغي ؛ لأنه أفضل لمن بلغ مثل عمره هذا أن يلزم المسجد بدلاً من البقاء عند باب الملك .

ظلّت رسوم التنكات والسفن التي تقدّمها هذه المملكة إلى "الشاه طهماسب" والزعماء وغيرهم من فارس وبلاد العرب ؛ تُدفع بموجب أوامر "القاضي" ، وعندما آلت للسكرتير شؤون مركز الجمارك الذي يوفّر ويدفع الأموال لتلك الفئات ؛ أصبح يسلّم تلك المدفوعات إلى الوكيل بحيث تدفع في حضوري إلى السفراء .

قد ظل يقوم بهذا العمل لمدة عام كامل ، لكن كانت هناك

احتجاجاتٌ وشجب ضدّي رفع إلى الكابتن ، وقد قام "مارتيم افونصو دي ميلو" بإبلاغ الأمر إلى سعادة الحاكم "مارتيم افونصو دي سوسا" في الهند ، وبسبب هذا ولأسباب أخرى أعطاه السكرتير أمراً بأن يصار إلى إحصاء جميع النفقات ، وتبيّن أنها بلغت حوالي عشرين ألف "زرافيناً" .

من ثَمّ أمر بأن يتمّ دفع هذا المبلغ لأمري من المحطة التجارية ، على أن أقوم بالدفع للسفراء ، وكنت أقوم بذلك بموجب وثيقة قانونية ، ولكن بما أن الأمر القضائيّ أشار فقط للسفراء ؛ فقد أخبرت الوكيل أن مستحقات مسؤولي مركز الجمارك والآخرين ، ومستحقات "موغستان" لم إليها ، وعليه أن يقوم بدفعها إلى أن يصلنا توضيحٌ من الهند ، ولقد قدمت هذا الطلب لأنه حقيقة لم يكن السفراء يتلقّون هذه المدفوعات بشكل شهري حسبما نصّ عليه الأمر ، ولكن يتم في معظم الأحيان بعد مضي ثلاثة أو أربعة شهور .

كان البعض منهم يستلم مبالغ إضافية لقاء أعمال الصيانة وعلف الدوابّ ، بالإضافة إلى ما كانوا يستلمونه عندما كانوا يأتون إلى مركز الجمارك ، وليس في المركز أموال تذكر .

أيضاً ؛ هنالك نفقاتٌ إضافية أخرى للسفراء ، وعندما كنت أدفعها لهم يبدو عليهم الرضا والقبول ، فيرحلون دون أن يتجهوا للقلعة ، أو يمارسون ضغوطهم على القائد ، كما يفعلون دائماً عندما يدفع لهم في المحطة .

الآن تلقينا أمراً قضائياً آخر معتمَداً من قِبَل سعادتكم ؛ حيث ورد الأمر لي أن أعطي أحد عشر ألف "بارادوس ساديس" ، وذلك كي أدفع مستحقات ستة عشر سفيراً ، بالإضافة إلى صهر الشاه طهماسب .

هكذا يصبح العدد سبعة عشر شخصاً ؛ لكن لا يمكن تنفيذ هذا الأمر نظراً لوجود أشخاص ومستحقين آخرين ، وحتى لو افترضنا أن هنالك بعض الناس ؛ لن نقوم بدفع مستحقاتهم نظراً لأنها ضئيلة ، ويمكن تأجيلها في الوقت الراهن - ، وهذا شيء لا أنصح به ؛ فإن معظم أولئك الموظفين والأشخاص الذين تم تجاهلهم هم حقيقة يقيمون في مناطق على طرق القوافل .

لا يستبعد أن يعملوا على الثورة وخلق الاضطراب ؛ لأنهم لا يعترفون بأية سلطة سواءً كان سيداً أو ملكاً ، وربما تسببوا في الكثير من الضرر للقوافل ، وهذا ليس بالأمر الجديد ؛ إذ سبق أن قاموا بمثل تلك الممارسات ؛ لذا فمن الضرورة بمكان أن يصار إلى دفع مستحقات جميع الأشخاص الذين تم حصر أسمائهم في القائمة في اللوائح الداخلية التي دُوّنت بواسطة قاضي المملكة بعد دراسة وتمحيص .

أود أن يعلم سعادتكم أيضاً : لم يتم إلا توفير القليل لمولانا جلالة الملك من جراء النص الجديد للمرسوم الأول الذي بموجبه قمتُ بالدفع لهم ، لقد ظلوا يسلّمونني عشرين ألف "زرافيناً" ، والآن أبلغوني أن أدفع أحد عشر ألفاً "بارادوس ساديس" ويقوم الوكيل بدفع ألفين للملك لقاء الملابس ، وخمسمائة إلى مير أحمد شاه في "موغستان" ، وخمسمائة أخرى إلى المترجم ، ومئتين إلى "الزابندار" و"ساكا دورز" ، وأربعة آلاف إلى موظفي مركز الجمارك ، وهكذا تصبح الجملة تسعة عشر ألفاً ومئتين "بارادوساً" .

بالتالي يمكنك أن تلاحظ أنه لم يتبق سوى القليل فقط ، وفي واقع الأمر

فإن الأخبار التي كتبت بواسطة الوكيل هي أن ترجع المدفوعات التي تسلّم إلى المحطة إلى هنا مرة أخرى حتى نوفّر شيئاً منها من خلال إعطاء بضائع كمدفوعات بأسعار عالية ، وبأكثر من قيمتها التي تشترى بها في المدينة ، وهذا الأمر كثيراً ما أصبح السفراء عليه ، هذا إلى جانب الإزعاج الذي يسبّبونه للقائد وهم لا يغادرون القلعة بتاتاً إلا للمطالبة بالجزية .

سيدي ...

إنني حقا سعيد بأن أدفع لهم ، وكذلك الأمر بالنسبة للريس شرف بمبلغ العشرين ألف "زرافيناً" بموجب الأمر الأول - ، وكما ترى فإن الأمر الأخير أوصى بمبلغ تسعة عشر ومئتين .

لقد أصبح من المعتاد أن تشهد الخلافات ما بين "القاضي" والوكيل ، وكنت أتحمل ذلك بصبْر نافذ ، وبقدر الإمكان ؛ لكن بالكثير من الاستياء وعدم الرضا ، ولا أعلم كيف سيتمكن الريس شرف من التعامل في هذا الأمر ، وبينما أجد نفسي مهتماً بهذا الأمر فإنني أحب أن أذكّر سعادتك بضرورة إيجاد الحل فيما يتعلق ببغاء هذا الوكيل في مركز الجمارك ؛ لأنه عمّي ، وبحكم تقدمه في العمر لا أعتقد أنه سوف يتحمل كل ما لحقني من ضرر .

لقد أبلغوني أيضاً - بالرغم من أن هذه أمور أتت من أناس لا أثق في أقوالهم - أن هنالك تغييرات ستطبق في حق البعض من المسؤولين "البرتغاليين" الذين يشغلون مناصب ثابتة في هذه المدينة ، كان قد منحها لهم مولانا جلالة الملك ، وآخرون قاموا بشرائها من حُرّ أموالهم ؛ لأنهم كانوا هنا منذ البداية .

في هذا الأمر أذكّر سعادتك أنه قبل الشروع في عمل مثل هذه التغييرات يجب عليك أن تستمع للأطراف المعنيّة ، لأن الأخبار البعيدة بالإضافة إلى غياب المعنيين تزيد الأمر سوءاً فأشرار القوم هم الذين يتحدثون كثيراً ، وخيارهم هم الذين يلتزمون الصمت .

إنني أذكّرك بهذا الأمر سيدي بصفتي خادمك ، وربما كانوا لا يستحقون أن أفعل لهم ذلك ؛ لأنه من الصعب إرضاء هؤلاء "البرتغاليين" ؛ لكنني أكتب هذا الخطاب ليس بصفتي قاضي ، وإنما بصفتي خادمك ، وكل ما أرغب فيه أن تكون كل خطوة تُقْدم عليها كواجب عليك ؛ أن تكون بهدف إرضاء الرّبّ ، وإرضاء مولانا جلالة الملك .

منذ مُضيّ عامين كان الشيخ ربيع مسؤولاً عن قيادة "قلهات" ومسقط ، وليس لديّ ما أقوله سوى أنه يقوم بدفع بعض المال إلى ملك هرمز ، والآن يشن ملك "دامام" هجوماً عليه ، وقد تمكّن من قتل أكثر من ثمانين من رجاله ، واستولى على مقدراته وبعض الخيول .

هكذا لم يعد موقفه مقبولاً في البلاد ، ولقد وافقنا على تزويد القلعة بقاضي جديد خواجا محمد حسان ، وهو أحد النبلاء والقادة في البلاد ، وأفيدكم سعادتكم بهذه الأخبار ؛ لأنني أعتقد أن منطقة هامة كأهمية "قلهات" لابد أن يكون لها "فيدالقو" في كل عام ؛ لأن المملكة لا يوجد فيها سوى القليل من الممتلكات .

بالأمس الموافق السابع عشر من هذا الشهر تم استدعائي للحضور في القلعة ، وهناك وجدت القائد مع مجموعة من "البرتغاليين" يحاولون منع التجار القادمين من فارس من دون أن يحضروا الخيول – أن يعبروا

إلى الهند ، وقد كانوا جميعهم أو الغالبية العظمى منهم متفقين على هذا الأمر ، وحقيقةً كانت لهم أعذارٌ ؛ لأن كل واحد منهم يرغب في بيع بضائعه .

أما أنا سيدي – فقد اعترضت على ذلك لعلمي أن ذلك يمكن أن يسبب للمملكة خسائراً فادحة .

أولاً : لأن "الشاه طهماسب" لن يروقه هذا ، ولن يرى في ذلك أيّ شيء إيجابيّ لأنه حليف لنا ، وهو شخص يجب علينا عدم تجاهله .

أيضاً : بسبب وجود المخاطرة بالنسبة لعائدات مركز الجمارك ؛ إذ من المؤكد أن الخبر عندما يصل إلى فارس فسوف يكون ردّ الفعل أن فارس ستمنع العديد من تجارها من القدوم إلينا ؛ فالتجارة مع فارس يجب تشجيعها ؛ لأن ما يصل إلينا من البصرة يؤول تدريجيّاً للضياع .

أما التجار الأتراك فإنهم يتجهون إلى مضيق مكة ، وهذا ما رأيناه في العديد من السفن التي تتجه إلى "ديومن" ذلك المضيق ، ثم تعود أدراجها مرة أخرى ؛ فتلك السفن أو معظمها بات عندما لا يتسنى لها العبور هناك ، أو تدرك أنْ ليس من مصلحتها ؛ أن تقوم بذلك كما هو الحال الآن بسبب الاتفاقية ما بين "كامباي" والأساطيل البرتغالية التي تتجه إلى هناك ، وهذا السبب في إبحارهم من "كامباي" إلى هنا .

لذا سيدي .. ففي ظل هذه الأسباب وغيرها من الأسباب الأخرى ؛ يجب على سعادتك ألا توافق على هذا المنع .

لقد فات عليّ أن أجيب على سعادتك بخصوص النقطة التي تضمنتها رسالتك ، وهي : إن عمى الريس شرف على الرغم من أنه

يحصل على القليل من "القاضي" إلا إنني أؤكد أن لديّ السيطرة على كافة الأمور .

في هذا الأمر – أقول لسعادتك كما قلت من قبل : إن في ظل الفقر الذي تعيشه هذه البلاد إلا أن لديها الاستعداد لمواجهة كل المشاكل والاضطرابات ، وسعادتك تدرك هذا الأمر ، وعلى علم بكل شيء ، ولا شك أنك تفهمني تماماً ؛ فبحكم وجودي وعملي هنا أؤكد لك استعدادي لتنفيذ كل ما تأمرني به .

لأجل أن أخدم مولاي جلالة الملك ؛ لأن كل ما أملكه هو من مكارمه وعطاياه ، فأنا تابعٌ له ، ولا أعتبر نفسي مؤدّياً لواجب يخصّه ، ولكن يسعدني أن أخدم سعادتك بكل ما أوتيت من قوة كما أخدم هذه البلاد ، وعلى الأقل فأنا الآن حرّ ولديّ متسعٌ من الوقت كي أقوم بالعمل على النحو الذي يرضيك .

أما بالنسبة للنقطة الثانية فيما يتعلق بما يمكن عمله إذا ما توفي عمي ، والأمل الذي مُنحت بتولي الأمر من بعده ؛ فأنا حقيقةً شاكر لكم على هذا ، وأعتبر موافقتك هذه في الرسالة كشرف ومكرمة عظيمة أثمن من المنصب نفسه .

إنني أدعو الرّبّ تعالى أن يمنح الريس شرف طول العمر كما يحب ويرضى ، ويستجيب لدعوات أبنائه وزوجته وأقربائه ، ويمتعه بالصحة لسنوات وسنوات بالقدر الذي يهدي ويخفف من غضبهم عليه بسبب انفصاله عنهم وإقامته في "البرتغال" ، ولا شك أن مولانا جلالة الملك سوف يكون رحيماً به ، ومتلطفاً في حكمه عليه ؛ بحيث يسمح

له بالعودة ليقضي بقية أيامه إلى أن يتوفّاه الرّبّ ، وهو في بيته محاطٌ بزوجته وأبنائه وأقربائه .

أما بالنسبة لسَيْر الأمور في مركز الجمارك فنحن ما زلنا في انتظار وصول القوافل التي تأخر وصولها بالفعل ؛ فقد وصل البعض منها لكن بالقليل من البضائع ، ومعظمها في شكل أموال ، ولقد أخبرت "غاسبار بيريس" والذي ما يزال حتى الآن يعمل كاتباً أن عليه أن يدفع لكي يُصار إلى عمل كشف حساب بالعائدات إلى سعادتكم ، وسوف يقوم بإرساله بعد تجهيزه ؛ لأنه موظف جيد ، ويستحق أن تتم إعادته لذلك المنصب ، ولو كنت في منصب "القاضي" لذكرت لك الكثير عن هذا الأمر .

أتمنى من سعادتكم أن يسامحني على إطالة هذا الخطاب ؛ فلقد كان لزاماً عليّ أن أعيد كتابته لمرات عديدة .

أخيراً ... ، دعواتي للرّبّ أن يطيل في عمر سعادتكم ويمتعكم بالصحة .

من هرمز الثامن عشر من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٥م

أقبّل أيادي سعادتكم المعطاءة الكريمة .

وفي العام نفسه (١٥٤٥م)

بعث "بيرنارديم دي سوزا" "Bernadine de Sousa" رسالة إلـى الملك "دوم جواو الثالث" "D . Joao III" ، في العشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٥م ، يذكر فيها أن الأتراك قادمون إلـى هرمز : (٢٦)

سيدي ..

مرات عديدة كتبت لسموّك بشأن خدماتي هنا ، وفي كل رسائلي كنت أطلب من سموّك أن تكون راضياً للخدمات التي نقدّمها جميعاً هنا نحن الذين نعمل في خدمتك ، كلٌّ منّا في مجال مختلف عن الآخر ، لكن عند الكتابة والالتماس منك فنتساوى جميعاً في ذلك ، وسموّك لا يرغب في شيء أفضل من أن يكرمنا كُلٌّ حسب حسناته واستحقاقاته .

---

(٢٦) رقم الوثيقة والهامش.

بالرغم من أن شقيقي "دييجو لوبيز" أخطرني أنك إن لم تقم سموّك بتكريمي كما فعلت مع العديد من الآخرين ؛ فليس ذلك من باب التجاهل ، لكن لعل الحكم فيها أن هذه السنة لن تمنح أيّ قلعة ، والتي كنتُ قد التمست من سموّك أن تمنحها ، لكن حيث إن الأمر يظل كما هو ، فليس بسبب كبر السن أو طول الخدمة ؛ فإنني لا أرى هنا أفضل مقدرة أو أكثر استحقاقاً مني .

بعد مغادرة السفن في السنة الماضية تلقّى الحاكم "مارتيم أفونسو" أخباراً وهي موثوق بها ، عن أن الأتراك قادمون إلى هرمز ، عبر أحد أبناء "البندقية" قادماً من "القاهرة" ، والذي لم يأت لأيّ سبب آخر سوى أن يقدّم لنا التحذير ، وهو السبب الذي جاء من أجله ليعد ويدفع أجور العديد من المجذفين حتى السويس ، وأن كل الحديث يدور هناك عن هرمز .

بما أن الحاكم أيضا وصل إلى علمه ذلك عبر ثلاثة من الهاربين الذين فرّوا من السويس ، صدّق ما قاله ، وأكثر من ذلك فإن "لويس فالكاو" كتب يقول إنه سمع أيضاً عبر وسائل أخرى ، وكان قد طلب منه العون على أساس القوة الصغيرة من الرجال هناك في القلعة .

عندما رأى الحاكم مدى حاجته وأن مده ببعض الرجال كان أمراً ضرورياً ليذهبوا معه ؛ بعث إليَّ وأخبرني عن مدى أهمية الأمر في خدمة سموّك ، وأنه عليَّ الذهاب وكذلك شقيقي "جورجي دي سوزا" ؛ لأنه إن جاء الأتراك كما أفدنا بذلك فإنه لن يتمكن من دعمها ولا عونها إلا في نوفمبر .

بما أنه يأمرني على شيء يصب كثيراً في خدمة سموّك ، ذهبت وأنا تغمرني السعادة ، واعتبرت نفسي محظوظاً بالرغم من أنه كان عملاً يمثل تضحية كبيرة على أساس الرجال الذين أخذتهم معي ، ومكلّفاً بحسب البلاد التي هي أكثر غلاءً من أي بلاد أخرى .

من المؤكد أنني لم أكن في وضع أتمكن فيه من القيام بأي شيء ؛ لكن حتى أقوم بخدمة سموّك فلم يقصر أيّ من أصدقائي بالرغم من الديون الكثيرة التي أدين بها لهم ، لأنه بخلاف ذلك لن يتمكن أي رجل من خدمة سموّك جيداً في هذه البلاد .

بعد وصولي إلى هرمز بعد سبعة أو ثمانية أيام ؛ وصلت أنباء موثوق بها من المضيق تفيد بأن الأتراك ليسوا قادمين حالياً في هذا الشتاء ، وتلقينا أخباراً من المجذفين أنهم دفعت لهم أجورهم ، لكنهم التحقوا بخمس وعشرين أو ثلاثين من سفن "الغاليون" التي جاءت لتخليص Azebibe من الملك المحلي .

إنه وفي خلال الست سنوات الأخيرة تم الاستيلاء على القلعة من مملكة هرمز ومدينة "القطيف" من قبل شيخ مانع ملك "الحسا" ، ومنذ ذلك الحين وحتى الاحتلال الحالي من قبل ملك هرمز وكبير الوزراء طالبوا دائماً من القادة السابقين ومن شخصه أنه علينا أن نقدّم له المساعدة حالما نستعيدها ؛ الأمر الذي نحن ملزمون به ؛ لأن قلاع ملك هرمز أيّاً كان عددها قد استولى عليها في زمننا .

إن القادة السابقين عذروا أنفسهم دائماً بالقدر الذي يقول بعدم وجود أي شخص أو رجال يمكنهم التقدم إلى هناك ، الأمر الذي لا

يمكن الحديث عنه حالياً ؛ لأنني كنت هناك في الوقت الحاضر مع رجال ليست هناك حاجة لهم ؛ لأن الأتراك غير قادمين ، وأن نفقات الأسطول الذي يمكنني أخذه لن يتحمله على حساب المملكة حتى وإن لم يكونوا ملزَمين بذلك ، فهم لم يطلبوا أكثر سوى أن آخذ الرجال "البرتغاليين" الممكن توفّرهم للذهاب معي مع المدفعية والبارود والذخيرة الضرورية .

بما أن "لويز فالكام" قد رأى وعرف أن الأمر كذلك ، وأنه عند محاولة استعادة هذه القلعة والمدينة ؛ فإن ذلك سيكون في مصلحة خدمة سموّك ، وفيه اعتبارٌ لنا ، بعد أن استعرضتُ كل ذلك أمامي بدا لي جلياً أن من المعقولية أن أذهب ؛ لأن ذلك ليس فيه أيّ مخاطرة ، إنما يعتبر عملاً ننجزه ، ولقد رأيت أن ذلك أفضل ما يمكن القيام به بدلاً عن الجلوس متسكّعين في هرمز .

بما أن ذلك تم اتخاذ القرار فيه حالاً فقد قمت بإعداد نفسي ، وصعدت على ظهر السفن مع مئتين من الرجال ، وما بين ستة أو سبعة آلاف فارسي وعربي الذين أمر ملك هرمز وكبير الوزراء بأن يرافقوني ، وكان قائدهم "ريس شاديم" Xadim ابن الريس شرف Xarafo ؛ لأنه من الشخصيات الهامة عند ملك هرمز ، ومن ثَمّ تحركنا من هرمز وخلال عدة أيام ذهبت إلى Barem "البحرين" ؛ حيث بقيت هناك لعدة أيام أراجع أمور الأسطول ، وأقوم بما هو ضروريّ للحصار ، فلم تكن تبعد سوى تسعة فراسخ عن "القطيف" .

حالما أصبحنا جاهزين غادرنا ورَسَوْنا في اليوم التالي عند الحاجز ،

وعند الليل دخلت ، نزلنا على اليابسة ، وكان في انتظارنا ثلاثة أو أربعة آلاف من رجال الجيش الذين كانوا في المدينة ، وقتلوا حوالي ثلاثين أو أربعين من الفرس الذين كانوا برفقتي ، وقتيلين أو أكثر منا ، وجرحوا كثيرين ، وقمنا نحن أيضاً بقتل وجرح العديد منهم .

مما جعلهم ينسحبون من المدينة ؛ لأن بقية الرجال كانوا في ذلك الوقت قد جروا خارجها ، أصبح ميدان المعركة خالياً ، وقمنا بإنزال مدفعيتنا ، وقمنا بدكّ السور في أحد أجزائه الذي لم يكن له خندق ، وواصلنا الضرب لأربعة أيام بكل ما يمكن أن تقذفه المدافع ، بعد أن حطّمنا جزءاً من المنطقة العالية مما يُمكّننا من الاستحواذ على القمة .

بمساعدة السلالم قررت الدخول قبل هدمها كلها ، وهو الأمر الذي سيستغرق عدة أيام لإنجازه ، عندها تلقيت أخباراً أن الملك شخصياً في طريقه لتقديم العون ، أنه كان في "الحسا" التي تبعد مسيرة ثلاثة أيام ، ومعه أربعة عشر أو خمسة عشر ألفاً من الرجال ، والعديد من الفرسان على ظهور الخيل .

أصابنا الكثير من الضرر نتيجة للمدفعية وإطلاق النيران علينا من القلعة ، وأيضاً تعرضنا للأذى من أولئك الثلاثة أو الأربعة آلاف رجل الذين قاتلناهم عند رُسُوّنا على اليابسة ، وكان رجالنا في غاية التعب والفزع خاصة الفُرْس الذين لم يعتادوا على المصاعب ، لقد كان الوضع خطيراً ، وصمّمت حيال ذلك أن أسرع بقدر الإمكان في تسلق القلعة ، وفي صباح أحد الأيام قررنا القيام بذلك .

فعلاً عند منتصف الليل بدأوا في التفرق والفرار ، وسبب لنا ذلك

الكثير من الفرح ، لكن بعض البرتغاليين الذين لم يأخذوا حذرهم قاموا بتسلق الجدران ، وقتلوا وأسروا الكثيرين ، الأمر الذي اندهش له المسلمون الذين كانوا برفقتنا لأنهم لم يكونوا معتادين على الدخول للقلعة عند منتصف الليل .

في اليوم التالي تلقيت أخباراً تفيد بأن شيخ مانع قد أصبح على بعد فرسخين من القلعة ، ومعه العون ، إلا أنه أفيد بالأنباء أن القلعة قد تم الاستيلاء عليها ، ومن ثم عاد أدراجه ؛ حيث لا فائدة من التقدم أكثر من ذلك .

بعد أن تم إصلاح القلعة بأفضل ما يمكن قمت بتسليمها للريس نور الدين بنفس الأسلوب الذي يتم به تسليم القلاع في المملكة ، ومن ثَمّ اتجهت نحو هرمز بغرض المواصلة حتى الهند ، وأخذت معي الرجال الذين كانوا برفقتي ، بما أنهم عادوا في أمن وصحة جيدة ، وقد قتل العدو اثنين فقط ، وآخر توفي نتيجة المرض .

لقد كرَّمنا الرّبّ ... ، وعندما نستعرض تلك المنطقة غير صحية في Barem التي بلا شك يعلم سموّك بأمرها عندما تتذكر الموت الذي حاق مجموعة الرجال الذين ذهبوا إلى هناك مع "سيماو دا كونها" ، والحال هنا في "القطيف" ليس بأفضل من Barem ، بل أظنه الأسوأ في العالم .

برفقتي كان "جورجي دي سوزا" الذي قاسمني كل تلك الأعمال وفي خدمة سموّك ، بالرغم من كونه شقيقي إلا أنني لا بد أن أبيّن مدى استعداده لخدمة سموّك رغم كل المخاطر ، والقيام بكل الأعمال

التي فيها مصلحة سموّك ، وأرجو أن يؤمن سموّك بذلك ، وهو بالنسبة لي أكثر من شقيق ، ولم أكن لأذكر ذلك لأن في أعمالٍ من هذا النوع فإن الرجل غير ملزم بأيّ صلة رحم حتى وإن كان والده أو أمه .

بعد وصولي إلى هرمز غادرت خلال اثني عشر يوماً متجهاً نحو الهند ، حيث قابلت "دوم جواو دي كاسترو" ، والذي ظللت برفقته ، وحتى الآن كل الذي لاحظته بخصوصه هو الرغبة الأكيدة في أن يقوم بأفضل ما يمكن في خدمة سموّك ، وهو شديد العزم في ذلك ، وهو قطعاً سيفعل ذلك بأفضل ما يمكن ، لأن الأمر بغَضّ النظر عن كونه من أجل سموّك إلا أنه عظيم الفائدة لنا هنا ، ومن يمشي في رفقة رجل بهذا المرح والانشراح الذي يلازمه في أدق الظروف سيكون من أسعد الناس .

ليُطل الرّبّ عمر سموّك ومقامك الذي نأمله جميعاً .

من "غوا" في العشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٥م - "بيرنارديم دي سوزا"

على الغلاف : إلى سيدنا الملك

وفي العام نفسه (١٥٤٥م)

بعث "اليكسو كارفالهو" "Alexo Carvalho" رسالة إلـى الملك "دوم جواو الثالث" "D . Joao III" ، من "غوا" "Goa" ، في العشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٥م ، يعدد خدماته لدى ملك هرمز : [٢٧]

السيد الملك "دوم جواو الثالث"

* كتب هذه الرسالة "اليكسو كارفالهو" إلى الملك يعدّد الخدمات التي أداها له عبر البحر والبر ، وفي مقابل ذلك يطلب رسالة جديدة بالاستحقاق لمنصب مفتش الموازين في مدينة (.......) بمكتب الجمارك لأن الملك "شرف" "Xarafo" قد منحها له لفترة ثلاث سنوات

سيدي :

لقد قمتُ بخدمة سموّك في تلك البقاع من الهند لعشرين سنة ،

(٢٧) رقم الوثيقة والهامش.

جئت إلى هنا من "البرتغال" في العام ١٥٢٦م ، ومعي خمسة من أشقائي في خدمة سموّك ، الذين يعملون في الأساطيل .

تزوجت في هرمز منذ سنوات ، وقدمت الكثير من الخدمات لسموّك عندما كنت عازباً ، وكرجل متزوج - الأمر الذي سيؤكده لك "دوم بيرو دي كاستيل برانكو" و"مارتيم أفونسو دي ميلو" ، و"مارتيم افونسو دي ميلو" هو أيضاً متزوج ، وكان دائماً في الخدمة في الأساطيل كقبطان لرجاله ، وكيف حارب الملوك الذي يجاورون هرمز متى ما نزل على البر .

ذهبت قبل عامين في الفترة التي كان فيها "مارتيم افونسو" حاكماً (والآخر) "مارتيم افونسو" قائداً لـ هرمز ، كسفير لملك "شيراز" مع أربعة من "البرتغاليين" على ظهر الخيل ، وستة رجال من المشاة ، مع تسعة من العبيد ، وأنفقت على كل ذلك ستمائة "كروزادواس" من مالي الخاص ومن مال سموّك ، منحت فقط مائتين من العبيد ، أبرمت سلاماً مع هذا الملك ، وتسببت في عودة ثمانية آلاف فارس وجنود من المشاة إلى بلاده بالرغم من قيامه بتسبّب الكثير من الضرر بين رجال ملك هرمز ، والكثير ما كان له أن يحدث ، وبهذا فإنني قمت بخدمةٍ جليلة لسموّك .

عرضت على "لويز فالكاو" قائد سموّك في هرمز الذهاب إلى "شاه طهماسب" على نفقتي ، إلا أنه لم يذهب ؛ لأن الجميع في ذلك الوقت كانوا في حالة سلم .

في الوقت الذي كان فيه "دوم بيدرو" قائداً لـ هرمز أقمت سلاماً مع ضابط "لشاه طهماسب" الذي كان معه ستة آلاف فارس في مكان ما

السنة الماضية ، وكان يقوم بالاستيلاء على كل القوافل ، تسبب في كثير من الأذى بإعلانه لابن ملك "لار" كملك على "موغستان" ، في السنة الحالية ١٥٤٥م اتجهت عشرين فرسخاً إلى الأراضي الداخلية من هرمز ، وبناءً على أوامر من ملك هرمز و"لويز فالكاو" استحوذتُ على قلعة كان قد تَمّ الاستيلاء عليها من ملك هرمز قبل ستين سنة مضت .

اخترقت القلعة في الصباح مع الرجال الذين كانوا معي ، وأعدتها إلى طاعة الملك ، وهناك الآن كبير للوزراء ، وهي من أقوى القلاع الموجودة في أراضي المسلمين ، وتسمى "قالهات" .

سيقدّم جورجي دي ميلو بنهو لسموّك المعلومات الكافية ، وأؤكد أن (....) عندما كنت في "موغستان" نيابة عنه في خدمة سموّك .

أعدت هذه القلعة ، إذا جاء الأتراك إلى هرمز ، بأن توضع كل النساء المتزوجات والعوانس والأطفال بداخلها ؛ لأنها تبعد مسافة أربعة فراسخ من البحر (.....) المسافة من البر ، وهو الطريق الذي سلكته ، ويبعد مسافة عشرين فرسخاً ، إنني ألفت نظر سموّك لهذا لأنك لو حسبت الخدمات الكثيرة التي قمت بها أنا فإنها لن تنتهي .

عندما كنت عازباً ذهبت إلى مضيق مكة ثلاث مرات ، خدمت في كل الأساطيل ، وقد تم اختباري من قبل "لوب فاز دي سامبايو" ، حاكم سموّك ككاتب عدل لسموّك في مكتب الجمارك ، الحمد لله (.....) عندما عملت في الخزينة نُصّبت كقاض لـ هرمز في عهد "دوم بيدرو" ، يمكن لسموّك أن يتحقق منه الحقيقة عني ، لأنني مستعد وأنا في الأربعين من عمري لخدمة سموّك بمثل ما كنت في سن الشباب .

بما أن الملك "شرف" "Xarafo" سمع عن خدماتي ، وإنني استحق التكريم فقد منحني منصب مفتش الأوزان بمكتب الجمارك ، وهو منصب في وزارته الذي منحتها له سموّك ، منحني هو ذلك خلال حياتي ، بما أنني خدمت سموّك في هذا المنصب ، وقد دعمني فيه "دوم جواو دي كاسترو" لثلاث سنوات سوى كان هذا هو الوقت الذي سمح له فيه بدعمي وتثبيتي فيه ؛ فأنا لا أدري ، وبالطريقة التي يرى الملك "شرف" "Xarafo" (......)

ليمدّ الرّبّ في دوام دولتك الملكية والملكة سيدتنا والأمراء لسنوات كثيرة قادمة .

"غوا" في العشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٥م

"اليكسو كارفالهو"

(....)

وفي العام نفسه (١٥٤٥م)

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى حاكم الهند ، من هرمز في يوم الثاني من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٥م ، محذراً بأن الأتراك سيصلون هرمز في بضعة أشهر : (٢٨)

سيدي :

بعد أن كتبت إلى سيادتكم ، وصلت الـ (........) من البصرة ، إنهم أناس مُقيمون ، وتُجار ويشعرون بالمودة والآلفة نحونا ، هؤلاء الذين سافروا إلى هذه المدينة مع خيولهم ، وهم يبلغونني الخبر بأنهم متأكدون أن الأتراك مستعدّون لكي يأتوا مع الريح الموسمية القادمة في شهر مايو إلى هرمز ، التي هي في سلام ، (حيث قدَّم هذا الخبر خدمة جليلة) ، لقد (كتبت) عن هذا إلى "مارتن أفونسو دي سوسا" ، لكنني لا أعرف عما إذا تمَّ إعطاء الرسائل حول هذا إلى سيادتكم ، (إنه سوف يكون ما هو أكثر حتى الآن إذا دعت الضرورة أنكم) يمكن أن تتلقوا كل هذه الأكاذيب مني على أنها معلومات حقيقية .

(٢٨) رقم الوثيقة والهامش.

يكتب إليَّ سيادتكم لكي يخبرني بأنني يجب ألا أقوم بأي عمل إنشائي في هذه القلعة ، وأنني لا يجب ألاَّ أستمر فيما قد تم البدء فيه .

إن سيادتكم يمكن أن يسمح بهذا العمل ؛ لأنه أساسي من أجل دفاع هذه القلعة ، وبمبلغ ثلاثة أو أربعة آلاف "باردو" من المستطاع أن تكون قوية بدرجة كافية لمواجهة أي شيء ، ونظراً لأنها لا تبدو معقولة أن (.......) لكي توفر نفقة أربعة آلاف "باردو" ، لهذا السبب ؛ فإن سيادتكم يجب أن يكتب لكي يخبرني ماذا أفعل ، وأن يُرسل إليَ هذا قبل شهر مايو ، طلبت هذا من "مارتن أفونسو دي سوزا" من خلال "بيرنالدين دي سوزا" ، لأنني يجب أن أسأل عما أرى هذه القلعة تحتاج إليه .

إن سيادتكم سوف يقدّم إمداداً بما تعتقدون أنه من المصالح الأفضل لسموّه تمَّ إعداد هذه السفينة لكي تُرسل كمعونة إلى "قلهات" لأن (......) الوكيل التجاري الذي (......) من "البرتغال" (........) .

أمرته بأنه بمُجَّرد أن ينهي المهمة التي أرسل فيها يجب عليه أن يذهب لزيارة سيادتكم ، وأن يحمل أيضاً رسائلي إلى "كوتشين" ، لأنني مضطر إلى أن أرد على الرسائل التي جاءت في هذا العام ، وأن أقدّم أيضاً تقريراً بنفسي عن هذه المملكة إلى سموّه ، (إنني أطلب) من سيادتكم أن تعطوه تصريحاً لكي يقوم بهذه الرحلة البحرية ، وأن يوافق على ذهابه إلى هناك ، أطال الله في عمر سيادتكم لسنوات عديدة ، ووسّع في ملككم ، من هرمز ، في يوم الثاني (؟) من شهر ديسمبر

(الموقع) "لويس فالكاو"

وفي العام نفسه (١٥٤٥م)

بعث "سيباستيان لوبيز لوباتو" "Sebastiao Lopez Lobato" رسالة إلى حاكم الهند ، هرمز ، في يوم الثامن عشر من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٥م ، يصف له ريس شرف في هرمز بعد أن عاد من البرتغال : [٢٩]

سيدي : قديماً ، قِدَم معرفتي هذه الأرض ، وجدتُ نفسي قادماً جديداً هنا ، أستطيع بأمانة أن أذكر لسيادتكم أنني بالكاد أتعرف عليها لأنها مخربة وخالية من السكان ، تعجّبت عما إذا كانت هذه هي مدينة هرمز في الحقيقة ، التي رأيتها قبل إحدى وثلاثين عاماً حينما كانت مزدهرة مثل البندقية ، هذا يقودني إلى الاعتقاد ، كما يقال ، أن صاحب البيت يجب عليه أن يسكن بيته .

أعطيت رسائل سيادتكم إلى الملك ، والقبطان ، والوزير ؛ كانوا

(٢٩) رقم الوثيقة والهامش.

مسرورين جداً بهم ، وأظهروا بيانات عن نواياهم الحسنة ؛ حيث سوف يخبر الزمن عما إذا كانت أفعالهم تتمشى مع كلماتهم .

لقد سلَّموا إليَّ واحدة من مؤن سيادتكم التي وفقاً لها يجب عليّ أن أرسل كل الكبريت الممكن من هنا ، ولذلك فإنني سوف أفعل هذا من الآن فصاعداً ، لا يوجد أحد في هذه الأرض سوى أنا ، الذي تحدث عنها إلى رجل يهودي عاش في هذه المدينة ؛ لأن جميع الكبريت الذي يأتي إلى هنا يتم الحصول عليه من خلاله .

سألته ما هو المقدار الذي نستطيع أن تتوقع أن نحصل عليه : قال من الممكن أن يكون هناك ليس أكثر من ثلاثين قالباً من الكبريت ذي النوعية الفاخرة في كل سنة ، لكن هناك كمية كبيرة من الكبريت الآخر الذي هو رديء كثيراً ، على الفور أمرته أن يرسل فرداً ما إلى المكان حيث يتم استخراج الكبريت لكي يستطلع المقدار الذي نستطيع الحصول عليه .

يستطيع هذا الرجل أن يستغرق خسمة عشر يوماً لكي يذهب إلى هناك ويرجع عائداً ، في هذه الريح الموسمية ، سوف أحاول جاهداً لكي أرسل كل الذي أستطيع .

أمرني سيادتكم أن أجد معلومات حول مبلغ عشرين ألف "باردو" أو أشرفي ، هذا الذي تم إعطاؤه إلى الوزير من أجل السفراء .

أخبرني الوكيل التجاري أن "مارتن أفونسو" أصدر في العام الماضي أمر إمداد بالمؤنة بألاَّ يتم إعطاؤه أكثر من أحد عشر ألف أشرفيا ، وهو يتسَّلم هذا المبلغ من أجل تعيينات السفراء ، هذا هو كل ما قد اكتشفته

حتى الآن ، إنني سوف أستمر في عمل الاستفسارات في جميع أنحاء الدولة ، وأكتب إلى سيادتكم عن أي شيء أكتشفه ، وكل شيء يتم القيام بعمله .

سيدي : إنني أرغب في هذه المرة بشكل جاد ، فاسمح لي أن أخدم سيادتكم ، مثلما أنتم متأكدون أنني سوف أفعل ذلك ، آمل أن يتفضل عليّ سيدنا بذلك ، إنني أنوي أن أخدم سيادتكم في هذه الدولة بإخلاص شديد للحدّ الذي سوف تكون فيه قناعتي كبيرة جداً ، ولا تقارن بأي شيء آخر .

حتى الآن ، لا أمتلك أية معلومات دقيقة لكي أُقيم عليها تقريراً إلى سيادتكم عن الأمور في هذه الدولة ؛ لذلك فإنني لا أقوم بالكتابة عنهم ، في الوقت الحاضر ، كل ما أجرؤ على قوله هو أنه توجد نزاعات لم يُبتّ فيها بعد ، وعندما أعرف كيف يتم إنهاؤها ، فسوف أُبلغ سيادتكم بها .

مثلما ..... ، سيادتكم في وقت سابق ، أجد أن وصول ريس شرف قد تمَّ استقباله بشكل سيئ ، إنني لست مندهشاً على الإطلاق من هذا ؛ لأنه يوجد حل ما لكل شيء في العالم ، ولا رجال قادرون على أن يفعلوا أي شيء ، إن الزمن وحده هو الذي سوف يكشف الحقيقة ، مثلما تظهر على أنها حدثت بالفعل ، إن زوجة ريس شرف لا تحبه ، ويكرهه أبناؤه ، وتلعنه علاقاته ، مع الأمراض المصاحبة لكبر العمر والفقر ، لهذا السبب ، أعلم أن الرجل ليس كبيراً في العمر ولا فقيراً ، أو أنه لن يكون محتقراً جداً أو مكروهاً ، وفقاً لإشاعات هنا ، فإن الوزير يتم التعامل معه باحترام شديد .

يقولون إن هذا هو كل الأشخاص الأعيان بسبب المشاعر السلبية تجاه ريس شرف ، لا أعرف مقدار صدق هذا ، لأن معظم الناس يعيشون بواسطة القانون الذي يعيش به فقط المنتصر ...

بارك الله في سيادتكم بالانتصارات العديدة ومراتب الشرف وساس بكم في الأمور .

هرمز ، في يوم الثامن عشر من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٥م

(الموقع) "سيباستيان لوبيز لوباتو"

إلى اللورد الأكثر شهرة ، وحاكم الهند ، إلخ ...

وفي العام نفسه (١٥٤٥م)

بعث "دون جوان دي كاسترو" "D . Joao de Castro" رسالة إلـى ابنه ، في يوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٥م ، يذكر الأوضاع في مدينة "قشن" : (٣٠)

دون الفارو ابني ،

أحضر إليّ ابن ملك "قشن"(أ) منكم لكي أعرف أنكم في صحة جيدة ؛ كنت مسروراً لأنها جاءت بعد فترة طويلة منذ أن تلقّيت خبراً منكم بأنني لم أعرف ما تفكّرون فيه ، لكن نظراً لأن الله وهبني الفضل العظيم لبقائكم في صحة جيدة ، فإنني أتضرع إليكم لكي تفعلوا كل شيء لتحموا صحتكم بالامتناع عن الأكل والشراب ، والعيش في حياة عالية المستوى .

(أ) "قشن" ، بلدة على الساحل العربي . يقول "جاسبار كوريا" أن ابن ملك "قشن" "اعتاد على أن يأتي إلى الحاكم في كل عام لكي يطلب المعونة على طرد المماليك من مدينته ، هؤلاء الذين بنوا قلعة هناك ، وأخذو منه أتوات عُنوة (ليندااس ٤ ، صفحة رقم ٣٦٥) .

---

(٣٠) رقم الوثيقة والهامش.

أخبرتموني أن الإخوة القساوسة يزعجونكم بقدر كثير ، هذا يأتي حيث لا يوجد أي استغراب ؛ لأن ذلك هو عملهم إذا كان عندهم إصرار شديد ، فلتعزف عنهم وترحل إلى منزل في الريف مع اثنين من الأشخاص السّكارى ومُهرّج لكي يحكي لكم النكات ، واستمتع بنفسك ، إنني أخبركم الآن أن صديقكم الأسقفّ قد أمر ذلك القسّيس النزل لكي يحضر إلى المقاطعة[أ] التي تحت سلطة القسّ ممثل الكنيسة الكاثولوكية ، ويقوم بكتابة رسالة إليه ، سوف يطلعكم رُوى "جونسا لفيز" على الفضائل العظيمة التي فيها .

سوف أرسل هذه الرسالة إلى سيدنا الملك كفقرة ذات أهمية كبرى .

لتنظر ماذا يعني بأن يأخذ رشاوى وهدايا ، أعدكم بأنني سوف أحاول أن أقنع الأسقف بالعدول عن ذلك لكي يتوقف عنه ويرسل

(أ) هذه هي إشارة إلى القس ممثل الكنيسة في "ديو" ، الأب القسيس جوان كويلهو ، الذي كان متهماً بعدد من النقائص في ممارسة واجباته الروحية . انظر إلى تقصي الحقائق في هذا الخصوص الذي أقيم في يوم ١٣ من ديسمبر ١٥٤٦م بأمر "دون جوان دي كاسترو" ، وثيقة محفوظة في "توري دو تومبو" ، مجموعة "دي سان لورينسو" ، مجلد رقم ٥ ، الصفحات ٥٣-٦٧ في ، التي يتم نشرها بواسطة "أنطونيو دا سيلفا ريجو" في المجلد الثالث من سجلات وثائقه عن تاريخ بعثات "البرتغاليين" "بالبادروا دو" إلى الشرق . من رسائل أخرى في نفس المجموعة ، المنشورة في المؤلف المذكور ، التي تخص المستشار "فرانسيسكو توسكافو" بتاريخ الثامن من شهر يناير ، عام ١٥٤٧م (صفحة رقم ٩٧) ، ربما يتم الاستنتاج أنه بسبب الآراء المفضلة المعطاة من قبل الأب الراهب "بولو دا سانتاريم" ، و"دون جوان ماسكارينهاس" و"فاسكو داكونها" ، أن الأسقف رجل الدين قد قرر أن يأمر القس الإقليمي ممثل الكنيسة بأن يعود إلى ديو ، إنه خطأ من أجله طلب عفو الحاكم ، بالطريقة الأكثر خنوعاً .

في نهاية يناير حينما كان "جوان كوالهو" مُرسلاً إلى "غوا" على أنه سجين مع سجل الجرائم التي ارتكبها ، اقترح الأسقف على السجّان "إذا كان ضرورياً ، فلتُكبله بأغلال أكثر ، ثم بعد ذلك أتركه لكي يُحطمهم!" (في المؤلف المذكور صفحة ٩٧) .

"ميجل كاز"[أ] كقس عام ممثل للكنيسة ، ويمكن أن أجعله معي ، ونفعل أشياء كثيرة يأمر بها سيدنا الملك ، أما فيما يتعلق بالمسألة التي وجهتها إليّ في رسالتكم ، سوف أكتب إليكم كثيراً بإسهاب عنها ، أرسل إليكم بركة الرّبّ وتحيتي الخاصة من "ديو" .

في يوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م .

(الموقع) "دون جوان دي كاسترو" .

(أ) "ميجل فاز كويتنهو" ، القس الإقليمي العام ممثل الكنيسة في الهند ، الذي يعزو إليه الأسقف "الفطنة ، واللباقة ، والمعرفة" (في المؤلف المذكور صفحة رقم ٨٥) قد عاد الآن من البرتغال . أمضى فقط فترة قصيرة في الهند ، إلاّ أنه كان متوفياً قبل يناير ١٥٤٧م .

وفي العام نفسه (١٥٤٥م)
بعث "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، رسالة عامة إلى الملك "جواو الثالث" "D . Joao III" ، عن الأحداث في تلك المناطق في الهند ، بتاريخ عام ١٥٤٥م ، وإعادة احتلال "القطيف" : (٣١)

كتبت لسموّك من "موزمبيق" ، وكيف تم إنقاذنا بواسطة ثلاث سفن شراعية ضخمة هي بالاسم "ساوبيدرو" وقبطانها هو "دوم جيرونيمو" ، و"أوركا" التي كان يبحر على ظهرها "جورجي كابرال" ، وأيضاً عن الرحلة البحرية والطقس الذي واجهته .

خلال الأيام التي كنت فيها هناك طلبت بجمع صخور وعمل الدبق (الجبر) لتغيير أحد أركان القلعة الذي يواجه المدخل نحو الميناء ، ويقع هذا في موقع ومكان يسهل الدفاع عنه ، وبقليل من العمل يمكن تحويله إلى موقع مفيد .

---
(٣١) رقم الوثيقة والهامش.

بما أنني بعثت بالقياسات والمخططات الأولية لسموّك في سفينة "بيرنالدو[أ] "هيتور دي ألفاس" ، فإنني لن أقدم أيّ تفاصيل أكثر في الرسالة الحالية .

غادرت "موزمبيق" في السابع من شهر أغسطس إلى الهند في نفس السفن[ب] الشّراعيّة الثلاث مع رياح مواتية لصالحنا .

في اليوم التالي ، ونحن نبحر في اتجاه شمال شرقي ، وعند منتصف الليل ، اصطدمت بضفة رملية تبعد سبعة فراسخ من جزيرة "كومورو" ، وأصدرت السفينة الشّراعيّة ثلاث أصوات اصطدام ، وعليه توجهت نحو الميناء ، وعندما رأيت أنني في مشكلة أطلقت المدفعية كتحذير حتى تأخذ السفن التي كانت متجهة ناحيتي بأن تأخذ حذرها .

لكن بما أن القباطنة كانوا يعتقدون أن البحر والمراسي في "كومورو" بين أكثر الأماكن صفاءً وأمناً في كل الرحلة فقد اعتقدوا أن الإشارات التي أطلقتها كانت من أجل تنظيف المدافع .

ثم قام "دوم جيرونيمو" الذي كان يبحر دائماً خلفي بالقدوم قريباً

(أ) كان "بيرنالدو ناسير" طبقاً لوثائق أخرى قائداً للسفينة التي حملت الرسالة من "دوم جواو" والتي كتبت في موزمبيق إلى البرتغال .

(ب) الشخص الذي نشر تلك الرسالة في (O Instituto) أدرج مذكرة هنا تفيد أن السفينة الثالثة كانت "Burgaleza" إذا قرأ المرء الرسالة التي من موزمبيق سيجد أن الأمر واضح أن السفينة "Burgaleza" لم تكن في موزمبيق مع الحكام ، فهي افترقت عن المجموعة بعد التوقف في "رأس سان أوغسطين" والثلاثة سفن التي غادرت موزمبيق مع "دوم جواو دي كاسترو" كانت سفينة العلم "ساو تومي" و"اوركا" بقيادة جورجي كابرال و"ساو بيدرو" بقيادة دوم جيرونيمو دي نورونها .

مني ، واقتحم الضفة الرملية مصطدماً بها بقوة حتى ارتفعت الدفّة من مكانها ، إلا أن الرّبّ أراد لها أن تعود إلى مكانها .

لا أستطيع يا صاحب السّمّو وصْف كيف تم إنقاذ تلك السفن ، لأن ذلك لم يكن بسبب الخبرة الملاحية ، وليس بسبب العمل الشاق ، والعدد الكافي من الرجال ، لكنني أعتقد أن ذلك كان معجزة عظيمة مثلما كان عندما أحيا الرّبّ "لازاروس" من بين الأموات .

عندما انقشع ذلك الخطر حظينا بطقس جيد كل الوقت حتى وصولنا إلى حاجز "غوا" حيث بعث "مارتيم أفونسو" بالعديد من المراكب الصغيرة والحبال التي كانت في انتظاري ، وكانت عوناً كبيراً لي ... ، وكان ذلك في الثاني من شهر سبتمبر ، وهناك وجدت السفينة "Burgalesa" التي وصلت قبل ثمانية أيام ؛ لأنها أبحرت مروراً بـ "موزمبيق"[أ] ولم تدخلها .

بعد رُسُوّ السفن بطريقة جيدة غادرت إلى الشاطئ ، وبقيت خارج المدينة مع الحاكم "مارتيم أفونسو" [ب] . في اليوم التالي

(أ) الـ "Burgalesa" كما نرى الآن لم تدخل موزمبيق ، وهي بلا شك السفينة التي أشير إليها في الرسالة رقم VIII صفحة ٩٠ .

(ب) طبقاً "لجاسبار كوريا" ذهب الحاكم للشاطئ ، عند منزل الضيافة الخاص "بمارتيم أفونسو" الذي يقع وسط منازل "أنطونيو كوريا" . جاء مارتيم أفونسو للترحيب به عند نزوله من المركب حيث احتضنا بعضهما بعضاً بكثير من الحنان والاحتفالية .

بقــى هناك كل ذلك اليوم كما قضى الليلة هنــاك (Lendas IV p 432) وكما هو معروف فإن هذه العلاقة الدافئة لتبعد الحسرة والغضب قبل مغادرة مارتيم أفونسو إلى البرتغال .

أردت الاستماع إلى وجهة نظره وأنا برفقته مع قله من نبلاء سموّك والموظفين على قرار الشريف [أ] .

أطلعْتهم على الفقرة التي ذكرت لي فيها ما يتعلق به ، وكانت وجهة نظر الجميع أن سموّك قد تصرّف بكل حكمة وحسن نية بإرساله ، ووضح ألا خطر هناك ، لكن فقط بعض الأحداث سيئة الحظ يمكن تجنبها ، والتي قد تنشأ نتيجة لبقائه إما في "البرتغال" أو في الهند .

تجادلوا كثيراً ، وقمت بوضع اتفاقية نتيجة لذلك بواسطة السكرتير ، وقمنا جميعاً بالتوقيع عليها :

نحن جميعاً مع الرأي الذي يقول إن إقامته في هذه المدينة لن تكون في صورة سجين ، لكن كشخص له مطلق الحرية ، ويعامل بصورة جيدة كرجل شريف تحت عنايتهم ، لذلك أرسلت لإحضاره إلى الشاطئ وإسكانه في بعض المنازل الجيدة ، ووضعته تحت حراسة "لوبو مينديز" ، خادم سموّك ، وهو رجل ذو إحساس طيب وكرامه وحكمة .

(أ) ريس شرف ، رئيس وزراء هرمز منذ عهد "أفونسو دي البوكيرك" ، قد تم استدعاؤه إلى "البرتغال" من قبل "جواو الثالث" في عام ١٥٢٩م ، على أساس العديد من المؤمرات التي تورط فيها ، وليحصل على معلومات منه تتعلق بشؤون هرمز .

عاش ريس شرف في "البرتغال" لسبعة عشر عاماً كرم فيها طيلة وجوده هناك حتى عام ١٥٤٥م ، عندما طلب الملك من "دوم جواو دي كاسترو" أن يأخذه إلى الهند ليستعيد منصبه كرئيس وزراء لهرمز . كان يجب إرسال ابنه إلى "البرتغال" كضمانة لسلوكه في المستقبل . لذلك قبل مغادرة ريس شرف إلى هرمز يجب إرسال الصبي على ظهر سفينة إلى "البرتغال" – ليعامل بكل إكرام ؛ لأن الملك أوصى الحاكم بذلك في رسالة بتاريخ الثاني عشر من مارس ، عام ١٥٤٥م ونشرت بواسطة (Saraiva, Obras Completas . Vol . VI P .220) / في موضوع ريس شرف أنظر أيضاً "جواو دي باروس" و"جاسبار كوريا" .

بدأ ريس شرف العمل والكتابة لابنه ، وقد بعثت بقارب له .

بعد قضاء يومين مع "مارتيم أفونسو" ذهبت إلى داخل المدينة ، وعند النزول في الرصيف ، وبحضور السكرتير وكلّ النبلاء ، سلّمني السكان القيادة والرئاسة بكل الترحيب والكياسة والتبريكات .

بعد تسلّمي لذلك قضى معي بعض الأيام في هذه المدينة أخبرني خلالها أن في حوزته أربعمائة وخمسين ألف "باردواس" من الذهب هي من المبلغ الذي جاءه من "خواجا" (Cemecadim)[أ] عند وفاة "أسد خان" ، بعث منها ثلاثمائة ألف إلى سموّك ، ورغبت لو أعرف إن كان هذا المال قد تسلّمه موظفون معيّنون هم الذين طلبوا المراكب ، وليس سفناً أخرى بأن يتم بقاؤها ، وأيضاً "الغاليوت" حتى يتمكن من القتال ، يحتاج للعديد من الرجال ، كبحارة وكقاذفي قنابل ولسكر ، وهؤلاء غير متوفرين في الهند .

إن كنا نهدف لثمان سفن كبيرة "غاليون" كالطريقة العادية التي نقوم بها عند دخول المعارك ؛ فلن يكون هناك من رجال ولا مطلقي قنابل لبقية الأسطول ، لا يمكن تجديف السفن الشّراعيّة ، وفي تلك الحالة فهي أسوأ سفن قتال .

عندما فكرت في كل تلك المشاكل بدا لي أن ليس هناك من نوع سفينة مناسب للهند سوى تلك المراكب الشّراعيّة الصغيرة السريعة ، عندما يكون على ظهرها أربعون رجلاً فإنها تصبح معدّة تماماً ، ومع

(أ) خواجا (Cemecadim) أو (Xemecady) كان صرافاً عند أسد خان .

أربعة من قاذفي المدافع وعليهم قائد يصبحوا قادرين على استخدام المدفعية ، وتصبح الزوارق مقاتلة بطريقة مؤثرة ، تستطيع أن تواجه كل الظروف الجيدة والعواصف التي في البحار ، ولتحوز على القوة والسمعة لسلطتنا ؛ فإننا نحتاج إلى عدد كبير من السفن .

إن أسطولاً معدّاً جيّداً بالسلاح يحذر ويؤذي الأعداء ويقوّي ويشجع الأصدقاء ، بينما إن كان سيئ التسليح ؛ فلن يحترمه أحد من الأعداء ، ويعطي قليلاً من الإلهام لأولئك الذين يحاربون فيه .

عندما وصلت إلى مدينة "غوا" وجدت كل الأسطول في البحر ، وعلى سطحه كل المدفعية وأشرعته جاهزة ومزودة بالمياه ، وهناك الكثير من البارود والكبريت والملح الصخري وذخائر أخرى في المستودعات ، معظم "اللسكر" البحارة في "غوا" تؤدّى لهم أجور جيدة في السفن الشّراعيّة الضخمة ، ويتم الدفع للبحّارة شهرياً ، كل تلك الأمور كانت مرتبة جدياً ، ومنطلقاً من هذه الحقيقة وحدها ودون اعتبار لشيء آخر يمكن الاستدلال على : كيف أن "مارتيم أفونسو" يمثل قبطاناً ممتازاً .

ملك هرمز بمساعدة "البرتغاليين" "وكان القبطان هو "بيرناليم دي سوزا"[أ] قد استولى على موقع على ساحل الجزيرة العربية يسمى ("القطيف")[ب] ، والتي كانت في يوم ما تخص مملكة هرمز .

(أ) وصل "بيرناليم دي سوزا" للهند في عام ١٥٣٧م في عهد الحاكم "نونو دا كونها" . في العام ١٥٤٥م بعث به "مارتيم أفونسو" لقضاء الشتاء في هرمز مع شقيقه "جواو دي سوزا" .

(ب) قلعة على ساحل الجزيرة العربية مقابل هرمز .

كتب لي "لويس فالكاو" [أ]يطلب مني أن أعين قائداً برتغالياً هناك لكن ذلك لا يبدو صحيحاً ، ومن الأفضل كما يبدو لي تخصيص قلاعنا لعدد أقلّ ، ونحتفظ بقوتنا متضامنة ومتحدة ؛ بدلاً من الانتشار في الخارج في الوقت الحالي ونصبح جيراناً للبصرة والأراضي التركية ؛ حيث هم يراقبوننا ليشُنّوا الحرب علينا .

(أ) كان "لويس فالكاو بيريرا" قائداً لهرمز من العام ١٥٤٤م وما بعده ..

أحداث عام ١٥٤٦م

بعث "خواجا قاسم" رسالة إلـى "ريس شرف" ، يُخطره فيها عن المبالغ التي أمر الملك والملكة بأن تؤدّى له ، وأنه يزورهم كل يوم ، والسكرتير و"دوم أنطونيو" و"فرناندو الفاريز" ، ومعلومات أخرى خاصة بالريس شرف ، بتاريخ عام ١٥٤٦م : (٣٢)

سيدي ومولاي ، قائدي وأملي :

ستعلم أن "ملا" (Zyraque) قد وصل وسلّمني رسالتك ، وقد علم بما كتبته لي بداخلها .

أذهب كل يوم ، أنا خادمك ، لمنزل سيدنا الملك ، وإلى منزل الملكة ، وأطلب دائماً منهما مالاً ، في يوم الاثنين ، أول أيام الأسبوع الموافق السابع عشر من شهر يوليو ، كنت في حضرة الملكة عندما كانت تتناول طعامها ، وعند انتهائها من تناول الطعام تحدثت معها عن النقود ، وفي

---

(٣٢) رقم الوثيقة والهامش.

الحال وفي تلك اللحظة أرسلت في طلب "فيرناو دي الفاريز" وأخبرته أنه من دواعي سرور الملك أن يتم سداد مبلغ ريس شرف ، ويجب إعطاؤه لأحد خدمه .

أخبرها "فيرناو دي الفاريز" أنه سيقوم بذلك في الحال ، وأن الملك قد أمر فعلاً بأن تؤدى له ، وقالت الملكة مرة أخرى إن خادمه سيطلبها عنك .

ذهبت أنا خادمك مع "فيرناو دي الفاريز" إلى منزله ، وأخبرني أن أحضر في اليوم التالي الموافق للثلاثاء ، وأنه سيأتي بالأمر الكتابي ، ذهبت في اليوم التالي لأخذها منه ، وحالما رآني أخبرني بأنه سيعطيني المبلغ لأنه معه ، وأنه سيدفع دفعة أولى تبلغ أربعمائة "tandis" ، وبعدها سيدفع مائة وخمسين "tandis" كل شهر ، وعليه فليهدأ بالك بخصوص المبلغ ؛ لأننا قد خَلَصنا من أمره الآن ، وبعد أيام قليلة آمل أن يكون بحوزتك .

سيدي .. أودّ أن أفيدك بأن محمود يوسف جاء إلى هنا يطلب أربعين "tandis" مني تسليمها له ، وهو المبلغ المستحقّ على منزله ، وقد أديت له ذلك في الحال ، كما أعطيته قميصين وجوزين من السراويل بالإضافة للسبعة "tandis" التي أعطيتها له من قبل ، سلّمته سبعة عشر "كروزادواس" وثلاثة "tostoes" لتدفع لخواجا عطار وخواجا كمال ، وسويت الحسابات معه وسلمته الباقي .

سيدي .. ليست معي أي أخبار من الهند حتى الآن ، عندما تصل السفن ستأتي بالمزيد من المعلومات التي سأكتب لك بها ، أما ما يتعلق

ببقية المبلغ الذي طلبت منه السؤال عنه ، فعندما تصل سفن الهند سأرسله لك مع الأخبار ومع "الرنجي" (Zauguy) .

سيدي ، أحاول بقدر الإمكان أن أذهب كل يوم لمقابلة الملك والملكة والسكرتير و"دوم أنطونيو" و"فيرناو دي الفاريز" ، أقوم بزيارتهم كل يوم ، وأذكرهم بالأمور التي تتعلق بك .

أما بخصوص الحصان ؛ فهم لا يرغبون في دفع القيمة التي تكلفتها أنت ، وأنا أحتفظ به في الإسطبل ، لا فائدة منه ويسوء حاله كل يوم .

ابعث لي مع محمد الحصان الآخر الذي معك هناك لإمكانية إيجاد مشتر له بقيمة ثلاثين "كروزادواس" ، وسأرسل لك الحصان الآخر الذي معي هنا .

تبعث بمحمد إلى هنا ، وأرسل لي معه لعبة اللوح والتي سأقدمها لصديق هنا ، في المرة التالية التي ترسل فيها أي شخص يجب ألا يأتي بدون إذن من "روي جوميز" ولا تبعث بمحمد يوسف مرة أخرى ؛ لأنه طائش ويقوم بأشياء سخيفة ، وأنا لا أعلم أي شيء عنه ، أما بخصوص ما يحكي لك به عني ، سيدي ، بأنني نائم ولا أقوم بأيّ عمل فإن كنت تعتقد ذلك ؛ فإنني سآتي عندما تستدعيني ، لا يقول عني سوى الأشياء السيئة لأنه يفعل العديد من الأمور السيئة بنفسه .

عندما توَدّ إرسال شخص ما فابعث محمدا ، أو أيّاً من العبيد ، مع الإذن من "روي جوميز" .

ليس عندي المزيد ، والسلام عليك .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلـى حاكم الهند ، من هرمز في الأول من شهر يناير ، عام ١٥٤٦م ، ويطلب خدمات لقلعة هرمز : (٣٣)

سيدي .. من "لويس فالكاو" قائد هرمز :

تسلمت رسالة من سيادتك بواسطة "أنطونيو مينديز" ، والتي عبّرت فيها عن دهشتك بأنني كتبت عن وجوب معاقبة الحاكم "مارتيم أفونسو دي سوزا" بالاعتقال التحفّظي في منزله بالعصيان إذا لم يقم بتوفير وتزويدي بالعديد من الأشياء الضرورية لهذه القلعة ، وأوامر كتابية طلبتها حتى أقوم بحكم هذه المملكة والدفاع عن هذه القلعة .

ليس لك أي أسباب يا سيدي لتعتقد بأن ما كتبته له كان خطأ ، لأنك لا تعلم سبب قيامي بذلك ، لا أستطيع الكتابة عن ذلك الآن

(٣٣) رقم الوثيقة والهامش.

لكن على سيادتك سؤال "بيرنالديم دي سوزا" ، وسيطلعك على عدة أسباب اضطررتُ للضغط بها على "مارتيم أفونسو دي سوزا" ليزوّد ويوفّر لهذه القلعة كل شيء تحتاجه .

ليس عندي الكثير لأقوله سوى أنه طالما جاء بك الرّبّ لهذه البلاد فسيصبح من الضروري أن ألح عليك بأمور هي من مصلحة وفائدة سموّه ؛ حيث لك الكثير من العقلانية ، وأبديت رغبة أكيدة في خدمته .

أما بخصوص ما تكتبه سيادتك بأنك تعتقد أن إعطاء عشرة آلاف "باردواس" إلى "فرانسيسكو لوبيز" من عائدات مكتب الجمارك يعدّ خطأ جسيماً ، وأن سيادتك يرى أن ذلك قليل جداً ، أتفق معك أنها كانت فعلاً قليلة جداً نسبة للاحتياجات التي يطلبها هو ، ولأجل ماذا ... ، فعلى سيادتك عدم الظن بأني غير متفهم في هذا الأمر ، لأنني عاصرت وجرّبت مشاكل هذه البلاد ، وما تتطلبه بمثل ما يشعر به سيادتك في كل الهند لأنك حاكمها .

تقول سيادتك في رسالتك إن مكتب الجمارك هذا يجني مائة ألف "باردواس" ، وتنفق القلعة هنا ليس أكثر من ثلاثين ألف ، والسفراء أحد عشر ألفاً . إن كان الأمر كذلك فعلى سيادتك أن تشكوني ، وأن تطلب من الوكيل التجاري الالتزام ، لكن هذه السنة حصل مكتب الجمارك على ستين ألف "باردواس" ، وسأطلع سيادتك على السبب لهذا النقص .

لا أريد سلطة لأصدر أوامر بخصوص خزينة سموّه ، ولا أن أمنح جوائز باسمه كما تقول سيادتك في رسالتك بأنني أفعل ذلك ، إن

كنت قد منحت ثلاثمائة "باردواس" "لبيرنالديم دي سوزا" ونفس القدر لشقيقه فذلك لأنهما أطلعاني بأن "مارتيم أفونسو دي سوزا" قد أمر بما تمّ منحه لهما ، وأن الأوامر الكتابية في طريقها لتسلم باليد بواسطة بيريز الذي لم يصل بعد .

كما أنني ما كنت قادراً على القيام بذلك ، ولم تكن لي السلطة للقيام به وأيضاً ؛ لذلك طلبت من الوكيل التجاري منحهما ذلك ، وسأسلمه أنا الفاتورة والإيصال ، أعتقد أن "بيرنالديم دي سوزا" قد سلّمه واحداً آخر ووعده بالسداد له .

إذا لم يصادق "مارتيم أفونسو دي سوزا" ويُقرّ ولم يسجّله في الحسابات ؛ فعلى هذا لسيادتك عدم تصديقي ، وبأنني أقوم بالمستحيل ، ولست فرِحاً وسعيداً بإعطاء أموال سموّه وبعثرتها .

على سيادتك تصديقي لأنني أعددت أسطولاً للذهاب إلى "القطيف" الذي لم ينفق فيه سيدنا الملك أكثر مما يصرف على هيكل سفينتين وبارود وقذائف مدفعية ، لأجل نفس هذه القلعة قام "ماريم أفونسو دي سوزا" بإنفاق خمسة أو ستة آلاف "باردواس" ، ولم يحصل في النهاية على أي شيء .

استوليت أنا على قلعة (Loa) التي بناها (Bemgiura) ، وفي قراءة أخرى ابن جبر (Abemjebre) على ساحل مسقط ، والتي تسببت في أضرار عظيمة لهذه المملكة والتي لم تكلف سموه أكثر من صندوقين من البارود .

بعث "مارتيم أفونسو دي ميلو" بأسطول إلى "رشل" (Raxal) صرف

عليه ثمانية آلاف "بARDواس" ، وأرسل ابن أخيه "جورجي دي ميلو" إلى "موغستان" ، وأنفق أربعة عشر أو خمسة عشر ألف "باردواس" .

إنني أذكر تلك الأشياء لسيادتك حتى تعرف مقدار ما أنفقه الآخرون ، أما ما أنفقته أنا فهو : أعمال البناء في هذه القلعة ، والتي لم تكلف سموّه أي شيء ، بدءاً من حصن الكنيسة وحتى حصن العمدة بطول مئتين وخمسين قدماً وعشرة أقدام في العرض ، وبارتفاع خمسة وعشرين شبراً ... ، وقد قدّر كامل البناء بأربعين "ليكوس" .

كما قمت بتعميق الخندق في كل الجانبين (.....) طولاً ، وستة عشر قدماً عرضاً ، وقد كلّفني عشرة فقط ، أنجزت كل ذلك عن طريق الاستجداء ، وصرت عديم الإحساس بالخجل ، وأكثر إصراراً من "فرنسيسكاني" .

ليس عندي ما أقوله عن أعمال أخرى قمتُ بها ؛ لأن سموّه سدّد ما يخصها (...) ، لكن يعلم الله مقدار ما كلفتني ، هذا هو المحصول الذي جنيته منذ حضوري إلى هنا ، وقد أنفقت الكثير من الأموال في تعهدي بالعديد من الكسالى ، وتوفير احتياجات الكثير من "اللسكر" الفقراء في هذه القلعة الذين لا يستطيعون العيش على رواتبهم ومقدار الإعاشة التي يتلقونه .

لكنني أعترف لسيادتك بأنني لن أتمكن من القيام بأكثر من ذلك ، كما أنني أرى كيف هي قليلة كل تلك الأعمال والنفقات وما توفّره لي من ربح قليل .

صدقني ، سيادتك ، باعتبار كل ما مررت به من تجربه فقد قرّرت منزعجاً من الظلم والفشل في خدمة سموه ؛ الأمر جعلني أطلب من

الكتبة في هذه المحطة التجارية باسم سيادتك بعدم إدخالهم لأي شخص مرة ثانية أيّاً كانت مكانته دون أن أكون متواجداً وبحضوري ، وذلك حسبما جاء في أوامر سموّه في الأوامر المحلية السارية .

أمرت قاضي التاج بأن يحتفظ بسجلّ ؛ لاعتقادي بأن ذلك سيكون في خدمة الرّبّ وخدمة سموّه ، بهذه الطريقة فإن أيّ "لسكري" من الخدم سيتم دفع أجره ، وأؤكد لسيادتك أنه وبهذه الوسيلة فإن حوالي المائتين من الرجال لن يكون ممكناً دفع رواتبهم لأنهم ليسوا موجودين هنا في هذه القلعة .

من رأيي أن يصدر سيادتك أمراً للوكيل التجاري بعدم منح أكثر من ثلاثمائة رجل ؛ شريطة أن يكونوا في داخل القلعة ، ويقضون الليل بين جنباتها إن كان ذلك ممكناً ، لأنه مع أولئك الثلاثمائة المتمركزين في هذه القلعة ، وبالإضافة إلى مئتين من التجار الذين يعملون في تلك الطرق والذين يعيشون في هذه المدينة ؛ فهناك أيضاً رجال للدفاع عن القلعة .

من رواتب وإعاشة المائة رجل الذين نقلوا يمكن أن تكافئ اثنين أو ثلاثة من المواطنين ليقوموا بإطعام الرجال ، وسأقوم بمساعدتهم لخدمة سموّك وسيادتك ، وبهذه الطريقة فإن الرجال المتواجدين في هذه القلعة يمكن الاحتفاظ بهم .

على سيادتك أن تأمر الوكيل التجاري أن يؤدي فقط رواتبهم في حضوري ، سأحتفظ بقائمة بعدد المتواجدين واسم كل منهم ، وبناءً على ذلك سيتم الدفع لهم في هذه المحطة التجارية نقداً كما يأمر بذلك سموّك ، وليس في مكاتب الكتبة كما كان يتم حتى الآن .

عندي الكثير الذي أقوله لسيادتك عن هذا ، لكن هذا يكفي لإطْلاعك على احتياجات هذه القلعة حتى تقوم سيادتك بترتيب ما تراه الأفضل ، وما يصب في مصالح سموّه .

جرت العادة دائماً في هذه المملكة ، منح "كسوات" cabayas للملك وكبير الوزراء وأيضاً للمير Mirs الذين يحكمون هذه المملكة خلافاً عن خدمة سموه ، لهذا السبب كان من الضروري أن تقدم كسوة شرفية cabaya لشقيق كبير الوزراء ريس عبد الدين عندما ذهب للاستيلاء على قلعة "القطيف" .

لعدم وجود سلطة بيدي لأصدر أوامر بخصوص خزينة سموّه كان عليَّ إطلاع الوكيل التجاري عن تلك الـ "cabaya" طالما أنّ الكل قال إن تلك هي العادة وأن ذلك كان مهمّاً لخدمة سيدنا الملك ، وأنه عليَّ أن أقدم إيصالاً لسداد ما تكلفه الـ "cabayas" ، لم يصادق الحاكم "مارتيم افونسو" على ذلك ، لكن "مارتيم أفونسو" كان معه صكٌّ كتابيٌّ أرسل إلى هنا وافق فيه على أن يرصد في حساب "فرانسيسكو لوبيز" تكلفة الـ "cabaya" التي أمر "مارتيم أفونسو دي ميلو" أن تؤدّى لكبير الوزراء عندما توفيت زوجته .

(نص غير كامل) ....

.... شاهد هذا الأمر ، وبما أن "ماريتم أفونسو" لم يرغب في أن تتغير هذه الجمارك ، فقد رأيت أن من الملائم والمناسب بدرجة أكبر لهذه التي أعطيتها ليتم قيدها في الحسابات - لأنها بالإضافة لهذه المملكة - وهي نفقات يتم صرفها في خدمة سموّه ، وسأكون شاكراً

للغاية في حال أمرتم فخامتكم بقيدها في الحسابات ، وإفادتي بما ينبغي عليّ أن أفعله في هذا الشأن في المستقبل .

سيتم تنفيذ ما يأمر به فخامتكم ، على الرغم من أن الحالات أقوى من القوانين ، ويحدث في كل يوم شيء في هذه المملكة ، يصبح من الضروري معه خرق الأوامر المستديمة ، وإذا لم يتم ذلك ، فستسقط هذه القلعة .

قد طلبت من الحاكم "مارتيم أفونسو" أوامر خطية لهذا الغرض بسبب المسافة ، ولأن من الضروري انتظار انتهاء موسم الرياح الموسمية قبل استلام رد في أمور يمكن العلاج فيها في سرعة الإرسال .

سبق للسكرتير أن كان في هذه البلاد ، وسيبلغ فخامتكم عن هذه الأشياء استناداً إلى تجربة فعلية ، على الرغم من أن الزمن يغير الأشياء ، وتختلف هذه البلاد كثيراً عن الحال التي تركها عليها .

تحتاج القلعة إلى ثلاث أو أربع سفن "قاطور" catur جديدة ؛ لأن جميع السفن "القاطور" هنا قديمة وغير ملائمة ، ويمكن استخدام اثنتين فقط منها ، ولا يوجد ربابنة أو رجال لها ؛ لأنني لا أستطيع أن أجد أي شخص يرغب يقبل بها في ضوء الرّبح القليل المتوقع منها والمصاريف التي يتعيّن إنفاقها عليها .

أعتقد أن على فخامتكم أن تأمروا بأن الترتيبات الخاصة بالإنفاق على هذه السفن يجب ألا تكون تلك التي يطبقها فخامتكم في "غوا" ؛ حيث يتلقى ربابنة سفن "القاطور" إعاشتهم سواء كانوا على البحر أو البر في جميع الأوقات ، ويحصلون على اثنين "بارداواً" إضافيين في كل

شهر ، ومن المعقول أيضاً أن يحصل الرّبّان على مكافأة إضافية وميزة بما أنه يتعين عليه إحضار مناشف وأحواض من منزله .

أعتقد أن هناك البعض الذين سيريدونها بتلك الطريقة ، ومن المستحيل الآن جعل سفينتي "قاطور" جاهزتين ؛ إذ إنني أمرت للتو بتجهيز واحدة بسبب أنباء عن عدد غير محدد من قراصنة الطرادات "Nodhaki terradas" في الطريق إلى "لارك" ولا أستطيع إرسالها دون قدر كبير من التعب والتكاليف .

أرجو أن تناقش كل الذي كتبته أعلاه مع جميع أولئك الذين يعرفون شيئاً عن هرمز ، وإنني متأكد من أنهم إذا أرادوا إخبار فخامتكم بالحقيقة ، وتم إطلاعهم على ما كتبت لسموّكم في خضم حماسي لخدمة الرّبّ وسموّه ، فسيوافقون على أن ما أقوله ضروريٌّ ومفيد لهذه المملكة .

أما بالنسبة لما يكتبه فخامتكم لي عن الرجال الذين يتعرضون للقتل والعذاري اللواتي يتعرضن للاغتصاب هنا ؛ فقد أمرت قاضي التاج بأن يرسل لفخامتكم بياناً بالحالات التي استمع إليها قضاة التاج هنا ، والأحكام التي صدرت ، وسترون فخامتكم منها كم هي قليلة ، أو حجم العدالة التي تُطبق هنا ، وربما كان أحد ما مذنباً ويستحق العقاب ؛ إذ إنني لا أملك عقلية قانونيّة ، ولا أفهم الأمور القانونيّة .

إذا كانت الأطراف المتنازعة غير راضية ، ولم يتم تحقيق العدالة بشكل كامل ؛ فإن هذا خطأ الحاكم "مارتيم أفونسو" ، ويقع على ضميره ، إذ إنه أبعد "أنطونيو باربودو" من هنا ، وبعث "بألفارو فاز"

(كريسميت؟) الذي أصبح مريضاً للغاية وغير لائق للعمل إلى حدّ اضطرّ معه إلى المغادرة وترك الاختصاص القضائي إلى "رافائيل كروانيل" ، وهو "لسكري" ، لعدم وجود أحد في المدينة برمتها اعتبره أكثر ملاءمة للمنصب .

كان هو الذي أعطاه المنصب وليس أنا الذي أعطيته إياه ، وأما قاضي التاج الذي أرسلتموه فخامتكم بقدومه قررت عدم البتّ في كثير من القضايا والمتهمين الموجودين في السجن هنا ، ومنذ وصوله شرع في البتّ فيها .

من الآن فصاعداً ، وفي حال جاء أي أحد ليتحدث إلى فخامتكم عن العدالة يجب إلقاء اللوم عليه ؛ لأنني غسلت يديّ عن القيام بأي شيء آخر يتعلق بالأمور القانونيّة ؛ إذ إنني لم أتعلم أبداً أي اختصاص قضائيّ ، ولا أتمتع بعقليّة قانونيّة .

أصدر لي الحاكم "مارتيم أفونسو" أمراً بإرسال أربعين حصاناً إلى "تشول" في كل سنة ، ويبدو أنه عندما كُتب الأمر لم تتم الإشارة إلى أن هذا يجب أن يتم في كل سنة ، وسأكون شاكراً للغاية في حال وافقتم على هذا إن لم يكن بالأمر ، وأصدر لي أمراً آخر لأرسل سفينة إلى البنغال في كل سنة وأخرى إلى "مالاكا" .

أرجو من فخامتكم التكرّم أيضاً باعتماد هذا الأمر ، وأيضاً إن العشرين حصاناً التي أستطيع إرسالها إلى البنغال ربما أرسلها إلى أي مكان آخر في "كامباي" .

لن يخسر سموّه شيئاً في هذا ، وإنني أجازف بأن تموت الجياد

وأخسر مستحقاتي ، وهذه هي الأفضال التي يمكن لفخامتكم أن تمنحوني إياها .

بالنسبة للبقية ؛ آمل أن يتم المزيد بشأنها عند إبلاغ سموّه بالخدمات التي قدمتها له منذ أن كنت في القلعة .

إن الخدمات والمصاريف والأعمال التي أديتها قبل دخول هذه القلعة ستستحق أقل كثيراً مما تستطيع هرمز الوفاء به .

أدعو الله أن يطيل عمل فخامتكم .

هرمز ، الأول من شهر يناير ، عام ١٥٤٦م .

إن "أنطونيو دي جوفيا" - الذي يوصل هذه الرسالة لفخامتكم ، وعلاوة على كونه ابن أبيه - يستحق تكريماً وفضلاً أكثر لما يتمتع به من ميزات ولخدمته لسموّه في هذه الأنحاء .

هو يغادر هذه البلاد ليخدم فخامتكم ، وسيكون لي نصيب في كل فضل وتكريم تمنحونه إياه .

"لويس فالكاو"

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao"رسالة إلى حاكم الهند ، هرمز ، في السادس من شهر يناير ، عام ١٥٤٦م ، يصف له جنوب العراق وأن الأتراك يبنون قلعة في زكية : (٣٤)

سيدي ..

من "لويس فالكاو" :

نسيت أن أطلع سيادتك عندما كتبت بأن الأتراك يبنون قلعة في "زكية" "yzaquia" التي تبعد مسيرة يوم من البصرة ، على سيادتك عدم الاكتراث لنسياني ؛ لأن هناك الكثير لا تذكره ؛ فإن أولئك الأتراك الخبثاء قد اقتربوا كثيراً من هذه القلعة ، لكن هناك الكثير لأكتبه حتى إنني لا أدري ما أفعل ، هل سيكون شيئاً سيئاً أن أشق على سيادتك بالكثير من الرسائل أو عدم الكتابة عما هو ضروري عن

(٣٤) رقم الوثيقة والهامش.

هذه المملكة ، لكن كلها في بعضها ؛ فإنني أرى من الأفضل أن أضايق سيادتك لأنني أعلم أنك ستتلقاها بالكثير من الصبر ؛ لأن الوضع خطير إن لم أفعل ذلك .

"زكية" عبارة عن مستقطعة لوردية تجاور البصرة ، وفي حالة حرب دائمة مع ملك البصرة ، وللانتقام منه كتب سيدها لعظيم الترك يطلب منه بناء قلعة في بلاده وأنه يرغب في أن يكون أحد أتباعه .

رافق سفيره مائتان من حاملي البنادق وخمسون من الفرسان ، وبذلك غادره كل الجنود الذين معه .

كتب إلى بغداد يطلب منها إرسال المزيد من الجنود ، جاؤوا فعلاً مع مدافع للقلعة التي اكتملت تقريباً على ضفة النهر ، كان كل ما يطلبه يأتي في سرعة شديدة عبر النهر من بغداد على مراكب صغيرة تسمى دنقية ، لكنها تستطيع حمل أكبر عدد من الرجال .

لا يخشى كثيراً من هذه القلعة لأنها ليست بالكبيرة ، لكن هناك الكثير من الناس الخبثاء الذين يخشى المرء أن يقوموا بمهاجمة البصرة غداً ويستولوا عليها ، إن كانوا سادة هناك فيمكنهم السيطرة على هذا المضيق مثلما تقول البصرة حالياً ، عشرون سفينة فقط كافية لتضمن عدم إبحار أي سفينة أخرى هناك ، لذلك إذا أردنا وقف هذه الأعمال فسيكون ميزة جيدة تتعلق بالسلام والأمن لهذه البلاد .

الأمور الكبيرة تبدأ بأشياء صغيرة ، إذا كان سيادتك مهتماً ويعتقد أنه من المفيد لمصالح سموه أنه عليَّ الذهاب لمساعدة ملك البصرة

للاستيلاء على هذه القلعة ؛ فإنني على استعداد كامل للقيام بذلك ، وأن أنفق على ذلك كل الأمور التي بحوزتي .

كتبت ومعي كبير الوزراء لملك البصرة أنه من الأهمية لشرفه وسلامة حدوده أن يقوم بطرد أولئك الناس من "زكية" ، وأن عليه التدارس مرة أخرى مع الملك هنا وأن يضما قواتهما وقوتهما طالما أن ذلك يصب في مصلحة كليهما أن يبعدا العدو خارج أراضيهما ، والاستيلاء مرة أخرى على القلعة – سأبعث لسيادتك الرد الذي سيبعث به لطرفي .

بعد وصول المركب الذي جاء بتلك الأخبار وصل مركب آخر من البصرة بأخبار تقول إن ابن عظيم الترك قد وصل بغداد مع سبعة آلاف من الفرسان ، وإنهم لن يستقبلوهم داخل المدينة .

ما استنتجناه أن عظيم الترك قد توفي كما كتبت مطلعاً سيادتك بذلك ، إن كان ذلك صحيحاً فلن يطول الأمر حتى يصبح مصروفاً للجميع ، تلك ليست أشياء تجعل سيادتك ينسى هذه القلعة ، أو أن تأمر بأن يتوقف العمل في بنائها حتى وإن أمر سموّه بذلك ، ينقص هذه القلعة الرجال والبارود وسفن تبحر بالمجاذيف ، وعلى سيادتك أن يوفر تلك الأشياء بأسرع وقت ممكن وعدم الانتظار حتى إرسالها عند فصل "المونسون" في مايو ؛ لأنهم سيتعرضون لمخاطر دمار وكارثة إن حدث ذلك .

ليس هناك المزيد للكتابة عنه سوى السؤال من الله أن يطيل عمرك وملكك لسنوات كثيرة قادمة .

كتبت في هرمز في السادس من شهر يناير ، عام ١٥٤٦م

لا داعي لأن أعرّف سيادتك على "جيل فاز دي الميدا" ، حامل هذه الرسالة لأنه يجب تكريمه ومنحه لأنه ابن أبيه بغضّ النظر عن شخصه في حد ذاته .

لقد جاء معي (من هو؟!) أخبار الأتراك ، في الأيام التي قضيتها هنا ، كان هو قد قضاها في الأسطول هنا ، مما أعرفه عنه فإنني لست راغباً بتركه يذهب من هنا سوى أن ذلك يصبّ في خدمة سيادتك ، والذي ستمنحه أنت الشرف والتكريم المناسب ، وهو ما لا يمكنه القيام به هنا ، وفي كل ما تقوم به تجاهه فسيكون لي جزء فيه .

"لويس فالكاو"

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلـى حاكم الهند ، هرمز في العاشر من شهر يناير ، عام ١٥٤٦م ، وذكر أن شيخ البصرة هاجم زكية ، وأن سلطان الأتراك قد توفي : (٣٥)

سيدي ..

من "لويس فالكاو" قائد هرمز

بعد أن كتبت لسيادتك عن أن الأتراك يبنون قلعة في (yzaquya) ذهب ملك البصرة لمهاجمتها مع العديد من الرجال برّاً وبحراً ، وأحاط بها وقتل بعض السكان ، التاجر الذي جاء بتلك الأخبار أكّد أن عظيم الترك قد توفي ، وهناك العديد من الإثباتات التي تؤيد هذا الرجل : جرأة ملك البصرة لمهاجمة تلك القلعة ، وأحد أبناء عظيم الترك يذهب إلى بغداد مع سبعة آلاف من الفرسان .

(٣٥) رقم الوثيقة والهامش.

نسأل الله أن يكون ذلك صحيحاً حتى يتركنا هؤلاء القوم نعيش في سلام لعدة أيام ، لقد مارسوا علينا ضغطاً أكبر بقولهم إنهم قادمون ، أو ربما قد يأتون .

"فيرناو دي الفاريز دي اندراد" الذي يعمل كاتباً في مكتب الجمارك هنا طلب مني ذكره أمام سيادتك ، وأن أقول إنه سيكون ممتناً إن منحته إعفاءً من أربعة "ليكوس" من حقوقه كما هي العادة هنا ، ومثل ما كان يتلقى الكتبة الآخرون في الماضي دائماً ، وهي تُمنح عن طريق صكوك كتابية من الحكام ، ومن المعقول والمناسب أن تقوم سيادتك بذلك .

لم يكن هناك من استحقها من قبل أكثر منه ، إنني أدين له بهذا ، ولذلك رأيت أن من واجبي تذكيرك ، وأطلب منك ذلك الفضل والإحسان لأنها كانت فكرة الراحل "نونو دا كونها" الذي حاربت معه في هذه البلاد لسنوات عديدة ، سيكون جيّداً أن تمنحه من أجل صلة القرابة .

كما سيكون سيادتك قد قدم لي خدمة كبيرة أن تؤدي له ما كان يؤدّى للآخرين في الماضي ، إنه لا يريدها من أجل الرّبّح بقدر ما هي من أجل الكرامة والشرف اللذين سيفقدهما إن تلقى أقل من ذلك عن الآخرين الذين تلقوها في الماضي .

نسأل الله أن يطيل عمر سيادتك ودولتك لسنوات عديدة قادمة .

من هرمز في العاشر من شهر يناير ، عام ١٥٤٦م

"لويس فالكاو"

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث قاضي هرمز رسالة إلى الحاكم ، هرمز ، في الرابع عشر من شهر يناير ، عام ١٥٤٦م ، يذكر أحوال ريس شرف : (٣٦)

سيدي ..

تسلمت رسالة من سيادتك بواسطة "اليكسيوس كارفالهو" الذي وصل إلى هذه المدينة في العاشر من شهر يناير هذا ، أيضاً أطلعني على العديد من الأشياء شفهياً تتفق وما جاء في الرسالة - وكلها كانت عن ريس نور الدين ، كما كتبت لك قبل الآن عما حدث بخصوص مغادرته .

لن أكتب بالتفصيل هنا لكنني سأبين ما يجري هنا في الوقت الحالي :

لا زال هو مريضاً سيدي ، بالرغم مما يبدو عليه وما يقول ، فالراجح أنه حتى وإن كان في صحة جيدة لما كان قد غادر ، لا أدري سبب ذلك فهو كبير السن بما فيه الكفاية ليقوم باتخاذ قرارات سيئة بنفسه ، وأنا

---

(٣٦) رقم الوثيقة والهامش.

أعتقد أن والدته بالرغم من دعواتها له بالتوفيق والمباركة وتدعمه ، فإنها تحثه وتنصحه بالمغادرة .

لقد أطلعته أنا ، وقدّمت له كل الأسباب التي فكّرت فيها لإقناعه بالذهاب ورؤية والده الذي يسأل عنه والذي وبناءً على رغباته عليه الالتزام والتوافق معها ، وبما أن سيادتك قد كتبت له في السابق ، وأمرته بأن يقوم بذلك مرتين قبل الآن ، كما أعتقد أن الأمر يجب أن يأتي من "البرتغال" من سيدنا الملك ؛ لأن ذلك وحده سيكون كافياً له ليأتي وأنفه في الأرض ، في الحقيقة لو كان حافياً ..

إن كاهلي مثقلا بمنصب كبير هذا لكنت أبحرت إلى هناك في الحال ، لكن بما أن المملكة وكل مشاغلها مهمة جداً ، وتحتاج لوجود المرء في كل يوم ، وأن الملك شابٌّ صغير السنّ كما يعلم سيادتك ؛ فإن هذا (.....) يمنعني أيضاً .

ليس هناك من أترك ذلك تحت عنايته حتى وإن أبديت هذه الرغبة التي ذكرتها ، ما يُحبطني في هذا الأمر أنهم يعتقدون أنه بطريقة ما أنا أمنع ريس نور من الحضور ، لكن أولئك ناس لا يعرفونني جيداً ، ولا من أنا وما هو قصدي .

أنا أدرك تماماً ، يا سيدي ، أن ريس شرف ، عمي وصهري ، وعليه الحضور إلى هرمز حتى وإن لم يذهب ابنه إلى "غوا" لوجود قلعة لسيدنا ملك "البرتغال" هنا لهذا الغرض ، دخلتها ومعي سيدي ملك هرمز قبل عدة أيام بسبب هجوم مفاجئ من قبل الأتراك في شهر إبريل .

إن وصل ريس شرف إلى هنا يمكنه وضع ابنه في القلعة حتى ذهابه

إلى "غوا" خلال فترة "المونسون" ، أنا على علم أيضاً ، سيدي ، أن عمي بلغ من العمر عتياً ، وكما تقول سيادتك ولأسباب طبيعية فإن أيامه أصبحت قليلة وسيلقى حتفه قريباً .

سأظل دائماً أحد قادة هذه البلاد لأسباب عديدة تؤدي لذلك ، وحتى أيضاً أسبابه التي تتعلق بشخصي ، لذلك سأكون أول من يساعده في دفة الحكم ، وفي مواجهة الصعوبات التي تواجهه ، لكن إن لم تحدث كل الأمور بهذه الطريقة ولم يشرفني ولم يعاملني كما يجب ؛ أستطيع أن أتدبر حياتي مثل الكثير من الآخرين ، إن توفاه الله فإن طلباً للتعيين في منصبه ما زال موجوداً معي ، لكن أناساً آخرين من هذه المدينة سيتقدمون أيضاً بترشيح أنفسهم .

على أية حال ؛ فأنا يحدوني الأمل بشأنها ، لأنني أنا من أنا ، وقد قدمت بياناً عن شخصي خلال فترة عملي ، وأرجو أن أتسلمها ؛ لأنك سيادتك قد رفعت من شأني حالياً بالرسالة التي كتبتها لي ، لذلك ومن أجل تلك الأسباب ليس عليَّ أن أقلق ، سيدي ، بخصوص حضور عمي .

يجب أن أكون سعيداً في الحقيقة أن أرى نهاية أيامه في منزله وبين أقربائه ، وليس في "البرتغال" ، أرضاً بعيدة يسكنها أناس ينتمون إلى دين مختلف تماماً ، وهذا وحده كاف لي ، أنا على الأقل أؤمن بأنه كان مسلماً جيداً .

لست قلقاً من هذا الأمر (....) ولن أوفر أي فرصة لإعاقته ، سيدي ، أنا على قناعة بأن السبب الرئيس الذي منع ريس نور الدين بالمغادرة السريعة

هو والدته ، التي تحبّه بالقدر الذي تحب به كل أمّ ابنها ، أضف لذلك المرض الذي يعاني خلال شبابه وما زال مريضاً جداً جداً من حالة مزمنة في "البحرين" ، وهو المرض الذي توفي بسببه شقيقه وهو مرض خطير ومريع .

سيدي ، حتى يغادر "اليكوس كارفالهو" مرة أخرى ؛ فسأواصل في حثّ ريس نور الدين بالإبحار ، وإنجاز ما أمر به والده ، وما تقتضيه الأوضاع ، وعلى سيادتك توجيهه أن يقوم تحت هذه الظروف المناسبة التي تَصِفها أنت لي في رسالتك والتي سأعرضها عليه .

إن لم يكن راغباً في القيام بذلك ، فتأكد –سيدي– أنني لم أتمكن من القيام بأي شيء ، ولا لوم عليَّ في ذلك ؛ لأن السبب هو أنه اتبع نصيحة والدته مع قليل من الخوف أن يصاب بالمرض في عرض البحر ، وهو بفضل الانتظار أيّاً كان ما قد يصيبه نتيجة لذلك .

أطال الله عمر سيادتك لسنوات عديدة قادمة

من هرمز في الرابع عشر من شهر يناير ، عام ١٥٤٦م أنا كبير الوزراء أقبّل يدي سيادتك العظيمتين .

إلى السيد والحاكم من كبير وزراء هرمز الذي جاء في الخامس عشر من شهر فبراير ، عام ١٥٤٦م .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعثت "بيبي روهاك" "Baby Rohack" ، زوجة الريس شرف ، رسالة إلـى الحاكـم "دوم جـواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، هرمز ، في الثامن والعشرين من شهر يناير ، عام ١٥٤٦م ، تنكر أنها تبرأت من زوجها وتدعو اللـه أن ينزل العقوبة على الّذين وجهوا الإهانة لها : (٣٧)

سيدي ..

من "بيبي روهاك" ، زوجة الريس شرف

على الرغم من أن النساء في عرفنا لا يكتبن الرسائل ، ولا سيما لرجل رفيع المكانة ، وهو أمر مريع للغاية في المجتمع المسلم ، إلا أنني ، أنا زوجة الريس شرف ووالدة طفليه الريس نور الدين و"بيبي أبيبا" ، حزينةٌ من الافتراءات التي قيلت في حقي ، والتي قيل لي إنها نُقلت

(٣٧) رقم الوثيقة والهامش.

إلى فخامتكم ، وقد قيل إنني أنكره كزوج ، وإنني لذلك السبب لا أعرفه ، ولدى وصول فخامتكم سبّب لي هذا الأمر أسفاً .

إنني أدعو رب السماوات أن ينزل عقوبته على أي شخص وجّه هذه الإهانة ضدي ؛ إذ إنني ليس لي زوج أو سيد – عدا الرّبّ – سوى الريس شرف ، ولم أعرف رجلاً أبداً سواه ، ويعلم الله أنه أرادني أن أصاحبه أينما ذهب ، ليس فقط في "غوا" ، وإنما في "البرتغال" ، وكنت سأفعل ذلك .

ليس الخطأ خطأ ابنه وابني الريس نور الدين لأنه مريض وطريح الفراش كما يعلم الجميع ، وليس لديّ تأثير على العالم الخارجي ، كما يملك هو نفوذاً على أطفاله الآخرين لأنهم من أمّين مختلفتين ، وأقول هذا عن الابن الوحيد إذ إن الله أخذ الآخَر مني .

بالنسبة للابن الذي لا أزال أملك التأثير عليه ، أُعلن أنه ، وفور تمتعه بالصحة الجيدة إذا منّ الله عليه بها ، وأصدر فخامتكم أمراً ، سيذهب إلى "غوا" و"البرتغال" وإلى آخر الدنيا لخدمة والده ، وسأفعل ما هو صحيحٌ معه .

أدعو الله أن يرتاح الريس شرف من المصاعب الكثيرة التي يعاني منها طوال الثمانية عشر عاماً الماضية خلال الأيام الباقية له من عمره .

لن يكون لامرأة تحب الله وأنجبت أطفالاً من رجل نبيل كهذا أن تتنكر له ، وإنني على استعداد للموت من أجله ولدخول السجن إن كان ذلك ملائماً ، وهذه هي الحقيقية الثابتة عندي ، وليس الأكاذيب التي قيلت للريس شرف ، والذي يؤلمني هو أن يذهب ابني إلى

"البرتغال" ويؤخذ مني ليذهب بعيداً ، وإنني اعترف بأنه ألم كبير سأعاني منه ، ولكن ليس أعظم ألم ، ليس لأنني أنجبت ، ولكنه ألم سأسببه لابنتي وابني كعشرين حالة وفاة من أجل ألا أسبّب أشياء للريش شرف ، الذي أدعو الله أن يعيده أمام عيني ، أو فخامتكم – الذي أدعو الله أن يعيدكم أمام عيون السيدة زوجتكم وأطفالكم .

هرمز ، الثامن والعشرين من شهر يناير ، عام ١٥٤٦م

جاريتكم ، "بيبي روهاك "

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "غونسالو فالكاو" "Goncalo Falcao" رسالة إلى الحاكم ، بتاريخ عام ١٥٤٦م ، يذكر فيها انتصارات الحاكم بالقرب من مملكة عادل خان المسلم : (٣٨)

سيدي ..

علمت من رسالة كتبها فخامتكم إلى "لويس فالكاو" بالانتصارات العظيمة التي حقّقها فخامتكم بالقرب من مملكة عادل خان .

إنني أدرك الآن مدى قلة حظي الذي جعلني أبقى في حوض جافّ حتى لا أكون مع فخامتكم في تلك الفتوحات ، وإذا لم يكن فخامتكم يتذكر أنكم تركتموني هنا اعتقاداً منكم بأنني بهذه الطريقة أخدم سموّه ؛ فإن أسفي كان سيعادل سروري وسعادتي لو أنني وجدت نفسي مع فخامتكم في هذه المعركة العظيمة .

---

(٣٨) رقم الوثيقة والهامش.

لكنني أرى من المؤكد أن الرّبّ سيوفّق فخامتكم لانتصارات أخرى عديدة ، وآمل في أن أقاتل فيها بعد أن فاتني القتال معكم في هذه الحملات .

إنني لست بارعاً في إعطاء الأخبار ، ولذلك لا أرسل لفخامتكم أيّ أنباء ولا أقول أيّ أخبار ، وأكتفي بأن أدعو الله أن يطيل عمركم .

"غونسالو فالكاو"

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" ، قائد هرمز ، رسالة إلـى "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، نائب الملك في الهند ، هرمز ، في الأول من شهر فبراير عام ١٥٤٦م ، ويهدي الحاكم كتاب الإسكندر باللغة الفارسية : [٣٩]

أبلغني "اليكسوس دي كارفالهو" بالنيابة عن فخامتكم بأن أرسل إليكم كتاب الإسكندر باللغة الفارسية ، وإني مرسله إليكم على الرغم من أنني أعتبر كتابات هؤلاء المسلمين أقلّ جدارة بالثقة من كتاباتنا ، وهناك قصص أخرى في هذا الكتاب ، علاوة على قصص الإسكندر ، أعتقد أن "دوم فيرناندو" ، أو أيّ رجل آخر في العالم ، سوف يستمتع بها .

إنني مرسل أسيرين نصرانيين إلى هناك ، وكانا قد هربا قبل وقت قصير من حلب ، ولم يقدّما أيّ أنباء بسبب قصر الفترة التي قضياها

---

(٣٩) رقم الوثيقة والهامش.

رهن الاحتجاز ، وأما الأخبار التي سيقدّمانها فسوف يوضّحانها لفخامتكم هناك ، ولذلك لا أذكر شيئاً عنها هنا .

في الوقت الحاضر لا يوجد المزيد الذي أقوله ، ما عدا أن أدعو الرّبّ ليحفظ فخامتكم .

الخ الخ ....

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلـى حاكم الهند ، من هرمز في الأول من شهر فبراير ، عام ١٥٤٦م ، يبيّن فيها أن كل المحاولات لم تكن كافية لثني أبناء ريس شرف عن أعمالهم الشريرة : [٤٠]

سيدي ..

من "لويس فالكاو" ، قائد هرمز

كلّ المجهودات والمحاولات الحثيثة من "اليكسو كارفالهو" لم تكن كافية لثني أبناء ريس شرف عن أعمالهم الشريرة ونواياهم الشّيطانيّة ، سيُطلع "اليكسو كارفالهو" سيادتكم بالصعوبات التي واجهها في حثّهم وإقناعهم لمغادرة هذا المكان ، ولذلك لن أصفها لسيادتك .

أطلعني "اليكسو كارفالهو" ، نقلاً عنك ، أنه عليَّ أن أبعث لك

(٤٠) رقم الوثيقة والهامش.

"اليكسندر" بالفارسية ، أقوم بإرسالها حاليّاً ، بالرغم من أنني أعتبر الكتابة عن أولئك المسلمين أقلّ تشويقاً عنا ، هناك قصص أخرى في هذا الكتاب خلاف تلك المتعلقة "باليكسندر" التي أعتقد أن دوم فيرناندو أو أيّ رجل آخر في هذا العالم قد يستمتع أكثر بها مثل ما يستمتع بها سيادتك .

أبعث إلى "غوا" باثنين من العبيد المسيحيين الذين هربوا من حلب قبل مدة قصيرة ، لن يتمكّنا من تقديم أيّ أخبار لأنهما كانا عبدين لفترة قليلة ، لكن سيُطلعان سيادتك على ما عندهما ، ولذلك لن أكتب عنه .

لا يوجد شيء يمكن الكتابة عنه حالياً سوى أن نسأل الله أن يمدّ في عمر سيادتك ودولتك لسنوات قادمة .

من هرمز في اليوم الأول من فبراير

"لويس فالكاو"

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)
بعث "باستياو لوبيز" "Bastiao Lopez" رسالة إلى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، هرمز ، الثالث من شهر فبراير ، عام ١٥٤٦م ، وبها أمور تختص بموضع الشاه طهماسب : [٤١]

سيدي ..

من "باستياو لوبيز لوباتو" ، الوكيل التجاري

بشأن موضوع "الشاه طهماسب" :

كتبت قبل أيام لفخامتكم بما حدث للريس نور الدين ، نجل الريس شرف ، وعندما وصل "اليكسو كارفالهو" ، استشاط غضباً لاستدعائه مرة ثانية ، ولتعرضه للتقريع من قِبَل البعض ، لأنه لم ير والده على الرغم من أنه قد طلب منه ، ونصح بأن يفعل ذلك ، وكان متوعّكاً قليلاً ، ولكنه الآن أشدّ مرضاً مما كان في السابق .

(٤١) رقم الوثيقة والهامش.

كان بالإمكان أن يوجد له العذر كابن لعدم ذهابه لرؤية والده والمخاطرة بجزء يسير من حياته وبكثير من صحته ، وهو يرفض الذهاب في الوقت الحاضر ، ولكنه يقول إن علّته ووعْكته خفيفتان ، وحالما أدرك "اليكسو دي كارفالهو" رغبته في السلطة والصلاحيات التي يستمدها من الريس شرف ، سمح له بأن يتولى حقوقه كاملة باعتباره "caciz mor" وفقاً لطقوس دينه الزائف ، الذي كنت حاضراً خلاله ، وبدا لي الأمر محض إساءة معاملة كما سترى فخامتكم من التقارير الخاصة بهذا الأمر .

سيروي "اليكسوس كارفالهو" فهو الذي أعدها عن الطقوس بتفصيل أكثر ، وسيحكي ما حدث من أمور أخرى ، وما حاولت القيام به ونصحت به ، وكيف عرَضت نفسي على الريس نور الدين لإلزامه بالذهاب لرؤية والده ، دون تحقيق أي شيء ، ولست أعتقد أنه أمر غريب على نحو خاص أن تجد نية سيئة لدى أناس من هذا الطراز ؛ فهم لا يكنّون حباً أو احتراماً للعمر ويفتقرون للمحبة ، ويعامل الآباء الأبناء ، والأبناء الآباء بهذه الطريقة ، وعلى نحو أسوأ من معاملة أي شخص لي .

إنني أشعر بالأسف الشديد لعدم قدرتي على أن أخدم فخامتكم في هذا الأمر حسب أوامركم ؛ إذ إنني أرغب في أن أحقق الرضى في جميع هذه الأمور ، ولكن الأمر الواضح هو أن ابناً ينكر طاعته لوالده لن يقبل نصيحة جيدة بشأن أيّ شيء ، كما يتضح من هذه الحالة .

قد أمرتني فخامتكم بأن أخدم في هذا المنصب من أجل أن تبدي لي تكريماً وفضلاً ، وإنني أقبل هذا كفضل عظيم للغاية ، وأشعر بالتقدير

لحسن النية الذي انطوى عليه إقدام فخامتكم على هذا الأمر ، وبعد التوصية الأولى والتي تدعو إلى حب الرّبّ أكثر من أيّ أحد أو شيء آخر ، سأدرّس أطفالي وآمرهم بخدمة فخامتكم ، وبأن يتذكروا دائماً القيام بذلك من أجلي ، وأن يقرّوا بالفضل للالتزام الذي أحمله تجاه فخامتكم وتجاه شؤونكم .

آمل أن يفعلوا هذا كنصارى وكأبناء لي ، وألا يكونوا مثل أبناء الريس شرف غير المطيعين وغير المقرّين بالفضل ، وإنما عليهم أن يقبلوا ويتذكروا دائماً القيام بذلك من أجلي ، وأن يقرّوا بالفضل للالتزام الذي أحمله تجاه فخامتكم وتجاه شؤونكم ، وآمل أن يفعلوا هذا كنصارى وكأبناء لي وألا يكونوا مثل أبناء الريس شرف غير المطيعين وغير المقرين بالفضل ، وإنما عليهم أن يقبلوا ويتذكروا ما علمتهم إياه خلال حياتي وطلبت منهم إظهاره .

سيدي ..

إنني أتعلم في هذا المنصب أن الصعوبات ستتبعني وستزداد باطّراد ؛ إذ إنني أرى نُذُرَ وإشارات ذلك ، والناس الذين يعيشون هنا وأولئك الذين يأتون إلى هنا ببضائعهم متغطرسون للغاية وغير عقلانيين في تسيير شؤونهم ، ومن أجل إعادتهم إلى المنطق يتطلب الأمر قدراً كبيراً من الصلاحية والسلطة لمعاقبتهم وجعْلهم يخافون ؛ إذ إن هؤلاء الناس لا يرغبون في أن يتم التعامل معهم بطريقة أخرى ، ويدرك السكرتير جيداً أن الأمر هكذا ؛ إذ إنه –وعلى الرغم من الصلاحيات التي يتمتع

بها- عندما جاء إلى هنا ، تعرّض لأسى بالغ ، وعانى من مضايقات كثيرة في إدارته دار الجمارك ، كما سيسمع فخامتكم منه .

إنني لا أكتب لفخامتكم عن هذه الأمور لأطلب من فخامتكم تزويدي بأيّ صلاحية ، وإنما فقط حتى تعرف الوضع الذي آلت إليه إدارة دار الجمارك ، والناس لا تريد ما هو صحيح وسليم ، وما يقوله القانون في هذه الحال هو أن يتم إبداء التكريم والفضل للتجار عند وضع رسم على بضائعهم ، وأن يتم هذا حتى لا يواجهوا مشاكل ، ولعدم رضائهم بهذا ؛ فإنهم يريدون مداخل أخرى وسلوكاً غير منطقي ، ومن أجل تخليصهم من هذه هناك حاجة لكثير من الوقت والعمل الشاق والمعاناة ، ولا يمكن القيام بكل هذا لهم جميعاً .

لذلك ، وإذا رغب فخامتكم في الإلمام بهذه الأمور بتفصيل أكثر ، وعلى نحو مؤكّد وصحيح ، يجب على فخامتكم أن ترسلوا إلى "بيرو غوميز" ، وهو مقيم في هذه المدينة وسيغادرها إلى ساو فرانسيسكو ، وهو رجلُ شرف ووفيٌّ وموثوق به ، وإذا سألته عن هذه الأمور فستتوصل إلى أنها كما ذكرت لكم ، وإنني أعيش هذه الأمور وأعاني بسببها .

على الرغم من ذلك يجب عليّ أن أخدم فخامتكم ، وأن أتحملها لذلك السبب حتى الموت (...) ، ليس لأنني رجل طيب ، بل من أجل أن أثبت لفخامتكم مدى تمسكي بالتزاماتي تجاهكم بسبب ما تنعمه عليّ من تكريم وفضل ؛ من خلال الثقة التي توليها لي .

إن هذا المنصب يا سيدي يسبب لي متاعب كثيرة ، ولم يجلب إلا

القليل من النتائج مقارنة بتلك المتاعب ، والنتيجة الوحيدة التي أردتها هي خدمة مولانا الملك حسب أوامر فخامتكم لي .

إنني أتذكر جيداً أنك قلت لي إنك لن ترسل لي أيّ أحد إلى هنا يصبح غنياً ، ولذلك فإنني أقسمت لفخامتكم بنية حسنة بأنني سأتعهد بعدم ترك هذا المكان وهو يعاني من ديون ، وإنني أجرؤ على هذا القول وأكتبه لأنني لا أوشك على الاستيلاء على ما يخص الملك أو يخص أناساً آخرين ؛ لأن هذا سيبدو وكأن فخامتكم ورفعتكم تفعلون ذلك ، وليس مسموحاً لي بأن أفعل ما يمكن أن يكون صحيحاً للغاية ، وما دام هذا هو الحال فإنني أجرؤ على الكتابة لكم بشأنه .

حيث إنني أرغب كثيراً يا سيدي في أن أتصرف بشكل صحيح ، وأن أفعل ما يأمر به فخامتكم ، ولكي أتمكن من أن أفعل هذا ؛ فإن عطف ومساعدة فخامتكم ضروريان ؛ إذ إنني لا أستطيع أن أفعل أي شيء على نحو صحيح ، دون هذا العطف وتلك المساعدة .

لذلك فإنني أتوسل لفخامتكم لمنحي أمراً خطّياً لأدفع لأولئك الأشخاص الذين أرى ذلك ملائماً لهم ، مبلغ ألفي "باردواً" من رواتبهم ؛ لأنني إذا تمكنت من أن أفعل هذا فسأجد رجالاً ، وسأجعلهم يشغلون مناصبهم عندما يتمثل واجبي في أن أتصرف في إطار خدمة الملك ولصالح خزانته ، أو أن آمرهم بأن يفعلوا ذلك .

يجب أن يكونوا أناساً أثق بهم وسيساعدني ذلك ، وتحدث أمور في كل الأوقات ويصبح القيام بهذا ضرورياً ، ولا أستطيع أن أتصرف وحدي ، وهذا ما حدث مؤخراً في حالة الكبريت الذي أمرْتني

فخامتُكم على نحو عاجل بأن أرسله لكم ، وكنت غير مستعد إلى حدّ بعيد للقيام بذلك ، ولولا حرصي الشديد بعد وصولي إلى هذه المدينة لانقضى وقت طويل دون شك قبل أن يتوفر قنطار واحد منه ، كما كان الحال قبل ثمانية شهور ، ولم يكن هناك أي كمية منه ، ولم يكن بالإمكان وجود أي كمية بسبب اثنين من الأرمن استأجرا الجبل الذي كان الكبريت يُستخرج منه في أراضي ملك "لار" على مسافة سبعين فرسخاً من هنا في داخل البلاد .

منذ أن حصلا على عقد الإيجار هذا ؛ ظل هذان الأرمنيان يبيعان هذا الكبريت للمسلمين الذين ينقلونه إلى "كامباي" ولأجزاء أخرى في الهند ، لأنهما يحصلان على سعر عال عنه ، وهناك أدلة على أن "البرتغاليين" ينقلونه إلى هناك ، ومن المؤكد أن البعض يشترونه وينقلونه إلى أيّ مكان شاءوا ؛ على الرغم من أن هذا لم يتم التأكد منه ، ومن المؤكد وهم يفعلون ذلك لأن هناك موانئ كثيرة على الجانب الفارسي حيث يجلبونه ويذهبون من مسافة تتراوح بين خمسة عشر وثلاثين فرسخاً من هذه القلعة .

قبل أيام قليلة سمعت أن بعض الجمال المحمّلة بالكبريت في طريقها إلى هنا ، وبعثت برجل إلى هناك - وهو برتغالي - ورجل آخر من "القاضي" وأحد أقارب اليهودي الذي حصل على الكبريت هنا للملك ، وقد سافروا مسافة ثلاثين فرسخاً أعلى المضيق على ميناء سمعوا عنده بأن الجمال المحمّلة بالكبريت كانت هناك ، وأنها انتظرت مدة يومين لكي يشتريه أحد ، وحيث إنهم يجدون من يأخذه ، عادوا به إلى أرض ملك "لار" حيث ينتظرون المشترين .

السبب وراء عدم عثورهم على مشترين في ذلك الميناء الذي وصلوا إليه هو أن أحداً لم يذهب إلى هناك ، وقد حدث أنه في اليوم الذي أعقب مغادرة الرجال الذين أرسلتهم .

وصل أحد "الأرمن" الذين استأجروا الكبريت في هذه المدينة ، ومن خلال الأشخاص الذين أمرتهم عاجلاً بأن يعرفوا ما إذا كان هذان الأرمنيّان قادمين إلى المدينة ، أم أنهما سيرسلان شخصاً ما فأصبح معروفاً أنه وصل ويبحث ، وقد تم اعتقاله وإحضاره لي ، وبعثت به إلى كبير القضاة ، واعترف أمامه بأنه واحد من المستأجرين ، وأنه جاء ومعه بعض الجمال المحمّلة بخمس "bares" من الكبريت .

قد سئل بالنيابة عني عن الشخص الذي أحضر الكبريت إليه ، وعن سبب عدم سفره على الطريق الصحيح والشخص الذي يتعامل معه بهذه البضاعة المحظورة ، والتي لا يستطيع أن يشتريها في هذا المكان إلا مولانا الملك (وقد تم إخباره) بأن عليه لحين وصول الكبريت الذي يجلبه يجب عليه أن يضعه في الحجز الجمركي ، وهو ما فعله ، ولم يعط بياناً بكيفية وصول الجمال ، واكتفى بالقول بأنه إذا لم يذهب للمكان الذي يوجد به الكبريت فلن يعطى له ، وبعد أيام قليلة مرض الأرمني وتم نقله للمستشفى حيث توفي هناك .

يقال الآن إن طراداً "terrada" مُحمّلاً بالكبريت وبضائع أخرى قد وصل ، وقد تم اكتشافها مدفونة في جزيرة تُسمى "لارك" تبعد مسافة فرسخين من هنا ، وقد جلبها الأرمني قبل سبعة أو ثمانية شهور أو أكثر ،

وباعها لبعض "البرتغاليين" ، ولا يمكن معرفة الحقيقة ؛ إذ إن أداء قسَم لا يمنع المرء من الأكل أو الشرب ، وإن غالبية البشر يعيشون كالبهائم .

إنني أخبر فخامتكم بهذا حتى تتخذوا التدابير ضد خلل كبير كهذا ؛ طبقاً لما يبدو ملائماً لفخامتكم .

قد أعطيت الآن مالاً لليهودي ليتملك الخمس "bares" ، وأرسلت للكمية الخاصة بي التي جلبها الأرمني ، وإني أنتظرها يوميّاً ، وحالما أدرك اليهودي أن الأرمني توفي ، ولدى تَلَقيه وعوداً مني ؛ وعد بأن يعطيني عشرين "bares" خلال شهرين ، أي في الوقت المناسب لي لأرسلها في موسم الرياح الموسمية الحالي .

بالنسبة لسبتمبر ؛ فسيحصل على خمسين لي ، وسأتصرف في هذا الأمر حسب قرار فخامتكم في المستقبل ؛ إذ إنني تتوقف أمور كثيرة على مدى الحصول على نتيجة جيدة من هذا العمل ، ومدى أهمية هذا الأمر لخدمة الرّبّ ، وخدمة سموّه وبما يرضي فخامتكم ، الذي أرغب في خدمته أكثر من أي شيء آخر .

إنني أتوسل لفخامتكم مجدّداً يا سيدي لإسداء معروف لي بإرسال الأمر الخطي الذي أطلبه من فخامتكم إذا رغبتم في أن أخدم في هذا المنصب حسب ثقتكم في قيامي بذلك ؛ إذ إنني –ومن دون أن يكون لدى شخص يساعدني وأشخاص أستطيع الثقة بهم وتوجيه الأوامر لهم– لا أستطيع أن أعمل جيداً في أمور الواجب ذات الصلة بمصالح الملك ولصالح خزانته ، إذ إنني لا أستطيع أن أفعل كل شيء بنفسي ، ولا أستطيع أن استخدم رجلاً (ليساعدني) لأني لا أملك شيئاً أعطيه إياه .

إنني بحاجة للمائة ريال من راتبي لرجلين وأربعة عبيد ، ولكن هذه لم تدم ستة شهور ؛ لأن هذا المكان غال للغاية ، ولن أعامل أي أحد معاملة سيئة ، ولن أحصل على أرباح غير مستحقة ، ولهذا السبب فمن الضروري أن تدفعوا أكثر من أجرتهم من مالكم الذي يدين به الملك لكم للرجال الذين أستخدمهم ، وآمرهم بأداء خدمة للملك ، وان من يعمل من أجل الحصول على أجر يفعل ذلك .

لهذا السبب أطلب من فخامتكم تزويدي بما أطلبه من فخامتكم إذا رغبتهم في أن أفعل ما ينبغي عليّ فعله وما تأمروني به ، وأرجو من فخامتكم أن تصدقوني بأنني -لو لم أكن أعتقد وأعرف أن هذا ضروري للغاية- ما طلبته منكم .

وطبقاً لما أمر به فخامتكم ، أرسلت مؤخراً "رافائيل لوبو" ومعه ثلاث سفن "قاطور" (Cature) للقيام بأعمال الدورية على الساحل وحماية سفن "القرقور" القادمة لهذه المدينة ، وقد وجدت أن العادة جرت في هذه الوكالة التجارية ، وليس وفقاً للوائح ، بإعطاء القادة الذين يبحرون في أسطول عدداً محدداً من قناطير البسكوت ، وعشرة أو اثني عشر كيس أرز "giracal" ، وكيس سكر ، واثني عشر أو خمسة عشر مقادير من الزبد ، وعشرة حملان ، وكمية من الزبيب والخوخ واللوز والعدس لأيّ مرضى ربما كانوا على متن السفن المبحرة .

لا تشمل هذه الإعاشة التي تعطى لكل رجل ، والتي تشمل كيس (fardo) أرز ومقداراً ضئيلاً من الزبد وأزاراً (azar) واحداً كل شهر .

حيث إن اللوائح الخاصة بالإعاشة التي تُعطى للقادة قد ضاعت

خلال العصيان الذي وقع في هذه المدينة ، ولم يتم وضع لوائح جديدة ، فإنني أرجو من فخامتكم إصدار لوائح لتقديمها ، ولإعفائي من المضايقات وإهانات المحاسبين الذين يطلبون اللوائح أو القوانين فيما يتعلق بأي شيء على حسابات الوكلاء التجاريين ، وإنني أعرف أن "فرانسيسكو لوبيز" عانى ما يكفي من المضايقات بشأن هذه الإعاشة مع المحاسب الذي أمسك حسابه ، وكما أعرف هذا ، فإنني أتوسل لفخامتكم لإعفائي من هذا بلائحتكم أو أمركم الخطي .

هناك يا سيدي ، في هذه الوكالة التجارية ، أمر خطي من "دوم دوارتي مينيسيس" - رحمه الله - ينص على إعطاء "تانجا" (tanga) واحدة في الشهر لكل امرأة متزوجة ولأبنائها وبناتها ، ويكون ذلك مقابل حقيقة أن هذا المكان غال للغاية وأن الرجال الذين يعيشون هنا فقراء للغاية ، ويأتي هذا المبلغ من ورع "مينسيس" ونبله .

أياً كان المقابل الذي حرّك "دوم ايستيفاو" ليفعل هذا ، فإنه قاد بواسطة نص منه يشير إلى عدم الدفع لأهالي هذه المناطق ، وربما يصل عدد السكان الفقراء في هذا المكان آلاف إلى سبعين أو أكثر قليلاً .

بعد أن سمعوا بما يتمتع به فخامتكم من سمعة طيبة ، جاءني غالبيتهم وطلبوا مني التوسل بالنيابة عنهم لفخامتكم ، وأن تأمر -في إطار خدمة الرّبّ وكفعل من أفعال الرحمة وانطلاقاً من رغبة منكم- الوكلاء التجاريين ليدفعوا لهم "التانجات" (tangas) المذكورة أعلاه ، وهم نصارى وأتباع حقيقيون لمولانا الملك .

لهذا السبب -وكما يأمر سموه بإعطاء خمسين باردواً من الصدقات

في كل شهر للفقراء من أهالي هذا المكان- يجب إعطاء "تانجا" واحدة لكل واحد من هؤلاء الأطفال والزوجات ، وبدا لي أن من الواجب الكتابة لفخامتكم ، وأن هذا الوضع زادني جرأة على الكتابة لكم ، ويستطيع فخامتكم اتخاذ ما ترونه ملائماً من قرار بما يحقق خدمة الرّبّ .

"الشاه طهماسب"

وصل يا سيدي قبل أيام قلائل لهذه المدينة رسول من "الشاه طهماسب" ، ملك فارس ، وقد أحضر رسائل عاجلة للغاية من القائد والملك و"القاضي" (guazil) ، وقد قدم له الملك و"القاضي" امتيازات كثيرة ، وزوّداه بمعلومات سرية عن نشاطاتهما ، وأحسن القائد ضيافته .

في الرسالة التي أحضرها للقائد ، أمره "الشاه طهماسب" أن يرسل الرسول بشكل عاجل من هنا خلال أيام قليلة ، وطلب منه إعطاءه سفينة إلى "تشيف" (chave) ، وبعثه إلى هناك ومعه مائة جواد تقريباً .

تشاور القائد مع عدد من الرجال ومع مسؤولي الملك الذين وافقوا على أنه من المستحسن القيام بذلك ؛ لأن من مصلحة مولانا الملك وصالح هذه البلاد أن يعطى الإذن لنقل الجياد إلى "تشيف" (chave) لأنه -وبسبب أقل أهمية ، عندما لم يتم تنفيذ هذا في الماضي- أمر بتدمير "موغوستان" ، واستولى على خمسين ألف "بارداواً" من هذه المملكة .

إنني أبلغ فخامتكم بهذا الأمر حتى تعرفوا كيف وصلت هذه الجياد إلى "تشيف" (chave) ، وأن هذا الرسول سيغادر لهذا السبب السخيف .

وصل يا سيدي في يوم الأحد الرابع والعشرين من شهر يناير

برتغاليان إلى هذه المدينة ، ويقول أحدهما إنه من "كوفيلهاو" والآخر من "سانتاريم" ، وهما شابان يافعان للغاية ومعرفتهما محدودة للغاية .

يقولان إن الأتراك أسروهما قبل حوالي عام وهما في طريقهما من "جنوا" إلى "إسبانيا" ، ولم يتمكنا من تقديم أي معلومات ، وأما القدر القليل من المعلومات التي يقدمانها فهي مشوشة وذات أهمية قليلة ، وليس هناك المزيد لقوله عنهما عدا أنهما يقولان إن ربان سفن القادس اليهودي توفي ، وقد قررا مغادرة هذا المكان وسيقابلهما فخامتكم .

عندما وصلت إلى هذه المدينة في الثامن من شهر ديسمبر ، كانت "فاراسولا" (faracola) الفلفل تساوي أربعة عشر "أزاراً" (azares) ، وأما الآن فإنها تساوي عشرة ، وهو ما يوضح أن الفلفل تم جلبه سرّاً سواء كانت كمية محدودة أو كمية قليلة للغاية ، وقد تم الاستيلاء على سبعة أو ثمانية "أكياس" (fardo) مخلوطة بالأرز ، ويتعين على فخامتكم اتخاذ التدابير التي ترونها ملائمة كما في حالة الكبريت أيضاً .

قد قيل لي – وهذا هو ما أعتقده – إن الاتجار في هاتين السلعتين واسع النطاق للغاية ، وإن الرجال الذين يمارسون هذه التجارة متغطرسون للغاية لأنهم متأكدون من أن شيئاً لا يمكن إثباته ضدهم ، ولا يوجد أحد يلاحقهم تقريباً .

لقد حققت دار الجمارك يا سيدي في شهر يناير الحالي مائة وخمسة وعشرين "ليكاً" (Leqeus) ، واثنين وثمانين "أزاراً" (azares) نصفها لبرتغاليون والباقي لمسلمين ، ويتلقى "القاضي" على الفور من الدول الإسلامية نصف دفعة الرسل الموجودين هنا ، وإجمالاً ، ومن أصل

الأحد عشر ألف أشرفي التي يجب أن تتوفر لمخصص فخامتكم ، حققت دار الجمارك نسبة قليلة في الشهر الحالي مقارنة بما حققته في أوقات أخرى ، وهناك أنباء بأن قوافل قادمة من فارس ، وهي التي تحقق أكبر الفوائد وأكبر الأرباح للملك ، ومن دون النزاعات التي يسببها أي تجار آخرين .

أطلعني "جارسيا دي لابينها" ، يا سيدي ، على كتاب أرسله لفخامتكم ، عن مآثر الإسكندر وأبطال مشهورين آخرين ، وإنني لأشعر بحسد بالغ تجاهه لأنني لست من قدّم هذه الخدمة لفخامتكم ، والكتاب رائع للغاية وطاعته ممتعة بسبب طريقة إعداده وما يحتوي عليه من قصص .

قال لي إنهم كانوا قلقين للغاية ، عندما قرأوا حكاية مآثر تيمور لنك العظيم ، بشأن إرساله لفخامتكم ، وسأعمل على تذكيرهم بهذا الأمر على نحو متكرر ؛ لأن هذا يحقق الرضى ، علاوة على خدمتي فخامتكم بهذه الطريقة .

غادر "بيدرو فرانسيسكو" مؤخراً هذه البلاد ، وطبقاً لما قيل لي هنا ، فإنه مطلوب بشدة ، ويتصرف لصالح الملك ولخدمته الحكام لهذا المكان ، ومن خلال عمله في منصب مساعد العمدة .

قد قيل لي إنه سيكسب الكثير من دخل دار الجمارك هذه ، وتتوفر لدي هذه المعلومات التي أقدمها لفخامتكم لأنه –وخلال الوقت الذي عمل فيه كمساعد للعمدة– لم يكن الفلفل زهيد الثمن في هذا المكان ، بما أنه كان يضع يده في الجزء الأكبر مما وصل إلى هنا .

هناك حاجة يا سيدي إلى نَحّاس في هذه القلعة لتصليح الأنابيب والبراميل الموجودة في السفن المبحرة في الأسطول وفي السفن الأخرى القادمة إلى هنا ، وكان هناك حتى وقت قريب رجل كان يصلح البراميل ، ولكنه غادر المكان لأنه لم يتلق أي راتب أو دخل إضافي مقابل عمله كمصلح براميل .

إنني أتوسل لفخامتكم الاهتمام بهذا الأمر على النحو الذي ترونه ملائماً .

أدعو الله أن يُعين فخامتكم في جميع شؤونك ليزيدك بفضله لتنال ما نرجوه ونتمناه لك .

هرمز ، الثالث من شهر فبراير ، عام ١٥٤٦م

"باستياو لوبيز لوباتو "

إلى صاحب الفخامة المبجّل "دوم جواو دي كاسترو" ، الحاكم بالنيابة عن مولانا الملك .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث كبير وزراء هرمز رسالة إلـى الحاكم ، هرمز في الرابع من شهر فبراير ، عام ١٥٤٦م ، يذكر فيها مسألة نور الدين : [٤٢]

سيدي ..

من كبير وزراء هرمز

سلمني "اليكسوس كارفالهو" الرسالة التي بعثْتَ بها سيادتُك لطرفي ، وهي كما توقعتها مليئةٌ بكل أفضالك وفضائلك العديدة التي يعرفها الجميع منذ زمن طويل في هذه المناطق من قبل المسلمين والمسيحيين على حد سواء .

بخصوص موضوع ريس نور الدين ووالده ، لا أدري ما كتبه لسيادتك لكنني أقسم بالله أنني اعتبر نفسي أكثر مسلم سيئ الحظ على هذه الدنيا ؛ حيث هناك الكثير من الأسباب لأقوم بما يأمر به

(٤٢) رقم الوثيقة والهامش.

سيدنا الملك وسيدتنا الملكة [أ] ، لا أدري أي عذر أقوله عن تقصيري في عمل ذلك ، لكن رغم ذلك فإنها الحقيقة و"اليكوس كارفالهو" الذي شهد كل شيء يمكنه إطْلاعك أن العديد من الخطوات قد اتُّخذت من كل الأطباء للتعامل ومعالجة مرض وتوعك ريس نور الدين .

عند رؤية مرضه وحالته وبناءً على رغباته قرّرت أن أبعث بابن آخر من أبنائه ، الذي وبسبب طيشه وصغر سنه وقلة إحكامه الناضجة تهرّب مني بعد أن أعدته ، حقيقة لم يكن يستحق هذا الشرف ، وما يؤسفني أكثر وأتحسر عليه هي الأكاذيب العديدة التي أسمعها تُقال خلف ظهري من قبل برتغاليين سيئين ومسلمين أسوأ والتي سببت لي الخزي . إنهم يقولون أشياء كثيرة ، والتي لا أملك أي شيء ينقذني منها سوى مصداقيتك العظيمة وفضائل سيادتك .

بخلاف ذلك ليس لي أي أمل ، لكن يعلم الله ما قمت به ، ومازلت أقوم به في هذا الأمر لعله يمنح سيادتك نعمة حكمك عليَّ دون تقديم برهان آخر ، حتى ترى سيدتنا ذلك بوضوح ، ولتعلم هي أنني أحد أكثر الرجال ثراءً في هذه البلاد وأكثرهم أملاكاً ، وإنني بغير أفضالها ونعم الحكام ما كنت نعمت به ، بما أن هذه هي القضية ؛ فإنا لست بالغبي حتى أفقد كل ذلك ، وأنا بلا مصادر للعيش في أي مكان آخر إن أضعت كل ما معي .

أؤكد لسيادتك أن هناك رجالاً أوغاداً للدرجة التي سيخبرون فيها عمي أنني أحتفظ بهذا عن أولاده ، إنهم في خستهم ودناءتهم

(أ) ملاحظة المترجم : كاترينا ، والدة "سباستياو" ، وكانت وصية على الفرس (١٥٥٧م – ١٥٦٢م) .

التي تمنعها عنهم ومعها كراهية ونفور ريس نور الدين ، إن رغب فيها ووافق سيادتك على ذلك فإنني سأذهب إلى هناك لأقوم بكل ما يطلبه سيادتك مني .

كنت سأقوم بإرسال شقيقي كبير وزراء "جلفار" وهو ثريّ وله تقدير كبير واعتبار وزوجه وأطفال ، وكان راغباً ومستعداً للذهاب ، ومن ثم أخبرت بعدم فائدة ذهابه لأن ذلك لا يتناسب ويتفق مع ما يأمر به سيدنا الملك ، وبالرغم من أن سيادتك إذا كان قد اطّلع تماماً بالحقيقة ؛ فإنني أقسم بديني أن عمي كان سيبعث إلى هناك دون أي سوء أو ضرر ، لأننا جميعاً رعايا لسيدنا الملك وسعيدون أن نكون كذلك .

لا توجد قلعة هنا يمكن أن تأمر سيادتك أن يوضع فيها ريس نور الدين وابنه ، والعديد منا الذين ترغب في تركهم فيها ، مهما كان مرضه .

سيادتك شخص يفهم جيداً أساليب هذا العالم الرديء ، وأن كلمات قليلة معك هي أفضل ما يقال ، ولا أود الإطالة سوى أن كل شيء تأمر به سيادتك لأقوم به شخصياً ، والذي فقط الرّبّ وسيادتك وملك هرمز وشخصي لهم القدرة عليه ، أنا راغب جداً للقيام به إذا لم يكن هناك ما يمنع القيام به .

من هرمز في الرابع من شهر فبراير ، عام ١٥٤٦م ، أقبّل يديك الساميتين .....

كبير الوزراء

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث ملك هرمز رسالة إلى السيد العظيم والحاكم ، هرمز في الرابع من شهر فبراير ، عام ١٥٤٦م ، بخصوص ريس شرف : [٤٣]

لو قدر لي أن أكتب لسيادتك عن المصاعب الجمة والمشاق التي يضعها قومي على كاهلي كل يوم ، فلن يجد سيادتك الوقت ليشغل نفسه بأي شيء آخر سوى قراءة رسائلي وما أكتبه فيها .

كتبت في السابق بعضاً عن هذا للحاكم السابق "مارتيم أفونسو" ، كان يدرك تماماً حقيقة ما كتبت حتى إنه استجاب لعدد من مطالبي في شروطه ، القليل من الاهتمام لاقته في هذه البلاد لأنها كانت لمصلحتي ، لذلك لم يلتزم بها أحد .

لا أخشى شيئاً الآن ؛ لأن الرّبّ قد أنعم عليَّ بما فيه مصالح خدمته ، وأن الملك ، شقيقي ، ومصالح الناس وشخصي ستتحقق ؛ لأن ريس شرف قد بعث إلى تلك الأنحاء كبير للوزراء .

---

(٤٣) رقم الوثيقة والهامش.

الذين لهم أعمال وخدمات للملك ، شقيقي ولشخصي متحمسون جداً وينتظرون ريس شرف وعيونهم تحدق نحو الأفق في انتظاره .

هناك الكثير من صراعات القوة في هذه البلاد حتى إنني أعتبر أن شروط الملك ، شقيقي ، وشروطك تمر بوضع خطير في ألا يُعمَل بها وتنتهك ، أضع أحزاني جانباً عن كل هذا لأن ذلك لا يجب أن يكون كذلك .

حتى وإن بدا وصول ريس شرف مخالفاً لمصالح خدمة شقيقي ، بقدر عمر هذه الأرض ، فيجب ألا يكون مختلفاً ، لأن شقيقي قد أعطى الأوامر المناسبة وحيث إن تكون كذلك ، نحن نحتاج إلى ريس شرف هنا أكثر مما يتصور ، لهذا السبب ، نيابة عن ربنا وعن الملك وشقيقي وشخصي ؛ فإنني أطلب هذا الإحسان من سيادتك وألا تقوم بأي شيء سوى أن تبعث بريس شرف إلى هنا ، وفي الحال ككبير وزراء بناءً على أوامر الملك ، شقيقي .

أرجو أن تؤمن بأنه سيخدم غرضاً وهدفاً ، وأيضاً سيقوم بكل ما يؤمر به .

إن لم تقم سيادتك بذلك ، وهو الأمر الذي يصعب تصديقه ، فإن ذلك لن يرضيني وسيغضبني جداً ، صدقني ، ولن تحقق أنت أي شيء بهذا العمل ، حتى تفهم سيادتك هذا القرار عليك أن تبحث بنفسك عن كل الأعمال الرائعة والأفضال التي تلقاها كبير الوزراء الحالي من ريس شرف ، وأيضاً عن كل نشاطاته ، عليه إدراك ذلك بما أنه من لحمه ودمه فقد منحه جوائز وافرة .

حتى وان كان الأمر كذلك فإنني أعتقد أن كبير الوزراء هذا يملك سبباً وجيهاً ليخدم مصالح الملك ، شقيقي وشخصي طالما أنه لا يعتبره كبيراً بدرجة كافية ، وليس لأي سبب آخر ، لم يستحق مطلقاً شرفاً من الرّبّ والذي منحه إياه حكامه والثقة التي وضعتها أنا فيه .

أنا أعلم إن كان الملك شقيقي قد اطّلع بطريقة صحيحة عن ماهية هذا الرجل لَـمَا كان سمح له مطلقاً أن يعمل في هذا الموقع ؛ لأنه تسبب في أضرار لأعماله وأعمالي .

لا أريد لسيادتك أن يعتقد أن هذا بسبب غضبي منه ، إنما فقط بسبب الضرر الذي ألحقتْه إدارته بهذه المملكة ، ليساعدني الرّبّ طالما أنه الملك الحقيقي ، وأنا مجرد تابع فقط .

بعد كل هذا الذي سردته ، يمكنني أن ألزم الصمت لكن الواجب المناط بي تجاه خدمة الملك ، شقيقي ، يجبرني أن أطلعك بكل الحقيقة ، ولذلك أكتب لك .

سمعت أن سيادتك رجل يقدم جليل الخدمات وهو صديق يحب العدل والمنطق ، وهذا هو السبب في أن الرّبّ والملك ، شقيقي ، قد أرسلاك إلى هنا في هذا الوقت حتى نستطيع أن نلقاك في وقت الحاجة ، أنا على يقين أن سيادتك لن تقوم بأي شيء سوى الانسجام والتقيد بما يطلبه الملك ، شقيقي .

نقدّم الشكر للرب الذي نرجوه أن يمدّ في عمرك وعمري حتى أقضيه في خدمتك .

نرجوه أن يكون دائماً في عوننا ويجعلك حاكماً منتصراً جاء إلى هذه الأنحاء ليحارب ضد الأعداء .

هرمز في الرابع من شهر فبراير ، عام ١٥٤٦م

لأعظم سيد ، حاكم الهند ... إلخ

..... من ملك هرمز

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "جارسيا دي بينها" "Garcia de Benha" رسالة إلى حاكم الهند ، هرمز ، الخامس من شهر فبراير ، عام ١٥٤٦م ، بخصوص تاريخ الإسكندر : (٤٤)

صاحب الفخامة ..

حضر "اليكسوس كارفالهو" إلى هنا للقيام بمهام معينة حسب الأوامر الصادرة له ، وقد أنجز كل شيء على نحو كامل وصحيح بما يناسب الأشخاص الذين أرسلوه ، وعلى الرغم من أن عمله لم يحقق نتائج كبيرة ، إلا أنه سيحقق الرضى على الأقل في بعض الأمور ، وإنني أعلم أن أشياء قيلت عني لفخامتكم ، وأنها تتناقض مع الحقيقة ، ولكن نظراً إلى أنه يحمل رسالة عن كل شيء ، فلا أريد أن أزعج فخامتكم بالتفاصيل .

---

(٤٤) رقم الوثيقة والهامش.

قد طلبتم من خلال "اليكسوس كارفالهو" من الملك و"القاضي" ... كتاباً عن تاريخ الإسكندر ، وقد عثرا بصعوبة شديدة على واحد سيرسلانه لفخامتكم .

نظراً إلى أنني رغبت ، يا سيدي ، من جهة أن تحصل مني على علامة على تقديري ورغبتي في أن أخدم فخامتكم (إذ إن تلك الأفضال الكبيرة تختلف كما يقال عن أفضال آخرين يشغلون مناصب القيادة لدى فخامتكم) ، فإنني مرسل لفخامتكم هذا الكتاب ، وإني أعتقد أن مولانا رغب في منح هذا العطف لي .

إذ إنه أيضاً كتاب لا يمكن العثور على نظير له في كثير من الأماكن ، وإنني أتوسل لفخامتكم قبول الكتاب ونفسي كمُلْك لكم مع النية الحسنة والرغبة التي يعرف مولانا أنني أعرضها عليكم ، وهو المولى المنصف بالنقاء وبفضائل كثيرة ، كما يقال .

أدعو الرّبّ أن يحفظكم ويطيل عمركم سنوات كثيرة لصالح هذه البلاد وجميع شؤونه .

هرمز ، الخامس من شهر فبراير ، عام ١٥٤٦م ،

"جارسيا دا بينها" معنون إلى سيدي ومولاي الحاكم

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "جارسيا دي لابينها" "Garcia de Benha" رسالة إلى "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، نائب الملك في الهند ، هرمز ، في الخامس من شهر فبراير ، عام ١٥٤٦م ، بشأن الحصول على كتاب الإسكندر : (٤٥)

طلب "اليكسوس دي كارفاله" ومن ملك هرمز وأمرائه كتاباً عن تاريخ الإسكندر ، وقد عثروا على واحد بصعوبة بالغة بصدد إرساله له .

نظراً إلى أنني أردت لفخامتكم الإحاطة ، على نحو ما ، بمعلومات عني ، وبسبب رغبتي في خدمة فخامتكم الذي يختلف فضله العظيم ، كما يقال ، عن فضل الآخرين الذين يملكون سلطتك ، فإنني أرسل كتاباً لفخامتكم ؛ لأن ربنا أراد لي -حسب اعتقادي- أن أقدم هذا الفضل ، وهذا الكتاب جيد إلى حد أن كتاباً نظيراً له لن يوجد لفترة طويلة .

---

(٤٥) رقم الوثيقة والهامش.

أرجو أن يتفضل فخامتكم بقبول هذا الكتاب ليكون لك ، وإنني أقدمه لفخامتكم صاحب المجد والأفضال العديدة .

وأدعو الرّبّ أن يحمي هذه البلاد لسنوات طويلة .

إلخ إلخ ....

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "باستياو لوبيز لوباتو" "Sebastiao Lopez Lobato" رسالة إلى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، هرمز ، في الخامس والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٦م ، بشأن الشاه طهماسب : (٤٦)

مولاي ..

من وكيل هرمز التجاري ، بشأن "الشاه طهماسب"

كتبت لفخامتكم من خلال "اليكسوس كارفالهو" موضحاً أن "القاضي" (guazil) أبلغني بأنه تلقى أنباء مفادها أن وكيلاً تجارياً تابعاً "للشاه طهماسب" قادم إلى هذه المدينة ، ومعه كمية كبيرة من البضائع ، وسألني عن كيفية التعامل مع الرسوم الجمركية المستحقة عنها ؛ لأن بضائع "الشاه طهماسب" لا يُدفع عنها رسوم في هذه المدينة ، وهو أمر كان مطبقاً طوال السنوات الماضية .

(٤٦) رقم الوثيقة والهامش.

بسبب استياء "الشاه طهماسب" عندما تم احتجاز وفرض رسوم جمركية على ملابس أرسلها له "نايزي" (Neyze) جزر الملوك كهدية ، أرسل جنوده الذين نهبوا ودمروا مناطق هذه المملكة ، وتكبد أهلها خسائر وأضرار جسيمة ، وترك هذا الحدث أيضاً تأثيراً كبيراً على إيرادات دار الجمارك .

قد أجبته بأنني -بصفتي وكيلاً تجارياً لمولانا الملك- لا أستطيع أن أتفادى المطالبة بتلك الرسوم الجمركية عن جميع البضائع التي تأتي إلى هذه المدينة ، وأن المسؤولية فيما عدا ذلك تقع عليه ، وتقع على القائد لتحديد ما يجب عمله في مثل تلك المعاملات بما يخدم مصالح الملك ، ومن أجل السلام والمحافظة على البلاد .

يتعين عليه أيضاً أن يكتب لفخامتكم ، ويرفع تقاريره حول هذه الأشياء بما أنه ألم بها ، وأنني سأفعل ذلك بهذه الطريقة حتى يتخذ فخامتكم إجراء بشأنه .

قد وصل هذا الرجل ، يا سيدي ، إلى هذه المدينة في التاسع من شهر فبراير ، وجلب كمية كبيرة من البضائع تم وضعها في دار الجمارك ، وكتبت محتويات كل بالة على البالة من الخارج ، وقد وجد ذلك غريباً ، ولم يتقبل الأمر بشكل حسن ، وقال إن بضائع "الشاه طهماسب" لم يسبق لها أن تعرضت لإجراء كهذا في أي مكان آخر ، ليس فقط لعدم دفع أي رسوم جمركية عن هذه البضائع ، بل إن بضائع الشاه لم تكن تدخل إلى المباني التي يتم فيها دفع الرسوم .

لو أنه أدرك أن ممتلكات "الشاه طهماسب" سيتم التعامل معها بهذه الطريقة التي لا تدل على احترام لائق في هذه المدينة ، لما جاء إلى هنا .

عموماً ، لقد فعل ما أمره به سيده ، وتمثل أمره في أن يحضر إلى هذه المدينة حاملاً رسائل من "الشاه طهماسب" لقائد هذه القلعة وللملك و"القاضي" الذين سيطلعون على الرسالة ، وسيتم اتخاذ قرار طبقاً للرد الذي سيحصل عليه .

قد سلَّم الرسائل وأبلغ "القاضي" في اليوم التالي على الفور بأن عليه أن يصدر أوامر لإعادة البضائع له ورداً على رسائل الملك ورسالته .

أبلغه "القاضي" أنه لا يستطيع أن يعطيه البضائع لأن إيرادات دار الجمارك في تلك اللحظة لا تخص ملك هرمز ، وأنها إذا كانت تخصه فإنه يستطيع أخذها من الشاطئ إلى منزله ، ولكن ، ونظراً إلى أنها تخص لمولانا الملك ، فإنه لا يستطيع أن يفعل أي شيء في هذا الصدد دون أن يخطر أولاً القائد والمسؤولين التابعين للملك ، لأنه تلقى أوامر من الحاكم بأن يتصرف بتلك الطريقة في هذه الحالات .

رد الرجل على ذلك لأنه في حال لم يحصل على البضائع طواعية فسيتركها هناك ، ويعود إلى "الشاه طهماسب" ، ويقدم له بياناً بما حدث لبضائعه .

بعد الاتفاق على هذا ، ذهب "القاضي" إلى القائد ، وأبلغه أن "الشاه طهماسب" سيكتب إلى الملك ، وله ، بأنه مرسل (جلال سديم سيد) مع بضائعه –وهو رجل معتمد من جانبه– وأن رجله هذا يجب أن يلقى تكريماً كبيراً ، ويجب ألا يتم تحصيل رسوم أو المطالبة بها أو بأي شيء

ذي صلة بالرسوم عن البضائع التي يجلبها ، ويجب إبلاغه بأن الأمور تمت له على النحو التالي .

في الرسالة التي كتبها إلى القائد يزكي هذا الرجل لديه بكلمات سيراها فخامتكم في الصورة التي ترافق هذه الرسالة .

قد أبلغ "القاضي" ، يا سيدي ، القائد بأنه يدرك جيداً مدى قصر الوقت الذي انقضى منذ أصدر "الشاه طهماسب" أوامره بنهب وتدمير مناطق هذه المملكة ومقدار الخسائر التي وقعت من خلال هذه المشكلة ، علاوة على ما تم التوصل إليه وبموجب اتفاق ، وقد وصلت إلى خمسين ألف أشرفي .

بالإضافة إلى ذلك ، فإنهم قتلوا وأسروا الكثير من الأهالي ، وعدداً من "البرتغاليين" في هذه الحرب ، ونظراً إلى أن أولئك الناس جاؤوا في ذلك الوقت ، رجعت قوافل كثيرة كانت في طريقها إلى هذه المدينة ، وأخفق آخرون من أماكن عديدة في الوصول عندما علموا أن من المستحيل عليهم المرور .

لهذا ، نتجت خسائر باهظة في إيرادات دار الجمارك هذه ، وكان السبب وراء كل ذلك هو احتجاز الملابس التي أرسلها "نايزي" (Neyze) من جزر الملوك كهدية "للشاه طهماسب" ، والتي علم بها الجميع واعتبرت مقبولة .

مهما كانت المضايقات التي تحدث هنا لشؤون الشاه طفيفة ، فإنه على استعداد دائماً ليأمر بتدمير هذه البلاد -كما فعل من قبل- واستناداً لما عرفه وفهمه ، فإن سوء الطالع والأذى يمكن أن يلما بهذه

المملكة ، مثل خسارة الرسوم الجمركية المقررة للملك ، ويتوقف وصول الخيول من فارس ، وطلب منه أن يدرس ويحدد بحكمة بالغة ونصح رشيد ما ينبغي عليه أن يفعله إزاء هذا الأمر بما أنه هام للغاية بالنسبة لمصالح الملك وللسلام والأمان في هذه المملكة التي مرت بحالة سيئة وفقر شديد نتيجة الحرب السابقة ، ولا يزال ذلك الجزء من الخمسين ألف أشرفي مستحقاً ، وقد تم الاتفاق على ألا يلحقوا المزيد من الأذى ، وأن عليهم مغادرة البلاد .

قد ذكر كل هذا بسبب التزامه كتابع لمولانا الملك و"القاضي" التابع له في هــذه المملكة ، ولذلك كان يوضح له ويذكّره بجميع تلك الأشياء ، وبأن إرسال "الشاه طهماسب" بضائع إلى هذه المدينة ، وعدم دفعه رسوماً عنها ليس أمراً جديداً بل هو أمر قديم للغاية ، وهو حق له ولأسلافه .

كان جميع مسؤولي مولانا الملك وقاضي التاج والأشخاص الآخرين الذين أمر القائد باستدعائهم حاضرين يا سيدي خلال هذا النقاش والجدل ، وقال لهم إنهم قد شاهدوا بأنفسهم ، ويدركون جيداً أن كل الذي قاله "القاضي" صحيح ، وقد حدث ذلك مؤخراً كما رواه تماماً .

نظراً إلى أن البعض قالوا إنهم يعتبرون أنفسهم أكثر خبرة في الأمر أظهر القائد أمراً خطياً من الحاكم "مارتيم أفونسو دي سوسا" ، مسجلاً في هذه الوكالة التجارية ، يتضمن تعليمات موجهة "للغوازيل" والمسؤولين بأن عليهم ، في حال نشوء شكوك ومجادلات بين الملوك أو النبلاء أو رسلهم حول عدم دفع رسوم ، عدم حل النزاعات من دون القائد .

بالتالي ، يوجد في هذه الوكالة التجارية أمر مستديم من الحاكم ، "دوم إيستيفاو دا غاما" ، ينص على أن الرسوم التي يتعين على "الشاه طهماسب" دفعها في دار الجمارك عن البضائع التي يرسلها إلى المدينة المذكورة ، يجب التعامل معها بالطريقة المعتادة ، وأن يستمر ذلك إلى أن أصدر أمراً بشأنها .

هناك أمر خطي آخر من الحاكم "مارتيم أفونسو" يتضمن تعليمات بشأن الملابس التي أدت لتدمير "موغستان" ، وعندما تعرضت تلك البلاد للتدمير أمر بإعطائها له ، ومرفق طي هذه الرسالة صورتي هذين الأمرين الخطّيين ليطلع فخامتكم عليهما .

بعد الاستماع لكل هذا وتدبره ، يا سيدي ، ومع كل العناية الواجب إبداؤها خلال خدمة مولانا الملك ، ومن أجل السلام والأمن في هذه البلاد ، وحيث إن معظم رسوم دار الجمارك هذه تأتي من ممالك وبلدان "الشاه طهماسب" وتمر خلالها ، ومن أجل تفادي حدوث اعتداءات وخسائر وأضرار يمكن أن تنشأ عنها -كما حدث في الماضي- يبدو أن من الأسلم للجميع ، وإلى أن يصدر فخامتكم أمراً ، يجب تسليم بضاعة "الشاه طهماسب" لوكيله هذا دون رسم بما يقسم عليه .

قد جعله "القاضي" يؤدي هذا القسم في مركز الجمارك ؛ حيث أقسم على أنه جلب ثماني وسبعين بالة حرير ، وبالتين بهما قماش للعمائم وأثواب حرير ، وثلاث بالات سجاد ، وتسعين بها شب ، وستا وثلاثين بها صبغة ، وتصل الرسوم عن هذه البضاعة إلى ستين ليك (Leques) ، وهو يعادل ما يزيد قليلاً على ثلاثة آلاف "برداوس"

سعدي pardaus of sadis ، وأقسم على أن كل هذه البضاعة تخص "الشاه طهماسب" ، وأن أي بضاعة أخرى لم تأت معها .

بصفتي الوكيل التجاري لمولانا الملك ، يا سيدي ، فقد طالبت بسداد الرسوم عن كل أصناف البضاعة هذه ، ولكن ، وعلى الرغم من إصراري تم التوصل إلى اتفاق بالطريقة التي وصفتها لفخامتكم .

عموماً ، فإنني أعترف بأن ما طالبت به كان مخالفاً لما فكرت فيه إزاء هذا الأمر ، وإذا رأى فخامتكم أن خطأ قد ارتُكب فعساكم تصفحون عن الجميع ، لأنه لم يكن هناك أي قصد آخر ، كما أنه لم يكن مخالفاً لما تم الاتفاق عليه ، وقد تم ذلك بنية حسنة ومع التقدير اللازم .

إن جميع الاعتبارات المذكورة أعلاه هي التي دفعتنا لنتصرف بهذه الطريقة ، علاوة على قلة أو انعدام قدرة هذه البلاد على مقاومة الحرب ودمارها ، كما حدث من التجربة السابقة ، ومن أجل تفادي فقدان الكثير في كل مرة لكسب القليل .

قد سألت المسلمين ، يا سيدي ، بالتفصيل عن كيفية التعامل مع بضاعة "الشاه طهماسب" في الأيام الماضية ، وأبلغوني أن الاعتبار العظيم كان يُبدى في هذه المدينة دائماً لكل بضائعه ، وأنّ أيّ رسوم لم يسبق دفعها من قَبْل عن بضائعه ، كما أن بضائعه لا تدخل دار الجمارك ألبتة ، ولا تأتي بضائعه في كثير من الأحيان إلى هذه المدينة بانتظام ، ويأتي هو لقضاء بعض الوقت هنا ، وسيتم إرسالها إلى الهند وإلى أجزاء أخرى كبضاعة .

يتعيّن على فخامتكم إصدار أمر بهذا الشأن حول الطريقة التي

ترونها ملائمة ، وإعطاء أوامر بشأن الطريقة التي ترغبون من خلالها التعامل مع البضائع هناك ، ولدى فخامتكم "الريس شرفو" الذي يتمتع بمعرفة عن هذه الأمور تفوق معرفة أي شخص آخر .

يجب أن يعرف الطريقة المثلى والوسائل الأفضل التي ينبغي انتهاجها على الرغم من أن كل شيء في هذه البلاد تغيّر تماماً ، ومختلف عما كان عليه عندما كان "الريس شرفو" في البلاد ، وهذه هي أراضي ممتلكاته .

إنني أدرك تماماً ، يا سيدي ، مدى حاجة فخامتكم لإرسال الأموال من هنا لكم ؛ لأن لدى فخامتكم الكثير الذي يتعين الإنفاق عليه ، ولا توجد مصادر دخل كثيرة ، وعليه ، يجب على فخامتكم أن تصدقوني بأنني - بعد دفع مصاريف هذه القلعة وفقاً لتعليمات فخامتكم - سوف أرسل إليكم كل شيء آخر يبقى دون أن يبقى لي "ليكاً" واحداً (Leque) .

نظراً لضرورة تقديم بيانٍ لفخامتكم عن الأشياء المطلوب إنجازها في هذه البلاد -التي يجب إنفاق كمية قليلة من المال عليها- فإنني أقول يا سيدي إنه لا توجد مبانٍ أو ملاذٌ في دار الجمارك هذه لحفظ البضائع وحمايتها ، بما أنها يجب أن تبقى داخل مكان مغلق بأقفال ومفاتيح .

بالتالي ، وفي هذه الأيام ، يُعاني التجار من خسائر جسيمة في بضائعهم ، ويتعرض مولانا الملك أيضاً لهذه الخسائر بسبب الأمطار الغزيرة التي هطلت خلال شهري يناير وفبراير ، وتسببت في إتلاف الكثير من الشب والصبغة والبضائع الأخرى ، دون أن تكون هناك أي إمكانية لإنقاذها ، ولحق البلل أيضاً ببعض البضائع المخزونة في بعض

المباني الصغيرة وتلف معظمها ؛ لأن المباني كانت تعاني من انعدام الصيانة ، ولم يتمكن مكتب البعائث ذاته من العمل بسبب الفيضان ، ولأنه يوشك على الانهيار .

تعرضت بقية البضائع برمتها للتعفن والتلف ، ويمكن لفخامتكم التأكد من هذا من السكرتير الذي شهد ما حدث ، والذي يرى أنها فكرة جيدة أن يتم إكمال أعمال البناء التي بدأت ، وأن ملاذاً للبضائع لن يتم الانتهاء منه أبداً إذا لم يأمر فخامتكم بإنجازه ، وإذا تأخر هذا ، فسينهار برمته ، وسيتعين إعادة بنائه من جديد ، وستكون الكلفة بنداً جديداً في هذا الصدد .

لقد كتبت ، يا سيدي ، لفخامتكم بأن المباني الأخرى في هذه القلعة في حالة يرثى لها ، وتحتاج إلى تصليحات كثيرة حتى لا تنهار كلياً ، ومن أجل إيواء الجنود داخلها عند الحاجة ، علماً وبفضل من الله ، بأن المنازل التي لحق بها الخراب تحرس القلعة أكثر من الرجال الذين بداخلها بما أنه أن تكون لدينا الثقة في الله وأن نتمسك بالأمل به .

عموماً ، يجب على الرجال أن يساهموا ، وأن يبذلوا جهودهم لمراقبة وحراسة ما يمنحه الرّبّ لهم .

إذا كنت ذا نفَس طويل وملحٍّ في كتابتي لفخامتكم ، فإنني أود أن أعتذر وأغيّر الموضوع ، وكما يبدي فخامتكم لي العطف والتكريم في كل شيء ، فيتعين على فخامتكم إبداءها لي في هذا الأمر ؛ لأن كل شيء أكتبه لفخامتكم في هذه الرسالة ينبع من التفاني الحقيقي والحب العميق الذي أكنه لفخامتكم ولكل شؤونكم .

أود أن أراها وهي تلقى المزايا والتكريم فوق الشؤون الأخرى .

أدعو الله أن يضعك في المكانة التي يستحقها فخامتكم بسبب ما تتمتعون به من أمانة ونبل واضحين .

قد طلبت يا سيدي في رسائلي من فخامتكم بعض الأوامر الخطية ، وسيتم استخدامها رسمياً لحماية عملي ، ويتعلق أحد الأوامر باستطاعتي دفع المال إضافة إلى الراتب للأشخاص الذين احتاج إلى مساعدتهم لي في كثير من الأمور الهامة بالنسبة للملك ، وإذا رأى فخامتكم أنني محق في هذا ، فستُسْدون لي معروفاً عظيماً بإبلاغكم لي بذلك ؛ لأنني سأستجمع شجاعتي وأقول لفخامتكم إنني أطلب هذه الأشياء من فخامتكم حقاً دون جشع أو مصلحة ذاتية ، وفقط لأنني أعتقد أنها ضروريةٌ لمساعدتي في مهام عملي .

إنني بحاجة لعطف فخامتكم العظيم ومساعدتكم في الصعوبات التي تواجهني ؛ لأنني بخلاف ذلك لا أستطيع أن أفعل أي شيء ، ولن أكون قادراً على أن أخدم الملك أو فخامتكم على النحو الذي أريد .

إنني أدرك أن فخامتكم زكّيتم "لورنسو دياس" لي من الأمير "لويس" ، ونظراً إلى أنني اعتبرت أنه قد أتى ولديه القدرة والكفاءة يشغل على الفور منصب كاتب تصاريح المرور ، فقد رجوت فخامتكم لتزكيتي لديه بما أنني رأيت أنه وبسبب العمل الشاق الذي أداه لفخامتكم ؛ فقد تعيّن عليّ فقط منحه مدة شغل المنصب ، الذي لم يحصل عليه حتى الوقت الحاضر ، ولن يتولاه ما لم يكن لديه أمر خطي يلغي الأمر الخطي الذي أحضره من فخامتكم .

حيث إنه بحاجة ماسّة للطعام ، فإن بمقدور الوكيل التجاري أن يدفع له خمسين "بارداواً" كراتب ، ولكن الوكيل التجاري لا يملك تلك الصلاحية ، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً أفضل من أن يدفع له إيجار سكنه الفقير مقدّماً ، وإنني أذْكر هذا لفخامتكم لأنه إذا كتَب لكم موضّحاً أنني لم أفعل له أكثر من ذلك ؛ فالسبب هو أنني غير قادر على فعل المزيد .

سأستمر يا سيدي مع ما تبديه من تسامح ، وإلى أن تمنعني من القيام بذلك في أن أعطي نفسي حرية أن أبلغ فخامتكم -على نحو صحيح أو خاطئ- بعددٍ من الأشياء بما أنني أفعل كل شيء مع استعداد ورغبة لخدمة فخامتكم :

لذلك ، أبلغكم ، يا سيدي ، أنه وبسبب أحداث بعينها أثارت شكوكي ، أن دخل دار الجمارك الخاص بمولانا الملك ، وبوضعه الحالي ، ومع استلام مولانا الدخل الذي تحققه فقط ، بسبب حيلة "الشاه طهماسب" بإرسال الكثير من البضائع إلى هذه المدينة وأكثر مما كان يرسله في السنوات الماضية ، فسيستمر في الحال ويزداد ، وسيرى الأشخاص الذين ينعمون بحمايته في ذلك إشارة لطلب تراخيص لأنفسهم لبيع بضائع للتجار من أجل عدم دفع الرسوم عما يجلبونه باسم "الشاه طهماسب" .

بهذه الطريقة وبطرق أخرى وحسب التفاهمات القائمة بين المسلمين والمسلمين ، فإن دخل دار الجمارك هذه سيقل ، وإذا تلقى

الملك رسوماً عن البضائع ، فسيكون كل شيء لصالحهم ، وإنني أعتقد أنه لا توجد طريقة لإيقاف هذا ومنعه من الحدوث .

لكن ، على الرغم من أنني أشك فيما يقولونه يا سيدي ، إلا أنني لا أملك دليلاً سوى علامات قليلة ، تجبرني على أن أبلغ فخامتكم بها ، وفي الوقت الراهن فليقبَلِ فخامتكم كدليل حقيقة أنه عندما جاء السكرتير إلى هذه المدينة واصل دخْل دار الجمارك الانخفاض سنة بعد أخرى .

لذلك ، إذا رأى فخامتكم أن من مصلحة الملك والمفيد أن يتم تأجير دار الجمارك هذه بدلاً من الاحتفاظ بها ؛ فإن الريس "شرفو" الموجود لديكم هو الذي يمكن لفخامتكم أن تعرفوا منه الخيار الأفضل ، وأنني أذكّر فخامتكم بهذا حتى تصْدر الأوامر التي ترى أنها الأفضل في هذا الصدد .

أدعو الله أن يعين فخامتكم ، وأن تحكم دائماً بفضله ورعايته ، وأن ينصرك على أعدائك ، ويعينك على إقامة السلم والحرب مع جميع الرجال الطيّبين ، وأن يطيل عمرك ، ويحقق لك ما تريد وما نتمناه لك من رغبات .

من هرمز ، في الخامس والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٦م

"باستياو لوبيز لوباتو"

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "فرانسيسكو دياس" رسالة من فارس ، بتاريخ الثالث عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م ، بشأن استلام أمين الصندوق "فابياو دا موتا" الأصناف الواردة من فارس : [٤٧]

سجادة ذهبية وحريرية رائعة ، الجزء الأوسط منها أسود مطرّز بألوان عدة وحواشيها قرمزية ، وثلاث قطع من التفتة الفارسية : واحدة مرقشة وواحدة صفراء والثالثة خضراء ، وقطعتان من الساتان الفارسي ، إحداهما خضراء والأخرى قرمزية ، بالإضافة إلى قطعة حرير برتقاليّ ، وقطعتين من "بروكاد حريري" رائع .

يصل عدد جميع هذه الأصناف مع السجادة إلى إحدى عشرة قطعة ، وتعرف قطعتا "البروكاد" باسم "ساراسا" .

قد أرسل ملك فارس - الشيخ إسماعيل - جميع هذه الأصناف

(٤٧) رقم الوثيقة والهامش.

معاً كهدية للحاكم "دون جواو دي كاسترو" ، الذي أمر بتسليمها دون تأخير إلى الخزانة ، بواسطة "ديوغو فيرنانديس" Diogo Fernandes" ، مساعد العمدة لديه ، وخادمه "لويس دي أندريد" .

قد قمتُ بتسجيل هذه الهدايا حسب استلامها في الصندوق على الصفحة ٢١٦ .

كتب هذه "فرانسيسكو دياس" ، كاتب الصندوق .

وقع عليها كلانا اليوم في التاريخ الموضح أعلاه .

"فرانسيسكو دياس" "فابياو دي موتا"

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

جـاءت ترجمـة رسالـة بعث بهـا ملك هرمز إلـى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، بتاريخ الخامس من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م ، يذكر أخبار الخليج العربي : (٤٨)

بعد تبادل التحيات ،

سلموني رسالتك ، وقد سرني كثيراً أن أتلقى أنباء عن صحتك ، وإنني أناشدك دائماً أن تتذكر أصدقاء لك مثلي .

أما بالنسبة لما كتبته عن إرسال الريس نور الدين ، فهو لا يستطيع المغادرة لأنه كان يعاني من ضعف ومرض شديد منذ أن جاء من "القطيف" ، وعموماً ، ليست لديه تحفظات بشأن الإبحار ، وفور تعافيه سيغادر على الفور إلى "غوا" .

---

(٤٨) رقم الوثيقة والهامش.

هناك أيضاً المزيد من الأخبار بشأن (الريس سيد الدين) ، وحيث إن أحداً لم يره لعدة أيام ، فقد أصدرتُ أوامري بالبحث عنه ، ولكن لم يتم العثور عليه ، ومتى عثرنا عليه سأرسله فوراً إلى "غوا" .

قد ظل الريس شرف -وولاؤه معروف- يخدم ملك "البرتغال" لمدة ثمانية عشر عاماً ، وقد طلب إجازة للسفر إلى الوطن ، وإنني أتوسل فخامتكم السماح له بالسفر إلى الوطن فوراً متى جاء إلى منزله ؛ لأن أطفاله لن ينصاعوا له وسيرسلهم إلى "غوا" .

لذلك السبب ، يجب يا صاحب الفخامة أن تعطي الريس شرف الإذن حتى لا يتعرض لمحنة ؛ إذ إن المسلمين و"البرتغاليين" على علم بولائه ، ولو لم يكن الريس نور الدين مريضاً ، لذهب بكل تأكيد إلى "غوا" ، ولكن المرض منعة من ذلك ، فأرجو من فخامتكم ألا تصدقوا أن سبباً آخر منعه من السفر ؛ إذ لا أحد يتجاهل أوامر فخامتكم أو أوامر والدكم .

حتى الآن ، وعلى الرغم من أنه مريضٌ للغاية ، يمكن لفخامتكم الاطمئنان إلى أنه سيذهب إلى "غوا" إذا استطاع ذلك ، ولن تكون هناك حاجة لكي يرسلوا له مرة أخرى .

حيث إنه لا يوجد شيء آخر ، فلا أقول أكثر مما هو مذكور وموقّع عليه من سموّه .

أشهد أنا ، المجاز "أنطونيو كاردوسو" ، أن هذه الرسالة تم إرسالها بالفارسية من ملك هرمز إلى فخامة الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" ، وترجمها "أغاتي" إلى البرتغالية .

تم إعداد نسخة منها في حضوري ، وقد وقّع عليها معي في الرابع من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م .

حررت ....

"أنطونيو كاردوسو"

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلـى حاكم الهند ، هرمز في السادس من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م ، يذكر اعتقال "مير برويز" "Berus" : (٤٩)

سيدي ..

من "لويس فالكاو"

بخصوص منح المناصب :

كتب لي "فرانسيسكو دي الميدا" بأن سيادتك قد أمرته بأن يؤدي ثلاثمائة "باردواس" إلى "فيرناو دي مانويل" لأنني لم أتقيد بالمرسوم الكتابي من سيادتك والذي سلم لي هنا .

لقد أبديت سيادتك شهامتك بجعل الغرامة قليلة جداً بينما كان الخطأ كبيراً ، إنني جدّ آسف وخَجِلٌ جدّاً بأن سيادتك يتخيل أنني لن

---

(٤٩) رقم الوثيقة والهامش.

أوافق أو أتقيد مع المراسيم التي تبعث بها ، وأن الألم الذي أشعر به ليس لعدم تقيدي مع أوامر سيادتك الكتابية لكن بقدر كونه الحاكم الذي فوقي هو "لورد دوم جواو دي كاسترو" ، وهذا وحده كان عقاباً كافياً لي .

أشعر بعدم وجود أي شيء تأمرني به أنت ولا أقوم بإنجازه بكل سعادة ورضا ، على سيادتك أن تؤمن بهذا عني وليس بخلاف ذلك ؛ عن لقبي ومركزي النبيل ، وأيضا بأخلاقي وكوني كنت مطيعاً أكثر مما أقوم بالتضحية .

منَحَني سيادتُك تلك المناصب عبر مراسم كتابية منك ، وها أنا أبعث بها مرة أخرى لك لتطلع عليها ، أعتقد أن المرسوم الكتابي الذي سُلّم لي كان صادراً سهواً ، وأنك لا تتذكر أنك قد منحتها لي سابقاً ، لم أقبل أن أنصّب الرجل الذي جاء به ، وعلى سيادتك أن يؤمن بحقيقة ذلك ، وأنها من سلطتي .

أسأل الرّبّ ألا يجعلني أغادر هذه البلاد إن كان هناك من اعتبار آخر أو احتيال تداخل في هذا الأمر ، إن كان على سيادتك الطلب مني عبر رسالة أسلم بموجبها ، فهي ليست بالمناصب الرخيصة ذات المصلحة القليلة ، لكن تلك التي اشغلها سأقوم بتسليمها لأقل نوخذة يعمل في هذا الطريق .

ليس عندي ما أقوله أكثر من هذا ولا ما أعتذر عنه ، لأنني متمسك بعدم اقترافي لأيّ ذنب ضدّ سيادتك ، وعلى أية حال إذا شعر سيادتك

بأي عدم رضا فأرجو أن تمنحني فضل المغفرة عن الغضب الذي جلبته لك بهذا ؛ لأنه كان عقاباً كافياً لي لإدراكي بأنني من تسبب فيه .

حالما يصل هذا الرجل فسيلتحق مباشرة بالمنصب ، وينطبق نفس الشيء لكل الآخرين الذين قد يبعث بهم سياتك خلال فترة خدمتي .

مير "برويز" "Berus" موجود داخل السجن في هذه القلعة ، اثنان من أبناء عمومته ، أشقاء "مير مظفر" القائد في "مونوجان" "Manujan" على حساب "مير ماشا" قائد "موغستان" الذي حالياً على حافة التمرد ، ولأن "مير برويز" هو قائد أولئك الرجال ومسؤولٌ عن تسليم القلعة ، لهذا السبب قمت باعتقاله في القلعة هنا حتى أرى ما يحدث تالياً في هذا الأمر ، لكن ما أعتقده في هذه الظروف أنهم لن يذهبوا بعيداً في خبثهم ؛ لأنهم في حاجة للمال والرجال وهو ما لا يملكونه حالياً .

أنا في انتظار أن أرى إمكانية التعامل مع هذا الأمر قبل أن يستفحل ، لأن هذه البلاد والظروف الآنية لا تحتمل الحرب أو الخسارة .

عبر أي وسيلة تغادر سأكتب لأطلع سيادتك عن نهاية هذا الأمر ، لأن بعض الاستنتاجات والقرارات يجب أن تتخذ خلال أيام قليلة .

ليس عندي حالياً أيّ شيء آخر أكتب عنه .

نسأل الرّبّ أن يطيل عمرك ودولتك لسنوات قادمة

من هرمز في السادس من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م

"لويس فالكاو "

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "باستاو لوبيز لوباتو" "Sebastiao Lopez Lobato" ، الوكيل التجاري لهرمز رسالة إلى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، هرمز في السادس من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر سجن "مير برويز" : (٥٠)

سيدي ..

سلمني خادمك "جواو غونسالفيس" رسائل سيادتك ، والمراسم الكتابية في مساء الخميس الرابع من مارس ، وكما سترى فإنني سأقوم بتلبية أوامر سيادتك ورغباتك في معرفة الأدوية التي جاءت إلى هنا لهذه المدينة مع تصاريح عام ١٥٤٣م من "مارتيم أفونسو" ، وكما أمرتني فسأقوم بإرسالها خلال هذا "المونسون" ، لكن ليس على هذه السفينة ، وذلك لعدم وجود الوقت الكافي للانتهاء من فحص الرسائل والتصاريح المكتوبة وحساب إجمالي السلع التي تغطيها .

---

(٥٠) رقم الوثيقة والهامش.

بعد الانتهاء من ذلك ستكون هناك في القريب العاجل حسب الطريقة التي طلبتها سيادتك .

اهتممت كثيراً بالأعمال مع قاضي التاج التي أمرت بها سيادتك ، وستصل إجابته مع الوثائق المتعلقة بالمرسوم الكتابي الذي اكتمل ووقع للتنفيذ .

من الصعوبة إعطاء أو تجاهل المناصب الصغيرة التي ليس لها التزام والتي حتى لو يعلم الشخص أنه يملكها فإنه يريد مني أن أعفيه منها ؛ لذلك السبب فإن "لورنزو" الذي أثنى عليه الأمير "دوم لويس" الذي أرسلته سيادتك إلى هنا مع هذا المرسوم الكتابي لم يتول حتى الآن منصبه ، ولن يتولاه حتى تُصدر سيادتك تدبيراً يتعلق بالمنصب ، وما تراه صحيحاً وعادلاً .

أما بخصوص ما تكتبه سيادتُك لي ، خادمك ، فإنك تقدّم لي شرفاً وتكريماً بوضع ثقتك في القيام بشؤونك ، وتولي العناية والاهتمام بها .

سأقوم بكل ما أستطيع وأكثر من ذلك أن الكثير منه كان مطلوباً مني .

في هذا الخصوص على سيادتك أن تطمئن بأنني قد لا أستحق أو لا أريد ذلك الكثير الذي لست مجبراً على عمله ، بل أكثر بكثير ، بما أن الأمر حقيقة بأنني قمت بضم وختم ذلك في قلبي وروحي بكل الإيمان ؛ فلنسأل الرّبّ العون ، وأن يحمي بناتي ويشملهن فضلك ومساعدتك .

ندعو الرّبّ أن يمنحك العديد من المكارم العظيمة والانتصارات ضد كل أعدائك المسلمين ، وضد المسيحيين الخبثاء ، ونسأله أن

يكشف لك عما في قلوب المنافقين والأصدقاء المزيفين ، بما أن العالم مليءٌ بهم ، وندعو أن تشاهد أطفالك يكبرون وينالون مناصب وألقاباً تدهش الكل بعظمتها وروعتها .

أما بخصوص المراسم الكتابية التي بعثت بها سيادتك ، سيتم كل شيء كما طلبت فيها ، وكذلك أعمال البناء في القلعة إلى جانب البر الرئيس كما أمرت ؛ لأن هناك حاجة ماسة في ذلك الجانب .

أنا شاكر وممتن كثيراً لسيادتك لحسن النية الطيب ، والتفهم الذي تبديه لي ، والأفضال التي تقدمها لي .

يجب ألا يعتقد سيادتك أن التصريح الذي أرسلته لي بخصوص اعتماد الرواتب في حسابي الذي اعتبره شرفاً صغيراً ؛ لأنه بخلاف إبداء تعاطف عظيم معي بهذا فهو إنقاذي من التوبيخ والإساءات ، أحسست بتلك الأشياء أكثر من الخسارة التي لحقت بي في هذا الشأن ، ليس كثيراً لأنني مررت بالتجربة كثيراً ، لكن لأن العادة الحقيقية يجب وضعها فوق كل ما سواها .

ليمنحك الرّبّ جزاء على فضائلك النبيلة لأنني لست بالكفء لخدمتك إن لم أبدأ وأعبر لسيادتك من خلال الكلمات عما أتمناه لك .

سيدي ، لا زال "مير برويز" سجيناً في هذه القلعة مع اثنين من أقاربه ؛ لأن قريبه مير أحمد شاه الذي أكمل حالياً عاماً ككبير وزراء لـ"موغستان" لا يريد أن يتخلى عن منصبه أو تسليمه للشخص المعين عليه من قبل الملك .

بسبب العديد من الادعاءات التي ذكرت بخصوص هذا الأمر اضطر القائد لاعتقاله في هذه القلعة مع الآخرين من أقربائه ، ولقد رأى الجميع أن ذلك كان ضرورياً حتى يتضح ما يقرره قريبه الذي هو كبير وزراء "موغستان" .

عندما علم أن "مير برويز" قد سجن مع الآخرين ؛ كتب "لمير برويز" أنه سيسلم القلعة خلال سبعة أيام لأي شخص يأمر به الملك ، القائد أو كبير الوزراء ، اليوم ، الأحد السابع من شهر مارس هو أول يوم في العد التنازلي في هذه البلاد على افتراض أن كبار الوزراء الاثنين الآخرين في القلاع بهذه المملكة اللذان هما مواطنين مثله وجيران (أحدهما قريبه) سيفرحان بذلك ، وهذا لن يدهشني .

يجب أن يعتاد سيادتك مع قصة الأغنية التي تقول (في "كاستيل" لا يوجد ملك ، بالكاد إمبراطور ، فقط طفل صغير لا يستطيع الكلام بتاتاً) ، وهذا هو الملك الذي أراد اتباعه أن يصبحوا رعايا لملك "ليون" ، اختطفه فارس "كاستيلياني" من آخر كان يحمله على أكتافه ليقبّل يد الملك ، وركض به بعيداً .

وصل إلى موقعٍ كان فيه أحد لوردات كاسترو العظام الذي تنحدر منه سلالتك المشهورة ، والذي سلمه الطفل الملك ، قام بتربيته وحكم نيابة عنه ، وحكم مملكته ، ومنع ملكه من أن يصبح تابعاً ، وقد أرضى ذلك الرّبّ ...

ومع فضل وكرم سيادتك ستحرر هذه المملكة من كل الضغوطات والمصاعب التي عانَتْها ، وهذا يعتبر أمراً مؤسفاً أن تراه في هذه الحالة .

سيدي .. حتى الآن لم أبعث بأي تقارير لسيادتك حتى أصبحت المسافات بعيدة ، فرسخاً بعد فرسخ ومن وادي إلى الآخر ، وهم يتغيرون في طرق عدة حتى ألا أحد يعرفهم ؛ لأنهم أبناء لذلك العملاق الكاذب الملقى هناك الذي يعرفه سيادتك جيداً ، سيحصل سيادتك الآن على أخبار من بلاد زكية بالقرب من البصرة بأن ملكها قد دعا الأتراك من بغداد ، وأعطاهم قلعة كانت له في بلاده ، قام بذلك حتى يضم قواته معهم ضد ملك البصرة الذي كان في حرب معه .

في الوقت المناسب استكشفوا البلاد ، وطلبوا التعزيزات حتى تكون عندهم القوة والسلطة لبناء قلعة في نفس تلك البلاد على رأس مكان ناتئ داخل نهر الفرات ، المكان الذي شيّدوا فيه هذه القلعة كان تقاطعاً حيوياً بالنسبة لسكان فارس والجزيرة العربية ، بناءً على ما يقوله المسلمون يبعد مسيرة يوم من البصرة ، قاموا باعتداءات متوحشة على الجانبين ، ونشروا الرعب عبر تلك البلاد .

قد أفاد أولئك عنهم وقالوا عندما وصل أولئك الأتراك الذين يبلغ عددهم أربعمائة من الفرسان على ظهر الخيل عقد ملوك زكية والبصرة اتفاقاً معهم ؛ لأنهم خشوا أن يعرض أولئك القوم سلطة كاملة عليهم وعلى البلاد وقد دفعهم الخوف لذلك ، جمعوا قواتهم وحاربوا الأربعمائة تركي عبر الممرات وأماكن أخرى ؛ حيث قتلوا أكثر من ثلاثمائة منهم ، وواصل الآخرون تقدمهم حتى القلعة ، وتم حصارهم .

بعد أيام قليلة استسلموا على أساس أن يعودوا بحرية إلى بغداد ، وبهذه الطريقة أعيدت قلعة زكية لملكها ؛ خلال الشغب فإن قائدين

آخرين قبض عليهما وأرسلا إلى شقيق "لشاه طهماسب" الذي كان قد وصل في ذلك الوقت إلى مكان يبعد مسيرة يومين من زكية ، وقد ادعى المسلمون أنه كان قادماً لمساعدة البلدة ومعه عشرون ألف فارس لأنه سمع أنباء تقول إن الأتراك يعتزمون بناء قلعة على رأس النهر والمعبر ، وأن هناك العديد من الرجال كانوا أكثر حتى قبل وصولهم .

يقول المسلمون إن عظيم الترك قد توفي ، ويؤكدونها على الوجه التالي : يقولون إنه لو لم يكن ميتاً لما كان ملوك البصرة وزكية قد تجرأوا على شن الحرب ضد رجاله ، حالياً يتناقل المسلمون هذا الموضوع بصورة واسعة فيما بينهم ، وقد أكدوا ذلك .

ليعنك الرّبّ في كل أعمالك ، ويمدّ في حكمك الذي لا يتم بغيره سلم ، بحسب القديس "يوحنا" فلا شيء يتم بدونه .

ضع نفسك تماماً بين يديه ؛ فإن فعلت ذلك فسيجعل أعداءك يرتمون تحت قدميك ، وكل ذلك برحمته وعطفه الإلهي .

من هرمز في السابع من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م .

للسيد المشهور والشخص اللامع "دوم جواو دي كاسترو" حاكم سيدنا الملك في أرضي الهند ... إلخ .

"باستياو لوبيز لوباتو"

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "دوم جواو الثالث" "D . Joao III" رسالة إلى "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، نائب الملك في الهند ، "الميريم" "Almeirim" ، الثامن من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر أن سفن الأتراك والمماليك تبحر بحرية بسبب ضعف البرتغاليين : (٥١)

خلاصة من رسالة طويلة للغاية :

تم إبلاغي عن طريق "القسطنطينية" و"البندقية" أن كمية كبيرة من الفلفل والعقاقير(أ) وَجَدت طريقها على مدى سنوات من تلك الأماكن إلى الإسكندرية ، وكما ترون ، فإن في هذا تهديدا خطيرا

(أ) ان لهذه الإشارة قيمة كبيرة . وهي تعني أن "البرتغاليين" لم يعودوا يحتفظون بسيادتهم السابقة في المحيط الهندي والمحافظة على حصارهم للمضائق . وقد كانت سفن الأتراك والمماليك تبحر بحرية نسبية بسبب ضعف "البرتغاليين" .

(٥١) رقم الوثيقة والهامش.

لمصالحي ، ويسبّب ضيقاً بالغاً ، ولا أستطيع أن أفهم تماماً كيف يمكن لكمية ضخمة كهذه من الفلفل والعقاقير أن تصل إلى هناك إلا إذا كان ذلك بسبب أن الساحل لم تكن تحرسه دوريات جيدة بحيث تمر كميات كبيرة من الفلفل .

لا أستطيع أن أصدّق هذا الأمر ، لأنه ينطوي على إهمال جسيم ، وفي حال كان العقد المبرم في "غوا" بشأن العقاقير لـ هرمز أحد أسباب هذا الوضع ، فقد أمرتك بأن تدرس بعناية ما يجب عمله بشأن ذلك عندما ذهبت إلى هناك ، حسب المعلومات التي وصلتني .

فيما يتعلق بالعقد ؛ فإنني أذكّركم مجدداً بهذا الأمر ، وأنه في حال كان الساحل سيحظى بدوريات حراسة ، يجب عليكم ترتيب حراسته ومراقبته بطريقة لائقة بواسطة أشخاص يتصرّفون على نحو صحيح ، ولا يسمحون بالفلفل المذكور والعقاقير المذكورة بالمرور ؛ لأننا قد تمّ إبلاغنا أن الأشخاص الذين يتعيّن عليهم حراسة الساحل ومراقبته هم الذين يسمحون لتلك المواد بالمرور .

كما ترى ، فإن هذه التجارة ذاتُ أهمية كبرى ، وبالتالي ، فمن المهم بالنسبة لكم أن تهتمّوا بذلك بطريقة يتحقق من خلالها أداء خدمتي بشكل جيد .

بسبب الثقة التي أوليها لك فمن غير الضروري أن أقول أكثر من هذا .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

جاءت مراسلات ذات صلة بإعفاء من الرسوم الجمركية على الأقمشة "للشاه طهماسب" ، هرمز ، الثاني عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م ، والتي تسببت في الخلاف بين فارس والبرتغال : (٥٢)

صورة رسالة من "الشاه طهماسب"

إلى "لويس فالكاو" "Luis Falcao" ، قائد هرمز .

أنا "الشاه طهماسب" ، أبلّغ القائد الممتاز والباسل ، حاكم مملكة "جارون" ، أن سيدي جلال الدين الورع والمبجل "مرتضى كاتونيم" سيجلب ألف "ليك (Leques) من "تبريز" تخصني أنا ، وذلك لاستخدامها واستبدالها من أجل توفير أشياء معينة لاستعمالي الخاص ، مثل القماش الرائع الذي يروق لي بسعر جيد ، وأشياء أخرى صدر له الأمر بجلبها .

---

(٥٢) رقم الوثيقة والهامش.

بينما يشتري سيدي جلال الدين (مرتضى) المذكور هذه الأشياء لن يتم السماح لأحد آخر بشراء الأشياء التي يريدها ، ويجب أن يُقدّم له العون والمساعدة في كل الأشياء .

يجب ألا يُسأل أو يطلب منه سداد أي رسوم أو حقوق ذات صلة برسوم .

ينبغي تقديم العون وإن شيء يتعرض له سأعتبره قد حدث لي شخصياً وسأضع ذلك في ذهني دائماً .

حُرّرت هذه الرّسالة في شهر صفر في عام تسعمائة واثنين وخمسين لهجرة الرّسول محمّد (صلى الله عليه وسلم) .

تمّ مَهْرها بالخاتم الملكيّ "للشاه طهماسب" ، وبخاتم آخر خاصّ بالقاضي (يوهون) "القاضي" التابع له ، وخاتم السكرتير .

ترجمها "جارسيا دي لابينها" ، مترجم مملكة هرمز هذه إلى لغتنا (البرتغالية) .

صورة من أمر خطي من الحاكم "مارتيم أفونسو دي سوسا" :

أنا القائد العام وحاكم الهند الخ ، أبلغك يا "لويس فالكاو" ، قائد قلعة هرمز ، بأنني أطلب منك ، في إطار الواجب الذي يتعين عليك أداؤه لخدمة مولانا الملك ، متى وجدت الوقت أثناء أعمال القلعة ، أن تذهب إلى حيث تتم مشاورة شؤون دار جمارك تلك المملكة ، وأن تفعل ذلك وتساعد وتعين "القاضي" والوكيل التجاري ، وهناك في كل ما هو مطلوب لخدمة مولانا الملك .

إنني آمر "القاضي" والمسؤولين أيضاً بألا يتخذوا قرارات دون إبلاغك في حال ظهور شكوك أو إشارة تساؤلات بشأن ما إذا كان يتعين على الملوك أو الحكام أو رسلهم دفع الرسوم الجمركية ، وذلك حتى تستطيع اتخاذ القرار .

كتبة "أنطونيو غونسالفيز" في "غوا" في الثاني والعشرين من شهر يناير ، عام ١٥٤٤م ، وعمل "أنطونيو كاردوسو" على كتابته ، وإني آمر بموجبه في حال تمكنت أن تفعل ، بأن عليهم ألا يفعلوا أي شيء إلى أن تذهب أو ترسل رسالة توضح أنك لا تستطيع الذهاب بسبب عملك .

صورة أمر خطي آخر من الحاكم "مارتيم أفونسو دي سوسا" .

أنا القائد العام وحاكم الهند الخ ، أبلغك يا "لويس فالكاو" ، قائد قلعة هرم ، و"القاضي" الريس ركن الدين ، "غوازيل" دار جمارك القلعة المذكورة ، والمسؤولين المعنيين بأنني أرغب –نظراً لأن هذا يخدم مصلحة سموه– في أن يتم إرسال القماش الخاص "بالشاه طهماسب" .

الموجود حالياً في دار الجمارك ، إليه مجاناً ، دون سداد أي رسوم جمركية ، ويجب أن يقسم الشخص الذي يأتي بالنيابة عن "الشاه طهماسب" ، على القرآن الكريم طبقاً لعقيدته بأن القماش كله يخص الشاه طهماسب ، وأن القماش مرسل من هنا باعتباره قماش "الشاه طهماسب" ، وأن هذا الأمر لا يسري في حال كان القماش خاصاً بأي شخص آخر ، وذلك على الرغم من أمري بسداد الرسوم .

إنني أبلغك هذا حتى تنفذه دون تردد ، وترسل القماش المذكور مجاناً بهذه الطريقة ... ، وفور إرسالك إياه ، يتم تسجيله في دار الجمارك .

حرر في "غوا" ، في الثاني عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٥م

هذا القماش هو الذي كان جاهزاً للإرسال في الوقت الذي كان السكرتير فيه موجوداً هناك .

كتبه "أنطونيو كاردوسو" .

صورة فقرة من الأوامر المستديمة للحاكم "دوم ايستيفاو دا غاما" :

أن موضوع الرسوم الجمركية المستحقة عن البضائع الخاصة "بالشاه طهماسب" -والتي كتب رسالة بشأنها إلى المدينة- سيتم تنفيذه بالطريقة المعتادة ، كما كان يتم دائماً إلى أن أصدر أوامري بخلاف ذلك .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "جورج دي باروس" "George de Barros" رسالة إلـى الحاكم ، "الشبونه" ، السادس عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م ، لأول مرة يسلك أهل "البندقية" طريق بيروت للبضائع المرسلة من هرمز بدلاً من طريق حلب : (٥٣)

سيدي ..

على الرغم من أن معظم ما فعله فخامتكم ناتجٌ عن نبلكم ، وما تتمتعون به من فضائل ؛ لا أزال ملزماً بخدمتكم ، وكأن كل شيء حدث لأنك تسدي لي معروفاً ، ولست أدري ما الذي أشعر بالتقدير تجاهه بدرجة أكبر : ما فعلته لي بشأن السفينة "القرقور" التي أبحرت على متنها ، أو ما فعلته بشأن الأخرى التي أردت أن آخذها .

عموماً ، إنني أنظر إلى الاثنين على أنهما هامان للغاية ، وسأكرس

(٥٣) رقم الوثيقة والهامش.

نفسي لهما على أيّ نحو يأمرني به فخامتكم أو أعرفه ، وسأخدمك على الرغم من أنك لا تأمرني بذلك ؛ لأنني أعتقد أن فخامتكم ينظر إلى هذا الأمر على أنه أمر مُسَلّم به .

إننـــي أتـرك بقيــة ما أرغب بقوله حتى تحين الفرصة وأتمكن من خدمة فخامتكم .

قد كتب لي ضباط السفينة "القرقور" "ساو تومي" بأنهم حصلوا على مزايا وأفضال كثيرة من فخامتكم .

سأكرس نفسي لهذا الأمر إذا كان ذلك علامة على أن فخامتكم رأى أنها مسؤوليتي ، ولأنني أتعهد بخدمة فخامتكم في كل شيء متى تمكنت من ذلك أو متى أمرتني بذلك .

أما بالنسبة للعقاقير المجلوبة بموجب اتفاق إلى هرمز ، فإما أنه تم أخذها من هناك على نفقة مولانا الملك ، أو نقلها بواسطة وكلائه التجاريين إلى الأهالي في هرمز .

يتم إرسال كميات كبيرة من العقاقير إلى "البندقية" و"مرسيليا" عن طريق "بيروت" إلى حد أننا (...) ....

بالتالي ، فنحن نستلم عنها أقل مما ندفعه ، الأمر الأكثر سوءاً هنا هو عدم وجود شخص يريدها ، لأنهم يكتبون من بيروت ، ويقولون إن هناك أكثر من ستة آلاف (...) منها في الطريق من هناك إلى هرمز ، وإذا كان الوضع كذلك فستكون النهاية مصيرنا ، وبعد ذلك لن يجد سموّه أي شخص يشتريها .

ليعلم فخامتكم أنه قبل أن يبدأ "بيدرو فاز" البحث عن تحقيق أرباح ، كان سموّه يبيع القرنفل والقرفة على أساس ثمانين قطعة للقنطار ، و"الماكير" على أساس مائة ، وجوزة الطيب على أساس خمسين ، ولاحقاً تمّ خفض السعر بحيث إن القرنفل والقرفة أصبحا على أساس تسعة والثلاثين قطعة ، و"الماكير" على أساس خمسين والجوز على أساس ثلاثين ، ولكننا لا نستطيع أن نجد سوقاً لها ؛ لأن ما يأتي من هنا رديء للغاية ، ويتجاوز كل الذي يمكن شراؤه واستهلاكه في هذا الجزء من العالم .

علاوة على الأتراك ؛ فإن أهل البندقية هم الذين يستخدمون هذا الطريق أكثر من غيرهم ، ولذلك يبدو أنه سيكون مفيداً لمصالح سموّه ، وهو أمر سيفهمه فخامتكم على نحو أفضل مما أفهمه ، وقد أبلغ "جورج دا سيلفا" كل هذه الأشياء إلى سموّه وإلى الملكة وإلى الأمير "دوم لويس" (...) وإلى "كونت كاستانيرا" ... ، ويبدو أنهم أبلغوا فخامتكم بها .

أدعو الرّبّ أن يكون الأمر كذلك ، وأن يعيننا بما هو ملائمٌ لخدمة الله وسموّه .

نعرض أنا وزوجتي خدماتنا إلى "دونا ليونور" و"دونا إينس" ، وبالإضافة للأسباب الأخرى الداعية لذلك ، وهو ما نتركه للمدير والسيدتين المذكورتين آنفاً ، واللتين نسألهما قبيل الفضل ، عما إذا كانتا تريدان الاستفادة من خدماتنا ، وآمل أن يَقْبلانها عندما يحين الوقت المناسب ونكون على استعداد لتقديمها .

نتوسل للرّبّ أن يعيد فخامتكم لهذه الممالك ، وأن يمتعكم بالصحة والعافية ، ويمتع أسرتك وخدمك بالصحة أيضاً .

من "لشبونه" في السادس عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م .

"جورج دي باروس" .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى حاكم الهند ، هرمز في الثاني والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر أسباب اعتقال "مير برويز" : (٥٤)

سيدي من "لويس فالكاو" ، قائد هرمز

كتبت لسيادتك عبر سفينة "أنطونيو ميندیز" لأفيد بأنني قد اعتقلت "مير برويز" (Beruz) في هذه القلعة لظهور إشارات سيئة ، وأيضاً من رسائل تلقّيتها كان من الضروري إلقاء القبض على أولئك الرجال كونهم زعماء هذه العصابة .

بعثت "أنطونيو ميندیز" إلى "موغستان" حيث اعتذر له مير (ماشا) عن عدم تسليمه القلعة في الحال بناءً على فَرَمان (أمر) الملك .

قبلت تلك الأعذار لأن الظروف ما كانت لتسمح بأي شيء

(٥٤) رقم الوثيقة والهامش.

آخر ، وهو باق في هذه المدينة والقلعة التي في "موغستان" هي لملك هرمز .

لم يكن من قلة الحظ إن حدث هذا لأن الأمر كان يتطور ولم يكن من الممكن تهدئته دون مشقة ونفقات .

الوضع الآن مناسب في هذه المملكة ، وقد أقر الرّبّ أن تبقى كذلك وإنه يذكرنا دائماً بنعمته .

لن أكتب لسيادتك عن أخبار البلاد ومكتب الجمارك والأشياء العديدة التي تحتاجها هذه المملكة ؛ لأن "فرانسيسكو لوبيرز" في طريقة إلى "غوا" ويمكنه إطلاع سيادتك جيداً كشخص قريب في تعامله معها .

نسأل الله أن يطيل عمر سيادتك ، ويمدّ في ملكك لسنوات طويلة

من هرمز في الثاني والعشرين

"لويس فالكاو"

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "سيباستياو لوبيز لوباتو" "Sebastiao Lopez Lobato" رسالة إلى حاكم الهند ، هرمز ، في الرابع والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م ، وبها عائدات دار الجمارك في مدينة هرمز : [٥٥]

مولاي ..

هذا هو عائد دار الجمارك في مدينة هرمز هذه من أول يناير إلى الرابع والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م :

عائد شهر يناير : مائة وخمسة وعشرون "ليكاً" (Leques) واثنان وثمانون "أزاراً" (azares) وخمسة "كادي" (cadis) وستة وأربعون ديناراً .

عائد شهر فبراير : مائة واثنان وستون "ليكاً" (Leques) وثمانية وأربعون "أزاراً" (azares) وخمسة "كادي" (cadis) وعشرة دنانير .

(٥٥) رقم الوثيقة والهامش.

عائد شهر مارس : مائة واثنا عشر "ليكاً" (Leques) وأربعة عشر "أزاراً" (azares) وسبعة "كادي" (cades) وستة وتسعون ديناراً .

يصبح الإجمالي هو أربعمائة "ليكاً" (Leques) وخمسة وأربعون "أزاراً" (azares) وثمانية "كادي" (cades) وثلاثة وخمسون ديناراً .

أسهم البرتغاليون بـ أربعة وتسعين "ليكاً" (Leques) وثمانية "أزارا" (azares) وكادياً واحداً (cadi) واثنين وخمسين ديناراً .

وساهم المسلمون بـ ستة وثلاثين "ليكاً" (Leques) وسبعة وثلاثين "أزاراً" (azares) وسبعة "كادي" (cadis) وخمسة عشر ديناراً .

يسدّد العائد المستلم من المسلمين المبلغ الذي يستلمه "القاضي" للدفع للرسل الموجودين جميعاً هنا الآن .

سيباستياو لوبيز لوباتو"

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "باستياو لوبيز لوباتو" "Sebastiao Lopez Lobato" ، وكيل هرمز التجاري رسالة إلى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، هرمز في الخامس والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر أن عرباً من الداخل أغاروا على قلعة "صحار" واستولوا عليها : (٥٦)

قمت بالإجراءات التي طلبتَ سيادتك في أن أقوم بها بخصوص الأدوية التي جاءت إلى هذه المدينة بناءً على تفويض الحاكم "مارتيم أفونسو دي سوزا" و"اليكوس دي سوزا" بين عامي ١٥٤٣م ونهاية عام ١٥٤٥م .

كما أرسلت لسيادتك ما اكتشفته في دفاتر مكتب الجمارك هذا في سجلات الكتبة المسلمين والكاتب البرتغالي . كل شيء يسير حسبما

(٥٦) رقم الوثيقة والهامش.

هو مدون فيها مع نُسَخ طِبْق الأصل لبعض المراسم المكتوبة ، وأذونات وجدتها في حوزة "فرانسيسكو لوبيز" ، والتي أولاها اهتمامه الآن .

معظم تلك المراسم تتعلق بعقد "بيرناردو" وبعض الأدوية التي وصلت إلى المحطة التجارية وخزينة "غوا" .

بما أنني لا أعتقد أن تلك التصاريح هي التي طلبها سيادتك على أفضل وجه ، فقد قدّمت التماساً عند قاضي التاج الذي قام بالتحقيق مع العديد من الناس إلا أنهم لم يُدْلوا بأي شيء كما سيجد سيادتك ذلك في إفاداتهم ، التي أبعث بها لك مختومة بالشمع مع مَلاحق للأوامر المكتوبة مثل الأخرى التي بعثتُ بها قبل ذلك لسيادتك والتي من المفترض أن تكون قد وصلتك .

سيدي ..

لقد أوضحتُ لسيادتك أن اليهوديّ الذي نتحصل عن طريقه على الكبريت الذي يذهب من هنا لسيدنا الملك قد وعد بتزويدي بعشرين (bahars) منه في الوقت المناسب لأقوم بشحنه خلال فترة هذا "المونسون" ، لذلك دفعت له مبلغاً مقدماً على الحساب ، لقد عمل بجهد شديد في هذه العملية ، وقد مرت ثلاثة شهور منذ أن غادر شقيقه هذه المدينة لشراء ونقل الكبريت ، وقد أخطره شقيقه هذا بأنه حصل على تسعة bahars من الكبريت .

لكن بسبب النقص في الجمال لم يتمكن من نقلها ، بما أن تلك السلع لا يتحكم فيها أولئك الذين يعملون عليها ، ولا تُحدّد من قِبَل

الباحثين عنها ، ورغماً عن كل إجراء يتم إلا أنه لا شيء يمكن عمله سوى ما يجود به الزمن .

أنا لا ألوم اليهوديّ لأنني أعلم تماماً مدى الجهد الذي بذله في هذا المشروع ، ولأنه يصبّ في مصلحته ، فأرجو ألا تُحوّل هذا الأمر لي لعدم إمكانية فعْل أي شيء بخصوصه ، لقد نذرت كل وقتي له ولا زلت مواصلاً ذلك حتى أبعث بكل شيء تَمّ طلبه في سبتمبر ، لأجل هذا لن أوفر الجهد أو المال الذي هو من الأسباب في تحقيق التعهدات العظيمة .

أخبرني اليهودي أنه سيسلمني في ذلك الوقت كمية محددة من الكبريت ، وقد وعدني أن يسلمها لي في هذا الصيف ، كما أفاد أيضاً أنه حتى الآن كان من المستحيل أن يحصل عليها على أساس أن الأرمن هم الذين يقومون بتأجيرها ، وأيضاً بسبب الوباء الذي حَلّ بالبلاد التي يستخرج منها الكبريت ، وقد رحل عنها السكان ، وقَلّت الحيوانات التي تستخدم في نقل الأحمال ، وقد توفي معظمها ، وأصبح شراؤه غير ممكن حتى هذا الوقت .

كتبتُ لسيادتك بأن "موغستان" تبدي إشارات بقيام اضطرابات ، لكن الحمد لله فقد عاد كل شيء جيداً لأن المثل يقول (نص مقتطف) ، (اقبل عهداً صحيحاً من رجل أمين لكن لا تثق في أي شيء من مسلم) .

حالما علم كبير وزراء "موغستان" أن شقيقه وأقرباءه قد أودعوا السجن في هذه القلعة قام في الحال بتسليم التي كانت معه ، وجاء إلى هذه المدينة ليقدّم بياناً عن نفسه للملك ، والقائد وكبير الوزراء . قاموا باستقباله لأن المسلمين لا ينزعجون لتلك الأمور خاصة عندما يتورط

أي قريب أو نسيب لهم ؛ إضافة لذلك فإن المملكة في حالة لا تستطيع فيها التعامل والتصرف في كل شيء يتم داخل حدودها .

تفيدني سيادتك أن عليَّ كتابة تقرير عن تلك الأمور التي أعتبرها في مصلحة سيدنا الملك ، وأن سأُوم عند اكتشافها وفهمها ، أنني أترك كل شيء حتى شهر سبتمبر لأنه حينها سأعرف المزيد عن هذه البلاد ، وإن كان ريس شرف قادماً إلى هنا ، سأطلع سيادتك عن كل ما يحدث ويتعلق بشؤونها لأن هذه البلاد من النوع الذي يتفاعل برد فعل آني لكل فائدة تؤدى له أو العكس .

سيجد سيادتك في هذا التقرير كل عائدات مكتب الجمارك التي يجنيها من أول يناير وحتى الرابع والعشرين من شهر مارس من هذه السنة ١٥٤٦م ، وفي الواقع كل الدّخْل الذي يُجبى في يناير وفبراير لا زال مستحقاً مثل كل العائد لشهر مارس ، وهذا نتيجة لحقيقة أن التجار لا يستطيعون بيع كل شيء ، وبما أن كبير الوزراء يصرّ على سداد المستحقات لأنه في حاجة للأموال ؛ فإن بعضهم يعانون من حجز بضائعهم لاستيفاء المستحقات .

لذلك لا أحد يشتري أو يؤدي أي شيء عن البضائع التي أخذت منهم ويعودون بلا شيء ، أكثر من ذلك ، الأماكن التي فيها قلاعٌ للبرتغاليين حازت على سمعة سيئة عبر كل البلاد لمعاملتهم السيئة للتجار ، لأن الرجال يشعرون في داخلهم ، وتؤلمهم الأخطاء الصغيرة التي يرتكبها أعداؤهم والأجانب في حقهم عن غير تلك العداوات

الخطيرة التي يرتكبها في حقهم أبناء بلدهم ضدهم ، وعندما يرون كيف تُساء إدارة مكتب الجمارك هذا التابع لسيدنا الملك .

..... الأجانب وأهالي البلاد فينظرون إليها على نحوٍ أكثر سوءاً عندما يرون أن دار الجمارك هذه تخص مولانا الملك .

قد بَذَلت كل الجهود لأرسل لفخامتكم أربعة أو خمسة آلاف أشرفي ، ولكنني لم أتمكن من الحصول على هذا المبلغ ، سواء من الإيرادات أو القروض ، وما أذكره أعلاه مسؤول عن هذا ، وهناك شيء آخر ، وهو أن الوكلاء التجاريين الجدد على المهنة لا يتمتعون بثقة كالتي يتمتع بها القُدامى فيما يتعلق بالديون المؤجلة .

أقسم لفخامتكم بشرفي أن هذا المال لم يتأخر بسبب نقص في الحرص ، وأن ما تم تحصيله حتى الآن كان كافياً فقط لإرسال "رافائيل لوبو" مع ثلاث سفن للقيام بدورية على الساحل ، وللمصاريف اليومية ولدفع عشرين "ليكاً" (Leques) لملك هرمز من الأربعين التي يتلقاها كبَدَل ملابس ، وهو ما أعتقد أنه بحاجة إليه من أجل صيانته .

إذا شاء الله ، فسأخدم فخامتكم ، وأرسل إليكم في سبتمبر كلّ الدّخْل المستلم حتى ذلك الوقت ، وأي شيء يبقى من الدفعات التي يأمر فخامتكم بإتمامها .

يحصل "القاضي" على نصف الإيراد الذي يقدّمه المسلمون لغاية اثني عشر أشرفياً ، وبهذا المال ، يجب عليه أن يدفع لجميع الرسل الموجودين هنا في الوقت الحاضر .

قبل أيام قليلة ، وصلت أنباء من "قلهات" بأن عرباً من الداخل أغاروا على البلاد ، واستَوْلوا على قلعة تخصّ هذه المملكة تُعْرف باسم صُحار ، وهي قريبة من "قلهات" ، وسيرسل القائد الآن إلى هناك مدفعين صغيرين ومتخصص في المدافع للقائد الساحلي لمهاجمة هذه القلعة ، مع "البرتغاليين" الذين جاءوا من الهند .

ندعـو الله أن يعينهم ، وأن يمنح فخامتكم طول العمر والصحة الجيدة ، وأن يوجهك في جميع مشاريعك .

من هرمز ، في الخامس والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م .

"باستياو لوبيز لوباتو"

إلى صاحب الفخامة "دوم جواو دي كاسترو" الحاكم في الهند بالنيابة عن مولانا الملك .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث الخواجا شمس الدين غلام رسالة إلـى "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، "كانانور" "Cananor" ، في الثالث والعشرين من شهر مايو ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر أن ملك الشحر استولـى على قشن : (٥٧)

سيدي (١٤٤)

وصلت واحدة من سفن "القرقور" التابعة لي ، والتي كنت أرسلتها إلى "قشن" في الخامس والعشرين من شهر مايو ، وحيث إن المكان كان يتعرض لثورة فقد اتجهت إلى "الشحر" ؛ حيث وصل رجل مرسل بواسطة شقيقي عبد الرب من جدة ، وكتب لي يقول إن سيمون اليهودي (أ) يستعد مع مائة وعشر سفن للقدوم إلى الهند .

(أ) أحد قادة التركي .

(٥٧) رقم الوثيقة والهامش.

ولكن وحيث إنه توفي ، قبل ثلاثة شهور من كتابة الرسالة ، فقد تفرّق الرجال وبقيت قلة ضئيلة منهم في السويس .

اعتبرت هذه الأنباء صحيحة ، ولم تكن هناك أخبار أخرى متداولة هنا صحيحة كهذه ، ولم تكن لديه أنباء عن التركي ، ولكن الأخبار ستأتي مع القوافل التي ستصل في موسم الرياح الموسمية ، وسيرسل لي أي أخبار يتلقاها .

يمكن لفخامتكم التعاملُ مع هذا النبأ باعتباره صحيحاً لأن شقيقي كتب لي يقول إنه تلقاه باعتباره مؤكّداً تماماً كالأخبار التي تقول إن ملك "الشحر" استولى على "قشن" .

هذه هي الأخبار الواردة من المضيق .

ليست هناك أخبار من المدينة .

يمكن لفخامتكم إصدار أوامر لي بشأن كيفية خدمتكم .

على فخامتكم إصدار الأوامر لي ، وإنني على استعداد لتنفيذها .

أدعو الله أن يطيل عمر فخامتكم ، وأقبّل يدي فخامتكم .

من مدينة "كانانور" ، في الثالث والعشرين من شهر مايو ، عام ١٥٤٦م .

خادم فخامتكم

الخواجا شمس الدين غلام

(١٤٥في) :

إلى مولاي الحاكم

من الخواجا شمس الدين غلام .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "مانويل دي فاسكونسيلس" "Manuel de Vasconceles" رسالة إلـى "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، "كانانور" "Cananor" في الرابع والعشرين من شهر مايو ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر أن ملك الشحر استولى على "قشن" بمساعدة الأتراك : (٥٨)

(١٤٦) سيدي

من الحادي والعشرين من شهر مايو جاءت سفينة شراعية ضخمة كانت في "قشن" ، ويملكها خواجا شمس الدين إلى هذه الميناء من "الشهر" El–shihr تحمل أخباراً عن الأحداث التي جرت في الحرب مع ملك "الشهر" ، ذهبت بعد ذلك إلى "الشهر" ، وتقول إن ملك "الشهر" قد استولى على "قشن" بمساعدة أربعة من المراكب التركية ،

(٥٨) رقم الوثيقة والهامش.

وإن الملك والرجال الذين كانوا في "قشن" ذهبوا إلى "سوقطرة" ، جاءت هذه السفينة برجل يحمل رسائل من عبد الرب ، شقيق خواجا شمس الدين الموجودة في جدة ، وقد كان في زيارة "قشن" .

عندما سمع عن السفينة الشّراعيّة الضخمة التي كانت في "الشحر" ذهب إلى هناك والأخبار التي نقلت في الرسائل هي كالتالي :

"سيمون اليهودي" وهو قبطان تركي كان في السويس يستعد للحضور إلى الهند ، وقد وجد أربعين سفينة كانت قد صنعت في ذلك الحين ، وقبلها ثلاثة وسبعين من كبيرة إلى صغيرة ، بعد وصوله .

كان يعتزم الحضور إلى الهند في هذه السنة لكن أثناء استعداده سقط مريضاً وتوفي ، عندما غادر الرجل الذي جاء من جده كان هو قد توفي لأكثر من ثلاثة شهور ، وقد تفرّق كل المقاتلين وظل القليل منهم في السويس ، وذكرت الرسالة أن هذه الأخبار موثوق بها وصحيحة وليس ما ذكر غير ذلك ، ولإعطاء فكرة عن الأنباء الدائرة في البلاد سيكتب ويبعث مع سفينة "خواجا شمس الدين" والتي ستأتي من جدة .

(v ١٤٦) لا توجد أخبار من الأتراك ، لكن عندما تصل القوافل سيسمع ما يأتي ويكتب .

ليست عندي أخبار سوى هذه و"خواجا شمس الدين" سيكتب لسيادتك أيضاً .

مادة : "السامورين" (Samorin) لم يرد على السفير من "كامباي" ، أرسلت نسخة من الرسالة إلى "خواجا شمس الدين" وتقول إن

السلطان بدر[أ] بعث بمبالغ كبيرة إلى "السامورين" لإعداد أسطول لإشعال ثورة ضدنا ، لكنه لم يفعل ذلك ولا أحد يتحدث عن هذا الأمر .

يقال فقط إنه بعث له بالمال لبناء مراكب ليرسلها ضدنا ، إن لم يكن راغباً في ذلك فهو يَعِد بأن يأمر كل سفينة شراعية ضخمة تصل إلى موانئه أن يتم الاستيلاء عليها ويقتل الرجال الذين عليها ، طلب ردّاً عاجلاً لأنه كان على وشك مهاجمة "ديو" ليستولي عليها .

كان ذلك فحوى الرسالة .

يريد "خواجا شمس الدين" معرفة إن كان "السامورين" قد بعث بأي رد ، كتب "روي غونسالفيس" من هنا إلى "خواجا شمس الدين" طالباً منه شراء كل ألياف جوز الهند التي تستطيع جمعها لسيدنا الملك ، اشترى حتى الآن مائة حزمة منها ، بعضها سميك ، والبعض رفيع ، سيرسلها في فصل الصيف في السفينة التجارية التي جاءت من الشهر وإن وجد زيادة منها في ذلك المكان فسيشتري أيضاً .

ليطيل الرّبّ في أيام سيادتك ويمدّ في ملكك ، أقبّل يديك .... خادمك .

"مانويل دي فاسكونسيلس"

(١٤٧ v) لسيدي الحاكم

(آثار لختم الشمع)

(أ) ملك "كامباي" ، قتله "نونو دا كونها" في العام ١٥٣٨م .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

وصلت أنباء من هرمز بأن الأتـراك قد وصلوا إلـى البر ، واستولوا على البصرة وشيدوا قلعة ، وأن أربعاً من السفن "الغليون"(أ) "Galleon" التركيـة قـد استولـت عـلى ظـفار وشيدوا قلعة هناك ، بتاريخ شهر أغسطس عام ١٥٤٦م : (٥٩)

من هناك بعث ملك ظفار ابنه يطلب العون من الحاكم .

وصلت في أغسطس سفينة إلى "غوا" حاملة أخباراً بأن جماعة من الأتراك قد وصلوا براً إلى مضيق "البحرين" ، واستولوا على مدينة البصرة حيث أقاموا التحصينات وشيدوا قلعة ضخمة ، وبسرعة أيضاً صنعوا مراكب هناك استخدموها في شن الحرب على العديد من المواقع داخل المضيق ، وأخضعوها تماماً لسيطرتهم .

(أ) "الغليون" : سفينة شراعية حربية ضخمة .

---

(٥٩) رقم الوثيقة والهامش.

أمّنوا البصرة من خلال معاهدة حرب وقّعتها مع الأتراك ونصّب أحد الأتراك ملكاً .

أرسلت رسائل مباشرة للقائد "لويس فالكاو" ، وحيث أكّد له العلاقات الودية وحسن النية وصداقة قريباً بينهما ، طلب منه عدم نقص المعاهدة أو منع التجار من الذهاب إلى هناك ؛ لأنه سيحتفظ بكل عادات البلاد كما كانت دائماً في السابق ، لذلك سيتولى السلطة أولاً ، ومن ثم يعطي ضمانات للرهائن .

أجابه القائد بكل سخرية الأمر الذي كان مخالفاً تماماً لما اعتقده التركي ، وصل كل ذلك للحاكم في رسالة جاء أيضاً ابن الملك ريس شرف إلى هناك في هذه السفينة ، وكان مجبراً على البقاء ومعه هدية قيمة ، إلا أنه عاد خالي الوفاض كما سأوضح فيما بعد .

بعد عدة أيام وصلت سفينة أخرى إلى هرمز حاملة أخباراً بأن أربعا من السفن التركية في "قشن" قد وصلت إلى مسقط ، لم يترك الأتراك السفن إلى الشاطئ ، بل قاموا بدكّ المكان بالقنابل وعادوا من حيث أتوا ، جاءوا بنوعية من قذائف دمروها ، واستولوا عليها وشيّدوا حصناً هناك ، كما جعلوها تابعة لهم .

عليه أرسل أحد أبناء ملك ظفار في طلب المساعدة من الحاكم وجاء فعلاً ، وعَدَه الحاكم بأن يصدر أوامره ويبعث بأسطول إلى المضيق ، وبذلك يكون قد تأكد بأن الزوارق التركية كانت تقوم بهجمات بطول ساحل Melinde ، وينهبون ويسلبون البحر والبر ، ومن ثم ينسحبون

إلى "قشن" ؛ حيث إن لهم قلعة هناك في أيام الحاكم "مارتيم أفونسو" كما جاء ذكر ذلك قبل الآن .

وصل "جورجي دي سوزا" إلى "غوا" في الثامن عشر من شهر أغسطس ، وكان معه "نيكولا غونساليس" سيد "كوتشين" جاءا من هناك في زورقين مع أشخاص عاديين ، كان أولئك يُبحرون بناءً على وصية الحاكم ، أفادوا أن ثلاثين زورقاً قام سكان "كوش" بتسليحها لعملية الإنقاذ تلك تتبعهم من الخلف إلا إن العواصف أخّرتها .

كما أعلنوا أيضاً أن أخباراً وصلت إلى "كوتشين" من "سيلان" بأن ملك "كاندي" (Kandy) قد أصبح نصرانيّاً بناءً على تعليمات كبير الكهنة والرسول "فرانسيسكو شافير" الذي ذهب إلى هناك للوعظ ، وقد تحول العديد من أتباعه للمسيحية ، وقام الملك بإرسال سفيره للحاكم ليؤكّد ويعزز السلام مع الأمة المسيحية ، وسأعود لذلك فيما بعد ...

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث الخواجا "مالاديم" "Maladem"رسالة إلى الحاكم ، هرمز ، السادس من شهر أغسطس ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر ما بين نور الدين ووالده الريس شرف : [٦٠]

كما أن الأبناء لديهم واجبات تجاه آبائهم ، وللآباء واجبات تجاه أبنائهم ، يبدو لي أن أهالي هذه المدينة والمملكة ، الذين يستحقون التقدير ، لديهم واجب إرسال مذكرة إلى فخامتكم بحاجتنا الماسة ، علاوة على مذكرة خدمة مولانا الملك ، ليحضر الريس شرف إلى هذا المكان ، على الرغم من أن العكس كُتب لفخامتكم ، وسيذهب ابنه الريس نور الدين إلى هناك بنية الانصياع لرغبة والده في كل التفاصيل ، ولينفذ ما يطلبه منه .

قد اطلعنا هنا على رسالة من فخامتكم تقول فيها إنه لا يوجد شك في أنه فور ذهابه إلى هناك فسيأتي والده إلى هنا ، وقد سمع الملك

(٦٠) رقم الوثيقة والهامش.

وبعض أهالي هذه المدينة أنه في حال ذهب الريس نور الدين إلى هناك فلن يرسل فخامتكم والده قبل إبلاغ مولانا الملك ، وأن بعض أعضاء مجلسكم يؤيدون هذا الرأي .

عن هذا ، يا سيدي ، أقول إن الأمر لو كان هكذا ؛ فإن فخامتكم لم تفعل ذلك إلا إذا كنت ترى أن سموّه يلقى خدمة جيدة ، ولكنني أطمئن فخامتكم أنه لا يوجد شيء فيه يخصّني ، ولكنه سيكون في إطار خدمة سموّه ، وفي غير صالحه وغير صالح ملك هرمز ومملكته .

يثق الملك وجميع المواطنين البارزين في هذه المدينة في نُبْل فخامتكم ، ونعتقد أنه أمر رائع أن ترغب في تدبير الأمور بحيث يتم كل شيء على نحوٍ صحيح .

إن الجميع يريدون من فخامتكم إرسال هذا الرجل العجوز ، وفي ذهاب ابنه إلى هناك ، وسيجد فخامتكم الذي يفرحكم بسبب مزاياه العديدة ، وسيسعد فخامتكم بالاستفادة من خدماته .

أدعو الله أن يطيل عمر فخامتكم

إنني على استعداد لخدمة فخامتكم

هرمز ، السادس من شهر أغسطس ، عام ١٥٤٦م

"الخواجا مالاديم" .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث خواجا شمس الدين رسالة إلـى "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، "كانانور" "Cananor" ، في السابع عشر من شهر أغسطس ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر بأن السفن التركية اتجهت لمساعدة عدن : [٦١]

مائة رسالة من الخواجا شمس الدين يفيدني فيها بأخبار المضيق[أ] :

استلمت في الرابع عشر من شهر أغسطس رسالة من فخامتكم جعلتني أشعر بالسعادة ، كما سعدت بالأنباء الطيّبة التي بعثت بها عن فخامتكم وعن معركة ديو ، إذ إن الأنباء التي وصلتنا هنا كانت نقيضاً للحقيقة تماماً ، وندعو الله أن يكتب النصر للنصارى ؛ إذ إن الله يقول الحق ، ولهذا السبب يجب أن أساعد الرّبّ .

(أ) ملحوظة بواسطة "دوم جواو جي كاسترو" .

(٦١) رقم الوثيقة والهامش.

كان العون[أ] الذي يرسله فخامتكم لهم جيداً للغاية إذ إنه يوفّر تشجيعاً لرجالك ويكسر شجاعة العدو .

إنني مرسل (مير علي) لكم ، ومعه سفينتين شراعيّتين مجهّزتين على نحو جيّد لتخدما فخامتكم خلال الرحلة[ب] التي توشك على القيام بها .

إذا كان فخامتكم يحتاج مني ومن رجالي أن نخدمكم ونخدم ملك البرتغال ، فأرجو الكتابة لي إذ إنني سأغادر هذه المدينة على الفور ، وأرجو ألا يكون لدى فخامتكم شك في هذا .

سيطلب (مير علي) أشياء بعينها بالنيابة عني وكذلك من "روي غونسالفيز"[ت] .

أرجو يا سيدي أن تسدي لي معروفاً قبل مغادرتكم بأن تعيده لي .

إنني أنظر إلى فخامتكم باعتباركم مولاي وصديقي ، ولهذا السبب يجب أن أطلب منكم إسداء معروف وأفضال لي .

يمكنكم التأكد من أن كل الذي كتبه فخامتكم إلى القائد ليخبرني به سيتم كما قال ، وسأهتم بذلك .

في السابع عشر من شهر أغسطس وصلت إحدى سفن "القرقور" التابعة لي إلى "مونت دللي" قادمة من جدة ، وجاء رجل من السفينة

(أ) غادرت المعونات "ديو" بالفعل بحلول هذا التاريخ ، ولكنها لم تصل بعد .

(ب) كان الحاكم لا يزال في "غوا" للتحضير للمغادرة لرفع الحصار عن "ديو" .

(ت) كان "روي غونسالفيز دي كامينها" صديقاً حميماً للخواجا شمس الدين .

"القرقور" إلى الساحل وهو يحمل لي رسائل من شقيقي ، والأنباء هي كما يلي :

توفي اليهودي الذي كان في السويس ، وكان يوشك على الحضور مع الأسطول ، وغادر جميع الرجال المقاتلين ، وبذلك لم يبق أكثر من خمسمائة لحراسة الأسطول .

أما إمام زابد[أ] - الذي قتل الكثير من المقاتلين الأتراك في زابد وسلك الطرق التي لا تؤدي إلى عدن .

جاءت خمس عشرة سفينة تحمل ألفي رجل من السويس ، وتوجهت لمساعدة عدن ، إذ إن هؤلاء الرجال لم يلقوا حتفهم في زابد وإنما في عدن ، وجاءت هذه المساعدة من "القاهرة" ، وكان التركي في "القسطنطينية" ، وكان هناك طاعون رهيب .

هذه الأخبار التي كتبها شقيقي ، ويمكن لفخامتكم التأكد من أنها صحيحة ، وأنني سعيد للغاية لوصول هذه الأنباء لأن فخامتكم ستكونون في وضع يمكّنكم من القيام بما يلائمكم على أفضل وجه .

أدعو الله أن يطيل عمر فخامتكم ، وأقبّل يديك .

من مدينة "كانانور" هذه ، في السابع عشر من شهر أغسطس ، عام ١٥٤٦م .

عاد "غوريبو" إلى منصبه ، وقد فعل الملك هذا استجابة لرسائل

(أ) يقول "دوم جواو دي كاسترو" أن الزبيدي أو الزبيد/ زابد "بلدة عند مدخل المضيق مؤدي للمنطقة الداخلية من ساحل البلاد/ شبة الجزيرة العربية ، ووفقاً للمعلومات المتوفرة لدي فهي أفضل ميناء في كل البلاد" (كارتاس دي جواو دي كاسترو ، ص ٣٨) .

فخامتكم التي كتبتها له ، وقد بذل القائد جهوداً كبيرة لتحقيق هذا الأمر .

أقبّل يدي فخامتكم

الخواجا شمس الدين غلام

إلى فخامة الحاكم

من الخواجا شمس الدين غلام

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث ملك هرمز رسالة إلى الحاكم، هرمز في الحادي والثلاثين من شهر أغسطس، عام ١٥٤٦م، يذكر ما بين الريس شرف وابنه الريس نور الدين :[٦٢]

سيدي ..

عندما تقرأ هذه الرسالة، رجاءً أن تقرأ الوثائق التي في (......) التي فيها تعليقات الملك ورسالة من "سيماو بوتيلهو" "Simao Boutelho" .

خلال فصل "المونسون" الأخير سلمت لي رسالة من سيادتك تخبرني فيها أن قدوم ريس شرف لهذا المكان هو فقط مسألة تتعلق بابنه ريس نور الدين، ومغادرته لهذا المكان، وأنه ذاهب وله رغبة عظيمة لخدمة سيادتك وأن يعصي والده في كل أمر .

في المرة الأولى التي استدعي فيها كان قد حث على عدم الذهاب

(٦٢) رقم الوثيقة والهامش.

حسباناً لمرضه ، والذي أؤكد لسيادتك أنه بناءً على قول الأطباء كان خطيراً وشديداً ، هذا يسعدني كثيراً ، ويشعرني بالرضا لأنه عندما يذهب فستقوم سيادتك بإرسال والده لطرفي حالما يصل إلى هناك .

على سيادتك أن يؤمن أنه بخلاف رغبتي في رؤية ريس شرف يأتي لبلاده إلا أن في وصوله إلى تلك الأنحاء أمر مرغوب جداً ، لأن ذلك يهمني ، ولأن ذلك يصب في خدمة سيدي ملك البرتغال ؛ لأنه منذ سنوات عمري الباكرة وحتى الآن لم أع سوء المعاملة لنفسي والمملكة .

لكن الآن وسنين عمري تتقدم فإنني أرى وأشعر بمدى البؤس والموقف الذي يتعلق بي ، على سيادتك أن يعلم أنهم يفعلون ما يريدون بعائداتي المالية وما هو الاتجاه الصحيح الذي يجب أن تنفق فيه وما لا يجب .

أود أن أتحدث مع سيادتك مطولاً عن هذا الأمر لكن (.......) من قبل "سيماو بوتيلهو" ، اسأل الله أن يوصله بسلام ، عطفاً على رقته وشجاعته رغب في أن يعرف عن تلك التصرفات السيئة ، لقد سمحت له بأن يطلع سيادتك عن هذا بطريقته الخاصة حتى يتم إجراء ما هو سليم ومناسب ، وأن سيادتك سيتخذ إجراءات مناسبة في الأمر .

أثق في أن سيادتك ستتصرف بما تراه حكماً صحيحاً في مصلحة سموّه ، وما هو أفضل ما يمكن أن أقوم به أنا .

أنا على يقين عندما يصل ريس شرف سيكون ملك "البرتغال" قد حصل على أفضل خدمة ، وسأعامل أنا بطريقة مختلفة ؛ لهذا السبب فإنني للمرة الثانية ألتمس من سموّك أنه حالما يصل ريس نور الدين

إلى هناك لن يكون هناك أي تأخير ولن تكون الحاجة لقائد جديد ، لأنه هنا بإذن الله سيجد واحداً ، سيكون سيادتك سعيداً لتلبية رغباتي التي هي مخالفة تماماً لما كان قد كتب لسيادتك هناك .

نسأل الله أن يطيل في عمر سيادتك في خدمة هرمز

اليوم الأخير من أغسطس عام ١٥٤٦م

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

رسالة إلـى الحاكم من "بيبي روهاك" "Baby Rohack" زوجة ريس شرف ، ووالدة ريس نور الدين ، تعدد صفاتهما وتطلب من الحاكم العفو عنهما ، من هرمز في السادس من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٦م : [٦٣]

سيدي ..

أرسلت هذه الرسائل بعد حصار (ديو) ، كما سنتطرق لوصول "جورداو دي فريتاس" من "المولوكاس" (Moluccas) .

سلمني "اليكسو كارفالهو" رسالة قال لي إنها من سيادتك ، من الطريقة التي كتبت بها أدركت في الحال أن الإجلال والأفضال والنصائح الغالية التي أسداها لي سيادتك هي في الأصل من رجل وسيد عظيم ، نسأل رب السماوات والأرض أن يكافئك .

---

(٦٣) رقم الوثيقة والهامش.

لن يتعب فمي عن الدعاء والصلاة أن يزيد من مقامك ، ونرجو الله أن يعيد الزوج ليعيش في سلام على الأرض التي أخذه منها ، وأن يهيئ له رؤية أطفاله والشخص الذي يحبه ، الزوجة التي أخذ زوجها لتلك الأراضي البعيدة تودّ كثيراً ، وترغب في أن يعود إلى وطنه بعد ثماني عشرة سنة ، تقوم في كل يوم بالعظيم من الخير في هذا العالم لكنها لا تملك ما تدفعه كفدية ، وليس لها سوى الصلاة للرّبّ الذي يهب كل شخص ما يستحق في هذه الحياة ليمنح الراحة لزوجها وزوجته وأطفاله ، ويزيد من مقامهم .

لن أنقطع عن الأمل بأن سيادتك سيرسله لي في خلال أيام قليلة ، ولعلني أستمتع برؤياه ، وقد ارتاح من بعض المشاق والصعاب العديدة التي أصابه الرّبّ بها في هذا العالم بسبب ذنوبي وذنوبه ، في اللحظة التي أراه فيها سأكون قانعه وراضية أن تنتهي حياتي ، والتي ليست بالبعيدة بسبب الأسى والحزن الآخر الذي أصابني في هذا العمر الطويل ببعد ومغادرة ابني عني ، لهذا ، أقدم الشكر الكثير لخالق هذا العالم .

سيدي ... أفيدك أن ابني ريس نور الدين في طريقه إلى هناك ، بالرغم من كونه مغادراً وأنا باقية إلا أن روحي وكل قلبي في رفقته لأنه ابني الوحيد ، إنه يسافر بعيداً عني وروحي حزينة لذهابه ، وفي تلك (.....) توجد الكثير من الأيام الحزينة التي عليَّ تحملها دون أن أراه ، بالرغم من أن رؤية والده ستعطيني كل الفرح والرضا ، إلا أنني لن أكون معه (......) لأنه فلذة روحي ، يتيم الأب لثماني عشرة سنة في هذا المكان ، ربيته في ظروف غاية في الصعوبة .

سيدي ، نسأل الله الذي هو وحده في السماوات والذي نؤمن به كلانا أن يمنحني العزاء ، وألا أفقد هذا الابن ... ، وحتى نراه أنا وأبوه قبل وفاتنا ، أنا على يقين من أن والده سينفطر قلبه مثلي تماماً لأنه ابنه وفلذة كبده .

ما أني كتبت رسائله بهذه الأمانة ، لعله يرضي رغبة ذلك الملك المنيع والأعظم من كل شخص آخر في الحياة ، العادل والتقي .

آه يا سيدي ، إنه لفضل عظيم ما ستقدمه لهذه المرأة المحزونة ، النصف عمياء الكبيرة السن التي تبحث وترجو هذا العزاء ، لعل ذلك يكون بطريقة أن يقوم خادمك العجوز ريس شرف ويقبل بشرفه ، لأنه بخلاف ذلك فإنني سأفقد ابني والأمل في رؤيته في هذا العالم وأموت مرات عديدة إن جرت الأمور بحيث يفقد والده ولو شريحة من كرامته واحترامه ، لكن إن كان مطلوباً أن أضحي بحياتي فسأكون قانعة ولن أشعر بالذنب .

إن كانت هناك أي وسيلة لمنع ابني من الذهاب إلى البرتغال ، ليكن ذلك ، ولعله سيتصرف بما يقتضيه شرفه وشرف والده .

سيدي ، يظل الأمل يراودني برؤيته أحيانا ، وأرجو أن يؤكد لي ذلك برسالة من سيادتك ، سيظل هذا الأمل معي لأن لك أطفالا يسعدك الرّبّ برؤيتهم بكل فخر ، وهم يستحقون ذلك بالتأكيد .

في هذه الرسالة لست أعبر عن نفسي كامرأة مجنونة لكن كأم أنجبت مثل هذا الابن ؛ لأنني في الحقيقة اشك كثيراً في أن هناك ريس نور الدين آخر في بلاد المسلمين ، ابن خرج من أعماق شراييني

وقلبي ، بما أنه ابني وابن والده الذي يماثله في الفضائل والقيم فيمنح نفسه لكل شيء تأمر به سيادتك .

سيدي ، لقد تورّمت عيناي ، وأنهكني البكاء ، وأنا في انتظار ذلك الرجل العجوز خادمك ، ولرسالة من سيادتك لتواسي عبدك هذا بقليل من الأمل لعلها قبل أن تموت قد ترى ابنها الذي تحبه كثيراً .

لعل خالق هذا الكون الذي يعمل كل شيء بمشيئته يكون المدافع عنك ويمنحك عمراً طويلاً لأنك نفذت دائماً أوامره في هذه الأرض ، ومن الآن وصاعداً سيفعل الأفضل بعون رب السماوات .

دوّنت هذه الكلمات في هذه الوثيقة ، وعبرت عن أعماق قلبي ، لذلك إن لم تبد الكياسة المستحقة لسيد محترم مثل شخصك ؛ فإنني أستميحك عذراً لأنني امرأة ، نسأل الله أن الذي جئت به من بلادك لهذه البلاد أن يعيده إليهم في أمن وكرامة يرافقه أبناؤه وأتباعه .

من هرمز في اليوم السادس من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٦م

لسيادة الحاكم ، سيدي ومولاي ، من خادمته "بيبي روهاك" ، زوجة ريس شرف .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى "دوم ألفارو دي كاسترو" "D . Alvaro de Castro" نائب ملك الهند ، من هرمز في الثامن عشر من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٦م ، يخبره أن الأتراك قد اقتربوا من البصرة حيث بنوا قلعة زكية : [٦٤]

سيدي ..

لقد كانت قناعتي بخدمة سعادتكم شخصياً وفي المجال المالي مصدراً عظيماً لشعوري بسعادة غامرة ؛ أدركت أنها أفضل من المناكدة وإزعاج سموّكم بالرسائل ؛ سيما إذا كانت مثل هذه الرسالة تتضمن الشكاوى والمشادات ، ولكنى أعلم تماماً أنك تتقبل المشاكل بصدر رحْب وبصبر جمّ ؛ إذ إنها تقوم أساساً على رغبتي الصادقة في خدمة سعادة اللورد الحاكم .

(٦٤) رقم الوثيقة والهامش.

إذا كنت غاضباً فليس ذلك بسبب الخسارة التي يمكن أن أواجهها ، أو بسبب أن سموّه ربما لا يعيرني اهتمامه كخادم أو صديق له ، وإنما بسبب سعادة الناس في عدم رؤيتي كفرد ينبغي أن يجد القبول من شخصه .

من هنا نشأت فكرة "دوم بايو"(أ) أنني يجب ألا أعطى صلاحية التصريح والإدلاء بأيّة أقوال عن القلعة التي أتولى قبطانيتها ، وكذلك التصريح بنصائح سيئة ما كنت أطيقها لولا أنني أشغل هذا المنصب الحالي .

السبب الذي جعله يمنعني من التصريح هو احتجاجي على المخالفات التي ارتكبها بحقّي سعادة اللورد الحاكم ، وأعتبره محقاً في ذلك ، لكن يبدو أن تفكيره قد قاده للاعتقاد بأنني أخبره بذلك من منطلق الثقة ، وهو يؤيد فكرة إقدامي على مخاطبتكم والكتابة لكم عن كل هذه الأشياء والشكاوى التي لم أقم برفعها إليه ، لكنني أرغب عن هذا التصرف لأسباب عديدة حتى لا ألقي بالأعباء على سعادة الحاكم .

سوف تجدون طيّ هذه الرسالة جميع الاحتجاجات والشكاوى التي أثرتها ضد سعادة اللورد الحاكم .

(أ) كان هناك التفكير في إعطاء "دوم بايو نورونها" قبطانية الأسطول والإبحار من الهند إلى هرمز . وفي الخامس عشر من شهر مارس أرسلت "د .بايو دى نورونها" كى يبدأ رحلة عمله في منصب القبطـان للإبحار إلى هرمز التى منحها سموّكم له . وبالرغم من عدم وجود أي إتفاقية في هذا العـام ، ولا توجـد هناك بضائع أو سلـع تتطلب النقل ، ويبدو لى إنه مـن مصلحة سموّكم أن ترسلـه للعمـل هناك سيما وانه كاسـادو "نبيل" له خبرة واسعة بحكـم عمله في تلك المناطق لسنوات عديدة .

حقيقة لم أعد أحتفظ لنفسي بتلك ، إنني بذلك أعبر عن رغبة وإرادة من أجل خدمة سيادته ؛ فهل يتفضّل سموّكم بالتكرم لسماع احتجاجاتي ؟

سوف أبدأ بالأمور التي تسببت في أذيتي وإلحاق الضرر بي :

لقد كتب سعادة اللورد الحاكم رسالة إلى "باستياو لوباتو" "Bastiao Lobato"(أ) صرح فيها أنه لو كان موجوداً في هذه البلاد لترك الريس نور الدين ابن ريس شرف(ب) لأنه متأكد تماماً ما كان ، رغم الرشاوي والهدايا التي يمكن أن تمنح له ، أن يتوقف عن نصحه بالمغادرة لرؤية والده ، والذي للدفاع عن شرفه كان يتوجب عليه ذلك .

أما الإهانة الثانية التي أرفع الشكوى بشأنها هي التنويه عني لكاتب سعادة قاضي قضاة هذه المدينة ، وهذا أمر لا يَلجأ له إلا في القضايا الخطيرة أو في القضايا التي يعتبر أطرافها من عتاة المجرمين ، أو ممن يتستّرون على القتلة ويقومون بحمايتهم ، وأحمد الله أنني طيلة فترة الثماني عشرة سنة(ت) التي قضيتها هنا لم يحدث أن تسببت في إلحاق الضرر بأي شخص .

(أ) يعتبر "باستياو" أحد المقيمين في "غوا" ، وقد أصبح فيما بعد قاضي القضاة (الكتاب رقم ٣٦٦) .

(ب) الريس شرف قاضي هرمز كان قد تم إرساله إلى "البرتغال" إبان فترة حاكمية سعادة الحاكم "نونو دا كونها" . ولقد عاش عدة سنوات في "البرتغال" ونال من التكريم والامتيازات الكثير حتى عام ١٥٤٥م . وعندما عمل الحاكم على إعادته- بواسطة "د .جواو دا كاسترو" – إلى منصبه – وقد أرسل ابنه ريس نور الدين رهينة كي يأخذ مكانه كرهينة في البرتغال . ويبدو أن هناك نوعاً من المماطلة والتسويف في عملية التبادل بينهم .

(ت) كان "لويس فالكاو" قد خدم في الهند لمدة طويلة من الوقت ، وكان موجوداً هناك منذ ١٥٣٠م .

لقد ظللت أعمل في هذه القلعة مدة ثلاث سنوات ، ويوجد معي هنا ثلاثة من خدمي ، ولا يوجد خلاف أو نزاع مع أي فرد ، وأرجو أن تصدقني إنني قد تكدرت كثيراً بسبب هذه الأفعال .

فقد أرسل أوامره إلى سعادة قاضي القضاة ، وقد حجبت هذه الأوامر عني بشكل سري ، وأحرقت التقارير الخاصة بالتحري والتدقيق ، وتم تشكيل لجنة تحقيق أخرى دون علمي ، لكن لم تؤثر كل هذه التصرفات عليّ كما لم تهمني كل الخسائر التي لحقت بأموالي ، إنني لست طامعاً ولا جشعاً ، وأدرك تماماً أن بحوزتي أكثر مما أحتاجه كي أعيش عليه .

إثر وصول سعادة الحاكم من "البرتغال" أخذ سعادته مني خمسين رطلاً من كمية الزنجبيل البالغ قدرها مائة رطلٍ ، كان قد أعطانيها "مارتيم أفونصو"(أ) ، وما كان هذا التصرف سيكون مصدر قلقي لو أخذ سعادة اللورد هذه الكمية من كافة الناس وأعطاها لأي فرد .

كان بحوزتي أيضاً "ترخيص" صادراً من "مارتيم أفونصو" كي يسمح لي أن أرسل عشرين خيلاً إلى البنغال ، لكن لم يوافق سموّه على ذلك ، كما أنه لن يقوم بإصدار الترخيص كي يتم إرسالها إلى البنغال ، والآن وبما أني لم أعد في الحاكمية ، فإنني لا يمكن أن أستفيد إذا ما عمل على إصدار الترخيص .

لقد منحني "مارتيم أفونصو" ترخيصاً بإرسال أربعين خيلاً إلى

(أ) "مارتيم أفونصو دى سوسا" هو سلف "د .جواو دى كاسترو" .

"تشول" بشكل سنوي ، لكن أيضاً لم يوافق سموّه على اعتماد هذا الترخيص بالرغم من حق سكان "تشول" على إرسال مائة خيلٍ ، ومن حق القائد[أ] إرسال أربعين أو خمسين خيلاً ، وبالمثل حق قاضي هذه المملكة في إرسال عشرين أو ثلاثين خيلاً .

أضيف أن بحوزتي ستمائة "بارادوس" في مركز الجمارك هنا ، كان قد منحني إياها "مارتيم أفونصو" باسم صاحب السمو ، كي تساعدني في النفقات والضيافة ؛ لأنني لم آت لهذه القلعة كما يأتي القباطنة الآخرون ، وإنني لا أملك الخدمات والمساعدات التي يملكها الآخرون ، وذلك لأن "مارتيم أفونصو" ليس من أقربائي .

لقد تبين لي أنه قد منحنى تلك المكرمات من منطلق صداقته معي وتعاطفه الشخصي .

لقد عمل كبير مسؤولي[ب] الخزينة على إجراء تحقيق معنا تنفيذاً لأوامر سعادة الحاكم ، وبالطبع فإن لسعادة الحاكم الحق في إصدار الأمر بضرورة التدقيق على سجلّ المكافآت ، وسوف يكتشف أنه بالرغم من إنفاقي وفق أوامر الحكام الكثير من الأموال على الضيافة ، وتحملت أيضاً نفقات أخرى طيلة مدة الثماني عشرة عاماً التي قضيتها في هذه البلاد ؛ أنني لم أحصل على مكرمات أو جوائز قط باستثناء

(أ) كان "أنطونيو دى سوسا" هو القائد في "تشول" ، وقد قمنا بنشر الكثير من رسائله .

(ب) "سيماو بوتلهو" ، هو كبير المسؤولين في الخزينة والمسؤول عن اعمال التفتيش في القلعة .

مائة وخمسين "بارادوساً" كان سعادة نائب الملك الراحل(أ) "لترقد روحه بسلام" ؛

إذ عادة ما يمنح مثل هذا الترخيص لقباطنة السفن والمراكب عندما يبحرون لمواجهة الأتراك .

لقد أعطى سعادة الحاكم الإذن إلى سعادة قاضي القضاة كي يرسل إحدى سفنه للبصرة ، ولقد سبّب لي هذا التصرف أضراراً بليغة ، ولا بد أن يكون سعادة قاضي القضاة قد حصل على فائدة ضخمة ، وسوف أقسم لك وآمل أن تصدّقني أن الخسارة التي تكبّدتها نتيجة تصرف سعادة الحاكم قد أثرت عليَّ قليلاً ؛

لكن ما ساءني أكثر هو اعتقاد الحاكم بأن من الأفضل أن يَحْظى بتلك الفائدة سعادة قاضي القضاة ، وليس شخصي ؛ فسموّه يعلم أن لديَّ القليل من المال والكثير من الديون ، ويدرك تماماً أن الأموال التي يستلمها أمثالي من الرجال يُصار لحفظها في الخزينة تحسّباً للإنفاق منها على خدماته واحتياجاته ، بينما الآخرون من أمثال سعادة قاضي القضاة (ب) يحتفظون بالأموال لاستخدامها في شؤونهم الخاصة .

إلى جانب هذا الترخيص ؛ كان سعادة الحاكم قد أرسل إلى أهالي "قجارات" هنا في محاولة منه لمساعدتهم في الذهاب للبحرين لإدارة مصايد اللؤلؤ ، ولم يفعل شيئاً قط لإيقافهم .

(أ) "د . غارسيا دى نورونها" .. وهذا توفي في عام ١٥٤٠م .

(ب) في ذلك الوقت كان في منصب قاضي القضاة سعادة "سيماو مارتينز الذي يعتبره "د .جواو" من أفضل الرجال (بل أفضلهم على الاطلاق) الذين قدموا إلى هذه البلاد (الكتاب ص ٢٨٣) .

عموماً ؛ إنني لا أرى سبباً لهذا التفويض ، أو ما يبرر إقدام الحاكم على إعطاء هذه المنفعة للعرب و"الهندوس" دون المسيحيين ، الأمر الذي لا يعود بأية منفعة لمركز جمارك مولانا جلالة الملك ، خاصة إذا ما وضعنا في الاعتبار أنه لا يتم استيفاء الرسوم على اللؤلؤ الذي يرد إلى هناك ، ولو لم يتمّ منح هذا التفويض لما تجرأ أهالي "قجارات" على طلبه .

الآن يمكنك أن ترى أن تلك الإهانات هي ما دفعت بي للاحتجاج ضد الحاكم ، وأقسم لك بصفتي مسيحيّاً أنني بالرغم من كل هذه الخسائر أشعر بأنني سأكون موضع الإهانة إذا ما تجرأ أي شخص بالقول إن الحاكم ليس سيدي أو صديقي ، وإنني لست خادمه ؛ إذ إنني برغم شهرتي هذه لن أكون راضياً عن نفسي ، ولهذا السبب فإنني أناشدك في هذا الأمر أن تؤكد إلى سعادة الحاكم أنني لا أرغب في شيء سوى خدمته .

أرى أن الوقت قد حان لسيادته أن يقف على أعمالي ، وإنني على بينة من الخسائر التي طالتني ، وعلى سيادته أن يمنحني عطفه ، وأن يثبت لي أنه لم يقصد إهانتي بأي شكل من الأشكال ، وأن يوضح ذلك في رسائله ... لقد وجدت العدالة لمساعدته في محاسبتي على كل الأخطاء التي ارتكبتها .

في الوقت الراهن لا تتوفر أية أخبار عن هذه البلاد يمكن أن أكتب لك عنها ، عدا ما يروى أن الأتراك قد اقتربوا كثيراً ، وتمكنوا بالفعل من بناء قلعة بالقرب من البصرة ، كما تمكنوا أيضاً من بناء بعض السفن لهذا الغرض ، وربما كانت صغيرة نوعاً ما .

في ظل ترقّب وصولهم يومياً فإنني أرسل المعلومات عن هذا الأمر

إلى سعادة الحاكم كي يتخذ من الإجراءات ما يراه مناسباً لمصلحة صاحب السّموّ ، وسوف يتم إخباره بكل ما يحدث .

بالتالي ؛ فإنني لن أطيل الحديث في هذه الرسالة ؛ إذ لا أحب أن أزعجك وأكبدك عناء القراءة ، وأقبّل يدي سموّكم . هرمز الثامن عشر من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٦م

"لويس فالكاو"

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث قائد هرمز رسالة إلى نائب ملك الهند ، "جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، هرمز في الثامن عشر من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٦م ، يخبره عن الأتراك المتجهين إلى البصرة : (٦٥)

سيدي ..

أحييك من هرمز

من حيث يتواجد "سماو بوتيلهو" لا يمكنني إعطاء سيادتك أخباراً عنه من هنا ، حتى وإن أردت كتابة أخبار (عنه) من هذه المملكة ؛ فإنني سأفضى بالقليل جداً لعدم معرفتي شبه المؤكدة عن هذا الأمر ، وكنت دائماً أستشير "سيماو بوتيلهو" ، كنا دائماً أحسن الأصدقاء ، لا أقول إنه قادم إلى هذه البلاد إلا أنه رجل جليل ومحترم حتى وإن كنت

(٦٥) رقم الوثيقة والهامش.

أنا خريج مؤهل بدرجة عالية ، فإنني لن أكون مرغوباً هنا لكن سيعم الفرح الجميع عند السؤال عن عيوبي ونقائصي ، أن أجري تحقيقاً عن كيفية قيادتي لحياتي في هذه البلاد ، وتم إخطارك بذلك فأنا على يقين بأنك وباسم سموه ستكرمني بالقدر الذي تستحقه أعمالي .

جاء "دوم بايو" إلى هنا ، وأطلق الكثير من الضجيج عن كونه أحد أقرباء وخادم سيادتك ، لكن لا يبدو عليه أنه ذلك القريب من العائلة لا في طبيعته ولا أسلوب حياته ولا عاداته ، أكره أن أخبرك أنه اشتكى لي من سيادتك ، لكنها الحقيقة .

أقوم بكتابة رسالة إلى "دوم ألفارو" وهو شاهد جيد في هذا الأمر لأنني لم أرغب في الكتابة لسيادتك عن موضوع سيسبّب لك عدم الرضا والغضب ، لهذا كنت كارهاً في إطلاعك عليه ؛ لأنني لا أبعث بسجين لسيادتك ألقى عليه هو القبض ، تاجر صغير مستقل يسمى "جوميز إينس" ، أخذوا مسيحياً يعمل عند الحاجب وأصابوه بجرحين ولم يكتفوا بذلك ، بل هدّدوا الحاجب بعدم تقديم أي خدمات لي ، لا زلت مصرّاً على معاقبتهم ، وقد بعث ليخبرني طالما أنه لا يتحدث معي بأنني أحاول إذلاله وتشويه سمعته ، والتسبب له في الكثير من المضايقة .

هذا لم يكن سبباً كافياً لتبرئته ، إلا أنني لم أفعل ما تقتضيه العدالة حتى لا يقال ذلك ولا يثار أيّ اتهام ضدي بأنني عاملته بطريقة سيئة ؛ لأنه وكما يدعي كان إنساناً تابعاً وقريباً لك .

سأنقل لك (الآن) ما دار بين "نونو دا كونها" (ليغفر له الله) و"نونو فورتادو" "Nuno Fortado" ، كان في علاقة سيئة معه بسبب بعض

القيل والقال عندما كان "نونو دا كونها" يهم بمغادرة "ديو" ، أخبر "نونو فورتادو" "لويس شيراو" "Luis Sherao" الذي كان قبطاناً للسفينة إنه يودّ الذهاب معه .

لكنه أجابه بعدم تمكنه من ذلك لسوء تفاهم بينه وبين الحاكم ، ولم يكن صديقه أيضا . سمع "نونو دا كونها" عن هذا الحديث ، وبعث إلى "نونو فورتادو" ليفيده بأن عليه الصعود على ظهر سفينة "لويس شيرا" لأنه سيعطيها له ، وأنه سيضع "لويس شيرا" في السجن ، ويأخذ السفينة منه مالم يتوسل "نونو فورتادو" نيابة عنه أمام "نونو دا كونها" .

أقص لسيادتك هذه القصة لأطلب بكل تواضع أنه لو صدفه بدا لك أنني اشتكي من بعض العداءات التي أعتقد أن سيادتك قد سببها لي ، بعد قراءتك لهذا ، فليست لك أي نوايا سيئة ضدي ، أقسم لك كمسيحي مؤمن ، وكالتزام شخصي بأنني خادمك كما كنت دائماً وليس عندي أي اعتقاد بأنك قد تسببت في أي ضرر لي .

عندما انتهيت من كتابة هذه الرسالة لسيادتك ، وشكوت لـ "دوم ألفارو" عن كل تلك الإساءات التي أحكي لك عنها ، فإن في صدري هذا لا يوجد أي سم ؛ لكن فقط الرغبة والعزيمة على خدمة سيادتك ، أعتبر أن ذلك كان خطأ صغيراً وسيكون من سوء حظي أن قيل إن سيادتك ليس سيدي وصديقي ، وإنني لست خادمك حتى وإن لم تبد أنت نفسك اعتباري كذلك بالقدر الكثير الذي أنافس به من يدعي أنه يخدمك وملتزم تجاهك بطرق ووسائل عديدة .

سيكون هذا سبباً لي لأقوم بالكثير الذي أستطيعه لأنني أقر بأنني

خادمك وشغوف لخدمتك ، وأعلم إنك ستعتبرني بمثل ما أقول عن نفسي ، ستنعم بصداقتي أكثر من أولئك الذين هم أقل نسباً ، وفيهم أسوأ الصفات .

عليه سأتوقف عن الكلام أكثر من هذا عن تلك الأمور ، لكن عندما أقابل سيادتك والتي وبعون الله ستكون قريبة ؛ فذلك سيكون من أجل أن أقدّم تقريراً لك عن قلعة الزكية والتي كنت قد كتبت لسيادتك عنها في السابق .

بناء على الأخبار التي تصل إلى هنا من البصرة والرسائل التي يكتبها البرتغاليون من هناك في نفس الخصوص ، فإن هناك اعتقادا جازما بأن عظيم الترك قد أصدر أوامره للاستيلاء على البصرة ، وهناك العديد من العلامات بأن الرجال يتم إعدادهم ، وأن سفناً بست مجاذيف في كل جانب يتم بناؤها جيداً ، وعليها مدفع في المقدمة ، ستون سفينة منها أرسلت إلى الزكية وستون أخرى تكاد تكون قد تم صنعها .

أهالي البصرة متخوفون جداً لأنهم موقنون جداً بأنها ستأتي ، هذا ما يبدو عليه الحال ؛ لأن الزكية على مسيرة ثلاثة أيام من البصرة ، وأوضح أنهم يعدون قوات أكثر قوة حالياً لمهاجمة البصرة ، وهذا أحد الأسباب التي تقودني للاعتقاد أن أولئك الرجال في اتخاذهم هذا الطريق هو انسحابهم من مضيق مكة ؛ لأنني سمعت من العديد من التجار الذين وصلوا قريباً من "القسطنطينية" و"القاهرة" بأنهم ما عادوا يصنعون السفن ، وأن بعضهاً منهم يقوم بدوريات لحراسة ذلك المضيق .

يعتقد أن الأتراك لن يقوموا بمهاجمة هرمز أو الهند قبل أن تصبح البصرة تحت أيديهم ، أعتقد أن هذا المنطق صحيح مما أعرفه وأتفهمه عن هذا الشأن ، لهذا السبب وأسباب أخرى عديدة فإن مسار هذا العمل الذي يقومون به الآن سيكون أقل صعوبة وأقل تكلفة لهم ، لا أعتقد أن أهالي البصرة عندم شك في هذا .

إن كان من الممكن إيجاد حل قبل أن يستفحل هذا الشر أبعد من ذلك ، سيكون له فائدة وميزة جيدة وخدمة لسيادتك ، لأن هذا الشر له تداعيات واسعة وقد لا يعرض هذه القلعة للمخاطر فقط لكن أيضاً كل الهند .

من الأخبار التي ترد من البصرة والمخاوف التي يعيشها الملك بخصوص وصول أولئك القوم أرى أنني أتصرف كوني في خدمة سموه بكتابة رسالة إلى ملك البصرة والتي أبعث بنسخة منها طيه لسيادتك مقترحاً أنه على الملك أن يتحمل حرباً ونزاعات مع ملوك وسادة آخرين في المناطق المجاورة للزاكية ، لكن الهدف الأهم هو إمكانية إبرام سلام مع السادة القريبين من الزكية حتى لا يسمحوا للأتراك بالمرور إذا أرادوا القدوم ومهاجمة البصرة .

بعثت هذه الرسالة مع برتغالي ليرى قلعة الزكية ووضعها ليأتي لي بأي معلومة أخرى مناسبة ، هدفي من هذا الأمر هو مساعدة ملك البصرة ضد أولئك القوم الأشرار ولأرى إن كانت هذه القلعة التي شيدوها يمكن الاستيلاء عليها منهم .

إذا ذهب ملك البصرة براً وأربعمائة أو خمسمائة من "البرتغاليين"

عبر البحر فلن تكون هناك خسائر في الأرواح عندما يتم الاستيلاء عليها بمساعدة ربنا ، هناك القليل من الرجال فيها ، والقلعة ضعيفة شيدت من الطين واللبن ، وبقليل من المدفعية سيكون كافياً لدكها بالأرض .

حتى الآن يمكن القيام بهذه العملية لكني لا أرى إمكانية ذلك عندما يصبح الأتراك سادة في البصرة .

على سيادتك تنفيذ هذا الأمر عملياً ، لأن قرار الاستيلاء عليها سيكون أفضل شيء ، وسيكون في مصلحة خدمة سموّه .

يمكن ترك هذا الأمر في حالة غليان حتى وصول "دوم مانويل دا سيلفيرا" "D . Manuel da Silviera" ، وعندها يتم معرفة قرارك ، إن كان سيادتك يرغب في الاستفادة مني في مجرى هذه العملية فإنني على أتم استعداد للذهاب وخدمة سيدنا الملك شخصياً ومالياً ، حيث إنه يعَدّ أمراً في غاية الأهمية لخدمته .

للصالح العام لهذه المنطقة ، لأنه حالياً عندما أقوم بتسليم هذه القلعة إلى "دوم مانويل" فسيكون هذا صيف "المونسون" المناسب للذهاب إلى البصرة ، وعلى سيادتك إرسال أربعمائة أو خمسمائة من الرجال كما ذكرت أعلاه ، وهذا لن يدخل سموّه في تكلفة كثيرة ؛ لأن أولئك الرجال بطريقة وأخرى علينا أداء رواتبهم ومؤنهم للإعاشة .

ستكون هناك بعض النفقات جرّاء صيانة وتعديل أوضاع السفن ، لكن في أمر بهذه الأهمية لا المصروفات ولا الإنفاق سيكون أمراً يخشى منه .

خلال "المونسون" الأخير قام الـ Nautaques بشن حرب شرسة ضدنا باستيلائهم على السفن الشّراعيّة الضخمة وسفن أخرى، وقتلهم لبعض "البرتغاليين" الذين كانوا على متنها .

خلافاً لالتزام سيدنا الملك بالدفاع عن هذا المضيق ؛ فإن مكتب الجمارك التابع له تكبد هذه السنة خسارة تقدّر بأربعة أو خمسة آلاف "باردواس" .

من المناسب والضروري معاقبة أولئك الناس، لكن لا يمكن تصحيح الأمر مباشرة، أود أن أقوم بذلك لأن ذلك يبدو لي أنه يصب تماماً في خدمة سموّه، لكن لا كبير مسؤولي الخزينة ولا الوكيل "التجراي" قد وافقا على مقترحاتي، ولن يقبلا حتى بقيامي لتلك الرحلة عبر إرسال القوة الضرورية إلى هناك ولا أي شخص آخر، لا يمكن القيام بذلك لعدم وجود جنود مدفعية هنا أو على الأقل قلة منهم، والرجال الآخرون لا يرغبون في الصعود على السفن مع أي أحد .

لا يمكن تنفيذ هذا الأمر برجال أقل من مئتين لمهاجمة الأماكن التي يحتلونها ولاحترام النيران في السفن التي يجدونها هناك، يمكن لسيادتك اختراق كل هذا بإعادة إرسال كل القادمين من هناك إلى الزكية، هذا هو فصل "المونسون" المناسب الذي يمكننا من الذهاب لبلاد الـ Nauttaque وإنجاز ما نريد .

كل هذا يعني تأخيراً لشهر آخر، لكن سيكون وقتاً أنفقناه في شيء جيد، وسيساهم كثيراً في خدمة سيدنا الملك ولسمعتنا .

ليس عندي المزيد لأكتب فيه عن تلك المواضيع ؛ لسيادتك

الحصول على مزيد من المعلومات من "سيماو بوتيلهو" وسيتمكن من تقـديم بـيان جيـد ومفصل عن كل تلك الأمور لأنه قد عاصرها جميعها ، ومرّ بها هنا .

لهذا ولأمور أخرى فإنني أعتمد عليه كثيراً .

لن أجازف بالكتابة عن "موغستان" لسيادتك لأنه وبطول تواجدي في هذه البلاد لن أفهمها جيداً .

نسأل الله أن يطيل في عمر سيادتك ويرفع من مقامك .

في الثامن عشر من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٦م

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث ريس ركن الدين كبير وزراء هرمز رسالة إلى الحاكم ، هرمز في الثاني والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٦م ، يطلب العفو والسماح له بالرجوع إلى هرمز : (٦٦)

سيدي ..

خلال فصل "المونسون" الأخير وصلتني رسالة من سيادتك أطلعتني فيها أن ريس نور الدين ، ابن ريس شرف كان عليه الذهاب إلى هناك إلى "غوا" بناءً على أوامر من سيادتك ، لكنه لم يذهب خلال فصل "المونسون" الأخير ؛ لأنه كان مريضاً جداً للدرجة التي يصعب معها صعوده على ظهر السفينة .

أسأل الله أن تمنحه أنت كل الإكرام والتشريف الذي ذكرته في رسالتك ولي أيضاً ، لأن المرء لا يتوقع أقل من ذلك من سيادتك ، وأنك ستؤدي له كل المحاسن والإجلال الذي قلت إنك ستقدمه لي .

(٦٦) رقم الوثيقة والهامش.

أما بخصوص ريس شرف فقد كنت سيادتك على وشك منحه فضل السماح له بالحضور إلى وطنه ؛ لأنه بلغ من العمر عتياً وأصابه التعب ، وقد غاب لسنوات طويلة .

ليتأكد سيادتك ألا أحد سيتحمل مثله الآلام في خدمة سيدنا الملك سواه ، فإنه محبوب كثيراً في هذا المكان .

أنا وكل أقربائه في انتظار مساعدته بأي وسيلة نستطيعها ليتمكن من خدمة سيدنا الملك كأفضل ما يمكن ، كما أنني على يقين بأن سيادتك سيسر كثيراً بمنح ريس شرف التأييد والفضل الذي يستحقانه هو ابنه ريس نور الدين بأي وسيلة .

لن أقول المزيد باستثناء أنهما مخلصان ويكرسان نفسيهما لسيادتك .

أصلي دائماً لربنا بأن يطيل عمرك ومقامك

هرمز في الثاني والعشرين من شهر سبتمبر ، عام **١٥٤٦م**

خادم سيادتك ، "ريس روكو نور الدين" كبير وزراء "جوازيل" هرمز

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" ، قائد هرمز رسالة إلى نائب الملك ، "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، في الثاني والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر خلاف ملك "لار" وملك هرمز : [٦٧]

سيدي ..

عطفاً على ما كتبه لي ملك "لار" ، ردّاً على رسالة بعثت بها له ، فإنني أبعث بما جاء فيها لسيادتك عبر ريس نور الدين ، أفيدك بما كتبه هو للوزير :

يقول إنه ولسنوات عدة لم يكافئه ملك هرمز بأي مكرمة ، وطلب منه الآن أن يسلمه قلعته لأنها تقع في أراضيه ، بالإضافة لكونها لم تجني له أي فائدة .

(٦٧) رقم الوثيقة والهامش.

أجاب عن ذلك أنه عندما يرى أن الأمر بهذه الصورة فعندها فقط سيعطيها له ،

أعتقد أن علينا الثأر وحرمانه من عشرين أو ثلاثين ألف "كروزادوس"* .

كلّف الوزير بهذا لعمل وهو إرسال رسالة له ، والتي أخبر فيها بعدم التفكير في أي أوهام ، وأنه مالم يسلمنا القلعة في الحال -وانصحه كوني صديقة ألا يضع أي عراقيل تؤدي إلى أي تعطيل- فإنه سيندم على ذلك .

حالياً ليس علينا القيام بأي شيء سوى ما تمّ فعلاً ، وعلينا الانتظار لاستلام رده ، عندما نتسلّمه سنقرّر الأفضل الذي يناسب خدمة سيدنا الملك .

يغادر الآن ريس نور الدين هرمز لمقابلتك ، وعلى سيادتك إذاً أن تفرح بزيارته طالما أنها ليست بمحض الصدفة ، ونحن نقول إن الخوف هو الذي يجعل الأرنب تندفع إلى القفز في الشارع والركض ، وليست أي التزامات أو دوافع أخرى قد تستدعيها إلى هناك .

ليزِدِ الرّبّ من عمر الدولة وعمر سيادتك .

اليوم الثاني والعشرين من شهر سبتمبر - (التوقيع) "لويس فالكاو"

ملاحظة : "الكروزادوس" هي عملة ذهبية برتغالية .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

جاءت الاتفاقية التي وضعت بين "سيماو دى بوتلهو" "Simao de Botelho" ، الوكيل والمشرف على الخزينة ، وبين آخرين هنا ، فيما يتعلق بعقد اللؤلؤ الذي اشتراه الريس نور الدين ، هرمز ، في الثاني والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٦م : (٦٨)

في العشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٦م ، دعا "سيماو بوتلهو" المشرف على خزينة جلالة الملك ، كلاً من "باستياو لوبيز" الوكيل في هذه القلعة و"لوبو منديز بوتلهو" "Lopo Mendes Boutelho" الكاتب في إدارة الخزينة وشخصي ، و"نيكولاو فالنتي" "Nicolao Valente" كاتب المحطة للحضور إلى مقر إقامته .

عندما وصلنا جميعاً أخبرنا "سيماو بوتلهو" أن "القاضي" ريس نور

---

(٦٨) رقم الوثيقة والهامش.

الدين قد حضر لمقابلته أثناء العشاء في ذلك اليوم ، وتم اللقاء بينهما في إحدى الغرف ، حيث أبلغه "القاضي" سراً إنه يحب أن يقدّم له عِقداً من اللؤلؤ يحتوي على مائة وعشرين لؤلؤة توجد في وسطه حبة أكبر حجماً عن بقية اللآلئ تبدو أشبه باليقطين ، ويبلغ وزن هذه اللآلئ اثنتين وستة عشر جزء أوقية ، تمّ تنضيدها في سلك ناظم ذي لون قرمزي و"ابزيم" (؟) مصنوع من الذهب ، هذا بالإضافة إلى عِقدين آخرين أشبه باللؤلؤ يزنان ثلاثة عشر وثمانية "مانجلينز" [؟]

كان سعادة المشرف على الخزينة قد قبِل هذه اللآلئ من "القاضي" بنيّة تسليمها إلى الحاكم ، وبالفعل غادر "القاضي" المكان بعدما سلمها له ، عموماً أخبر المشرف على الخزينة السيد "لوبو منديز" بكل هذا ، وشرع فوراً في إحصائها أمامه ، وقد قبل باستلام هذه اللآلئ من "القاضي" ؛ إذ إنه اعتبر الأمر خاصاً بخدمة مولانا جلالة الملك ، وهذا هو السبب الذي بيّنه إلى الحاكم عندما التقاه وسلمه تلك اللآلئ .

طالما كان لزاماً عليه أن يسلمها إلى الحاكم ، فقد طلب مني "نيكول فالنتي" أن أضع اتفاقية أراد أن تكون اتفاقية سرية ، وأقسم بالإنجيل المقدس أمام الأشخاص المذكورين أعلاه ، بعدما جعلهم يحلفون أمامه على إبقائها سرية بالكامل إلى حين وصول رسالة من الحاكم ، وبالتالي أقسمنا جميعاً على إبقاء الأمر سراً كما طُلب منا .

لأجل إبقاء هذا الأمر في طي الكتمان رغب في تفعيل هذه الاتفاقية التي قمنا جميعاً بالتوقيع عليها .

أنا "نيكولاو فالنتي" ، قمت بوضع هذه الاتفاقية في اليوم والشهر

والسنة المذكورة ، بعد مضيّ ساعتين من منتصف النهار ، كما أنني أحتفظ بنسخة ثانية .

"سبستياو لوبيز لوباتو" .

في اليوم التالي ، أي في الحادي والعشرين من شهر سبتمبر ، دعاني المشرف على الخزينة مرة ثانية للاجتماع به ، كما وجه الدعوة أيضاً إلى "نيكولاو فالنتى" وكاتب المحطة التجارية والوكيل ، ثم أخبرنا أن "خواجا حسين ابراهام" قد عاد لمقابلته ، وكما قلت كان "لوبو منديز بوتلهو" كاتب الخزينة من بين المدعوّين وقد وصل لتوه .

عموماً دار الحديث بين "خواجا ابراهام" وبين المشرف على الخزينة وبالإنابة عن "القاضي" قدّم له مبلغ خمسمائة "أشرفي" ذهباً ، وقد استلمها المشرف على الخزينة لنفس الأسباب التي دفعته لقبول عقد اللؤلؤ ، أي أنه أيضاً اعتبر أن الأمر له صلته بخدمة سيدنا الملك ، وعليه ؛ فما دام أن الأمر يتخذ هذا الشكل ، فقد قمنا بالتوقيع ، وأيضاً أقسمنا جميعاً على إبقاء الأمر طي الكتمان إلى حين صدور أمر الحاكم بما يراه مناسباً .

"سبستياو لوبيز" .

بعد فترة الظهيرة من نفس اليوم ، ظل المشرف على الخزينة ينتظر تحت التعريشة عند مدخل القلعة للشروع في الإبحار ، وحينها جاء "القاضي" لزيارته وتوديعه ، ثم ابتعدا قليلاً عن السفينة ، واتجها نحو الساحة الموجودة أمام القلعة كي يسلمه "القاضي" رسالة لتوصيلها إلى الحاكم ، مرفقاً معها مذكرة منه .

في الرسالة أعطاه ست حبات من اللؤلؤ بدت أكبر حجماً من لؤلؤ

البحار ، لكـن لم يتم وزنها نظراً لضيق الوقت ولعدم وجود ميزان أيضاً ، ويبدو بالنسبة لنا أن كل واحدة منها يمكن أن تزن حوالي أربعة قراريط أو أكثر .

عموماً عمل المشرف على الخزينة على استلامها وقبولها لنفس الأسباب التي ذكرت أعلاه .

عندما شرع في الإبحار طلب المشرف على الخزينة من الوكيل الحضور لمقابلته في صبيحة اليوم التالي ...

نظراً لضيق الوقت ، وأيضاً لأن "القاضي" ما يزال على الشاطئ .

في صبيحة اليوم التالي اتجهنا جميعاً ، الوكيل وشخصي و"نيكولاو فالنتى" إلى السفينة ؛ حيث رأينا مجموعة اللؤلؤ تلك ، وكذلك أدينا القسم جميعاً ، ووعدنا بإبقاء الأمر سراً التزاما بشروط الاتفاقية الأولى .

وضعت في الثاني والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٦م

"سبستياو لوبيز لوباتو"

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

رسالة "سبستياو لوبيز لوباتو" "Sebastiao Lopez Lobato" إلـى سعادة الحاكم ، هرمز ، السابع من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٦م ، يخبره بأن الأتراك قادمون إلـى البصرة : [٦٩]

سيدي ..

منذ مضي أيام قليلة كنت قد أرسلت لسعادتكم رسالة طويلة ، أخشى ألا تكون قد مللت قراءتها ، وبالتالي سوف تكون هذه الرسالة مختصرة نوعاً ما ، وذلك بسبب عدم وجود أية أخبار يمكنني أن أرسلها إليكم .

فالعمل [.......] فيما يتعلق بالاستيلاء على قلعة "لاستان" هو حسبما وصفته لسيادتكم ، فهناك رسائل تُرسل وأخرى تأخذ طريقها للقلعة ، لكن لا أحد يعرف عنها شيئاً ، كما لا يوجد أي فرد يهتم بمسألة الدفاع عن شؤون هذه المملكة .

(٦٩) رقم الوثيقة والهامش.

وصلت باخرتان برتغاليتان من البصرة تحملان مجموعة من الخيول وأخباراً تفيد بوجود مجموعة من فارس في البصرة ، غير أنهم لم يأتوا ، إذ يقال إن الشاه قد منع ذلك [....] وهذا ما ذكرته لسيادتكم من قبل ، وربما يكون الأمر إيجابياً في حالة عدم مراعاة الخلاف (؟) ، أيضاً هناك مخاوفنا من الحظر المفروض على قدوم السفن إلى هذه المدينة [......] عموماً التنبؤات تشير إلى أن الأمر سيأخذ وقتاً غير قصير .

وصلت إلى هذه المدينة مجموعة تبلغ ثلاثين خيلاً من فارس ، لكنها لم تسلك طريق "لار" ، ويقول التجار إنهم قد جلبوا هذه الخيول بطريقة سرية ، لكن صحة هذا الأمر لم يتم التأكد منها بعْدُ من العرب المسلمين ، إذ إنهم ليسوا موضع ثقة .

تفيد الأخبار التي وردت على ألسن بعض "البرتغاليين" والمسلمين العرب القادمين من البصرة أن الأتراك في بغداد تمكنوا من بناء عدة سفن ، عملوا على تزويد كل سفينة بصف من المجاديف في كل جانب ، ويزعم البعض أن عددها قد بلغ المائة سفينة ، ويزعم آخرون أن العدد أكبر من ذلك ، وترى فئة ثالثة أن عددها لم يبلغ مائة سفينة .

يقولون أيضاً إنهم حشدوا قوات كبيرة بغية شن هجوم على جزر "جزيرا" ، هناك آخرون [......] يعلقون على هذه الأمور بشكل حائر ومشوش يدفع المرء للتشكك ، ويمكن لسيادتكم أن تعرف من القادمين من هناك حجم الاختلاف والتباين في تفاصيل بعض وجملة تلك الأمور .

في الحادي والعشرين من شهر سبتمبر غادرت السفينة الشّراعيّة

"سانتا كروز" "Santa Cruz" البلاد ، وفي الثاني والعشرين من الشهر غادر مسؤول الخزينة ، أما الريس نور الدين شرف فقد غادر في يوم الرابع والعشرين من نفس الشهر .

أدعو الرّبّ أن يحفظهم جميعاً في رحلاتهم ، ويكتب لهم السلامة ، وأن يجدوا سعادتك وأنت تنعم بالأمن والسلام ومتمتعاً بالصحة التامة والأخبار الطيبة من بلاطكم .

من هـذا اليوم فصـاعداً لن يُجلب السفرجل إلى هنا ، والآن أرسل لسيادتكم صندوقاً كبيراً منه ، بالرغم مما يمكن أن يحدث من مخاطر وعوائق .

نظراً لأنني أُخبرت أن إحدى سفن [......] التي على وشك الإبحار إلى هناك تحمل على متنها شحنة من الكبريت و[......] من [........] [........] إلى "روى فاسكويز" (؟) لأنني لا أثق في أي شخص آخر ؛ إذ في هذه البلاد [......] من يمكن الوثوق فيه لإنجاز هذا الأمر (؟) هذا إلى جانب عدم الأهمية .

لقد أخذت معي سعادة القاضي وكذلك الكاتب من المحطة التجارية والقائد البحري ، وأجريت البحث في كل مكان ، وتحققت من أسفل السفينة (؟) لكن لم نجد أي شيء من الكبريت .

قد تعرض القائد البحري إلى الإهانة بسبب قيامه بالتفتيش وقد احتج بقوله [..........] منصبه وأنه قد أهين (؟) [........] لم أعهد إليه بمهمة تفتيش ، لقد عينه مولانا جلالة الملك في منصبه ذاك ، وعهد

إليه بتلك المسؤولية ، وبالإضافة لهذا لديه صلاحية منع أي شخص من الصعود للسفينة والقيام بتفتيشها باستثناء (؟) نفسه .

إنني لن أفصح عما أجبت ، ولكنى أستشير سيادتكم فيما يجب عليّ عمله إبان الوقت الذي أمرتني فيه بالبقاء هنا ، وبالتالي لم يكن من المهم الصلاحيات التي يحملها ؛ إذ إنه لم يبرهن لي إنها تتعلق بمسألة الكبريت أو الفلفل .

أما بالنسبة لي فقد كان عليَّ واجب تفتيش السفن ، ومن جانبه الاحتجاج كيف يشاء وإرسال شكواه إلى سعادتكم ، لأنني أعرف وأدرك أن ما أقوم به يصب في مصلحة مولانا جلالة الملك ، هذا إلى جانب الثقة التي أولاني إياها سعادتكم عموماً ، فهذه أمور أجد نفسي ملزماً بها أكثر من أي شيء آخر بغض النظر عن صعوبتها وخطورتها .

أدعو الرّبّ أن يتولى بعطفه سموّكم ، ويتولى كل أموركم ، وأن يطيل في عمركم حتى ترون أبناءكم في المواقع السامية التي تحبونها وأحبها لهم .

أقبل أيدي سموّكم ... ، من هرمز السابع من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٦م .

سيدي ..

لأن الرجال كثيراً ما يكونوا عرضة للمعاناة ومواجهة سوء الحظ فإنهم غالباً ما يتصدون لفعل أشياء يشعرون بالكثير من الندم والأسف بعد إنجازها ، وهذا لا يحدث لجميع الرجال ، وإنما للبعض منهم ، خاصة عندما يريد بهم الرّبّ خيراً كنوع من البلاء .

لقد منحنى سيادتكم "فَرَماناً" يمكنني من خلاله أن أوقع العقوبات وأنفذها بحق كل الذين يرفضون الإذعان لما آمرهم به في الأمور ذات الصلة بخدمة مولانا جلالة الملك ، وأيضاً في الأمور التي تخدم مصالحه ، مثل جمع الضرائب وحراسة السفن ومراقبتها ومتابعة البحث عنها .

بما أنني أقمت الكثير من الدعاوى القضائية ضد بعض الأفراد خاصة البحارة لأجل إجبارهم على إنجاز خدمات مولانا جلالة الملك ، حتى أتمكن من تنفيذ العقوبات المفروضة على كل من يخالف الأمر الصادر له ، فإنني أناشدكم أن تفكر في الأمر ، ومن ثم تصدر لي أمراً قضائياً كي أتمكن من رفع تلك العقوبات عن كاهل الذين أصدرت بحقهم .

أيضاً عن الذين يمكن أن توقع بحقهم هذه العقوبات طالما لم يتم التأكد من نواياهم في القيام بأية ثورة أو عدم التعاون ، لأن هذه العقوبات يجب أن تستخدم لأجل استقطاب الناس وحثهم للانخراط في خدمة جلالة الملك .

إذا ما أجبت طلبي هذا سيكون سعادتكم قد أدى لي خدمة جليلة لأنني سوف أعتبر نفسي سيئ الحظ إذا ما تضرر أي فرد من هذه العقوبات ، بسبب خطأ مني ، وبالتالي أكون في موضع من يقع عليه اللوم ويستحق المعاتبة .

مرة أخرى أناشدكم الموافقة وشكراً .

"سبستياو لوبيز لوباتو" .

مرسل إلى سعادة الموقر اللورد "دوم جواو دى كاسترو" ، حاكم الهند ، لتسليمه إلى مولاي جلالة الملك

من "سبستياو لوبيز" .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، رسالة إلـى ابنه "د . ألفارو" "D . Alvaro" ، الرابع عشر من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٦م ، يخبره بإرسال سفن لنقل القوات إلـى سواحل الهند لمنع وصول الأتراك القادمين من البحر الأحمر : (٧٠)

بعدما غادرنا "غوا" مع جميع النبلاء وبعض المواطنين ، التقينا في طريقنا الزورق الذي أرسلته لي يحمل رسائلك ورسائل "دوم جواو ماسكارينهاس" و"فاسكو دا كونها" .

لقد سررت جداً بكل ما جاء في رسائلك ورسائل المذكورين ..

لعل سعادتي أصبحت أكبر عندما أخبرتني أنك تقوم بإيواء الفقراء والمتشردين ، وتنفق الكثير من الأموال عليهم .

---

(٧٠) رقم الوثيقة والهامش.

آمرك من اليوم فصاعداً أن تعمل على إنفاق الكثير من المال على غذائهم ، وبالمثل على إطعام الجنود الذين معك من مالك الخاص .

أناشدك بصفة خاصة أن تهتم بإيواء وإعاشة الفقراء وإيجاد المأوى لهم ، وأرغب في أن يكون ذلك على نفقتي الخاصة ، وليس على حساب جلالة الملك ، لأنني أحب أن يكون هذا الأمر خدمة خالصة لوجه الرّبّ وفي سبيله ؛ لأنه سبحانه قد علمنا أن المرء إذا عمل على إعانة الفقير وكسوته فكأنما كسا الرّبّ نفسه .

كلما زاد اهتمامك وعطفك على الفقراء كلما كان قدرك عند الرّبّ عالياً ، وبحوله وقوته يمكنك أن تحقق الانتصار الأكبر على ملك "كامباي" "Campay" ، وآمل أن تنال من فضل الرّبّ ما يكون خالداً في ذاكرة الناس وذاكرة التاريخ في هذه البلاد ما يكون باقياً إلى الأبد .

سوف يصار إلى تسليم "جواو تيكسيرا" "Joao Texiera" وكيل "باسين" كل الأموال التي قمت بإرسالها هناك .

لقد وصلت هنا في اليوم العاشر من هذا الشهر أكتوبر في ستين مركباً وقارباً واثنتي عشرة سفينة محملة بالرجال والذخائر والأسلحة والمواد الغذائية ، وما زلت أنتظر بقية السفن التي سوف يكتمل بناؤها في "غوا" ، كي أتمكن من نقل الناس القادمين من البرتغال .

أثناء بقائي هنا تبين لي أن من الأفضل شن الحرب بحراً ضد ملك "كامباي" ولهذا السبب أرسلت "دوم مانويل دي ليما"[أ] ، سيما وأنه

(أ) المقصود هو نفس الشخص "دوم مانويل دى ليما" الذي وصل لتوه قادماً من البرتغال .

شخص يعرف الكثير ، وأفضل من يقوم بتنفيذ هذا العمل ، ولقد تمكنت من اصطحاب أفضل الرجال الذين حرصوا جميعهم على الحضور .

عموماً يمكنك أن تنقل هذه الأخبار إلى "دوم جواو ماسكارينهاس" و"فاسكو دا كونها" .

لقد رأيت من الأفضل أن تضرب أعناق جميع أهالي "قجارات" والمسلمين والمماليك الذين هزمهم "لويس دى الميدا" "Luis de Almeida"[أ] ، وبوسعك أن تبلغه أنني حقيقة أحسده على ما قام به كابن أبيه ، وكشخص محترم يقدر الشرف أكثر من الحياة نفسها .

إنني متأكد من أن سيدنا الملك سوف يجزل له المكافأة والعطاء لقاء الخدمة الجليلة التي أداها له لقاء شجاعته التي عرفناها جميعاً .

إذا كان لديك الكثير من الناس داخل القلعة ، فإنني أرى من الأفضل أن ترسل بعض الأساطيل لنقلهم ونشرهم على طول الساحل ،

(أ) السادة "لويس دى ألميدا" ، "بايو رودريغير دى أروجا" و"بدرو أفونصو" ، حدث أن أرسل كل منهم في سفينة بواسطة "دوم ألفارو" .. وقد أبحروا من "ديو" إلى "سورات" ليكونوا في أنظار سفن العدو هناك .

وبالنسبة إلى "ديوغو دى كاوتو" و"لويس دى ألميدا" فقد أبحرا في سفينة ضخمة بقيادة أحد القادة الانكشاريين من أقرباء "خواجا صفر" . وقد تولى هذا القائد قيادة السفينة وأجبرها على الاستسلام بعد مواجهة عنيفة كانت نتيجتها أسر القائد نفسه ومجموعة كبيرة من المسلمين بين قتيل وأسير .

عموماً ، أفاد "دوم جواو دى كاسترو" في تقريره بتاريخ السادس عشر من شهر ديسمبر ، ونشر فيما بعد ، إنه يعزو عملية الاستيلاء على السفينة التى قادها الكابتن قريب الخواجا صوفار إلى "بايو رودريغير دى اروجا" في طريق إلى "ديو" .

أيضاً عزا "غاسبار كوريا" الأمر إلى "بايو رودريغيز دى أروجا" الذي أبحر في سفينته ثم استولى على إحدى السفن الغنية قبل وصوله إلى "ديو" . وكان قد حصل وأخفى الكثير من الغنائم من هذه السفينة واستأثر بها لنفسه ولم يأخذها إلى ديو .

حتى يتم القبض على السفن القادمة من مضائق مكة وبقية السفن المبحرة من وإلى معسكر المسلمين .

لكن إذا كان هنالك قصور في مجموع العاملين في القلعة ، فإنني لا أنصح بإرسالهم من هناك في هذه الأساطيل لأنه من الأفضل للإنسان أن يحمى بيته أولاً ، وليس التفكير في الاستيلاء على مقدرات الآخرين ، وإذا كان لك أن تفعل شيئاً في هذا الأمر فيجب أن يكون ذلك ، ويتم بموجب قرار من القائد و"فاسكو دا كونها" ، لأنك إذا ما استعنت بهذين الشخصين واعتمدت على مساعدتهما ومشاوراتهما فإن نتائج أعمالك لن تكون سيئة على الإطلاق .

إذا ما أردت أن ترسل شخصاً لأجل الغنائم ، فليكن اختيارك واقعاً على "لويس دى الميدا" ، إذ إنه هو الشخص المناسب لهذه المهمة .

عند استلامك هذه الرسالة احرص على أن ترسل زورقاً في الحال يحمل لي تقريرك عن مجموعة كل العاملين في القلعة ، وكذلك أخبار السفن وأخبار المساعدات التي أرسلتها لك ، ولتفعل ذلك عقب وصول المدعو "فاسكو دا كونها" إلى هناك .

مرة أخرى أوصيك أن توفر جميع الاحتياجات للفقراء والمحتاجين ... ليباركك الرّبّ ... الخ .

كتب في "باسين" بتاريخ اليوم الخميس الرابع عشر من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٦م .

لم يعرف أصل هذه الوثيقة ، وقد نشرت في :

Instituto, VoL 2, page 202 (1854) .

يبدو أن هذا هو النص الأصلي من الخطاب الآخر الذي يحمل نفس التاريخ بعدما تم تهذيب التعابير التي تضمنها .

بوسع "دوم ألفارو دى كاسترو" أن يطلع عليه أي فرد .

فالخطاب الأول الذي عبر فيه "دوم جواو دي كاسترو" عن نفسه بأسلوب عامي شائع لم يطلع عليه أحد سوى ابنه .

أما النص الثاني فقد عرف أنه تضمن عدة إضافات واختلافات .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "د . جواو دي ماسكارينهاس" "D . Joao de Mascarenhas" رسالة إلـى الحاكم ، "ديو" "Diu" ، التاسع عشر من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر وصوله إلـى "باسين" "Bassin" الذي كان ميناء للأتراك : [(٧١)]

سيدي ..

كانت سعادة رجال القلعة عظيمة عند وصولك إلى "باسين" (ميناء في غجرات) ، وهي سعادة لا يماثلها شيء سوى حجم الحزن الذي ملأ نفوس أعدائنا وجوانحهم ، وليس هنالك أدل على هذا الحزن الذي بدا على وجوههم غير تلك الفرحة الطاغية إلى غمرت نفوس جنودنا بسبب الأخبار التي نقلت إلينا عن اقتراب موعد وصول سموّكم ، وإنني متأكد جداً أن منبع هذا السرور هو رغبتكم الشديدة في الخدمة خارج هذه المعركة تماماً كما هي رغبتي في أن أجد نفسي خارج هذا الحصار .

---

(٧١) رقم الوثيقة والهامش.

بمقدم سموّكم الكريم أتمنى أن يحقق الرّبّ كل رغباتنا وآمالنا .

هؤلاء المسلمون ما زالوا يعملون على تعزيز قواتهم حسبما يرغبون ، فما لديهم من أبراج وأسوار تحيط بهذه القلعة من البحر والى البحر قد ازدادت ارتفاعاً وسماكة ، أضف لذلك قيامهم ببناء حيطان على طول امتداد الخنادق ، وفي جميع الجوانب التي حُفرت فيها ، وبالتالي سوف يكون من الصعوبة بمكان أن نجاريهم .

أضيف .. أيضاً لديهم قنوات أخرى في نفس المناطق يصعب اختراقها لصعوبة تلك الحيطان نفسها . أما في الخارج ... أي جانب البحر حيث يوجد الحصن الذي يعرف باسم حصن "ديوغو لوبيز" والذي سبق أن هدموه وأوجدوا في محله حصناً آخر فقد قاموا ببناء حائط ممتد لمنع النزول والدخول من ذلك الجانب .

أما في منطقة الأتراك وفي الحصن الذي يوجد عند نهاية الشريط البري فقد قاموا برفع السور وأوجدوا فيه فجوات لاستخدامها في إطلاق النار من أسلحة المدفعية ، ولا شك أن هذه مؤشرات تشير لرغبتهم في حماية أنفسهم .

في ضوء هذه المؤشرات فإن سموّكم في حاجة إلى مقاتلين ومحاربين إذا كان يجب أن نضع في اعتباراتنا ضرورة اجتياح هذه المدينة بهجوم مفاجئ عاصف حتى نتمكن من السيطرة عليها ، ولقد اكتشفت أن هذه السفن والمراكب لا تجد الاعتبار من قبل هؤلاء السود لأنهم يعتقدون أنها لا يمكن أن تستوعب إلا فئة قليلة من الناس .

لهذا يجب على سموّكم أن تتجه إلى "ساو لويس" كي تأتي بجميع

تلك المراكب الكبيرة وكذلك بقية السفن التي عملت على تحميلها بالجير كي تأتي بها جميعها مع الأسطول .

لأنه في حالة الضرورة يجب على المرء أن يستخدم كل ما هو متاح له .

لقد سعدت كثيراً بأدوات الحفر ومواد البناء التي جلبتها تلك السفينة وبالفعل وصلت في الموعد المطلوب ، لأنني عندما خاطبتك كانوا يعتزمون هدم الحصن ، وكذلك البرج ، وبالفعل أمكن هدم البرج تماماً وجزءاً من الحصن ، لكن بقي الحطام "الجذاذات" في الوقت الراهن ، والآن يقومون بعمل قناة على طول الحائط نفسه .

وبمساعدة الحفارين سوف أحاول الدفاع عن هذا الحائط من خلال توجيه ضربات إلى أنفاقهم .

أتمنى وأدعو القديس "ثوماس" والقديس "جيمس" أن ينجحوا في تفجير عدة أنفاق ، ولأجل هذا فإنني أرغب في الحصول على بعض الأخشاب لمساعدتنا في إيجاد حل عاجل لهذه الصعوبات .

لقد قيل : إن هناك قبطاناً قادم في تلك السفينة لكن لم يثبت أنه قد شوهد قط في هذه البلاد من قبل ، ولا يعرف شيئاً ، ويقال الشيء نفسه بالنسبة للقائد ، وعليه فأعتقد أن سموّكم يجب أن يرسل "اليكسوس دى ابريو" "Alexos de Abrio" إلى هنا ، فقد أبحر في المركب وبوسعه أن يأتي به إلى هنا .

أما بخصوص ما أمرني به سعادتكم في تلك الليلة ، فقد وصل "ميوركيل" إلى هنا وحينها أرسلت "براهمن" ومعه نصف كمية المربى

في صندوق تم اقتسامه مع "سيماو الفاريز" حسب توجيهات سعادتكم ، ولقد قمت بتنفيذ أوامركم بحيث أمرت "براهمن" بالنزول في جانب البر الرئيس ، غير أنني لم أكشف له عن حقيقة الأمر إلا عندما حانت لحظة إرساله ، وقد أبحر وسعد كثيراً بالنزول ، وأنا متفائل جداً بأنه سوف يناقش هذا الأمر بكل نجاح .

كنت أيضاً قد كشفت الأمر لذلك الهجين وذلك في الليلة التي أعقبت مغادرة "براهمن" ، حيث جعلته يعتقد أنه فقط من يعرف هذا الأمر ، وعندما استمع إليَّ استسهل هذا الأمر كما فعل "براهمن" ، وبعدها أمرته بالإبحار والنزول عند نهاية الجزيرة في الطرف الآخر ، أما مرافقوه فقد وجهتهم بضرورة معاينة المكان الذي يترتب عليهم إنزاله فيه ، وأن يتأكدوا من أن الرجال الذي أرسلتهم لحراسة الجزيرة بوسعهم أن يشاهدوه ، ومن ثم إحضاره لي مرة أخرى .

غير أن "براهمن" عمل على النزول في الجانب الآخر المقابل لهذا المكان .

في حالة عدم تحركهم الآن فسوف يترتب عليَّ إنزال الهجين في نفس المكان لأنه أيضاً كان قد طلب مني ذلك ، وربما شاءت إرادة الرّبّ أن نتمكن -من دون استخدام السلاح- من سحق هؤلاء الكلاب الذين يناصبون سموّكم العداء .

أسأل الرّبّ أن يطيل في عمر سموّكم وعمر دولتكم الفتية

من هذه القلعة بتاريخ التاسع من شهر أكتوبر .

وصل في يوم أمس "سيماو بوتلهو" قادماً من هرمز ، وكذلك اللورد

"د . الفارو" ، الذي قدم مريضاً ، حيث تهاجمه الحمى من وقت لآخر ، لكنه الآن يبدو معافى والحمد للرب ، لقد تمكن "سيماو بوتلهو" من علاجه ، ولقد سره أن يتعافى من مرضه ذاك بشكل سريع .

أقبّل أيدي سموّكم

"جواو ماسكارينهاس" .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "سيباستياو لوبيز لوباتو" "Sebastiao Lopez Lobato" رسالة إلى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، هرمز في الثلاثين من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٦م ، يخبره بوصول الأتراك إلى "قلهات" : [٧٢]

إلى السيد اللامع ذو الشهرة الواسعة "دوم جواو دي كاسترو" ، حاكم أقاليم الهند نيابة عن سيدنا الملك .

سيدي ومولاي .

لعل سيادتك قد تلقى قبل عدة أيام الأخبار التي أنا بصدد الكتابة لك عنها تكون قد وصلتك ؛ لأن بالبحر الكثير من الأسماك التي تؤخر السفن وعلى السفن وعلى البر رجال يخدعون الآخرين ، لقد سمعتها قبلك لعدة مرات أن من يصل يجب ألا يتلكأ .

---

(٧٢) رقم الوثيقة والهامش.

اكتب لسيادتك هذه الرسالة لأنني أعتقد أنك لم تتسلمها من قبل ، وسأغتنم الفرصة وأمارس ما يتميز به كبار السن وهو الإلحاح والملل والكتابة مطولاً ، لقد سمح لي سيادتك بممارسة ذلك حتى تمنعني وتوقفني عند حدي .

في يوم الجمعة قبل ساعة من غروب الشمس بتاريخ الخامس عشر من شهر أكتوبر هذا ، وصل "أنطونيو سواريز" "Antonio Soares" الجندي إلى هذه القلعة من مسقط على ظهر مركب شراعي وهو في غاية التعب والغضب ، ومعه أخبار أن خمس سفن تركية قد وصلت إلى "قلهات" .

أرسلت هذه الأخبار للبرتغاليين في مسقط عن طريق "فيرناو دياز سيزر" "Fernao Dias Cisar" الوكيل التجاري في "قلهات" ، قال في الرسالة :

"في ليلة السبت التاسع من شهر أكتوبر وصل أحد المسلمين في سرعة شديدة على ظهر جمل ، أخذني جانباً وأخبرني أنه جاء من "رأس الحد" حيث شاهد خمس سفن تائهة ... قال إنها عبارة عن زوارق وسفن شراعية (غاليون) ، كان متحمساً وواثقاً ، وأقسم أن ما يقوله هو الحقيقة .

لتأكيد صحة ذلك طلب مني أن احتجزه في غرفة فإن لم يكن ما قاله صحيحاً أقوم عندها بقطع رأسه .

قمت فعلاً بحبسه داخل غرفة حتى لا تثير هذه الأخبار حفيظة الناس في المدينة .

ذهبت إلى كبير الوزراء وأفضيت له بكل تفاصيل ما قاله الرجل المسلم ، ذهبنا معاً وتحدثنا إليه وأطلعنا مرة أخرى بكل الحديث ، واتفقنا على صحة ما قاله بخصوص السفن .

أخذت بعد ذلك المركب الشراعي وأولئك المسيحيين وأرسلته لطرفك مع هذه السطور حتى تعلم وترى ما عليك فعله .

لا زال عليَّ أن أتأكد وأتيقن من حقيقة هذا الأمر ، وحالما أعرف سأذهب إلى هناك في الحال على ظهر مركب شراعي معد جيداً .

اليوم ، الأحد ، عند الصباح وأمام عيني شاهدت خمس زوارق تقترب من الميناء ، رأيتها بوضوح وأؤكد لك أنني رأيتها بأم عيني .

هذه هي الأخبار التي جاء بها "أنطونيو سواريز" ، قال بالإضافة لذلك أن هناك ثمانية وعشرين برتغالياً في مسقط خلف جرف عال في مواجهة البحر ، ويعتزمون انتظار الأتراك وحماية المكان ضدهم ومنعهم من الرُّسُوّ والنزول للشاطئ إن حاولوا ذلك .

كل هذا كان بفضل وعون شيخ ربيع الذي كان في هذا الوقت وخلال تلك الأحداث قد أظهر وبرهن أنه تابع مخلص لسيدنا الملك وصديق ، وفي ورائع للبرتغاليين مثلما كان والده عندما ثارت هذه المملكة ضد طاعة سيدنا الملك .

غادر "أنطونيو سواريز" مسقط في يوم الاثنين الحادي عشر من شهر أكتوبر ووصل إلى هنا في الخامس عشر منه كما ذكرت آنفاً .

لم تصبنا هذه الأخبار بالكثير من الذعر ، وبدا كلٌّ منّا من جانبه

يتخذ قرارات ، ويضرب أخماساً وأسداساً بما تمليه عليه أفكاره وشجاعته ، بالرغم من وجود القليل منا الذي لا يتعدى المائتين في هذه القلعة إلا أن على سيادتك الاطمئنان أن الآخرين سيقدمون صورة طيبة عن أنفسهم .

لم يتخذ المسلمون أي عمل سمعنا عنه ؛ لكن وضح أنهم قلقون من تلك الأخبار ، أما ما عدا ذلك فإن المسألة تتعلق بالشخص الملم بكل الأمور .

أرسل القائد بقارب معد جيداً في يوم السبت السادس عشر من شهر أكتوبر وعليه جنود مدفعية ولسكر على ظهره مع "بالتازار دو برادو" ، الذي أمره وطلب منه الإبحار حتى يشاهد المراكب ، ويحاول معرفة إن كان هناك أسطولاً أكبر ، أو أن يتصرف بكل السبل وباجتهاد شديد وحذر ويقظة .

أرسل في المقدمة اثنين من الزوارق السريعة وعليها ثلاثة برتغاليين في كل منها للبحث ، وتحذير السفن التجارية الضخمة التي غادرت هذه المدينة قبل عدة أيام ، للحصول على أخبار عن أماكن تواجد الزوارق وإن على أحدها أن يأتي له بالمعلومات ، ويقوم الآخر بمتابعتهم والإبحار على مرأى منهم وتحت بصره .

عند وصول تلك الأخبار تم تزويد هذه القلعة بكل الضروريات خاصة السمن وقد كانت الحاجة ماسة له ، وقد تمّ جمعه على أن يعاد لأصحابه أن انعدمت الحاجة له .

بعد اتخاذ كل تلك الإجراءات اتفقنا على الانتظار لمزيد من

الأنباء والرسالة التي كان يفترض وصولها ، واتخاذ قرار بما يجب عمله نتيجة لذلك .

في يوم الثلاثاء التاسع عشر من هذا الشهر وعند الغروب وصل "فرانسيسكو فييرا" "Francisco Viera" أحد خدم القائد إلى هذه القلعة على ظهر مركب شراعي من مسقط وبرفقته أحد المسلمين من خدم شيخ ربيع وهو يحمل رسائل ، وكان قد انسحب من مسقط عندما كان الأتراك هناك .

قال ، في يوم الخميس الثاني عشر من شهر أكتوبر وبعد منتصف الليل وصل "فيرناو دياز سيزر" إلى مسقط على ظهر مركب شراعي ، وقال إن سفن الأتراك تقترب وإن الأمر لن يطول حتى تصل إلى الميناء ، وإن هناك ليس أكثر من أربعة منها ، في الوقت الذي كتب فيه ذلك كان عددها خمسة ، وذلك لأنه شاهد شراعاً بينها ولأن الرجل المسلم أخبره أن هناك خمس سفن .

فرح كثيراً لما لقيه منهما من روح طيبة وليس عليهما أن يخشيا من أي شيء فهناك عدد كاف من الرجال لقتال تلك السفن ، أخبره أن السفن وصلت في صباح الأحد إلى ميناء "قلهات" ، وأن الأتراك بعثوا أحد الرجال إلى الشاطئ برسالة لكبير الوزراء ليرسل له الوكيل التجاري ، وأن على كل "البرتغاليين" الذين هناك أن يبعثوا له بالعائدات المالية لكل السنوات الماضية لأن المكان والعائدات تعود لسيده عظيم الترك .

أجابه كبير الوزراء أن المكان يعود لملك هرمز وأنه يعمل خادماً عنده

وهو لا يعترف بأي سيد آخر سواه وملك هرمز ، أما بخصوص الوكيل التجاري و"البرتغاليين" الذين يسأل عنهم فهم غير موجودين ، وحتى إن كانوا متواجدين فإنه لن يسلمهم له حتى لو يقتل ، أما بقية ما طلبوه منه فإن عليهم النزول إلى الشاطئ وحتى إن قدموا إليه فسيجيبهم بنفس الإجابة .

أطلقوا بعض القذائف باتجاه المكان ، وبعدها اتجهوا نحو سفينة شراعية ضخمة كانت راسية في الميناء وأخذوا منها المياه .

جاء لهم صاحب السفينة بمؤن وزاد من البر حتى لا يستولوا عليها أو يشعلوا فيها النيران ، في عصر يوم الأحد غادروا مسقط يتقدمهم "فيرناو دياز" على ظهر المركب الشراعي ، وصل إلى مسقط في الوقت الذي قال إن الأربع السفن دخلت فيه إلى الميناء ثلاثة منها بأشرعة ثلاثية وأخرى منصوب شراعها على الصاري وسفينة ذات أشرعة رباعية .

الوقت الذي وصلوا فيه كان ساعتين قبل بزوغ الفجر ، وقاموا في الحال بإطلاق قذائف على البلدة وعلى الجرف دون أن يتسببوا في أي أضرار ، انسحبوا حتى يعيدوا تلغيم مدافعهم وعندما أصبح الصباح عاودوا مرة أخرى إطلاق نيرانهم على الجرف العالي ، وكان هناك رد بالمدفعية بالمقابل من البلدة ، شاء الله ألا تحدث أي أضرار ولم يصَبْ أي أحد .

عندما رأوا انهم لا يستطيعون النزول إلى الشاطئ وبناءً على ما شاهدوه فلم يكن من المستحسن القيام بذلك ، وعندها رجعوا بعيداً

خارج الميناء واستولوا على سفينتين شراعيتين كانتا هناك ، ملكية إحداهما إلى نجم الدين وهو رجل مسلم من البصرة والأخرى من مدينة "شول" ، وقد تم الاستيلاء عليها كما يقول الرجل لأن أصحابها لم يأتيا بهما إلى الميناء قريباً من الجرف كما طلب منهم البرتغاليون ذلك .

هذا تم أيضاً حيال سفينة شراعية تعود لأحد "البرتغاليين" كانت ترسو بالقرب من الجرف ، وقد أطلقوا عليها العديد من القذائف دون أن يتسببوا في أي أضرار عليها .

استعاد نجم الدين السفينة مقابل ثمانمائة "باردواس" ، والسفينة التي من "شول" "Chaul" استعيدت بمبلغ مئتين وأربعين ، ويقال إنهم سرقوا واستولوا على كمية كبيرة من الحرير .

حالما قاموا بسرقة تلك السفن وأعادوها مرة أخرى بعد أخذ ثمنها ، بعثوا ليخبروا أولئك الذين على الشاطئ بأنهم في طريقهم إلى هرمز وأنهم عند عودتهم سيأخذون الجميع .

عند عصر الأربعاء غادروا المملكة إلى هرمز ، وبعد منتصف الليل استداروا واتجهوا نحو "قلهات" .

هذا هو ما علم حتى اليوم الجمعة الموافق التاسع والعشرين من شهر أكتوبر ، أما عن الزورق الذي غادر في الرابع عشر من الشهر فلم تصلنا أي أخبار حتى الآن .

السفن التي هنا وتخص سيدنا الملك جاهزة للمغادرة ويبحر معها "رافائيل لوبو" "Raffeal Lopo" ، أربعة زوارق ومركب أكبر قليلاً ،

إحداها تحت الصيانة لأنه اكتشف أن هناك أعمالاً كثيرة يجب أن تكتمل ، وهو يغادر الآن مع اثنين من الزوارق والمركب ، الزورق الذي سيغادر في المقدمة سيبقى معه على الساحل ، بالإضافة "لأنطونيو مواشو" "Antonio Mouacho" الذي سيذهب معه في مركبه ليقوم بالمهمة التي دفع تكاليفها عن البحارة والمؤن التي يحتاجونها وللبرتغاليين الذين على ظهر المركب لمدة شهر واحد .

لسيدنا الملك سبع سفن في هذه القلعة ؛ اثنتان منها للعرض لأنها لم تكن في حالة جيدة للتكلفة الكبيرة التي يتطلبها ذلك ، والتي يمكن بقيمتها شراء ثلاث سفن جديدة ، وهي قديمة جداً حتى لا اسم لها .

الزوارق قديمة جداً ، ومن الممكن تجديدها ، وستستخدم حتى تقوم سيادتك بتجهيز هذه القلعة والمضيق ، بما أن الأمور في تحوّل وتجرى الأحداث على جانبي المضيق فيبدو أنه من المناسب أن تتواجد الكثير من السفن في هذه القلعة .

بناءً على ما يقوله المسلمون ؛ فإن ملك البصرة خائف جداً من أن يأتي الأتراك لمحاربته ، إن كان هذا ما سيحدث واستولوا على البصرة فيبدو أن مشاكل كثيرة سيتسببون فيها في هذا المضيق لأنهم سيأتون بسفنهم من المضيق الآخر لهذا المضيق .

سيدي ، إن كنت أتحدث عن أشياء لا أفهمها وما كان عليَّ التحدث عنها فأرجو أن يغفر لي سيادتك ، أتوسل إليك أن تتولى المسؤولية في هذا الشأن نيابة عني لأنك منحتني الإذن في أن أكون جريئا بما فيه الكفاية لأكتب لسيادتك عن مسائل من هذه النوعية ، كما أنني مجبر

انطلاقاً من رغبتي أن أرى شؤون سيادتك قد مورست بتميز ، وحازت على السمعة والشهرة على كل الآخرين التي هي أكثر أهمية واعتباراً بمثل ما يأمر الرّبّ والذي نسأله أن يجعلها كذلك .

علاقات هذه المملكة مع "لار" في حالة سيئة ، كما أدرك سيادتك ذلك الآن ، فقد استولى ملك "لار" على قلعة "لاستان" (Lastan) من هذه المملكة ، مر شهران قدمت خلالهما التماسات ضعيفة ، وقد ضاع الزمن عبر تبادل رسائل من كل جانب ، وأؤكد لسيادتك أنني لا أجد شيئاً مقبولاً عما يحدث في هذا الأمر .

كل الذي يقوله دائماً هو إشارات وآمال على أن ملك "لار" سيعيد القلعة ، لا أصدق أياً من العرافين والمسلمين عندما أرى ما يفعلون ، هذه النوعية من الرجال لا تستطيع فهم أي شيء سوى استخدام القوة ، أما المباحثات فهي مسألة لا قيمة وفائدة منها .

لا تصل أي خيول من فارس ، وذلك ليس بسبب الخلاف بين هذه المملكة ومملكة لار ، لكن بسبب أن أحد أصحاب الحظوة عند "شاه طهماسب" قد منح تحصيل المستحقات التي تؤدى عن الخيول التي تأتي من فارس إلى هذه المدينة ، وهو يطالب برسوم مالية عالية ، والتي هي أعلى من قيمة وثمن الخيول ، وقيل إن أكثر من أربعمائة خيلٍ قد وصلت من "لار" والمناطق المجاورة في انتظار التجار لعملية البيع والشراء .

المسلمون هنا يصدقون مسألة حضورهم ، لأنه يقال إنهم في السنة الماضية كانوا جزءاً من هذه الأعمال .

خيول قليلة جاءت حتى الآن من البصرة ، ويقال إنها لن تأتي بعد ذلك لعدم وجود التجار والسفن هناك ، إذا كان سيادتك يريد المزيد من الخيول من البصرة فعليك بإرسال عدد كبير من "البرتغاليين" والسفن الضخمة إلى هناك ، وبهذه الطريقة فإن سيدنا الملك سيجني أرباحاً كثيرة وسيكون ذلك في مصلحة الجميع .

ما تمكنت من معرفته عن الكبريت هو أن ملك "لار" قد منع استخراجه من أراضيه وسيعاقب كل من يقوم بذلك ، وقد تم ذلك لاعتقاده بأنه سيجني أموالاً طائلة منه ، بسبب هذا النزاع مع مملكته لم أبعث بأي مسلم إلى هناك للبحث عن "جورجي جونسالفيس" ، وكما كتبت لسيادتك وحتى تتم تسوية تلك المسائل فإنني أعتقد بوجود أمل بسيط يمكن التمسك به بالرغم من عدم يقيني من ذلك .

سيغادر "رافائيل لوبو" غداً في الأول من نوفمبر مع ثلاث سفن وزورق "موشو" ليقدم الدعم بطول الساحل وليدافع عن هذا المضيق (الذي ندعو الرّبّ أن يحفظه) .

للحكم على الأمور بحسب الظواهر فإننا نصلي للرب أن يكون مع سيادتك وأن يدعمك ويساعدك في كل شؤونك بالتكريم والانتصارات على أعدائك ، وأن يسمح لك في حياتك أن ترى أبناءك يتمتعون بالمقام الرفيع والشرف التي تتمناه سيادتك .

هرمز في اليوم الأخير من أكتوبر عام ١٥٤٦م

"سيباستياو لوبيز لوباتو"

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "براس دي أراغو" "Bras de Aragos" رسالة إلى الحاكم ، "غوا" "Goa" ، في الثالث من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م ، يخبره ببقاء ريس نور الدين في "غوا" : (٧٣)

قاسم في طريقه إلى هناك لإطلاع سيادتك بأن ريس نور الدين موجود هنا ، وأيضاً وبناءً على ما أفهمه فيبدو أنه سيطلب منك السماح له بالبقاء هنا في "غوا" هذه السنة بسبب حالته الصحية المتردية ، حيث كان قد أصيب بالمرض في "البحرين" ، وبما أنه ما زال مريضاً فمن المؤكد أنه في حالة لا تمكنه من العودة إلى "البرتغال" في هذه السنة .

يقول والده إنه كتب لوالدته وكل أقربائه في هرمز يخبرهم بعدم إعطائه أي شيء ؛ لأنه إن تمكن من جمع بعض الضرائب فقد يذهب إلى مكان آخر ، ولا يريد العودة إلى هنا ، هذا ما يقوله قاسم .

---

(٧٣) رقم الوثيقة والهامش.

يجب أن يكون "سيماو بوتيلهو" معك هناك ، يمكنك معرفة شؤون هرمز منه ، والضرر الذي سيسببه هذا الرجل إن ظل هناك .

ليس عندي ما أقوله في هذا الخصوص ، ولا علم لي بالمزيد عنه سوى أنني أفهم أن ريس شرف سيسر كثيراً إن ظل ابنه هنا في هذه السنة .

سأغادر غداً بإذن الله لكن إن لم يكن الطقس مناسباً للإبحار فسأبقى عند الحاجز ، أحمل معي خمسة وأربعين أو ستة وأربعين "باردواساً" ذهبياً من "غوا" ، منها سبعة عشر ألف "باردواس" ذهبياً من غنيمة تخص الخزينة .

يبقى سداد باقي المبلغ بما فيها خمسة آلاف "باردواس" ذهبياً أقرضها "فرانسيسكو لوبيز" ، معي ألف "أشرفي" إضافية بعث بها "سيباستياو لوبيز" الوكيل التجاري لهرمز ، مع ألفين وستمائة جمعت في هرمز بناءً على رسالة (اعتماد) من ريس شرف ، سأقوم أيضاً بتحصيل خمسة عشر ألف "أشرفي" جاء بها "سيماو بوتيلهو" عن الحمولة التي سيبعث بها سيادتك لي ، بالإضافة لأي زيادة يمكن استعادتها من رأس المال الذي جاء من البرتغال .

من كل هذا يبدو لي استمرار تحصيل الضريبة بمشيئة الله ، وإن أكبر مشكلة معها هي العملات غير الصالحة لوجود الكثير من "الباردواس" الذهبي والقليل من "الأشرفي" .

على أية حال فالرّبّ له اليد في كل شيء ، وأنا أؤمن بأنه سيساعد سيادتك في كل عمل تشارك فيه ، وهو أمر في غاية الأهمية .

نسأل الله أن يطيل في عمر ومقام سيادتك ، وأن يسهل سبل وصولك إلى "البرتغال" كما تود سيادتك .

من "غوا" في الثالث من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى "دوم جواو دي كاسترو" ، "D . Joao de Castro" ، هرمز في الرابع من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م ، يذكر أن السفن التركية تدك ميناء "قلهات" وتتجه إلى مسقط : [(٧٤)]

سيدي ..

كتبت لسيادتك سابقاً عن أربع سفن تركية وصلت إلى "قلهات" في الحادي عشر من شهر أكتوبر ، بعد دكّ الميناء بالقذائف غادروا في اتجاه مسقط ، وسمع "دييجو لويس" مستلم الكفالات هناك بأنهم قادمون .

بوجود ثلاثين من "البرتغاليين" معه هناك وبمساعدة الشيخ ربيع [(أ)] قاموا بالدفاع عن المدينة والبلدة ، حتى إن الأتراك لم يستولوا سوى

(أ) شيخ ربيع كان شيخاً لمسقط .

(٧٤) رقم الوثيقة والهامش.

على سفينة شراعية تجارية واحدة كانت تخص أحد المسلمين من البصرة ، وكان "دييجو لويس" قد طلب منه إحضارها إلى داخل الميناء إلا أنه رفض ذلك ، واعتمد على صداقته مع الأتراك .

ظلوا في الميناء ليومين ، ومن ثم غادروا باتجاه "كومات" .

حتى حينه ليست معي أي أخبار عنهم ، وقد أرسلت زورقاً ومركباً شراعياً سريعاً للبحث عن مكان أولئك الرجال الأشرار ، لكن لا توجد أخبار عنهم سوى التي أطلعت سيادتك عليها ، وهذه وصلت عن طريق أحد "البرتغاليين" كان على ظهر مركب شراعي بعث به لطرفي "دييجو لويس" والشيخ ربيع .

بدا لي في كثير من النواحي أن من مصلحة خدمة سموّه أن أبعث "رافاييل لوبو" في أثر تلك المراكب ، وأن أقدم المساعدة لكل ذلك الساحل ، وكنت قد أجبرت على إرساله دون رسالة أخرى أو أخبار عن أولئك الرجال بسبب الخسارة التي عانى منها النواخذة [أ] نتيجة لعدم تلقيهم الإذن لسفنهم بالمغادرة .

أخذ "رفاييل لوبو" وبرغبة أكيدة خمس سفن سريعة ، أربعاً منها تعود لجلالته وأخرى تعود إلى "أنطونيو مواشو" والذي بحماسة قدّمها لخدمة سموه في هذه الرحلة ويستحق هو التكريم والفضل الذي تمنحه له سيادتك ؛ لأن الكثيرين هنا سيتقدمون لعوني وإعداد السفن لتذهب وتحارب الأتراك .

(أ) Nacoda كلمة محلية تعني ربان السفينة (النوخذة) .

ابعث "برافاييل لوبو"[أ] ، لأنني على يقين بأن الأتراك قد ذهبوا إلى "قشن"[ب] وسيذهب هو حتى جزر مصيرة[ت] حتى يعلموا كم هو في شوق لمواجهتهم ، وسيعود من هناك إلى رأس الحد أو "قلهات" ... ، وبعد صيانة الأسطول يعبر إلى ساحل الـ Nautaque [ث] ويتسبب لهم بكل ضرر ممكن كان ذلك ضرورياً ويهدف لخدمة سموه في أن تترك العقوبة عليهم .

لأن الوقت مناسب تماماً للانتقام عن هرمز والثأر عن الحرب التي شنوها في هذا "المونسون" ، إن لم يتم إصدار الأمر للقيام بهذا المشروع داخل الأسطول فلست أدري متى يمكن أن يحدث ذلك .

صعد أولئك الرجال على ظهر السفن مع "رافاييل لوبو" عازمين على محاربة الأتراك وليس قتال الـ Nautaques ، بالرغم من إنهم التمسوا منهم ذلك ، لعل الرّبّ يرمني بكل ما يحدث "لرافاييل لوبو" بناءً على هدفه ونواياه التي يعتزم القيام بها .

موضوع الأتراك مسألة رهيبة كما يتفهمها سيادتك ، وعندهم الجرأة في دخول هذا المضيق ، ويمكن التنبؤ بأنهم سيقومون بذلك في مناسبات قادمة إن لم تحبط نواياهم الخبيثة ، وهم يدركون جيداً

(أ) ذهب رافاييل لوبو إلى المضيق في ١٥٤١م مع "دوم ايستيفاو دا جاما" .

(ب) "قشن" تقع على ساحل الجزيرة العربية .

(ت) (مصيرة) عبارة عن مجموعة جزر تقع بالقرب من رأس الحد .

(ث) الـ Nautaque هم أكثر مقاتلين مرعبين في الجزيرة العربية .

عدم وجود سفن حربية في هذه القلعة ، وأن عشر سفن شراعية كافية للقدوم إلى هذا الميناء وإشعال النيران في السفن التجارية التي بها .

على سيادتك التمعن جيداً في هذا الأمر ، فهناك العديد من الأسباب التي تستوجب إرسال أسطول إلى المضيق هذه السنة حيث لم يتواجد أي أسطول هنا لسنوات عدة .

استولى الأتراك على "قشن" ويمكنهم احتلال "صحار" غداً ، وهم من الوقاحة بمكان بحيث يملكون الجرأة والحضور في أربعة زوارق إلى هرمز .

تأكد سيادتك إن لم تبعث بأسطول إلى المضيق أو على الأقل بعض السفن الحربية وسفن شراعية ضخمة في مارس عند موسم "المونسون" فإن سيدنا الملك سيتعرض لخسائر ضخمة في مكتب الجمارك الموجود هنا ، ولن يتجرأ أي تاجر بالقدوم إلى هنا ، وليس من الجيد أن يحدث ذلك ، لأنهم لابد أن يكونوا قد شاهدوا من كوريا موريا التي تقع في الجوار كما يعلم سيادتك حيث كانت مراكبهم تتزود منها ، وهذا يعد كافياً لهم للاستيلاء على كل سفينة في طريقها إلى هناك .

يجب إرسال أسطول آخر ، لتلك الأسباب يجب التعامل مع هذه المشكلة التي سوف تؤثر كثيراً على مصالح سموّه .

أما بخصوص الأخبار القادمة من الزكية[أ] فإن باشا جديداً وصل

(أ) في الثلاثين من شهر يناير كتب "جواو دي كاسترو" (السادس عشر من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م ، "قدمت لي النصيحة في هرمز أن الأتراك في حامية بابل قد جاءوا إلى نهر الفرات واحتلوا مكاناً يسمى الزكية حيث يشيدون قلعة بجانب الفرات .. على بعد مسيرة يوم ونصف أعلى النهر من البصرة" ..

إلى بغداد ونتيجة لذلك تغير كل شيء ، لأن القوات التي في ذلك الإقليم قد تفرقت وأن السفن التي جاءت إلى "زاكية" قد عادت .

ذهب ملك البصرة إلى هناك ليرى إمكانية إبرام سلام مع بعض ملاك الأراضي بالقرب من "زاكية" ، ولم يعد إلى البصرة عند كتابة هذه الأخبار لي في هذه الرسالة .

نسأل الله أن يكون ذلك صحيحاً ، ولعل ذلك يعطينا بعض الوقت لإعداد أنفسنا ، لأن المرء يرى في كل يوم إشارات كثيرة تنبئ عن شر مستطير لـ هرمز .

أما بخصوص المسائل المتعلقة "بلار"(أ) ، فلم يتخذ أي قرار حتى الآن سوى ما كتبت لسيادتك عنه .

تأتي القوافل كل يوم إلى هذه المدينة بالرغم من وجود الكثير من الخيول ، لكن بدلاً من ذلك ترد الكثير من الفاكهة ، كما سيرى سيادتك من بعض أكياس السفرجل التي أبعث بها لك .

لم أبعث بأي كمّثرى لعدم وصول الكثير منها ، لكنني سأعمل جاهداً على إرسال بعضٍ منها لسيادتك في أسرع وقت(ب) .

كان بودي أن أكون برفقة سيادتك في شهر أغسطس القادم ، وأن يمنحني الله الصحة والعافية لأتمكن من ذلك فسيكون عليَّ مغادرة هذه

كتب بعد ذلك لملك البصرة ينصحه بمحاربة هؤلاء الجيران الأشرار عارضاً عليه العون والسفن للقيام بذلك كانت هذه الرسالة من "لويس فالكاو" كتبت إلحاقاً لتلك الأخبار .

(أ) وهي المنطقة المقابلة لهرمز .

(ب) تأتي كل أنواع الفاكهة إلى هرمز من داخل فارس .

المدينة في نهاية يونيو ، لأنني لم أغادر خلال هذا "المونسون" والذي يسمونه هنا "المونسون" الصغير ، فإنني لن أتمكن من المغادرة حتى سبتمبر ، سيكون ذلك مصدر ضيق وعدم رضا بالنسبة لي لأنه سيقلل من فترة تواجدي مع سيادتك ، والتي أرغب كثيراً في تحقيقها ، سأبذل كل جهد ممكن حتى أكون مع سيادتك في أغسطس ، ولهذا السبب سأستخدم السفينة التي سيصل عليها "دوم مانويل"[أ] حالما تصل إلى مسقط .

إن كان عليَّ الانتظار حتى يتسلموا تقريراً مني (في هذا المضيق) وإن كنت قادراً على الإبحار في السفينة من مسقط فإنني سأحتاج إلى زورقين معي .

سأقبّل يديك إن سمحت "لفرانسيسكو دي الميدا"[ب] أن يشتري لي واحداً ، وتصريح سيادتك أن يسلم لي واحد هنا كما هي العادة مثلما قدّموا واحداً "لمارتيم افونسو"[ت] ، ولذلك لن يكون ضرورياً الآن بالنسبة لي لقضاء الشتاء هناك ، وعلى الأسطول أن يبعث بزورق إلى رأس الحد لحمايتي من أولئك الرجال الأشرار حتى أغادر .

(أ) "دوم مانويل دا سيلفيرا" عين قائداً لهرمز عندما أخلى "لويس فالكاو" المنصب ، إلا أنه توفي وعين "مانويل دي ليما" خلفاً له . كانت فترة "لويس فالكاو" تقترب من نهايتها في ١٥٤٦م .

(ب) يبدو أن هناك اثنين يعرفان بالاسم : "فرانسيسكو دي ألميدا" في الهند ، أحدهما يحمل لقب "دوم" وهو إبن "دوم لوبو" الذي ذهب مع "فيراننديو" إلى "ديو" .. والآخر رجل عادي يسمى "فرانسيسكو دي ألميدا" الذي منح في الحادي والثلاثين من شهر مارس ١٥٤٧م تصريحاً بأخذ سفينة إلى البنغال في ١٥٤٨م ، لأن مركباً كان قد أتى لمساعدة "ديو" ، ويبدو أن الرجل الآخر هو الذي يشير الأسم له هنا .

(ت) لعله "مارتيم أفونسو" الذي كان في السابق قائداً لهرمز .

كتبت "لفرانسيسكو دي الميدا" "Francisco de Almeida" بأن عليه أن يطلبها من سيادتك ، وستقدم لي صنيعاً كبيراً إن قمت سيادتك بتلبية طلباتي العادلة والمنطقية .

ليطِلِ الله من عمر سيادتك ومقامك

هرمز في الرابع من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م

"لويس فالكاو"

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث حاجي فياض قائد القوافل القادمة من تركيا إلى هرمز ، وملا محمد قاضي ، كبير الوزراء السابق للبصرة قبل استيلاء الأتراك عليها ، رسالة إلى ريس ركن الدين ، قاضي كبير وزراء هرمز ، بغداد في شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م : (٧٥)

سمعنا هنا أن النوخذة "حسين روكو" وصل إلى جزيرة خرج وبعث بـ "almadia" من هناك (f.142r) يملكها العرب من "علي بيم" ومالك ، جاء إلى شيبوني (Xeybony) وأخبرني أن أقول بأنه كان موجوداً هناك ؛ ذهبت من هناك لزيارة بلال باشا ، وقد فرح كثيراً لذلك ، من المؤكد أنه رجل يتقيد بكل عادة جيدة من القانون والحكم .

أخبار البصرة تقول إنها في أمان وهادئة وأفضل من السابق ، وذلك لأن كل إجراءات الجمارك التي فرضها الشيخ هيا قد أزيلت ، عندما استولى عياض Ayaz باشا على البلاد جاء في خلال أيام قليلة أمر

---

(٧٥) رقم الوثيقة والهامش.

من ملك تركيا بأن تسلم البلاد إلى بلال باشا ، وقد جاء هو ومعه تحذير شديد من عظيم الترك بأن يعامل أهالي هرمز بأفضل طريقة ممكنة وأن يكون صديقاً وفياً لهم ، ستقدم لهم تفاصيل أكثر عن شؤون الأعمال عبر السفراء القادمين على ظهر السفن الشّراعيّة التجارية من "بيمزاباد" (Bemzabad) .

بسبب الالتزام والتعهد الذي لنا معهم والصداق التي ندين بها لهم فقد أطلعناهم على تلك المواضيع ، نعتقد أن عليك إرسال سفن من هرمز وممارسة التجارة هناك كما كان في الماضي لعدم وجود أي شيء تخشاه هناك .

عليك بذل الكثير من الجهد بقدر ما تستطيع لأنك بذلك ستكسب سمعة طيبة .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعـث "رافاييل لوبـو" "Rafael Lopo" رسـالـة إلـى "دوم الفارو دي كاسترو" "D . Alvaro de Castro"[أ] ، مسقط في الحادي عشر من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م ، يخبره بأن العرب في مسقط في خوف شديد من وصول الأتراك : [٧٦]

سيدي ..

جاءت أربع سفن تركية إلى المضيق ، ومن المؤكد أنك والسيد الحاكم قد تلقيتما أخبارها ، لذلك أكتب لك عنها ؛ لأنني قررت مواجهتهم ، وحتى أقوم بذلك قمت ببناء تلك السفن مع بعض الأجزاء القليلة

(أ) انظر الرسالة من "لويس فالكاو" التي ذكرت سابقاً في هذه الطبعة ، رقم ٧٢ بتاريخ الرابع من شهر نوفمبر ، وتبين كيف أنه أرسل "رافاييل لوبو" للبحث عن السفن الأربع التركية . تذكر هذه الرسالة نفس السفن الأربع ، وأشياء عديدة أخرى يبعث بها إلى "دوم ألفارو" ، ويسأل عن أخبار عن "دوم لويس" . لا أدري إن كان هذا "دوم لويس دي البوكيرك" ، صهر "دوم الفارو" أم لا؟!

(٧٦) رقم الوثيقة والهامش.

التي أخذتها من سفن تخص الملك وأخرى تعود للقراصنة ، لكنها مثل اليهودي الصغير الذي لم يستطع الانتظار حتى يغادر وذلك غادرت .

في نفس الوقت تلقيت الأخبار السيئة من هرمز ، لذلك عندما وصلت إلى هنا كانت قد غادرت قبل عدة أيام ، أكتب للسيد الحاكم بتفاصيل كثيرة عن الحاجة الملحة لسفن هنا ومعها أشياء أخرى .

لم يقم الأتراك عملياً بأي شيء و"الجوازيل" والوزراء هنا خاصة شيخ ربيع كبير وزراء مسقط في خوف شديد .

كان الله رحيماً أنهم لم يباغتونا ونحن نيام وأنهم لم يشاهدونا في تلك اللحظات وإلا كانوا تسببوا لنا في أضرار كثيرة ، "جيل فاز" قادم ومعه سيف لك وقطعة من الفيروز .

معي حصان أيضاً سأرسله لك إلا أنه اهتاج ولم يكن يرغب في التحرك ، لقد كان حصاناً ممتازاً لكن إن وجدت آخر فسأبعث به لك إن كان مناسباً .

إذا وصلت رسالة من "دوم لويس" مع رسالتك فأرجو أن تتكرم وتبعث بها لطرفي .

مسقط ، الخميس الحادي عشر من شهر نوفمبر – أقبّل يديك – "رافاييل لوبو لورنزو"

إلى السيد "دوم الفارو دي كاسترو" ، سيدي ومولاي

(آثار ختم الشمع)

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعـــث "رافاييل لوبو" "Rafael Lopo" رسالة إلـى الحاكم ، مسقط في الـحادي عـشر من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م ، يذكر فيـها الأتــراك عندما كانوا في مسقط والساحل الشرقي العماني : (٧٧)

سيدي ..

لم أكتب لسيادتك منذ وصول الأتراك إلى هذا المضيق لأنني اعتقدت أن عليَّ الإبحار لمواجهتهم ، وعليه حالما وصلت الأخبار إلى هرمز قمت بإعداد العديد من السفن المحطمة والتي في حالة مزرية تعود للملك وبعض الأشخاص من الخاصة ، لا تندهش سيادتك أنها في هذه الحالة السيئة ، يمكنك الحكم على الحالة التي هي عليها بتلك التي وجدتها أنت في حوض السفن بـ"غوا" ، (....) الأتراك مثل اليهود .

هناك بعض اليهود الذين لا يستطيعون الانتظار حتى اليوم والساعة

---

(٧٧) رقم الوثيقة والهامش.

التي يغادرون فيها ، وكذلك هم أيضاً ، بالإضافة لذلك كانت الأوامر من هرمز قد أعطت تعليمات بعدم طردهم ، (.....) حتى يغادروا هم عندما يريدون ، ثم تلقيت أوامر تصرح بذلك لكن فقط عند الضرورة ، كان الأمر نفسه مع كل شيء آخر .

لم أستطع النوم لا بالليل ولا النهار ، ولم أكن قادراً على المغادرة حتى بعد عشرين يوماً من علمنا أنهم في المضيق ، وصلت إلى مسقط بعد ثمانية وعشرين يوماً من مغادرتهم ، وكان المسلمون فرحين بوصولي ، كان الأتراك يبحرون في خمس سفن حسب الأخبار التي تلقيتها ، ويقولون إن إحداها عانت من تسرب في ظفار ووصلت الأربعة الأخرى إلى هنا ، أكبرهم كانت "غاليوت" سفينة شراعية كانت قد تأخرت بسبب "المونسون" واثنتين صغيرتين وزورقاً .

لقد منَّ الله علينا بفضله عندما جاءت بالحالة التي هي عليها ، هذا جعلنا ندرك أنهم كانوا سوف يأتون في وقت غير ذلك ، ونتيجة لذلك تسببوا في ضرر أقل وأخذوا فقط سفينتين تجاريتين لاثنين من المسلمين بدون وجود أي قوات .

أيضاً القليل من المنتوجات المحلية قليلة القيمة مثل البلح ،وكان هذا بسبب خطأ النواخذة وأصحاب السفن الذين لم يكونوا من مواطني مسقط ، وفضلوا أن يعتمدوا على صداقتهم مع الأتراك ويقوموا بما يشير عليهم به البرتغاليون والسكان المحليون ، وهو أن عليهم وضع السفن حيث ترسو الأخرى والتي قمنا بإنقاذها .

الشيخ ربيع ، كبير وزراء مسقط وشقيق المدعو الشيخ علي تركا انطباعاً

جيداً كأفراد وذلك لشجاعتهما وإخلاصهما في الدفاع عن هذا المكان وإخبار "البرتغاليين" المقيمين هنا بأن عليهم الاطمئنان ، ولن يقتل منهم أحد قبل أن يقوم الأتراك بقتلهما هما أولاً وكل قبيلتهما ، بعثوا برسالة للأتراك أفادوهم فيما بأنهم أتباع لملك "البرتغال" ولسيادتك ، وأنهم لا يعتبروا أن هذا المكان يخص المسلمين لأنهم هم وجميع السكان المحليين من برتغاليين في خدمة الملك .

قرر الأتراك عندها النزول إلى الشاطئ لكن (الشيوخ) لم يسمحوا لهم بأن يضعوا أقدامهم على الشاطئ وقتلوا ستة منهم وأصابوا خمسة عشر منهم بجروح بليغة ، كان من بينهم قائدهم وضابط آخر .

على سيادتك إن كنت ترى صحة هذا الأمر أن تمنح أولئك الرجال التكريم والمنح السخية وتزويدهم برسائل توصية واستحقاق ؛ لأنني يجب أن أقول لك بصدق بأنني لا أرى أي قوم هنا هم حقاً أمناء وصادقون على صداقتنا ، وأكثر من ذلك (.....) وخلافاً لوالده ، ليس لنا هنا أي شخص آخر كان صديقاً لنا أثناء التمرد الذي حدث في هرمز .

لهذا السبب فقد عوملوا بطريقة سيئة من قبل المسلمين في هرمز الذين يحكمون البلاد ، خاصة رئيس الوزراء الحالي ، لأن الشيخ راشد وهو أحد أقربائه المحترمين كان قد قتل في مسقط عندما نشب ذلك التمرد الذي ذكرته بأعلاه ، معي الكثير لأطلعك عليه عن أولئك الرجال وخدماتهم التي أدوها وعطفهم ، لكن هناك أيضاً العديد من الناس الذين يمكنهم إطلاعك أيضاً ، وعلى سيادتك أن يتذكرهم كمثال لآخرين .

كتبت في السنة الماضية لسيادتك عن الحاجة للسفن هناك ، وها أنا مرة أخرى أذكرك وأقترح بوجود على الأقل اثنتي عشرة إلى خمس عشرة سفينة يتحتم وجودها ، وأن يتواجد ليس أكثر من ثلاثة أو أربعة زوارق من بينها مع تلك التي لا زالت في الخدمة ، الأخرى يجب أن تكون قواربَ كبيرة قادرة على حمل ثلاثين رجلاً يستطيعون إطلاق البنادق والمدافع .

إن قمت سيادتك بإرسالها إلى هنا فعليك إصدار الأوامر بأن يعاملوا بأفضل مما كان في السابق ، ويظلوا تحت الحماية (.....) لأنه بخلاف ذلك فسيصبح من الضروري إرسال البعض منها كل سنة .

لا يوجد العدد الكافي منها وتلك الموجودة تستخدم عند الضرورة القصوى ، يبدو لي أن الأتراك لو علموا بوجود سفننا هنا فإنهم لن يعودوا ، وإن كانوا قد فعلوا ذلك الآن فلأنهم أُفيدوا بعدم وجودها ، ولذلك عندما يشاهدون عشر سفن فسيظنون أن هناك أربعين .

للأتراك قلعة شيدت بالقرب من البصرة ، إذا تقرر الاستيلاء عليها فلن تكون هناك أي مشكلة ، وسيطلب من بعض السفن البقاء هنا حتى تساهم في المقاومة ، ومن الضروري أيضاً تواجد سفن هنا من أجل السكان المحليين لأنهم يفقدون الثقة في قوتنا ومقدرتنا ، وقد اعتبروا أن قدوم تلك السفن إلى هنا سيكون عملاً عظيم الفائدة .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى الحاكم "جواو دي كاسترو" "Joao de Castro" ، هرمز في الثالث عشر من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر فيها أن الأتراك يهاجمون البصرة : (٧٨)

سيدي ..

لقد كتبت لسيادتك عبر وسيلتين عن وصول الأتراك إلى هذا المضيق .

في الخامس من هذا الشهر وصلتني رسالة عن طريق زورق كنت قد بعثت به للبحث عنهم عندما كانوا قد غادروا المضيق ، "بالتازار دو برادو" جندي عسكري ممتاز ورجل شجاع أبحر على متنه ، وتلقى خمسة أو ستة جروح عندما اشتبك في قتال مع خمسة أو ستة من

(٧٨) رقم الوثيقة والهامش.

قوارب الـ Nautaque الذين قتلوا اثنين من رجاله وجرحوا جميع من كان في الزورق .

المضيق مليء بهؤلاء الـ Nautaque لأنهم ومنذ فصل "المونسون" الأخير حصلوا على العديد من السفن بالاستيلاء عليها ، وقد كانت هناك فقط حوالي عشرين أو ثلاثين من المراكب السريعة العام الماضي إنما الآن فهناك خمسون أو ستون منها .

ليست معي سفن حتى أقوم بإرسالها في أثرهم ولا العدد الكافي من الرجال لأضعهم على ظهر تلك السفن ، وفي القائمة التي أبعث بها لسيادتك ستجد أسماء الرجال الباقين في القلعة ، ومنهم يمكن لسيادتك طرح الرجال الذين يُبحرون على ظهر المركب .

من الضروري إرسال "رافاييل لوبو" مرة أخرى ومعه خمس أو ست سفن شراعية ضخمة محمّلة بالخيول الجاهزة للانطلاق ، ومن الضروريّ إرسال خمسة أو ستة رجال في كل منها لضمان سلامتها من القراصنة Noutaques .

مع مثل هذا النقص في السفن والرجال والمال لا يمكن خدمة سموه ، ولن أتمكن من أداء واجبي الذي يتحتم عليَّ الالتزام به ، إن لم أحصل على أموال من ملك "لارك"[أ] كما فعلت وبعض المال من مستحقات الخيول تسلمتها من الوكيل التجاري هنا ما كنت لأجد السبيل أو الوسيلة لإعداد تلك السفن ولا حتى أداء مستحقات الرجال العاملين عليها .

(أ) جزيرة في الخليج الفارسي على بعد فرسخ من هرمز .

مراقب الخزينة[أ] الذي كان هنا أخذ كل الأموال التي معي ، وعندما ذهب تركني مديوناً لملك "لارك" ... ، ومع الأخبار التي تفيد بأن الأتراك يهاجمون البصرة ، أكتب لسيادتك بهذا حتى تكون على علم ، وتصدق بأن ذلك لن يساهم في خدمة سموّه إذا كان مراقب الخزينة سيأتي إلى هذه البلاد .

أولئك الناس لن يجعلوا من مكتب الجمارك مصدراً ربحياً هنا لكن سيقللون من عائداته حيث يتفق هو وأقربائه وخدمه وسبعة أو ثمانية آلاف "باردواس" .

"سيماو بوتيلهو" الذي أقلهم جميعاً أنفق ما يقارب الأربعة أو الخمسة آلاف"باردواس" ، وأنا أعتبر أن أكبر خسارة هي المعلومات التي يمكن أن يقدموها لسيادتك عن هذه البلاد ، لأنهم لن يتمكنوا من إطلاع أنفسهم عما هو المهم في خدمة سموّه سوى من الناس الموجودين هنا ، وسيقدّمون لكل شخص سماً زعافاً يقتل أسرع من سم ثعابين ليبيا (Libya) .

يجب على سيادتك أن تؤمن بذلك ، وإذا كانت هذه البلاد في حالة سقوط فلأن سيادتك يحكم هنا عبر معلومات مزيفة وتلميحات الاحترام والمصالح .

من أعظم الخدمات التي يمكن لسيادتك تقديمها للملك هي حضورك إلى هذه البلاد إذا سمح وقتك بذلك ، وعندها ستُلمّ بأسرار

(أ) "سيماو بوتيلهو" ، مراقب الخزينة المسؤول عن التدقيق في القلعة .

هذه البلاد ... ، وحتى تتعرف عليها لن تتم خدمة سموّه بطريقة جيدة ، ولا يمكن إصدار حكم صحيح على القائد المسؤول .

التمس ملك هرمز الإذن مني لإرسال خمسة أو ستة خيول إلى أحد السادة في "كامباي" كرد على بعض الهدايا والمنح التي بعث بها إليه ، وقد منحته ذلك لأنه بدا لي أمراً طيباً ومناسباً وذا فائدة ومكسباً أن تقدم أربعة أو خمسة خيول لأولئك المسلمين وللآخرين ، وقد حصلت على أربعمائة أو خمسمائة "كروزادواس" .

سأقبّل يديك إذا وافقت على ذلك واضعاً في الاعتبار منصرفاتي والمصاعب ، وحقيقة إنني لا أستفيد من هرمز الكثير من الفوائد والنعم التي يتمتع بها قادة آخرون في الماضي ، أيضاً النقص الحاد في الأموال الذي نعاني منه حتى نقوم بأداء مستحقات أولئك الرجال وإعداد السفن التي تم بناؤها .

أنا أدرك تماماً أن أسباباً أقل مما ذكرت كافية لتجعل سيادتك راضياً عن منحي تلك الأفضال ، وتضع في اعتبارك إعطائي الإذن لتلك الخيول دون الحصول عليه من سيادتك .

تلقيت اليوم أخباراً بأن قافلة من أربعمائة جمل قد وصلت من "Tezer"[أ] حاملة كمية كبيرة من الحرير والقماش المطرز والسجاد والكثير من الفاكهة ، إذا وصلت مثل هذه الأشياء وتمكنت من إرسالها لسيادتك سأحرص على ذلك .

(أ) Tezer تقع على الساحل الشمالي من مضيق هرمز .

لا يبدو تواجد أي خيول خلال فصل "المونسون" هذا ، لأن القليل منها التي قلت سيادتك إنها في طريقها من قبل شهرين أو ثلاثة لم تصل حتى الآن ، ولا توجد حتى أخبار جديدة حالياً بأن هناك أخرى ستأتي .

لعل الله ينعم على سيدنا الملك باستعادة الملك باستعادة الخسارة التي تكبدها بالكثير من القوافل التي تأتي محملة بكميات كبيرة من الحرير والبضائع الأخرى ذات القيمة العالية .

لينعم عليك الرّبّ بالرخاء ويطيل عمر سيادتك ومقامك

هرمز في الثالث عشر من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م

"لويس فالكاو"

معنون للسيد الحاكم سيدي ومولاي

(الختم بالشمع الأحمر)

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث الريس شرف رسالة إلـى سعادة الحاكم ، "غوا" "Goa" في التاسع والعشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م ، يمدحه لانتصاره على ملك "كامباي" للتقرب إليه : (٧٩)

سيدي ..

كان الشعور بالفرح والسعادة وسط سكان هذه المدينة أمراً مشهوداً ، وقد غمر السرور نفوس كل المقيمين في ظل النصر العظيم الذي حققه سموّكم ضد ملك "كامباي" وقادته ، وأوكد لحضرتكم أنه ما من أحد من خدمكم قد سُعد بهذا الخبر كما سُعدت به ، إذ كانت فرحتي وفرحة ابني غامرة لدرجة أعجز عن وصفها ، وأتوجه للرّبّ بالدعاء أن يظل النصر حليفاً لك على الدوام ، ويرد عنك كيد أعدائك ؛ لأن من بيده النصر ، وحباك به ، قادر على أن يهبك نصراً آخر أعظم من هذا .

---

(٧٩) رقم الوثيقة والهامش.

سيدي .. إن النصر الذي حققته على أعدائك ملوك "كامباي" ومملكتهم بكاملها ستظل ذاكراه باقية في أذهانهم على مر السنين ، وحقيقة لقد ذاقوا على يديك الهزيمة المرة والخسائر الفادحة في الأرواح والعتاد في زمن وجيز ، ولا شك إنهم رأوا في هذه المعركة ما يمكن أن يروه مجدداً إذا لم تأخذك بهم شفقة .

حقيقة لم تقتصر خسائرهم على فقدانهم أبرز محاربيهم في المملكة ، وإنما فقدوا أيضاً قادة لهم شأن كبير في جيوشهم ، وفوق هذا وذاك كله سوف يفقدون واحدة من أروع وأحب مدنهم المعروفة لدى العالم بأكمله ، لقد تمكنوا من بناء العديد من مختلف أنواع القلاع ، وقاموا بتحصينها ، وبذلوا جهوداً كبيرة في تزويدها بكميات وفيرة من أسلحة المدفعية وغيرها من البنادق والذخائر الحربية .

قد شاءت إرادة الرّبّ أن تكون من نصيب سموّكم والحصول عليها بقوة السلاح ، وللبرتغاليين الذين يحبهم أكثر عن بقية شعوب العالم بأسره .

هناك أعداد ضخمة من الشعوب والأمم لكنه جل وعلا أرادها لك .

سيدي ، إن الرّبّ لم يشأ كل هذا إلا لأنه يعلم ما في نفسك من جميل الصفات وجميل الأعمال ، فهنيئاً لك بما خصك الله به من عطف ورحمة ، وآمل أن تتواصل جهودك لتنال المزيد من الفضل .

على كل ، تمت مناقشة كل هذه الأمور ، وانتشر خبرها خارج البلاد بواسطة المسيحيين والمسلمين والهندوس في هذه المدينة ، وأيضاً في ديكان والمناطق الأخرى .

كذلك ذاعت أخبار كرمك ونبلك فيما يتعلق بالمعاملة الطيبة لجميع خصومك ، وعموماً سوف يعلم الجميع كم أنت شديدٌ وقاسٍ مع أعدائك ، وكم أنت شفوقٌ عطوف بأتباعك ، وبالمثل كم أنت رحيم وكريم مع أصدقائك .

إن هذا النصر العظيم الذي حققته لم يسبق أن حققه أي حاكم تم إرساله بواسطة مولانا جلالة الملك إلى تلك المناطق ؛ إذ إنك لم تتهيب قوة مدفعيتهم أو قوة بأسهم قط ، وبما أن أمراً كهذا يجب أن يتناوله الكتاب العظام بالكتابة الجادة لأجل توثيقه للأجيال القادمة ، وإظهار عظمته التي يستحقها .

أدعو الرّبّ جل وعلا أن يحفظ شخص سموّكم ، ويحميكم من شرور أعدائكم ، ويطيل في عمر سموّكم وينصركم على أعدائكم .

لقد تلقيت رسالة من سموّكم ، ولقد أجبت على الموضوع الذي كتبت لي بشأنه بواسطة "كاسيمو" Cacemo أرسلته إلى هناك ... ، وبالتالي لم أشأ أن أذكره في هذا الخطاب .

اللورد "د . ألفارو" يتمتع بصحة جيدة ، ولقد ذهبت إليه للتأكد من صحته ، وأتمنى له ولي دوام الصحة ... ، وإنني أرسل إليه هذه الأخبار .

أقبّل أيدي سموّكم

"غوا" ، التاسع والعشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م

تقبل تحيات من يقبّل أيدي سموّكم .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

صدرت تعليمات من نائب الملك "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، للريس نور الدين كبير وزراء هرمز ، "ديو" في الثلاثين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م ، تتعلق بمنحه منصب كبير الوزراء لمدينة ومملكة هرمز ، أكدها سموه لريس نور الدين : [٨٠]

أنا الملك ، ليعلم جميع من يطّلع على تصريحي هذا ، أنه نيابة عن ريس نور الدين كبير وزراء مدينة ومملكة هرمز فقد عرض على قانون كان قد نقله له "دوم جواو دي كاسترو" الذي كان نائباً للملك في الهند ، وعندما بدأ ممارسة ذلك المنصب ، موقعة من قبل "دوم جواو دي كاسترو" وتتعلق بمسائل تخص خدمتي ومصالح البلاد والتي أدناه نسخة منها :

---

(٨٠) رقم الوثيقة والهامش.

أنا ، "دوم جواو دي كاسترو" ، عضو مجلس سيدنا الملك وقائده العام وحاكم الهند ... الخ

ليكن معلوماً لكل من يطلع على هذا أن ريس شرف كبير وزراء هذه المدينة ومملكة هرمز يعمل الآن في منصب كبير الوزراء ، ولمصلحة هذا المنصب ومصلحة التجار الذين يأتون إلى تلك المدينة ، وأيضاً لمصلحة سموه وفائدة البلاد ، قررت أن أضع شروطاً وأحكاماً لبعض الأشياء الضرورية لتحسين خدمته وعمله وحسن معاملة التجار هناك ، وإنني أصدر هذا المرسوم بأن ريس شرف ولفائدة منصبه يجب أن يستفيد من هذه الوثيقة ، وأن يلتزم بتلك الأشياء طبقاً لها بالطريقة المبينة أدناه :

١- اطلعت بأن العديد من "البرتغاليين" يذهبون إلى "موغستان" لإحضار اللحوم ، الفاكهة والبندق والأخشاب وأشياء أخرى يؤتى بها لتباع في مدينة هرمز ، وتلك الأشياء التي يذهبون إلى هناك لشرائها يأتون مرة أخرى لبيعها في المدينة ، وعليه فإن الأشياء تصبح أكثر غلاءً عما يجب أن تكون عليه ، إذا كان قد جيء بها إلى هنا لتباع من قبل مالكيها .

لذلك فإنني آمر من الآن فصاعداً بمنع أي شخص مهما كانت رتبته ومكانته ، مسلماً كان أم برتغالياً ، أن يستورد تلك الأشياء ، وإنه على أصحابها الذين يأتون بها أن يبيعوها في السوق المفتوح علناً حتى يتمكن كل من يريد شراءها .

عقوبة كل من يخالف ذلك هو السجن وغرامة مالية قدرها عشرون "باردواساً" . يذهب نصفها لأعمال المستشفى بالمدينة ، والنصف

الآخر لأي شخص يبلغ عنها ، ويستثنى أولئك الذين لهم ترخيص من ملك هرمز أو من قائد القلعة .

يتم الإعلان عن هذا المرسوم وينشر في المدينة المذكورة .

٢- كما وصل إلى علمي أيضاً أن في هذه المدينة منازل يباشر فيها لعب الميسر والقمار ؛ حيث يذهب عبيد "البرتغاليين" والمسلمين والسكان المحليين لممارسة ذلك ، وبعملهم هذا فإنهم يسرقون من أسيادهم ، وهو أمر ضار بالناس ، وعليه فإنني أمنع بقاء هذه المنازل واستمرارها ، وألا يسمح لمثل هؤلاء العبيد بالتواجد في منازلهم ، وعقوبة أي شخص يخالف ذلك هو السجن وغرامة قدرها عشرون "باردواساً" يذهب نصفها إلى أعمال المستشفى بالمدينة ، والنصف الآخر لكل من يبلغ عنهم .

ينشر ويعلن عن هذا المرسوم في المدينة المذكورة حتى يعلم به الجميع .

٣- وصل إلى علمي أيضاً أن بعض التجار الأجانب وآخرين من الذين يذهبون إلى تلك المدينة مع بضائعهم ووجدوا مساكن لهم يتم طردهم وإخراجهم منها ليفسحوا مكاناً لأشخاص آخرين طالما أنهم يأتون إلى هذه البلاد لتحسين وضعها وفائدتها ، ولجني الأرباح التي يتلقاها سيدنا الملك منهم في مكتب الجمارك .

من الآن فصاعداً يجب عدم إخراج وطرد أولئك التجار من المنازل التي يقيمون فيها لإحلال أي شخص في مكانهم لأي سبب كان ، وألا يرتكب أي شخص سوءاً أو ضرراً تجاههم .

إنني أطلب من قائد المدينة متابعة تنفيذ ذلك .

٤- التجار القادمون من هرمز مع تلك الخيول وبضائع أخرى يشكون من أن مبلغ اثنين "تانجا" tangas تؤخذ من كل شخص منهم بالإضافة للرسوم التي يقومون بسدادها تحققت من هذا الأمر ، ووجدت أن ملك هرمز الراحل قد منح هذه العلاوة للعمدة ، وأنه كان يطالب بها ويأخذها ، بما أن التجار غير راضين عن هذا فإن على ملك هرمز النظر فيها بما يراه صائباً :

إذا رأى أن هذا الامتياز يجب أن يبطل فإنني آمر بعدم التعامل بها بعد الآن ، وألا يتحصل العمدة على هذا المبلغ ما لم يوافق عليه الملك ، وإنني أطلب من العمدة الانصياع والطاعة .

يمكن لكبير الوزراء طلب العدل والإنصاف من الملك نيابة عن هؤلاء التجار .

٥- بعث لي ملك هرمز بشكوى أن بعض الناس يدينون له بمستحقات ، ولم يؤدوها له .

عليه أقضي وآمر القائد وقاضي التاج بالمدينة أن أولئك الأشخاص الذين عليهم مستحقات للملك إذا كانوا من "البرتغاليين" فعليهم أداء ما عليهم في الحال .

الأشخاص الذين لهم مسائل تستوجب تسويتها وتتعلق بالممتلكات والمستحقات للملك المذكور ؛ عليهم تقديم بيانات عنها لكبير الوزراء لتأكيد ذلك ، بعد الاستماع لهم ومعرفة حقوقهم يتم سداد كل مستحقاتها بعد النظر في كل الاعتبارات وما تم اتخاذه .

٦- علمت أن الموظفين "البرتغاليين" في مدينة هرمز يتدخلون في التعيين لمنصب كبير الوزراء الذي يقوم به ملك هرمز ، والإيجارات التي تأمر بدفعها ، وهم يأخذون من كبار الوزراء أولئك ومن المستأجرين رشاوي وهدايا أخرى يطلبونها ، وهذا أمر ضار لمصالح سيدنا الملك ولمصالح ملك وسكان هرمز .

يقوم كبار الوزراء باستغلال البلاد واضطهاد الناس على حساب الرشاوي والهدايا التي يقدمها الناس لهم .

أصدر سيدنا الملك أوامره في هذا الخصوص إلا أنهم لم يتقيدوا بها .

عليه فإنني أقضي بمنع أي موظف ، برتغالياً كان أم مسلماً ، في التدخل بهذه الطريقة أو أن يتلقى أي رشوة وهدية تقدم له ، وستكون عقوبة ذلك فقدان الوظيفة ، وسأحدد الغرامة القصوى التي أراها مناسبة .

ينشر هذا المرسوم ويعلن في المدينة المذكورة .

وآمر قائد المدينة وقاضي التاج والموظفين ذوي العلاقة أن يتأكدوا من تنفيذ هذا المرسوم حرفياً .

٧- كما أقضي من أجل مصلحة وتقدم البلاد أن يقوم كل التجار الذين يرغبون في القدوم إلى هرمز والعيش فيها بشراء المنازل في تلك المدينة وأن منازلهم تبقى بحوزتهم ولن يأخذها منهم أي أحد ويمكنهم العيش فيها بحرية .

٨- علمت أنه حالما تصل المراكب الشّراعيّة التي تزرع البحر جيئة وذهاباً بين هرمز و"موغستان" إلى هرمز محملة بالفواكه والدجاج وطيور

الحجل وأطعمة أخرى وخضروات قادمة من جزيرة "قشن" يقوم عبيد "Al calde de mor" بالصعود عليها ، ويستولون على البضائع التي عليها ، ويقتسمونها فيما بينهم ، إضافة لذلك فإن البضائع التي تأتي إلى المدينة البعض يتسلمها جميعها ، والبعض لا يجد منها شيئاً ، وهو أمر في غاية السوء .

بناء عليه ؛ فإنني أقضي بأن أي شخص مهما كان مقامه ورتبته ولا يحق له ولا لعبيده الصعود على ظهر تلك المراكب أو أخذ أي شي منها ، وأن يسمح لأصحابها بالرسوّ والنزول للبر وأخذ تلك البضائع إلى الساحة العامة لبيعها هناك ، ولن يمارس ضدهم أي عنف أثناء ذهابهم إلى هناك .

العقوبة لأي شخص يخالف ذلك :

إن كان موظفاً فسيفقد وظيفته وسيتم فرض أعلى غرامة مناسبة أرى إنزالها به ، وإن كان عبداً فسيجلد في مكان عام ، وأي شخص آخر سيدفع غرامة قدرها عشرة "كروزادوس" .

سينشر ويعلن هذا المرسوم في المدينة المذكورة

آمر قائد المدينة وقاضي التاج وكبير القضاة بتنفيذ هذا ، والتأكد من تنفيذه والتقيد به حرفياً .

٩- الخنازير التي تتجول في مدينة هرمز تسبب الكثير من الأضرار في الساحات المفتوحة حيث يبيع المسلمون الفاكهة والدقيق وأشياء أخرى ، إما بأكلها أو تلويثها بالقاذورات التي يحملونها دائماً ، وبما أنها

مكروهة عند المسلمين وعدائيةٌ تجاههم وشكوا منها كثيراً ، فإنني أمنع أي شخص مهما كانت رتبته ومكانته بأن يأتي بتلك الخنازير إلى داخل المدينة أو على الشاطئ بالقرب من مكتب الجمارك ، والعقوبة التي ستلحق بأي شخص يخالف ذلك ستكون مصادرة تلك الحيوانات من قبل الحاجب والمفتش المسؤول عن هذا الأمر .

سيتم نشر وإعلان هذا المرسوم في المدينة المذكورة .

١٠- علمت أنه عندما يقوم التجار بتخليص بضاعتهم في مكتب الجمارك بمدينة هرمز يقومون بعمل ترتيبات مع أشخاص آخرين على طريقة بيعها ، ومن ثم يقوم المشتري بأخذها إلى منزله .

تكثر المنازعات دائماً والشجارات بخصوص السداد أو بعض الغش الذي يتم فيها الأمر الذي اعتبره في غاية السوء ، ولتجنب ذلك فإنني آمر عندما يقوم التاجر بتخليص بضاعته من مبنى الجمارك عليه أخذها إلى منزله ، وألا يبيعها في أي مكان آخر ، أما الذين يرغبون في الشراء فعليهم الذهاب إلى منازلهم (التجار) ومع السماسرة للقيام بذلك كما يحدث في مكتب الجمارك .

العقوبة التي تقع على أي شخص يخالف ذلك ويبيع بالطريقة التي كانت في السابق ستكون بمصادرة ممتلكاته التي يذهب نصفها للمستشفى ، والنصف الآخر لأي شخص يبلغ عنه ، يتم إعلان ونشر هذا المرسوم أيضاً .

١١- تناهى إلى علمي أن العمدة يتلقى أموالاً أكثر مما هو مستحق له بناءً على التعليمات ، من المراكب الشّراعيّة التي تأتي بالحطب والأخشاب .

إنني أمنع العمدة المذكور من أخذ أي أموال أكثر مما هو مسموح به في المراسم التي أصدرها ملك هرمز ... ، وسيتعرض لفقدان منصبه إذا خالف ذلك .

وسيتم إخطاره بهذه الفقرة من قبَل كاتب مكتب الجمارك .

١٢- يشكو المسلمون في هرمز من مأمور التنفيذ وعماله وعبيده الذين يرتكبون العديد من الإساءة والعنف ضدهم ، الأغنياء منهم والفقراء ، بالليل والنهار ، ويأخذون أشياء كثيرة منهم ، وبما أنهم يخافون من مأمور التنفيذ فإنهم لا يتجرؤون بالشكوى ضدهم .

أقضي من الآن فصاعداً بألا يكون لمأمور التنفيذ أي تعامل مع أي مسلم أو تاجر من مدينة هرمز هذه ما لم يكن معه أمرٌ خاصٌّ من القائد ، كون أمر معاقبتهم يقع على عاتق آمر المنطقة (catual) وإلا فلا شيء من ذلك .

أطلب من القائد وقاضي التاج التأكد من التقيد بهذا ، كما آمر بعدم دخول أي من عبيد أو عمال مأمور التنفيذ المذكور إلى منزل أي تاجر تحت زعم وذريعة إخباره بأنهم قادمون للبحث عنه في منزله لأن معه بضائع لم يقم بسداد مستحقاتها ، وهم يقومون بذلك حتى يمنحوا شيئاً منا وحتى لا يذهبوا لتلك المنازل ، عندما يتم ذلك سيقوم العمدة أو مأمور التنفيذ التقيد بذلك .

١٣- علمت أن مواطناً "جوجراتياً" "Gujarati" يعمل حالياً كمترجم في مبنى الجمارك ، وأن بعض التجار يقدمون له هدايا فخمة حتى يقوم بإنجاز أعمالهم قبل الآخرين ، وهذا أمر مضرّ بمصالح جلالته ، ولذلك

فإنني أقضي عندما يقوم بما لا يتوجب عليه القيام به في هذا الأمر ، وفي منصبه هذا فإن على كبير الوزراء معاقبته بما يستحق .

١٤- كما تناهى إلى علمي أيضاً بخصوص المراكب الشّراعيّة التي يملكها برتغاليون والتي تغادر لإحضار الحطب والشعير والجبص وأشياء أخرى فإن لها إعفاء من الضرائب وهي فقط للبرتغاليين ؛ فإن المسلمين يقومون بعمل ترتيبات معهم ليستخدموا مراكبهم الخاصة ، والتي يقول البرتغاليون إنها ملكهم ... ، وهذا حتى لا يؤدوا لملك هرمز المرسوم التي يجب أن تسدد له ، وبذلك تضيع عليه تلك المبالغ لأن المسلمين عبر اتفاقهم مع "البرتغاليين" قد تمتعوا بتلك الحصانة من عدم الدفع .

ولمنع ذلك فقد أصدرت مرسوماً يقضي بعدم منح أي إعفاءات من الضرائب وإن على كل شخص سدادها ، من "البرتغاليين" والمسلمين أيضاً .

أطلب من القائد وكبير الوزراء متابعة ذلك وتنفيذه .

١٥- علمت أيضاً أن السفن التجارية البرتغالية "الفاكام" "Al-Fakkam" على جزيرة "لارك" ، وفي أماكن أخرى على ساحل الجزيرة العربية ، ومن ثَم تصل إلى هرمز وهي فارغة الأمر الذي يسبب خسائر فادحة لجلالته ، وعند وصولها إلى هرمز يقومون بإرسال مراكب للمسلمين لإحضار تلك البضائع ويدعون بأنها برتغالية ، رافعين العلم البرتغالي وبذلك يتفادون أداء رسوم جمركية عليها ، لذلك أصدر هذا الموسوم لأجل خدمة جلالته بألا يمتلك أي برتغالي مركباً شراعياً معفياً من الرسوم ، وأي مسلم يرفع ذلك العلم البرتغالي يكون قد زوّر مركبه .

سينشر هذا ويطبع المرسوم في المدينة المذكورة .

١٦- لذلك أقضي بأن يستغل ريس شرف هذه الوثيقة والأشياء المتضمنة فيها ، وأن يولي اهتماماً خاصاً للتقيد بها ، وأن يأمر بتنفيذها فيما يخص أولئك الذين يرتكبون تلك الأخطاء وما سيقع عليهم من جزاءات .

أطلب من القائد وقاضي التاج وكل القضاة والموظفين ذوي العلاقة أن يتقيدوا بها في كل المسائل والتأكد من تنفيذها ، كما أمرت بذلك ، دون تجاهلها أو إعاقتها ، وأن يسجل ذلك في مكتب الجمارك للمدينة المذكورة .

كتبه "أنطونيو غونسالفيس" في "ديو" في الثلاثين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م

بأمر من "أنطونيو كاردوسو"

"دوم جواو دي كاسترو"*

طلب مني ريس نور الدين تأكيد ذلك ، وفيما يخص ما قاله وأن ذلك القانون قد أصبح نافذاً وسارياً منذ ذلك الوقت حتى الآن ،

حتى أترك مسؤولياتي وألزمه بها ؛ فإنني أصدر مرسوماً أؤكد فيه أن القانون المذكور يجب أن ينفذ ويتم تطبيقه من الآن فصاعداً كما كان ذلك حتى الآن .

آمر بأن يتم ذلك بالرغم من أنه لم يمرر عبر قاضي القضاة بغض النظر عن الأمر المحلي الذي يقول بخلاف ذلك .

كتبه "فرانسيسكو دي فارجاس" "Francisco de Vargas" في "لشبونه" في السادس والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٧١م .

يجب أن يظل سارياً ونافذاً وكأنه رسالة كتبتها بيدي ووقعت عليها بختمي . بغض النظر عن الأمر المحلي في الكتاب الثاني (II) العنوان العشرين والذي يقول إن المسائل التي تقتضي أكثر من ستة يجب توصيلها ونقلها عبر الرسائل ، وهي ليست نافذة وسارية إن نقلت عبر أمر كتابي .

أنا "بارثولوميو فرويس" "Bartholomew Fruis" أمرت بكتابة هذا الملك

اعتماد ريس نور الدين للقانون المنسوخ هنا صدر بواسطة "دوم جواو دي كاسترو" عندما كان حاكماً للهند ، وعلى سيادتك الاطلاع عليه .

تم التوقيع على التصريح بواسطة سيدنا الملك حيث رأى أنه مناسب ، وشهد عليه "دوم مارتنهو بيريرا" "D . Martenho Perreira" .

يجب التقيد بهذا القانون الذي أصدره سيدي الملك ، وما يترتب على ما جاء في محتوياته .

"غوا" ، في الثاني والعشرين من شهر يناير ، عام ١٥٧٢م

نائب الملك .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "سيباستياو لوبيز لوباتو" "Sebastiao Lopez Lobato" رسالة إلـى "ألفارو دي كاسترو" "D . Alvaro de Castro" ، هرمز في الثلاثين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م ، يذكر فيها عن وصول الأتراك إلـى مسقط ، وأن الأتراك في حشد عظيم للهجوم على البصرة : (٨١)

سيدي ..

سينعم عليك الرّبّ بكل تأكيد بأن يطيل عمرك ويكرمك بكل ما تشتهي ، وحتى ترى السيد والدك يقضي أيام عمره وشيخوخته في سلام وهدوء ، عندها ستدرك فضيلتك أن كبار السن يجدون في أقل الأعمال مشقة كبيرة بما في ذلك الكتابة .

وعليه ؛ فإنني أرجو فضيلتك أن تضع في الحسبان أنني رجل كبير

(٨١) رقم الوثيقة والهامش.

السن ، وأنني فقط أكتب لك من حين لآخر ، أرجوك أن تستميحني عذراً بسبب الرسائل الكثيرة التي أكتبها لسيادته ، والتي سيجد فيها فضيلتك أموراً تستحق الاهتمام من بين تلك التي نبعث بها إليه .

لم أكتب لفضيلتك عن وصول الأتراك إلى مسقط لأنهم لم يحققوا شيئاً يستحق الذكر بالرغم من مهاجمتهم لنا عدة مرات ، ويبدو أنهم سيكررون ذلك مرة أخرى إذا لم يتم التعامل في الأمر بوسيلة أو بأخرى .

في الأيام القليلة الماضية وصلت أخبار من البصرة بأن حشداً كبيراً من الأتراك قد تجمع في بغداد حتى إن ملك البصرة خاف كثيراً من قدومهم له .

وصلت قبل عدة أيام رسالة أكدت أن الأتراك سحقوا الناس بأمر من عظيم الترك إلى قائد بغداد بعدم القيام بأي شيء من جانبه حتى يتلقى أوامر من عظيم الترك ، وأرسل بعدها بألف وخمسمائة من رجاله للأراضي المجاورة للبصرة لحماية القلعة التي للأتراك هناك ، تيقن ملك البصرة بعد معرفته للرجال الذين أرسلوا إلى هناك وظل الخوف يلازمه رغم ذلك وأخذ من نفسه .

سيدي ، أولئك الرجال ليسوا سوى أشرار ، ويملك العديد منهم خبرة القتال وهم مزودون بكل التجهيزات الكافية والمناسبة ويواصلون التقدم والحضور لمدخل هذا المضيق ... كما أنهم أخضعوا مضيق مكة كما رأى فضيلتكم ، وأنت تعلم أنهم إذا استولوا على البصرة التي يعتبرها المسلمون ملكاً لهم فسيجلبون الكثير من المصاعب إلى هذا

المضيق ، وهذا رأي ووجهة نظر الرجال الذين يلمّون بذلك ، والمنطق يبيّن أنهم إذا شيّدوا قلعة في البصرة فإن السفن التي بحوزتهم في المضيق الآخر ستأتي إلى هذا المضيق ، إن حدث هذا فستترتب عليه خسائر كبيرة وضارة جداً للهند ، وتصعب الأوضاع لدرجة كبيرة .

أطلع فضيلتك على تلك الحقائق حتى يتم التعامل معها والنظر في أمرها ، ويجب علينا أن نرى ما يجب القيام به بخصوصها .

نسأل الله أن ينير عقول أولئك الرجال الذين يقدمون النصيحة والمشورة لوالدك ، سيدنا ، حتى يتم اتخاذ الإجراء الصحيح في هذا الأمر وكل الأمور الأخرى .

سألت العديد من "البرتغاليين" والمسلمين إذا كان هناك من مكان مناسب عند النهر الذي يصب عبر البصرة حيث يمكن بناء قلعة للدفاع عن مصب النهر ؛ وجدت أن آراءهم تختلف عن كل يوم أسأل فيه آخرين حتى إنني لم أتجرأ في اتخاذ قرار في أي شيء .

البعض يقول إن هناك مكاناً يمكن بناء قلعة فيه سيدافع عن وصول وخروج السفن التي لنا ، آخرون يقولون بعدم وجود ذلك المكان ، أعتقد أن هناك رجلاً مسلماً يدعى "نجم الذين" "Nejadim" في هذه المدينة يعرفه "روي غونسالفيس دي كامينها" "Rui Goncalves de Caminha" ، وهو مواطن من البصرة ، يمكن معرفة المزيد من المعلومات منه عن هذا الأمر أكثر من أي شخص آخر مع الاعتبار أن المرء لا يستطيع تصديق أي شيء يقوله المسلمون .

كما علمتُ أيضاً أن هناك جزيرة قليلة السكان على بعد فرسخ

واحد من البصرة تشكل قناتين في النهر ، ويقول الناس إن أعمالاً مفيدة يمكن أن تنفذ على هذه الجزيرة ، لا توجد حجارة هناك لكن يقولون بإمكانية إحضارها من منطقة مجاورة .

أطلع فضيلتك بهذه الأمور كما نقلت لي إلا أنني لا أثق في مصداقيتها ، وذلك للتناقضات التي أجدها فيها ، وتبدو لي على أية حال إن كان ممكناً إيجاد هذا المكان ؛ فإنه بلا شك سيضمن ضمانة وأمناً كبيراً في هذا المضيق حتى وإن احتل الأتراك البصرة فلن تكون هناك حاجة لخشيتهم لأنهم لن يتمكنوا من الإبحار والملاحة في هذا المضيق .

سيدي ، إنني أدين بالكثير للسيد الحاكم بسبب التشريف والأفضال العديدة التي منحها لي ، ولا أستطيع خدمته بما يكفي ولا حتى ابنه ، أقول فقط وأقر بأنني وكل أسرتي تدين بالكثير لعائلتك ، سأكون ممتناً كثيراً له وكذلك أبنائي لأبناء سيادته ، وحتى يحين الوقت فإن أبنائي سيقومون بخدمة أبنائه ، إن كانوا قادرين على الإيفاء والالتزام بهذا الشرف والخدمة فإنهم إذا ما وافتهم المنية ينالون دعواتي وبركاتي لهم لأن هذا أفضل عمل يؤدونه .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "سيباستياو لوبيز لوباتو" "Sebastiao Lopez Lobato" رسالة إلى حاكم الهند ، هرمز في الثلاثين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر فيها مسألة احتلال "لار" لقلعة في أراضي مملكة هرمز ، وتدخل شاه طهماسب في المسألة : [٨٢]

سيدي ...

يبدو أن من سوء حظ سيادتك إن منحتني هذا المنصب بسبب ما يترتب عليه إن كان ذلك لسبب ما أو بدون سبب ، بما أن أياما قليلة انقضت كتبت لسيادتك لأطلعك أن الأتراك قد ذهبوا إلى مسقط وما حدث هناك وعن حضورهم إلى هنا .

يجب عليَّ أن أطلعك أن في المدينة وكيلاً "لشاه طهماسب" وأن المستحقات لم تطلب منه بخصوص البضائع التي أحضرها عندما

(٨٢) رقم الوثيقة والهامش.

جاء إلى هنا كما اطلعت سيادتك في الرسالة التي بعثت بها في فصل "المونسون" الماضي ، وقد فرح كثيراً لتلك المعاملة .

هذه النوعية من الرجال يتسببون في أضرار دائماً للبلاد التي هم فيها ، خاصة من المسلمين الذين يعيشون فقط على السرقة والتنمر على الآخرين ، وقد حاول القيام ببعض الحيل القذرة التي لم ينجح فيها وهم يسببون الأذى للتجار والتجارة المحلية .

أراد حالياً المغادرة ولأن "شاه طهماسب" يدّعي أنه ملك وسيد هذه البلاد ومملكة "لار" ويقول كثير في الرسائل والتعليمات التي يبعث بها ويكتبها ، رأى القائد عدم السماح لهذا الرجل أن يغادر أو يأخذ معه أي بضائع من هذه البلاد حتى تتم تسوية المسائل بين هذه المملكة وملك "لار" والتي تتعلق بقلعة "Lostao" التي استولوا عليها منه قبل أربعة شهور كما أخبرت سيادتك .

لم يتم أي شيء حتى الآن في هذا الخصوص باستثناء أن كبير وزراء هرمز كتب لملك "لار" وقد رد على ذلك ، ويمر الوقت عبر تبادل الرسائل والرد عليها .

بالأمس الموافق الثامن عشر من شهر نوفمبر ؛ سألت "الجوازيل"/ كبير الوزراء عن كيفية موقف الأوضاع بين هذه المملكة ومملكة "لار" ، لأنني أردت الكتابة بذلك لسيادتك ، أخبرني أنه في نفس ذلك اليوم وصل رسول كان قد بعث به ، وفي الرسائل التي كتبت له ألمح له بأن يعطي شيئاً ما ، وأن يبعث برجل كفء إلى هناك ليبرم اتفاقاً معه عن (Lastao) وسلاماً مع مملكته ، وقد أخبرته أنه طالما طلبوا منه

إرسال أحد ما فعليه إرسال شخص ما إلى هناك ليرى ماذا يريد الملك ، وكنت أقول له هذا لأنه قيل في المدينة أن ملك "لار" يجمع في الرجال لمهاجمة "موغستان" وحدود هذه المملكة وأنه اعتقل قافلة ، ولن يجعلها تواصل رحلتها إلى هنا ، وإن حدث هذا فستكون خسارة لهذه المملكة ولعائدات مكتب الجمارك .

أجابني بأن ملك "لار" لم يكن سيبعث برجال ضد تخوم هذه المملكة ، وإنما كان يبعث برسول إلى "لار" في الحال مع رسائل ، وحالما رجع سيبعث بشخص إن كان الأمر ضرورياً .

أكتب لسيادتك بخصوص تلك الأشياء لأنني اعتقد أن الأمور تتقدم بطريقة بطيئة في الوقت الذي يجب أن تتحرك فيه بأسرع ما يمكن ، وأن قراراً يجب أن يتخذ فيها .

هذه المملكة ليست في حالة تستطيع معها مقاومة أي شخص يقوم بمهاجمتها ، وذلك لفقرها وضعفها وعدم حيلتها ، ولن تكون لنا أي فائدة لها خارج هذه الجزيرة .

ما أكتبه لسيادتك هو ما أعلمه وأتفهمه وإن كان في عمل ذلك (....) فعلى سيادتك أن يغفر لي طالما أنك سمحت لي أن أكتب لك ما أعرفه وأفهمه في هذا الأمر .

تم الحجز على وكيل الشاه وعلى بضائعه كما أطلعت سيادتك ، لأن ذلك بدا لمصلحة وسلامة أراضيه ، ويصب في مصلحة سيدنا الملك بأن يبقى هنا حتى تتم تسوية المسائل بين هذه المملكة و"لار" ، وهو يقول إن "لار" وهذه المملكة تخصان "شاه طهماسب" ، وإن من الصحيح

أن أراضي السيد الواحد يجب أن يكون بينها سلام وليس أن تنهب وتسرق إحداها الأخرى ، أو أن تحتل كل منهما قلاع الأخرى ، وهو يكتب الآن لملك "لار" عن كل هذا معبراً عن دهشته بأنه قام باحتلال قلعة في هذه المملكة دون أمر أو إذن من الشاه .

هذا هو ما عليه الأوضاع في الوقت الحالي .

نسأل الله أن تعود الأمور إلى نهاية طيبة لأننا في هذه البلاد نحتاج إلى السلام أكثر مما نحتاج للحرب ، ويجب أن تجري الأمور في هذا الصدد بقدر الإمكان ، وإذا لم يكن هناك شيء آخر يمكن للقيام به فإنه يجب علينا أن نتوجه بالاعتماد على الله والدعاء حتى يتحول كل شيء كما نرغب له .

بالأمس الموافق عشرين من هذا الشهر وصل مركب شراعي من البصرة محملاً بخيول ، وجاء بأخبار تقول بأن ملك البصرة ما زال خائفاً بأن يقوم أتراك بغداد بمهاجمته ، ولكن الآن فارقه ذلك الخوف وأصبح أكثر هدوءاً لأنه علم أن عظيم الترك كتب ليطلب من قائد بغداد عدم القيام بأي عمل من تلقاء نفسه دون أن يتلقى أمراً منه ، وعند سماعه لهذا قام بغض وتوزيع العديد من الجنود وبعث بألف وخمسمائة تركي إلى الزكية (zaquia) .

أكتب لأبلغ سيادتك هذه الأخبار لأهميتها وما تستحقه لأن المرء لا يمكن له أن يتعرف من المسلمين بأكثر مما يقولون ، وهو عادة ما يكون غير حقيقي وكاذباً في مضمونه .

لم تصل حتى الآن أي خيول من فارس ، ليس بسبب الخلافات

التي بين هذه المملكة ومملكة لار ، أنه قيل سابقاً بأنها لن تأتي إلى هناك كما أخبرت سيادتك بذلك ، لكن المسلمين يؤكدون أنها ستأتي .

في الخامس عشر من هذا الشهر دخلت قافلة إلى هذه المدينة حاملة مائة وستين fardos من الحرير من قياسات الكبيرة ومتوسطة الحجم والصغيرة وبضائع أخرى ، وقد وصلت في وقت مناسب ؛ لأنني أؤكد لسيادتك أنه بأموال من ملك "لار" بعثت "رافاييل لوبو" ومعه سفن لحراسة هذا الساحل ، كما أنفقت مبالغ أخرى كانت ضرورية إذا كان الأتراك سيأتون إلى مسقط ، لم تكن مبالغ بسيطة مما أدخلني في طائلة الدين .

أتمنى أن تأتي العديد من القوافل هذه السنة حتى أتمكن من تخليص ذلك الدين ، إن لم يحدث هذا سيزودني سيادتك عن هذا بعطفك ورقتك .

"بالتازار رودريجز" "Balthasar Roderigues" التابع لسيادتك يريد أن يأتي مع "سيماو بوتيلهو" ، لكنني أعتقد أن عليه البقاء ليعمل في المناصب التي منحتها له سيادتك ، لقد وجد نفسه في وضع معهم مما جعله يغادرهم ، وسيذهب لخدمة سيادتك لأنه يعتقد أن تلك فكرة جيدة وان خدمة سيادتك والبقاء تحت ظلك هي مكسب كبير وأكثر أمناً من الكوارث والمصائب التي قد تصيبه إن ابتعد عن محيط سيادتك .

بعثت عبر "سيباستياو ألفاريز" "Sebastiao Alvarez" شقيق رئيس العدل العام مائة (....) في شكل بضائع من القطن إلى البصرة حتى تحصل على القوارب التي كنت تريدها سيادتك من هناك ، لم يجدها في النهاية ترك أحد الرجال مع ما معه من أموال وبضائع هناك .

إنني أتوقع الحصول عليها في أي يوم الآن ، يمكن لسيادتك التعرف منه عن الكمية الهائلة من الفلفل التي كانت في البصرة هذه السنة وعن الكثير من البضائع الأخرى التي تأتي إلى هناك من ساحل الهند دون أن تمر على مكتب الجمارك هذا ، هناك بضائع أخرى تغادر البصرة بنفس الطريقة التي لا تمر فيها من هناك . هناك دائماً وسائل وطرق بحيث لا يتم تفريغها .

عندما أعلم بالمزيد عن هذا فسأكتب بالتأكيد لسيادتك .

سيدي ، تعوز هذه القلعة المؤن والمنازل وأكثر ما يعيش فيها هي الحيوانات ، وينتظر الرجال المنازل التي تحتاج للكثير من الصيانة والإصلاحات والتي لا يمكن أن تتم دون وجود ألواح من الخشب لأعمال الهياكل والتي تكاد تكون معدومة ، والموجود منها معظمه محطم وهش .

لإصلاح تلك المنازل بطريقة سليمة ولتشييد مبان تدوم طويلاً وتتحمل المدافع التي توضع على قمتها فاعتقد أن ألواحاً من الخشب طويلة جداً وسميكة هي ما تحتاج إليه ، يمكن لسيادتك أن تعرف من "سيماو بوتيلهو" كيف من المهم أن يتم هذا العمل ، وأؤكد لك أهمية هذا الأمر من أجل الجنود الذين سيعيشون في هذه القلعة في المستقبل ، ولصعق الأتراك الذين نسأل الله أن يحمي سيادتك منهم وأن يضعهم تحت أقدامك .

سيدي .. بدأت بالكتابة لك اليوم الثلاثين من شهر نوفمبر في الساعة الثانية عشرة لأن "باستياو ألفاريز" يستعد للمغادرة في أي يوم الآن .

وصل ...... الآن من البصرة ويوجد منها خمسمائة وتسعة عشر ، لقد اشتراها وسيحضرها معه ، وإن لم يكن سيادتك راضياً بها فليس أمامي خيار سوى إعطائه ثمنها لألا أحد يستخدمها هنا في هذه البلاد ، لقد كان مسؤولاً عن المباحثات وعن الاستيلاء عليها ، وأعتقد أنه إذا وجد بعضها جيداً لأجلك فعليه الاحتفاظ بها لخدمة سيادتك ، بلغت تكلفتها مائة "باردواساً" أي كل .... يكلف tanga واحد ، وهي ليست غالية ولأنها هنا تكلف أكثر من ذلك .

أبعث لسيادتك صندوقاً من فواكه طازجة على مركب "أنطونيو ميندیز" ، نصفها من التفاح والنصف الآخر من كمّثرى طيبة جداً ، وأخشى ألا تصلك بحالة جيدة لأنها من أنواع الفاكهة التي لا تدوم طويلاً ، وكمية الكمثرى قليلة لعدم وجودها بكثرة هذه الأيام ، لكن هو حسن النية في إرضائك .

نسأل الله أن يعينك ويرتب كل أمورك يديم عليك الرخاء .

أُقبّل يدي سيادتك

"بالتازار رودريجز" يحمل معه قليلاً من اللّفت ، ودستة من طيور الحجل إن استطاعت النجاة من هياج البحر .

هرمز في الثلاثين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م

سيدي ، لقد قمت بختم هذه الرسالة ثم أعدت فتحها لكتابة ما يلي :

اطلعت من قبل القائد أن كبير الوزراء قد أخبره أن وكيل "شاه طهماسب" معه أحد عشر fardos من الحرير في مبنى الجمارك ، وقال

إنها تخص الشاه ، وطلب أن تسلم له دون أن يؤدي رسومها ، وقد أخبرني بذلك حتى أعطيه رأياً في الأمر ، وقد أجبته أنني اعتقد أن من الأفضل منح إعفاءات في مكتب الجمارك التابع لسيدنا الملك ، لأننا لو في كل مرة تصل فيها قافلة بطلب وكيل الشاه عشرة أو اثني عشر fardos من الحرير دون سداد ؛ فإن خمس عائدات مكتب الجمارك ستضيع بهذه الطريقة .

من الممكن والمقبول أن بعضاً من رسوم عن بضائع جاء بها عندما أتى إلى هنا واثني عشر fardos عندما كان كبير موظفي الخزينة هنا ، الآن هو يطلب الإعفاء عن أحد عشر ، وغداً سيطلب الإعفاء عن خمسة عشر ، وسيزداد ذلك في كل مرة .

ولتجنب هذا الامتياز الذي يطلبه هذا الرجل من مكتب الجمارك رأيت من الضروري أن يؤدي الرسوم ، ولأسباب عرضها القائد رأى أن علينا تسليمه الـ fardos إلا أننا رفضنا ذلك ، الـ fardos موجودة الآن في مبنى الجمارك ، ولن تسلم حتى يقرر سيادتك ما هو الأفضل للقيام به .

"باستياو لوبيز لوباتو"

لأعظم (.....) السيد "دوم جواو دي كاسترو" ، حاكم أقاليم الهند عن سيدنا الملك ... إلخ سيدي ومولاي .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث الشيخ يحيى ملك البصرة ، للبرتغاليين يذكرهم بوصول الأتراك قريباً من البصرة ، البصرة في شهر ديسمبر عام ١٥٤٦م : [٨٣]

الأتراك الآن قريبون مني ، وقد بعثوا لي برسالة في السابع من هذا الشهر ليقولوا إنهم أعداء للفرنجة ... ، وبما أن البصرة تقع على طريق عبورهم فإنهم يحتاجون لبناء قلعة في البصرة لحمايتهم .

إنني على يقين بأنهم يستخدمون هذه الذريعة لكسب مَوْطن قدم لكن نواياهم أنهم وحالما يقومون بذلك فسيأخذون كل شيء لأنفسهم ولن يتوقفوا ، يريدون بناء قلعة في القرنة (Corna) لمنع ملك "الجزائر" (Gizara) من اعتراض طريقهم أسفل النهر ، لي جواسيسي وأصدقائي هناك الذين يطلعونني بكل شيء ، ويقولون إن الجنود القادمين قليلون .. ، وهم يكتبون لي بطريقة ودية حتى أقوم ببناء القلعة كما يرغبون .

لذلك لي الآن أعداء على بعد مسيرة ثلاثة أو أربعة أيام ، وعلينا

(٨٣) رقم الوثيقة والهامش.

أنا وأنت عدم الانتظار أكثر من ذلك ، بل يجب علينا الدفاع عن الممر ضدهم .

إذا انضممنا أنا وأنت معاً في هذا النهر فلن يحدث شيء بإذن الله ، وبمساعدتك وتشجيعك سنقوم بتدميرهم .

من المهم والضروري أن تبعث لي بالعون إن لم تكن قد قمت بذلك فعلاً ، كما أرجو ، بما أنني أرسلت طلب ذلك مع الوكيل التجاري الذي غادر من هنا .

ليحفظك الله ويحميك .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث علي بن عليان ، ملك الجزائر رسالة إلـى قائد هرمز ، الجزائر ، بداية شهر ديسمبر عام ١٥٤٦م ، يذكر فيها قدوم الأتراك إلـى زكية ومنها سيتوجهون إلـى البصرة ومنها إلـى هرمز : (٨٤)

المقام الملكي ، المحترم ، صاحب الثروة والجاه ، الشجاع الحقيقي ، تحيطه العظمة والذي يحوز الحكمة والنعمة الإلهية ، يرفعه الرّبّ ويحميه بقوة الروح التي للأسد ، الكريم في حكم البلاد ، المشهور وصاحب المقام العالي عيسى المسيح الذي ينحني له كل الرجل بالطاعة ، له كل الفضل والثناء ، ودوام الحكم ، الدار التي منها يشع الفرح والإحسان ، المليئة بالحكمة والاعتبار ، حامل شرف المعارك والنصر ، لعلك تصبح قائد هرمز الدائم وأن تتقدم وتنجح وتمتلك القوة والشرف لأن مقاصدي هي الصداقة ورغبتي الأكيدة فيها ،

(٨٤) رقم الوثيقة والهامش.

أزف إليك البشرى لأن الصداقة والانسجام الذي بيننا قد كان منذ زمن طويل ، وكنت دائماً أسعد عند معرفتي واستماعي للأخبار الطيبة عنك ، وكنت دائماً على أهبة الاستعداد لأكون مثل ما تفرضه عليّ صداقتنا ولي نفس الرغبة فيما يتعلق بأي خدمة تطلبها وتؤديها عني .

أنا صديقك بأكثر ما في الرجال من حقيقة وعدالة ، وإن الظهور بجانبك أفضل لي من أي شخص آخر ، وذلك لأننا جيران وأصدقاء والتجارة عامة وعادية لمن يبحر هنا ، من الأفضل لنا أن نكون بقربك عن أي شخص آخر .

لقد رضيت وأنا أؤمن عندما يأذن الرّبّ لا يمكن لأحد أن يخالفه ، وعندما يقع الشر على جار صديق فسيعتبر الجار الصديق أن ذلك قد حدث له أيضاً ، ولذلك فإن أمر الصداقة والجيرة كلها نفس الشيء ، وبما أن الأمور كذلك فمن الصحيح بالنسبة لي إن حدث أي شيء فإنه يجب إطلاعك عليه ، وإن حكمك يجب أن يفسر بأن ما يحدث هنا قد يؤثر على الكل .

إن الطغيان والنهب الذي ارتكبه أولئك الناس الأشرار ، الأتراك ، رهيب وفظيع ، جاءوا أولاً إلى الزكية وشيدوا قاعدة هناك ، قمت بمهاجمتهم مرتين وحمداً لله أنه لم يهيئ لي النصر بسبب القلعة التي لهم ، الزكية الآن أكثر قوة ومجهزة بالكثير من المؤن والمدفعية وكل ما هو ضروري ، جاء إلى هنا رجال لا حصر لهم وكمية هائلة من المدفعية .

كان هدفهم الاستيلاء على البصرة ، والسكان الذين في البر قد ذهبوا الآن واتفقوا على أن يجمعوا رجالهم في القرنة ليغادروا معاً عبر

اليابسة وعبر النهر ، سيقومون بمهاجمة البصرة ، ويواصلون التقدم نحو هرمز ، وهدفهم هو منع "البرتغاليين" من الإبحار في تلك البحار .

أبعث لك بالرسالة التي أرسلوها لطرفي ، يحاولون إقناعي عبر تأكيدات وتطمينات كثيرة ووعود بالثراء وأن أتقاسم معهم رجالهم المحاربين .

لن يساورك شك فيما يتوجب عليك فعله في هذا الموقف ، وهو أن تكون مستعداً وتبعث لي العون التي تقدر عليه ، وتأتي دون تباطؤ إلى البصرة حتى أكون أنا ملك البصرة قادراً على قتالهم .

لك أن تختار أي مكان تراه مناسباً لبناء القلعة ، وسيكون بينك وبيني الاتفاقات والعهود الحقيقية المناسبة ، صدقني أريدك أن تكون قريباً مني ، وليس هم ، أرغب في فضلك وليس إحسانهم ، أود لنا أن نتحد في القتال ضد الأتراك وعلى هذا الأساس ستبرم الاتفاقيات وستحصل على كل الأشياء الضرورية لبناء المستحيل ، بعد ذلك عمل أي شيء ، سيهاجمونك ويستبيحوا أراضيك ، وهذا الطريق أقصر وأقرب لهم من ذلك الذي يمر عبر السويس أو ذاك الذي يذهب عبر جده .

لا أعتقد أن الكتابة أكثر من ذلك بتلك الأهمية ، لأن عليك التصديق بأنني سأقدم لك كل شيء تحتاجه وستفرح كثيراً بذلك .

لا تجعلنا نؤجل هذا التعهد بيننا لأن الأرض تنزلق من بين أيدينا .

ليس من الضروري الكتابة لملك البرتغال ، البعيد جداً عن هنا ، وسيكون مقيد اليدين .

نسأل الله أن يخزي هذا التدبير الشرير .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)
بعث ريس "ريكوندى" رسالة إلى سعادة الحاكم "دوم جواو دى كاسترو" "D . Joao de Castro" ، هرمز ، بتاريخ الرابع عشر من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م ، ويصف الأحداث عند دخول الأتراك البصرة : (٨٥)

كان لوصول الأتراك في البصرة أثرٌ كبيرٌ في إحداث اهتياج عظيم وارتباك في أوساط السكان ، الأمر الذي اضطرني لأن أكتب إلى سيادتك تقريراً مفصلاً عن الرعب الذي انتشر في أوساطنا .

بمجرد ذكر الأتراك كفيل بإرهاب عامة الناس ؛ ففي الحقيقة تملكهم الخوف نظراً لوجود أعداد كبيرة من الأتراك لا تنقصهم القوة والعتاد ، ويجب على سموّكم السعي لمعالجة هذا الوضع قبل فوات الأوان وقبل أن نفقد هذا المضيق ، كما يجب أن يصار إلى تذكير جلالة الملك أن جنودنا الذين يقومون بالدفاع عنه لا يجدون مناطق أو مدناً أخرى

---
(٨٥) رقم الوثيقة والهامش.

يمكنهم اللجوء إليها لأننا إذا ما أردنا الذهاب إلى فارس ستكون معاملتهم لنا أقسى وأمَرّ من معاملة الأتراك أنفسهم ، أما الذين سيلجؤون إلى البلاد العربية فلن يمكنهم أن يتركوا أسرهم وأطفالهم هناك ، لأنهم لا يثقون في العرب ، وبالتالي ؛ فإن أهون الشر هو البقاء في منازلنا كي نستميت في الدفاع عن أرواحنا ومقدراتنا .

بند : عموماً ؛ بوسع سيادتكم معالجة هذا الوضع ، وإزالة هذه المخاوف التي سببها لنا هؤلاء الناس ، إذا ما عملتهم على الاهتمام بهذا الأمر بشكل عاجل نحن متأكدون جميعاً من هذا ، ولا يقتصر هذا على حماية أتباعكم فقط ، ولكن كي تؤمن خدمة الرّبّ وصيانة وتأمين سلامة وحماية الهند بكاملها .

لقد كتب ملك [جزيرا] خطاباً إلى "لويس فالكو" ، وهو خطاب أرسل من رجل غيور متفهم أشار فيه إلى ما يُعرف عن الأتراك بشكل عام ، ووصفهم بأنهم من شرار الناس ، وإن تداعي الأوضاع تجعله يسعى لطلب المساعدة من "البرتغاليين" الموجودين في أراضيه ، وليس أولئك الأوغاد .

لابد لسيادتكم من محاولة للاستفادة من علاقة الصداقة باعتبار أمن وسلامة هذا المضيق هي من صميم مسؤولياتكم ، ولا بد من الاستجابة والعمل على إرسال المساعدات له ولملك البصرة في أسرع وقت وبكل السبل الممكنة ، وذلك من خلال إعطائه الرسالة .

إنني على أتمّ استعداد لمساعدة "لويس فالكو" في هذا الأمر ، أولاً بسبب الخدمة التي أؤديها لسيادتكم ، وأيضاً بسبب علاقة الصداقة بيننا خاصة ، وهو رجل حسن النوايا ، ويتسم بالإخلاص في خدمة مولانا جلالة الملك في هذا الأمر .

حقيقة ؛ الوضع مضطرب للغاية ، والخوف قد تسرب إلى كل النفوس [......] ، وهذا ما جعلهم يبذلون الغالي والنفيس في سبيل بناء قلعة في الجزيرة بالقرب من البصرة ، وفي سبيل تحقيق ذلك (أي في بناء القلعة) ؛ فإنني أعتزم استخدام عدة سفن سوف أقوم بتحميلها بالحصى والحجارة ، وكل مواد البناء التي يُحتاج لها في بناء القلعة ، ونقل هذه المواد إذ يمكن نقلها في أسرع وقت ، وإنني على أتم الاستعداد لتقديم مساعدتي بكل شيء تقتضيه حاجة تلك الجزيرة والاهتمام بهذا الأمر حالاً .

علاوة على ذلك ، وبما أن "لويس فالكو" سوف يتناول أهمية هذا الأمر بالتفصيل في إطار ضرورة طرد أولئك الناس ؛ فإنني لن أقول المزيد في هذه الرسالة .

أدعو الرّبّ تعالى أن يطيل في عمر سموّكم ، وينعم عليك بالصحة حتى تكمل هذا المشروع بما يتفق مع مصالحكم .

بند : يجب على سموّكم أن تسمح لملك هرمز بإنشاء قلعة في الجزيرة العربية بحيث إنه إذا ما حدث شيء يمكن أن تُتَّخَذ ملجأ لعامة الناس ؛ لأجل حمايتهم ، وبهذه الطريقة يتمكن الجنود من الانتباه لما يمكن فعله بحذر شديد ، لأنهم إذا ما ثبت لهم إمكانية بقاء ممتلكاتهم وأسرهم وأطفالهم في سلام وأمن ، فسوف يستميتون في الدفاع عنهم ، ويحاربون بفعالية عالية .

خادمكم المطيع و"القاضي" "ريس ريكونودى" (ركن الدين)

مرسل إلى سيدي الحاكم الموقر .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى الحاكم "د . جواو دى كاسترو" "D . Joao de Castro" ، هرمز ، الرابع عشر من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م ، تبيّن قدوم الأتراك إلى الجزائر بالقرب من البصرة : (٨٦)

سيدي ..

في الثامن من ديسمبر الجاري جاءني واحد من وكلائي في البصرة ، وأخبرني أنه غادر البصرة قبل أربعة أيام بعدما تبين وجود الأتراك في قلعة تسمى "مشادلي" (مشهد علي) ، وبعدما وصلوا إلى هناك ، أرسلوا هذا الخطاب إلى ملك "الجزائر" ، والآن أرسله إلى سموّك ومعه الرسالة التي أرسلها لي ملك "الجزائر" ، ومن خلال الرسالتين يمكنك أن تتبين نوايا أولئك الناس .

(٨٦) رقم الوثيقة والهامش.

لا أحد يعلم كم هو عدد الجنود الذين حشدوهم هناك ؛ فالبعض يقول إن عددهم حوالي عشرين ألفاً ، وبعض آخر يقول عشرة آلاف ، وفئة ثالثة تقول أدنى من ذلك ، لكن الرّبّ وحده يعلم بعددهم .

لقد جاءوا عن طريق النهر بمائة وخمسين من السفن الصغيرة ، زودت كل منها بستة مجاديف في كل جانب ؛ تماماً كما سبق أن كتبت لسعادتكم بذلك .

أيضاً ؛ هناك مراكب تحمل مدفعيتهم ... ، ولا يبدو أنهم يضمرون خيراً ، فإذا لم يتمكنوا من الاستيلاء على البصرة هذه المرة ؛ فيجب أن يتيقن سموّكم أنهم لن يتركوا هذا الأمر إلى حين الوصول إلى تسوية ، ولذلك يجب عليكم أن ترسلوا مساعدات عاجلة ، لأنه ما زال هناك بعض الوقت .

أدعو الرّبّ أن يكون هذا من أجل تأمين سلامة هذا المضيق ، ودعوة لنشر دينه في تركيا .

في رأيي ؛ يجب أن يرسل سموّكم السفن والرجال في أسرع وقت ، لأن الأتراك إذا ما تمكنوا من احتلال البصرة فسوف يُحْكِمون رقابتهم المشددة على هذه القلعة ، لكن إذا وصلوا بعد فوات الأوان وصعُب عليهم احتلالها ، فسوف يكون في ذلك خدمة عظيمة للرب ، ولهيبة مولانا جلالة الملك ، وسوف يعلم العالم بأسره أن الهند قد ذهبت لنجدة أولئك الرجال بعدما ناشدوها المساعدة ، فهم يرغبون في إعطائنا القلعة وبلادهم ، وبالتالي فإننا لن نقف عند حد تأمين المضيق فقط ، وإنما سنسعى إلى إشهار سمعة دولتنا وسمعة مولانا جلالة الملك .

أرسل لسيادتكم مخطط البصرة وبعض الجزر التي يمكننا أن نشيّد فيها القلعة ، وتبين الموقع الذي عمل الأتراك على بناء قلعة فيه ، وبوسعك أن تختار منها ما تراه مناسباً لأجل اتخاذ الأجراء الذي تراه مناسباً لخدمة مولانا جلالة الملك .

منذ عدة أيام مضت أرسلت لسيادتك رسالة فيما يتعلق بقلعة "الزكية" ، وسوف أكون ممتنّاً لك بالفضل إذا ما أعطيتني الإذن بمهاجمتها ، إذ في ذلك الكثير من الفوائد فيما يختص بتأمين هذا المضيق .

لقد شاءت إرادة الرّبّ أن يأتي الأتراك إلى هنا ، وبالتالي فلابد لسيادتك أن ترسل المساعدات إلى ملك البصرة وإلى ملك "الجزائر" ؛ أتوسل لسيادتك ألا تحرمني هذا الشرف ، لأنني أحس إنه لا يوجد من هو أكفأ مني للقيام بهذه الرحلة ، وذلك لسببين اثنين :

أولاً : لأنني قد طلبت هذه المساعدات .

وثانياً : لاهتمامي الشديد بهذا الأمر ، وكذلك الكثير من الأمور .

إن أكثر ما يقلقني أن يُفهم بشكل خاطئ أن شخصاً آخر يمكن أن يقوم بهذا الأمر ؛ لأن هذا الالتزام سوف يكلف الكثير من النفقات ، وأغامر بالقول إنك إذا لم تكن ذلك الشخص الذي سيتجه إلى هناك ، فإنني لا أعرف أحداً آخر يمكنه أن يخدم سموّه بشكل أفضل في هذه الرحلة ، ولن أقول المزيد في هذا الشأن .

إذا كان سيادتكم يؤمن بأنه من أجل مصلحة خدمة صاحب السّموّ لابد لك من إصدار الأمر لتقديم المساعدة لي ومساعدة هؤلاء الرجال ؛ سيما

وهم يناشدونك أن تمدّ لهم يد العون ، فيجب أن تسارع فوراً بإرسال رسالة بواسطة هذا الزورق الذي أرسله لك الآن حتى أتمكن من تجهيز نفسي لمواجهة الكثير من الأمور الخاصة بهذه الرحلة .

يجب أن توجه الأمر إلى "د .مانويل دى سيلفيرا" كي يأتي لقلعته هذه لأنها سوف تسلّم له إثر وصوله فوراً ، وعندما يتمكن سيادتكم من إرسال عشر أو اثنتي عشرة سفينة إلى جانب سبع أو ثمان أخرى يمكنني إعدادها هنا والقليل من المراكب ؛ سوف يكون العدد هذا كافياً لأجل تنفيذ هذا المشروع ؛ فبواسطة هذه السفن يمكننا أن نرسل عدداً كافياً من الرجال لأجل بناء قلعة في إحدى هذه الجزر المبنية لكم في الرسم التخطيطي المرسل لسيادتكم بالرغم من رغبة ملك البصرة في منع البناء .

لابد لنا من الانتباه ومراقبة حركة الأتراك ، ولن نسعى لخلق صداقات ودية معهم .

سيدي ، لم يعُد لي المزيد من الحديث كي أكتبه لسعادتكم سوى أنني أرسل خادمي هذا إلى سيادتكم كي يخبركم عن وصول هؤلاء الأشرار بأسلحتهم وذخائرهم التي جلبوها معهم ، ويبلغكم عن حالة نهر البصرة والجزر بعد مشاهدته لها وبقائه في البصرة منذ عدة سنوات .

أدعو الرّبّ تعالى أن يطيل في عمر سموّكم ، ويحمى دولتكم لسنوات عديدة قادمة .

هرمز ، الرابع عشر من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م "لويس فالكاو" .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى سعادة الحاكم "دوم جواو دى كاسترو" "D . Joao de Castro" ، هرمز ، الخامس عشر من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر وصول الأتراك إلى زكية : (٨٧)

سيدي ..

لا حاجة تستدعي أن أكتب لسيادتكم عن هذه البلاد و"سيماو بوتلهو" قادم في طريقه إليها ، وحتى لو أردت أن أكتب عن المملكة فسوف يكون من الصعب عليّ ذلك ؛ لأنني لا أعرف إلا القليل عن أوضاعها ، وهكذا فإنني أعتمد على "سيماو بوتلهو" في كل شيء ؛ لأننا ظللنا دائماً صديقين ، إنني لم أطلب منه المجيء لهذه البلاد لأنه شخص نبيل ونزيه ، ومع أنه يعمل بالمحاماة ، وحاصل على مجموعة من الدرجات العلمية ، إلا أن ذلك لا يقلقني ، فحقيقة يسعدني أن

(٨٧) رقم الوثيقة والهامش.

تتم مساءلتي عن كل حماقاتي ومثالبي ، والكشف عن الطريقة التي أعيش بها في هذه البلاد (وإنني على بينة إن سيادتكم قد أُخبرتم عنها) ، وذلك حتى يتم باسم سموّه التفاوض معي حول الامتيازات والتي استحققها لقاء خدماتي تلك .

قدم "دوم بايو" إلى هذه البلاد ، وزعم أنه من أقرباء سيادته ، وأنه واحد من موظفيك غير أنه لا يشبهك على الإطلاق ؛ سواء في شخصيته ، في حياته أو في عاداته ، وكثيراً ما يتجنب الحديث معي بحجة أنني أنتقد سيادتك ، وهو محقّ في هذا الأمر ، ولقد جانبه الصواب ، ففي الرسالة التي أكتبها لك تكفيني شهادة "دوم ألفارو" إذ إن الحقيقة هي إنني لا أرغب في قول أي شيء يمكن أن يكون مصدر تكدّر وإزعاج سيادتك .

لهذا السبب فقد تجاهلني "دوم ألفارو" وأدار لي ظهره (أعرض عني) لأنني كنت قد أرسلته سجيناً لسيادتكم ، بسبب تعاونه مع أحد المحتالين باسم "جوميز إينس" "Gomez Aines" ، والاعتداء بالضرب مرتين على أحد الجنود المشاة مع مساعد مأمور التنفيذ ، وسبّبا له جراحاً بليغة ، وأيضاً لم يكتف بذلك ، بل أصدر أوامره مهدّداً الجندي لأنه شكاه إليّ .

عن كل ذلك رغبت في معاقبتهما ، وقد أرسل لي رسالة ؛ لأننا لسنا مستعدين للتحدث مع بعضنا البعض ، وبالفعل عمدت إلى إغاظته وتحقيره .

لم يكن ذلك مبرراً مقبولاً لتبرئته من اللوم ، لكنني في هذه القضية

فشلت في تحقيق ما تتطلبه العدالة ؛ لأنني لم أرغب في أن يصار إلى اتهامي من قبل أي شخص لأنك وحدك المعنيُّ بذلك ، وهو من اختصاصك ؛ فقد أشار إلى إنني أعامله بقسوة بل كثيراً ما أُسيء معاملته .

سوف أخبر سيادتكم بما حدث للمدعو "نونو دا كونها" (رحمه الرّبّ) و"نونو فيرتادو" :

لقد كانا على خلاف فيما بينهما لأسباب كيدية تركّزت على القيل والقال ، فعندما كان "نونو دا كونها" يُعِدّ العدة للمغادرة إلى ديو ، أخبر "نونو فيرتادو" قبطان السفينة لويس شيرا أنه يرغب في الإبحار معه ؛ لكنه أجابه بالرفض ، وبين له أن السبب هو مشاجرته مع الحاكم الذي لم يعد صديقاً له .

هنا علم "نونو دا كونها" ما حدث فأرسل رسالة إلى "نونو فيرتادو" يحذره فيها أنه إذا ما صعد على متن سفينة لويس شيرا فسوف يقلبها فوقه ، كما أرسل أيضاً أوامراً تقضي بربط "لويس شيرا" على الصاري ، وضربه بالسياط ، ومصادرة كل ما يوجد في السفينة ما لم يَسْع "نونو فيرتادو" لطلب الرحمة من "نونو دا كونها" .

إنني أحكي هذه القصة لسيادتكم لخدمة أطلبها منكم ، لماذا كنت على سبيل الصدفة تعتقد أنني أسعى لإثارة شكوى عن بعض الأخطاء التي ارتكبتها بحقي؟ وأنه بعد قراءتك هذا الخطاب لم تعُد لديك أي شكوك؟ فإنني أقسم -بصفتي مسيحياً ، وباسم الديانة التي أعتنقها- أنني لست سوى الخادم لك تماماً كما كنت ، وأنني أؤمن تماماً بأنك لم تسبب لي أي ضرر .

بناء على رسالة سموّكم لي وبعدما رفعت شكواي إلى "دوم ألفارو" بخصوص كل هذه الأخطاء ، أقسم صادقاً بأنه لم يبق في قلبي ذرة من الحقد ، وإنما رغبة أكيدة في الاستمرار في خدمة سيادتكم سيدي وصديقي .

بقليل من الحظ فإنني أؤمن تماماً إذا ما تجرأ أي فرد ، وزعم إنك لست سيدي ولست صديقي ، وإنني لست خادمك حتى في ظل دأبك على عدم اعتباري خادماً لك فإنني لا أرى في ذلك سوى محاولة للإرباك والبلبلة ممن يعتقدون أنهم هم الحادبون على خدمتك ، ويمكنهم أن يؤثروا عليك من خلال أفكارهم المريضة وممارساتهم البغيضة التي تكشف عن سوء أخلاقهم .

إن من حقي أن أرفع شكوى طالما قبلت بالعمل في خدمتك ، ورغبت في أن أخلص لك في عملي .

إنني أعرف أنك سوف تحكم عليّ من خلال هذا ، وأقول إنك سوف تكون أكثر سعادة بصداقتي من بقية أولئك الأقرباء السوقيين ، وبالتالي أفيدك بأنني توقفت عن الحديث عن تلك الأشياء لأنني إذ ما قدّر لي الرّبّ أن أنضمّ لسيادتكم ، وآمل أن يتمّ هذا قريباً ، فسوف أقدّم لك تقريراً ضافياً عن هذه القلعة [الزكية] التي سبق أن كتبت لسيادتكم عنها .

بالنسبة للأخبار الواردة من البصرة ، وكذلك الرسائل التي بعثت بها لي البرتغاليون ، لا شك أن الأتراك قد أمروا جنودهم بالاستيلاء على البصرة ، وهنالك أدلة دافعة لهذا الأمر ، لأنهم بالفعل تمكنوا من

إعداد خمس عشرة سفينة عملوا على تجهيزها تماماً ؛ بحيث زودت كل سفينة بستة مجاديف في كل الجانبين ، هذا بالإضافة إلى تثبيت مدفع واحد فوق جؤجؤ السفينة ، وتم إرسال ستين سفينة إلى قلعة [الزكية] ، وستين أخرى أكمل العمل فيها .

عموماً ؛ انتشر الرعب والخوف في نفوس سكان البصرة لأنهم ما يزالون يستشعرون

الاحتمال الكبير في قدوم الأتراك هذا العام أكثر من السنوات الماضية ؛ لأن قلعة [الزكية] لا تبعد عن البصرة إلا مسيرة ثلاثة أيام ، ويبدو أنهم قد زادوا من عدد قواتهم ، وأصبحوا أكثر قوة من قبْل كي يهاجموا البصرة .

من الأسباب التي تجعلني أؤمن أن هؤلاء الناس سوف يستمرون فيما هم فيه لفرض نفوذهم على مضيق مكة ؛ هو أن الكثيرين من التجار الذين وصلوا مؤخراً من "القاهرة" و"القسطنطينية" قد أخبروني بهذا الأمر .

أيضاً جاءوا بمساعدات لأجل بناء المزيد من السفن ، وأن السفن التي تمت صيانتها سوف تُسْتَخدم في حماية المضيق نفسه .

أضف لهذا ما يُعْرف عن الأتراك أنهم لن يأتوا إلى هرمز أو الهند ما لم يُحكِموا سيطرتهم : أولاً على البصرة لتصبح تحت نفوذهم ، وأعتقد أنهم محقون في ذلك بسبب ما أعرفه وأفهمه عن شؤونهم ، ولهذا السبب وغيره من أسباب أخرى لن تعترضهم أية مشاكل أو نفقات باهظة فيما يتعلق بالمسار الذي سوف يتبعوه ، وعموماً ؛ لن أستغرب

قط إذا ما صحّت شكوك سكان البصرة ، وإذا كانت هنالك وسيلة ما لإيجاد حل قبل تفاقم هذه الكارثة فسوف يكون في ذلك فائدة عظيمة لخدمة صاحب الجلالة ، لأن هذا الشر خطيرٌ ومتّسع ، وربما لا يقتصر على هذه القلعة وحدها ، وإنما يمكن أن يعم جميع مناطق الهند ، وهذا أمر لن يكون مرضياً للرب .

بحسب للأخبار الواردة من البصرة ؛ فإن الملك خائف بشكل كبير من وصول أولئك الناس ، وبالتالي أؤمن أنه سوف يكون من مصلحة سموّه أن يرسل خطاباً لملك البصرة (مرسل لكم نسخة منه) في الوقت الذي يكون الملك بالقرب من [الزكية] يخوض حربه ضد بقية الملوك والنبلاء ، غير أن أهم شيء هو اتخاذ القرار حول مدى إمكانية تفعيل السلام مع أولئك الجيران النبلاء في [الزكية] ، وذلك لأجل إغلاق الممر في وجه الأتراك إذا ما استهدفوا احتلال البصرة .

لقد أرسلت أحد "البرتغاليين" يحمل هذا الخطاب كي يطلع على قلعة [الزكية] وموقعها ، وكل ما هو مفيد بحثاً عن معلومات دقيقة ، وكنت أنوي من هذا العمل أن أقدم مساعدة لملك البصرة ضدّ أولئك الأوغاد ، ولكي يتبين مدى قوة هذه القلعة أو ضعفها ، وما إذا كان من الممكن انتزاعها من قبضتهم ؛ لأنه إذا ما اتبع ملك البصرة الطريق البري وسلك أربعمائة أو خمسمائة من "البرتغاليين" طريق البحر فلن يبقوا على فرد واحد حياً ، وسوف يتم الاستيلاء على القلعة وانتزاعها من قبضتهم بإذن الربّ ؛ لأن العدد الموجود فيها قليل ، وهي تبدو ضعيفة جداً .

بالإضافة لهذا ؛ فقد بنيت من الطين والطوب غير المحروق ، وعليه فمن الممكن تدميرها بكل سهولة بواسطة قصف مدفعي بسيط ، ومن الممكن أن يصار للاهتمام بهذا الأمر في الحال ، ولكنى لا أعلم ما إذا كان ذلك ممكناً تنفيذه بعدما أصبحوا سادة في البصرة ، يجب على سيادتكم إجراء مفاوضات بخصوص هذا الأمر ، وذلك حتى يكون القرار الذي سوف تتخذه متناسباً مع مصلحة صاحب السّموّ .

يجب ألا يسمح بحدوث أي ارتكاس في هذا الأمر ، حتى وقت وصول "دوم مانويل دى سيلفيرا" ، وعليه ففي الوقت الراهن يجب أن يكون قرارك معلوماً ، وإذا ما رغب سيادتكم في الاستفادة مني في هذا الأمر ؛ فإنني على أتمّ الاستعداد للعمل بنفسي ، وبما أملك لأجل خدمة مولاي جلالة الملك ؛ لأن في مصلحة الملك فائدة لجميع مناطق الهند .

اللحظة التي تشهد قيامي بتسليم هذه القلعة إلى "دوم مانويل" هي اللحظة المواتية للبصرة كي ترسل أربعمائة أو خمسمائة جندياً للحرب ، وكما أشرت أعلاه لن تكون النفقات باهظة بالنسبة لسموّه ، بالرغم من أن النفقات تشمل تسديد أجور أولئك الناس والصرف على غذائهم ، كما تشمل النفقات عمليات تجهيز وإعداد السفن ، عموماً ؛ لعل أهم ما في الأمر أن النفقات لن تكون بالقدر الذي يمكن أن يكون مزعجاً .

عندما كاد الزورق أن يغادر ، وصلت حينذاك سفينة قادمة من "تشول" حيث بُلغت أن سيادتكم قد أبحرت لنجدة "ديو" التي كانت تحت الحصار ، وندعو الرّبّ جل وعلا أن تكون قد سلمت من الدمار ، وأن تجدها سليمة وآمنة عند وصولك .

لكن الأخبار التي جاء بها ذلك المسلم من النوع الذي يمكنني أن أصدّق البعض منه ، وبالتالي لا أدرى ما أكتب له عنه ، لكن طالما أن الرّبّ تعالى قد حفظ تلك القلعة من سطوه وبطش ملك "كامباي" ، فهو قادر على إنقاذ هذه من قوة الأتراك .

يبدو أنه من المناسب لي وللوكيل "سبستياو لوبيز" أن ترسل سفينة محملة بالمواد الغذائية المحفوظة والأدوية إلى سيادتكم ؛ لأنه إذا ما صحت أخبار ذلك المسلم فستكون في أمس الحاجة لها ، وحتى إن لم تكن في حاجة لأننا لن نخسر شيئاً ، وبالتالي ففي كلا الحالتين سوف أقوم بإرسالها إلى سيادتكم في أقرب فرصة .

ليس لديّ المزيد لأقوله باستثناء أنني سأكون في أمس الحاجة لرسائلك .

من هرمز ، في الخامس عشر من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م

"لويس فالكاو" .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "رافائيل لوبو" "Rafael Lopo" ، قائد قلعة مسقط ، رسالة إلـى "د . ألفارو دى كاسترو" "D . Alvaro de Castro" ، مسقط ، بتاريخ الخامس عشر من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م ، يذكر هداياه : (٨٨)

سيدي ..

لطالما ساور القلق سموّكم في أنني مقصّر في خدمتكم ، وإنكم نادراً ما تتلقّون رسائلَ مني ، فلا شك أن الأخبار الصادرة من هنا قد أشارت إلى ذلك .

لقد واجهت عوائق عديدة وخطيرة حالت دون ما أرغب في تنفيذه .

في هذه السنة أتيت من "قلهات" (أ)بواحد من الخيول ، وكنت عازماً

(أ) قلهات" في ساحل الجزيرة العربية .

(٨٨) رقم الوثيقة والهامش.

على إرساله إليك ؛ إذ تبين لي أنه من الخيول الواعدة ، ولكن فيما بعد لم أعد متيقناً من جودته - السيد "جل فاز" قادم إليك ومعه "فيروز" لسموّكم(أ) وبالمثل سيف لكنه غير مُوشّى بالذهب أو الفضة ، ولكنك سوف تثمّن الحديد الذي صنع منه ، لأنك لن تحصل على سيف آخر من نوعه .

إنني أعلم أن من بين الخطابات التي تلقّيتها من "البرتغال" خطاباً مرسلاً لي من "د . لويس" ، وأرجو أن تتفضل بإرساله لي مع أحد رجالك القادمين إلى هذه البلاد .. وسوف يؤدّي لسموّكم خدمات مفيدة .

من مسقط- من مقر عملي في خدمتكم ، الخميس الخامس عشر من شهر ديسمبر ، أقبّل أياديكم الكريمة ، "رافيل لوبو لورينسو" إلى سيدي سعادة اللورد "د . ألفارو دى كاستر" . مختوم بالشمع

(أ) "فيروز" الخليج الفارسي المشهور .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، حاكم الهند رسالة إلـى الملك "دوم جواو الثالث" "D . Joao III" ، "ديو" في السادس عشر من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م ، ويصف له تقدم الأتراك ناحية البصرة : (٨٩)

في اليوم الثلاثين من يناير تم إطلاعي من هرمز أن الأتراك الذين أقاموا حامية لهم في بابل (أ) قد تحركوا أسفل نهر الفرات ، واستولوا على مقاطعة تسمى الزكية "zaquia" ؛ حيث شيدوا قلعة على ضفاف نهر الفرات على الجانب الفارسي تبعد مسيرة يوم ونصف أعلى النهر من مدينة البصرة .

(أ) لأنها كانت بالقرب من موقع بابل القديمة ، وقد أعطى هذا الاسم كثيراً لمدينة بغداد .
(بابل هي التي تعرف الآن ببغداد" . كما كتب الأب "جاسبار بارزيو" في هرمز ١٥٤٩م) .
(Documentacao para a Historia das Missoes, vol 4, p 376) .

---

(٨٩) رقم الوثيقة والهامش.

حالما علمت بذلك كتبت لملك البصرة ناصحاً له بعدم السماح لجيران مرعبين أن يكونوا على وفاق معه ، وأخبرته أن يشن عليهم حرباً في الحال ، ويعمل على حرمانهم مما استولوا عليه ، عرضت عليه المساعدة وأسطولا لذلك الغرض .

هذه الأخبار تجعلني أعتقد أن الأتراك أرادوا الاستيلاء على البصرة ونقل الأسطول الذي لهم في السويس إلى هناك ، حتى يشنوا الحرب علينا بطريقة أفضل ، كونه أقرب لـ هرمز ، ولأن معهم أعداداً هائلة من البحّارة على جزر "البحرين" و"جلفار"[أ] .

بجانب ذلك ؛ فإن البصرة مدينة خصبة ، وبها ما يكفي من الطعام ، وفي كل مرة يحتاجون فيها للتعزيزات يمكنهم إحضارها عبر الفرات في خلال ثلاث أيام من بابل أو بغداد ، كانوا يحتاجون لتلك العوامل في السويس التي هي عبارة عن صحراء ، لا تقطنها حتى الحيوانات المفترسة ، إضافة لذلك فإن بنقلهم لأسطولهم إلى البصرة فإنهم سيتسببون بمشاكل عديدة لشيخ إسماعيل[ب] وكل فارس .

كتب لي شيخ إسماعيل في الثالث من شهر مارس ، وأرسل هدية من القماش والحرير ، بينما سألني عن مستحقات لخمسين أو ستين حصاناً كان سيبعث بها لملوك وسادة Balagate [ت] ؛ لأن المبلغ كان

(أ) مجموعة جزر في الخليج الفارسي .

(ب) Zeques-Mair أو شيخ اسماعيل كان شاه فارس .

(ت) الخيول من الجزيرة العربية وفارس كانت مرغوبة كثيراً في Balagate . كانت تستورد من هرمز إلى "غوا" حيث تمثل الرسوم التي تدفع عليها مصدر الدخل الرئيس للتاج البرتغالي .

كبيراً فقد طلبت النصح من مراقب المالية والنبلاء والضباط الذين يمكنهم إرشادي لما هو أفضل في هذا الأمر ، وأفادني الجميع أنه ولمصلحة سموّك كان من المهم عدم استعداء (الشيخ إسماعيل) بأي شيء ، لكن محاولة كسب صداقته وإسعاده ؛

لأنه قد يتسبب لنا في كم هائل من الحروب والمصاعب في هرمز ، أن الخسائر والدمار الذي سببه لأن قادة هرمز لم ينالوا رضاه ويستجيبوا لمطالبه في عدة أمور من هذا النوع كان قد طلبها منهم قد أصبح واضحاً ، بسبب هذا ومنذ أن بدأ واضحاً حقيقة الأمور فقد منحته ذلك الإذن ، وقد عاد سفيره في غاية السعادة والرضا .

صفحة ٢٢٧ :

في العاشر من مارس بعثت "أنطونيو دي سوتومايور" مع أربع سفن "fustas" إلى ساحل الجزيرة العربية مع تعليمات بعدم دخول موانئ داخل الخليج إنما يمرّ بطول ساحل "بربرة" و"زيلع" ، كان عليه اصطحاب مترجم ويحاول معرفة مكان المماليك وحالة أوضاعهم .

عندما تأكد أنه لن يتمكن من معرفة أي شيء عنهم في هذه المنطقة ؛ كان عليه العبور إلى "الشحر" و"قشن"[أ] ، ويبذل ما يستطيع لمعرفة ما يتعلق بهم على طول ذلك الشاطئ ، وعند اكتشافه لأخبار مؤكدة عن إبحار الأتراك إلى هرمز فعليه العودة في الحال إلى جزيرة مصيره[ب]

(أ) "الشحر" و"قشن" أو cazem مكانان على الساحل الجنوبي من الجزيرة العربية .

(ب) بالقرب من "رأس الجيت" على ساحل الجزيرة العربية .

والبقاء في ذلك الميناء حتى وصول سفننا إلى هناك ، وتلك كان عليها مغادرة الهند إلى هرمز خلال "المونسون" التي تهب في شهر مارس ، عندما يتلقى خبراً منهم عليه مرافقتهم إلى داخل الميناء على ساحل الهند ، وبعد القيام بذلك عليه الذهاب بأسطوله ويمركز نفسه في قلعة هرمز .

غادر ومعه تلك الأوامر وصل إلى "Monte de Feliz"(أ) حيث تواجه مع سفينة "لخواجا صفر" كانت قادمة من "Tenasserin" (ب) ، كانت مسلحة تماماً وعليها مدافع وعليها الكثير من المماليك والأشخاص البيض .

عندما ابتدأ القتال هاجم "أنطونيو دي سوتو مايور" السفينة بواسطة الـ fusta التابعة له ، وصعد على السفينة وسط القذائف والحجارة والرماح التي أطلقوها نحوه بخلاف السهام وطلقات البنادق التي أطلقت دون توقف ، اعترف أن "لويس دي سوزا" قفز أولاً أمامه ، وهذا في رأيي قد أكسبه مزيداً من التقدير عن ذلك الانطباع التي تركه على الجميع .

صفحة ٢٢٩ :

واصل "أنطونيو دي سوتومايور" رحلته ووصل إلى "بربرا" و"زيلع" (التي تقع في خليج عدن) حيث علم بأخبار المماليك ، لكن حتى يستطيع التحقيق من كل شيء عبر نحو الساحل الآخر .

(أ) يقول جاسبار كوريا ان "ماونت دي فيلز" كان تلاً جميلاً بالقرب من رأس غوردافوي . انظر : (Lendas1, p365) . وقد عرفت بأنها رأس الفل أو رأس فيلوك . (Ras Filuk) .

(ب) على ساحل خليج البنغال .

بينما هو يرسو على خليج صغير خارج مدخل المضيق ، هاجمته سفينتان مسلحتان بطريقة جيدة ومركب "لخواجا صفر" ومليئة بالرجال ... تقدّم للأمام مجازفاً بالهجوم عليها ، وبدأت معركة شرسة بينهم ، وقام المركب الكبير برمي حبل نحو المركب الصغير حيث أصبح المركب الآخر في الوسط .

لأنهم جاءوا مزوّدين بمدفعية جيدة وعلى ظهرها العديد من المقاتلين ورماة السهام وحاملي البنادق ، وأصبح البحر هائجاً لم يتمكّن مركبنا من الوصول إليهم بالرغم من محاولات "أنطونيو ي سوتو مايور" المستميتة ، دار من خلفهم وقاتلهم .

غضب جداً عندما أصبح مركبه في الوسط بين السفينة وقطع الحبل ، ولو كان ذلك مخاطرة كبيرة له وكل الذين معه ، عندما قام بفصلهم بطريقه هاجم المركب الصغير وأشعل فيه النيران واحترق بكل الحمولة التي عليه ، ثم اتجه بعد ذلك نحو المركب الآخر واستولى عليه وأحرقه .

خلال تلك الأحداث كان المركب الآخر (المعَدّ جيّداً وكان مزوّداً بالأشرعة) قد وجد الفرصة والدخول إلى المضيق والاحتماء هناك .

هذه العملية المؤثرة والشجاعة من "أنطونيو دي سوتو مايور" جعلت الكثير من الحديث يدور عنه (وسط المسلمين) وترك سمعة عظيمة للبرتغاليين .

صفحة ٣٠٦ :

ذهب "سيماو بوتيلهو" إلى هرمز ، وخدَم سموَّه بطريقة جيدة هناك ، وقد كان واضحاً أنه سيفعل ذلك في أي مكان يحل فيه ، إذا لم يوفر

سموّك مراقباً مالياً هناك من أجل الحسابات والناس الذين هناك يديرون الأمور بطريقة سيئة كما أفدت سيادتك السنة الماضية ، وعليه يجب إبعادهم ، وترْك "سيماو بوتيلهو" يعيش هناك .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "رافائيل لوبو" "Rafael Lopo" رسالة إلى "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، مسقط في الثاني والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر معاناة هرمز : [٩٠]

سيدي ..

زامن هذا اليوم الأربعاء الموافق الثاني والعشرين من شهر ديسمبر وصول الزورق ، وأتضرع للرب بالدعاء أن يكون قد جاءني بأخبار مفرحة .

كعادة السيد "لوبس فالكاو" في التسرع ؛ فقد أمرني أن ألتقيه بجميع السفن والرجال ، وهذا ما فعلته ، إذ يوجد هنا القليل من السفن ، لكنها تبدو عديمة الفائدة ، وكذلك الحال بالنسبة للرجال .

هرمز في حاجة ماسة للرجال والمؤن الغذائية ، وبدون ذلك فلن تكون ذات نفع .

---

(٩٠) رقم الوثيقة والهامش.

سوف يكون من المفيد جداً أن يولي سموّكم الاهتمام بكل شيء ، وتوجيهه بضرورة تحصين المدينة بكل وسيلة ممكنة ، وفي الوقت المناسب له ، لأن أيما شيء أُنجز في غير عجلة تكون نتيجته أفضل .

الحاجة للسفن ضرورية وملحة ، سيما الكبيرة منها في هذا الوقت ، إذ يمكنها حمل أربعمائة رجلاً ، وهي السفن الشّراعيّة ، "الغاليوت" والـ foisls ، منذ ذلك الوقت فصاعداً ظل "القاضي" يقول عنه إنه منذ وصوله بدأت هرمز تعاني من المشاكل ، وهو رجل فظٌّ قاسٍ يعرف أكثر مما يريد ، ولا أجد سبباً مقنعاً للاحتفاظ به ، أو أرى أية فائدة من وجوده ، سيما وهو يتلقى الكثير من الأجر .

يقولون عنه إنه إذا ما تم طرده من هرمز فسوف يقومون بشن هجوم علينا .

لقد سمع "سيماو دى ميلو" "Simao de Milo" الكثيرين يرددون هذا القول ، وحسب اعتقادي إنه أخبر سموّكم بهذا .

لقد تطرقت لذكر مغادرة الكثيرين من هنا ، ولي عذر سموّكم في التطاول بتذكيركم هذا الأمر ، لكني ما فعلت ذلك إلا بداعي حبي الشديد لكم ، فكل ما أتمناه أن أرى هذه البلاد تنمو وتزدهر بشكل مطّرد دون عوائق ، وأشعر أن الحب الذي أكنه لكم يدفعني لعمل ذلك ، وهذا ما يجعل هناتي وأخطائي مغفورة ومُتجاوزاً عنها .

أقبّل أيدي سموّكم الكريمة ، داعياً الرّبّ أن يطيل في عمركم ، ويحقق السمو والرفعة لبلادكم ، وأسأله تعالى أن يحقق لكم أعظم الانتصارات ضدّ كل عدوّ يستهدف جيوشكم .

من مسقط ، اليوم الثاني والعشرين من شهر ديسمبر .

"رافيل لوبو" .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "سباستياو لوبيز لوباتو" "Sebastiao Lopez Lobato" رسالة إلى الحاكم ، هرمز في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر وصول الأتراك إلى القرنة ، وملك البصرة يطلب العون : (٩١)

سيدي - (.....) عبر هذه الرسالة بعد الإفادة في كل القضايا ، اثنان (....) (....) في حالة شديدة من الفقر في يوم ميلادي .

في يوم الاحتفال بالرسول المبارك القديس "توما" ، نصيرنا ، المعين وحامينا في تلك الأنحاء ، وبعون من الرّبّ القدير ، وصلت سفينة إلى هذه المدينة من "شول" وحملت لنا الأخبار عن النصر العظيم والرائع الذي منحه الرّبّ المنقذ لسيادتك برحمته وعطفه علينا في الدفاع وإنقاذ قلعة "ديو" .

(٩١) رقم الوثيقة والهامش.

لقد كان عظيماً ولا مثيل له وجميعنا تيقنا وآمنا بأن سيادتك قد حققته بأعجوبة وبفضل ونعمة خاصة من الرّبّ القدير ، وأن الرّبّ تدخل في هذا الأمر كما فعل مع جدعون (Gideon) قائد القوم في إسرائيل في ذلك النصر الشهير الذي منحه لهم ضد الـ "Amalekites" .

تبارك الرّبّ لكل ما اختاره لسيادتك بأن تحرس وتدافع عن قومه الذين يحيط بهم في هذه البلاد الكثير من الأعداء الأوغاد ، محظوظون نحن ، بل أكثر من محظوظين من الذي يمنحه الرّبّ كل يوم العديد من الإحسان ، وهذا الذي نحن فيه نعمة أعظمها جميعاً الذي كان فيه إنقاذنا ولكل هذا الإقليم ، لقد كانت مشيئة الرّبّ أنه في تلك اللحظة نجد أنفسنا في حفظ وحماية سطوة وقوة سيادتك ، نسأل الرّبّ أن يزيد ويؤكد ذلك في خدمته ولشرف سيادتك .

سيدي .. أحداث مثل هذه منحت السعادة والفرح للجميع ، لا يمكن وصفها أو التعبير عنها بالكلمات ، لذلك لن أعدّد الفرح العظيم والرضا الذي منحنا له نصرك والشكر الذي لا يعَدّ ، والحمد والثناء الذي يستحق بعد الرّبّ ، لاسمك العظيم .

الفرح والسعادة التي يعيشها الجميع كانت لا توصف ، وستظل تلازمهم طالما هم أحياء ، وسيحملون دائماً جزءاً كبيراً منها في قلوبهم كذكرى لفضل عظيم منحه الرّبّ وباركه بمساعدة وبأس سيادتك ؛ لأن ذلك العمل له طبيعة وعظمة تجعله دائماً في الذاكرة ، ويبقى سجلّه مفتوحاً ، يوم اكتسبْتَ أنت الشهرة والنصر واحتفل به حتى يبقى ذكرى واعترافاً به للخدمة الجليلة التي قدّمها سيادتك لهم ، تبقى

فيهم جيلاً بعد جيل ، وهو الشيء الذي يتحمس له الجميع على نطاق العالم في هذه اللحظة .

لأن لي هذا الكثير ولأنه منحه مثل هذا النصر العظيم والشرف على الأرض بأكثر كثيراً مما كان ستمنحك إياه .

سيدي ، كنا نشارك في الاحتفالات والفرح ، وقد قدمنا الشكر للرب القدير ورفعنا التبريكات والثناء لسيادتك ، وأثناء الكثير من الدعوات التي رفعناها بكينا من الفرح والسعادة .

بعد رفع الشكوى للرب ناشدناه بالدعاء أن يحمي سيادتك ، ويمنحك المزيد من الانتصارات ، وأن يكون معك في كل شؤونك ، هذا ما قام به الكهنة في الصلوات وعند القرابين التي قدّموها للرب فرحاً لنصرك .

في كل تلك الأمور أظهر القائد أنه صديقك وخادمك ، مع سعادة واضحة على مُحيّاه ورضى لما قمت به ، أثنى عليك كثيراً وعدّد فضائلك ، وأبدى رغبة قوية لخدمتك ، وأسِف كثيراً لعدم تمكنه من خدمة ومساعدة سيادتك .

هذه هي اللحظة التي تتلقى فيها المقاصد الطيبة والنوايا عبر العمل ولخدمتك ، لكن ولسوء الحظ فإن جزءاً من الأسف كان من نصيبي ألا أجد نفسي في مكان حيث أكون قادراً على خدمتك ، ليتقبل سيادتك عظيم أمنياتي لأن الرّبّ راض عنها ، ونسأل الرّبّ أن يمن عليك بالبركة والأعمال الجليلة .

كتبت لسيادتك كل شيء تمكنت من معرفته عن أوضاع البصرة .

في الخامس عشر من هذا الشهر وصل أحد الخدم ملك البصرة إلى هذه المدينة حاملاً رسالة للقائد يطلب فيها الملك منه المساعدة والعون ضد الأتراك الذين جاءوا من بغداد لمهاجمته ، وقد وصلوا حتى "القرنة" "Corna" ، وهي معبر وموقع يبعد مسيرة ثلاثة أيام من البصرة ، تعود ملكية هذا المكان لملك "جيزيرة" "Gezira" وأن على الأتراك الذين في "الزكية" zekkia السفر عبر النهر في قوارب لمقابلتهم لينضموا للآخرين القادمين بالبر ، يدافع ملك "الجزائر" "Gezira" عنه .

يقولون إنه استولى على خمسة أو ستة قوارب منهم ، وثلاثة مدافع ثقيلة كانوا يأخذونها لضرب البصرة بها ، ويقولون إن الأتراك الذين سيهاجمون البصرة ليسوا أكثر من أربعة آلاف فارس وبعض الجنود المشاة ، وإن لم يكن هناك المزيد ؛ فإن المسلمين هنا يقولون إن ملك البصرة يستطيع محاربتهم وتدميرهم .

نسأل الرّبّ أن يمنحه النصر على هؤلاء القوم الأشرار .

سيكتب القائد لسيادتك عن هذا بتفاصيل أكثر ، لأن معه معلومات أكثر عن هذه الأمور .

سيدي ..

تنفيذاً لتوجيهات سموّكم ، عملت بكل جهدي لشراء الكبريت ، وفي ظل الشائعات وما يدور ويروج له بين أفراد المجتمع ؛ يبدو لي أن الكثيرين من "البرتغاليين" يحرصون على نقله إلى "كامباي" وإلى بلاد مسلمة أخرى أكثر من حرصهم على توفيره وتأمينه لمولانا جلالة الملك .

بالرغم من حقيقة ذلك ؛ إلا إنني لم أتمكن من التثبّت بعد ، على كل ، أرى أن هذا الوكيل السافل قد ارتكب من الأفعال الخسيسة ما يمكن أن يدفع سموّكم لإنزال أقصى عقوبة بهؤلاء المسيحيين الأنذال الذين تورطوا في هذا العمل .

الآن أؤكّد لي أن هناك إحدى السفن سوف تغادر هذا المضيق وعلى متنها كميات ضخمة من الكبريت متجه بها إلى "دابول" أو إلى ذلك النهر الذي يوجد بينها وبين "تشول" ، وفي حالة عدم توفّر أية وسيلة لبيعه فسوف يتم الإبحار به إلى "أقواراسونا" أو إلى نهر "مرقيو" ؛ إذ من المتوقع أن يجدوا في هذه الأنهار من يقبل مقايضته بالفلفل أو المال .

إذا ما كان لسموّكم أن يُصْدر الأمر بشن هجوم على هذه الأنهار فيجب أن توكل قيادته إلى أشخاص تثق فيهم كل الثقة ؛ أي من يمكنهم إصدار الأوامر لإخضاع جميع السفن المتواجدة في تلك الأنهار للفحص والتدقيق والبحث عن "الصابورات" أثقال الموازين فيها .

بالمثل ؛ يجب على سموّكم إصدار الأمر لهم بالاستيلاء على واحدة من السفن الصغيرة في ذلك المضيق ، حتى ولو ثبت أنها لا تحمل أية شحنة من الكبريت ، إذ ربما تبيّنوا من البحّارة ما تحمله السفينة .

إذا ما عمل سموّكم لإعطاء الأوامر بالذهاب إلى هذه الأنهار ، يترتب على الذين صدر لهم الأمر أن يشرعوا فوراً في التقدّم بحذر ، وأن يتحرَّوا الصدق والأمانة ، وبتلك الطريقة يمكن أن تظهر الحقائق ومعرفة الفاسدين والأرذال بين أولئك الناس .

سيدي ، باعتبار الصعوبات التي تكتنف هذا العمل ، وفي ضوء

معاناة الناس لفترة طويلة من جراء هذا العمل المملّ والخطير في نفس الوقت ، فإنني أرى ضرورة الحصول على رخصة للبقاء هنا لأجل تقديم المساعدة ؛ إذ إنني أعتزم البحث عن بعض المواد الغذائية المعلّبة والسفرجل ومواد غذائية أخرى كي أرسلها إلى المرضى على نفقة جلالة الملك .

كما سيتبين لسموّكم من الوثائق المرسلة لكم بواسطة "أنطونيو فيرناندس" ، ابن أخ "أنطونيو فيرناندس" خادم سموّكم ، وإذا كانت الكمية التي بحوزته قليلة فإن هذا مردّه للشح والقصور في كل شيء في هذه البلاد ؛ خاصة المواد المحفوظة ، إذ إن محصول الفواكه كان شحيحاً هذا العام بسبب ندرة الأمطار .

الآن فإنني أرسل كمية كبيرة من السفرجل والتفاح والكمّثرى إلى سموّكم ، لكن أخشى أن تصلك بعدما تكون قد تلفت أو أصابها الفساد بسبب تأخر عملية شحنها في السفن ، التي ظلت مدة طويلة في هذا المضيق ، وهذا نموذج صارخ للعجز وعدم الأهلية ، وبالتالي فليأمر سموّكم "أنطونيو فيرنانديس" "Antonio Fernandes" برفع تقرير لسموّكم في هذا الأمر .

أدعو الرّبّ أن يطيل في عمركم ، وأن يعينكم في كل الأمور .

يطيب لي أن أذكر سموّكم بأنك قد كتبت لي بشأن منحي بعض المكافآت ، وخلال "المونسون" الأخيرة أبلغتني في واحدة من رسائلك عن أسفك عما يحدث في الهند من ضيق وشدة وصعوبة في الحياة ، وإزاء ذلك أجبت على سموّكم إنك إذا ما كنت تهتم بأمرهم فماذا سيحل بنا وبمملكة الملك في هذه المنطقة؟

لكننا أدركنا بوضوح من خلال أعمالك وإنجازاتك الشهيرة ؛ فليبارك الرّبّ كل جهودك وأنت تواجه المخاطر والصعوبات كاشفاً عن أصالة معدنك ، وما تتحلى به من ثبات وإقدام وقلب عامر بروح وثابة ، أسأل الرّبّ جلّ وعلا أن يكلل كل مساعيك بالنجاح والتوفيق .

سيدي ..

طالما شاءت إرادة الرّبّ أن يقوم "نونو بيريرا" "Nuno Perriera" بوضع حدّ لإقامته من سموّكم ، هل لي أن أذكّرك بزوجته وبناته اللاتي سوف يفتقدنه دون شك ، واللاتي يجب أن يخصّهن سموّكم بِمِنَحٍ ومكافآتٍ ؛ سيما وأنا أعرف أنك تمنح الكثيرين من الناس هذه المكارم والمكافآت ، ولا أستثنى نفسي من ذلك ، إنني فقط أذكر سموّكم بذلك ولديّ أسبابٌ مقنعةٌ لفعل هذا ، وليس بسبب ما يبدو أن سموّكم لا يقيم وزناً وأهمية لهذه الأمور .

أقبّل أيدي سموّكم ....

من هرمز ، في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م .

بما أنني أعرف أن سموّكم قد قبل من واقع ما يتصف به من صفات السماحة والتحرر والبساطة الطبيعية ، العديد من الخدمات البسيطة ، وكأنها عظيمة ... ، والآن إنى أغامر بإرسال هذا الاعتراف لكم إذ إنه يتضمن رغبة حقيقية دون أن تخالطها أية شائبة أو فساد ، وعليه فإنني أقول بكل سرور إنني قد رأيت وسمعت بعض الرجال يتحدثون عنها على هذا النحو :

[.....] عندما ولدت وتعلمتها منهم ، وطالما أن سموّكم من ذلك الجيل فإنني أرسل صندوقاً واحداً من السفرجل وجرة صغيرة من الكمّثرى ، وصندوق آخر من الكمثرى أعرف أن سموّكم سوف يقبله ، مع تمنياتي ودعواتي للرّبّ بأن يحمى سموّكم .

"سبستياو لوبيس لوباتو"

مُعَنْون إلى سعادة اللورد الشهير "دوم جواو دى كاسترو" ، حاكم مولانا جلالة الملك في بلاد الهند ، وبفضل جلالة الرّبّ الحامي الأمين ... الخ

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)
بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى سعادة الحاكم "دوم جواو دى كاسترو" "D . Joao de Castro" ، هرمز ، في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر وصول خادم ملك البصرة : [٩٢]

سيدي ..

زامَن الاحتفال بيوم عيد راعينا المبارك القديس "توماس" وصول إحدى السفن في هذا الميناء قادمة من عاصمة "تشول" تحمل أخباراً عن أحداث الموت الرهيب والدمار الذي ألحقته في "ديو" بأولئك الناس الأراذل السفلة ، وعن المكرمة التي حباك الرّبّ بها بتحقيق ذلك النصر المؤزر ، وهذا الصّيت الذي لا يجب أن يذاع في "ديو" وحدها ، وإنما في الهند بكاملها أيضاً ، لأن الرّبّ لم يفعل المزيد للناس في إسرائيل أو يظهر محبته لبلاد منتصرة على أعدائها أكثر من هذه

(٩٢) رقم الوثيقة والهامش.

المكرمة التي حظاكم بها ، فللرب الشكر والمنة على رحمته الدائمة ، ولابد أن يتلقى هذا الشكر من أكثر الرجال حظاً في هذا العالم .

لكن لا يجب أن يذكر بالموت الذي حدث للأطفال وللأقرباء والأصدقاء ، كما لا يجب أن يقارن حجم هذا الانتصار بالأفضال التي من بها .

إن الغضب يكاد يعصف بكياني عندما أفكر في المكرمات التي أغدقها علينا الملك ، وكذلك الخطر الذي أصبح يهدد الهند .

آمل يعذرني سموّكم وتضع في اعتبارك أن ما أكتبه لك قد بات خارج السياق ، وأنه يصعب عليك فهم ذلك ، وأعترف بتباين إحساسي ما بين السرور والأسف فعندما أتذكر مجموعة أصدقائي الذين قتلوا في تلك المعركة وكذا النصر الذي حبانا الرّبّ به اضطرب .

كتب لي "فرانسيسكو ألميدا" مشيراً أن سموّكم قد أخذته معك ، وهنا أجد نفسي ممتناً لك بهذا الفضل وسماحك له بمرافقتك .

إنني تيقنت الآن أنك سوف تعرف الكثير عني ؛ إذ عندما يصبح الأمر مرتبطاً بخدمة سموّكم فإنني لا أعبأ سواء بالحياة أو الممتلكات ، وإذا كنت قد رغبت في الماضي بمغادرة هذه القلعة فإنني الآن بتّ أكثر حرصاً على البقاء فيها ، حتى أتمكن من خدمة سموّكم ، نظراً لما أدركه من حاجة سموّكم إلى من يخدمكم ويقدم لكم خدماته .

أعتقد أنه من الأفضل أن أرسل هذه السفينة لزيارة سموّكم حتى يتمكن الوكيل من إرسال بعض احتياجات المرضى .

وبما أن الوكيل قد فشل في شراء بعض الفواكه في هذه المدينة ؛

فإنني أوافق على شرائها من بعض الناس الذين سبق أن قاموا بتجهزها لإرسالها ، وعليه فإنني أقوم بإرسالها إلى سموّكم مع أحد الأتراك ، وذلك حتى يتمكن سموّكم من زيارة تلك المباني ، وإذا كان عديم الجدوى هناك فيمكن الإفادة منه في نقل الحجارة لها .

عندما غادر المركب الذي وجهته إلى سموّكم ، كان أحد خدم جلالة ملك البصرة قد وصل إلى هذه القلعة بالرسالة التي أرسلتها إلى سموّكم ، ومن الضروري أن يعمل سموّكم على الاهتمام بهذا الأمر بقدر المستطاع ، إذا ما سمح وقت سموّكم .

إنني جدّ راغب في اتخاذ هذه الخطوة بل بحماس أكثر مما سبق ، وذلك بسبب كراهيتي الشديدة ، وأيضاً بسبب مجموعة من القرائن والأدلة مثل سرعة هؤلاء الناس الأشرار في العلم بمسألة حصار ديو ، الأمر الذي جعلني أتيقن من توجسي .

لقد قمت بالقبض على وكيل "خواجا صوفار" ومصادرة جميع ممتلكاته ، غير أنى لا أريد أثارة قضايا واحتجاجات ضد التجار الآخرين مالم أتلقى رسالة من سموّكم .

على كلٍ ، لم يعد لديَّ ما أكتب لك عنه باستثناء دعائي الذي أتوجه به للرب أن يطيل في عمر سموّكم ويمتعكم بالصحة ففيهما الخلاص للهند بأكملها .

من هرمز ، في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م

"لويس فالكاو"

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث "دوم جواو دى كاسترو" "D . Joao de Castro" رسالة إلـى ابنـه "دوم ألفــارو" "D . Alvaro" ، في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر ١٥٤٦م ، يذكر طلـب ابن مــلك " قشن" لطرد الأتراك من "قشن" : (٩٣)

ابني "دوم ألفارو"

لقد جاءني ابن ملك "قشن"(أ) برسالة منك لي أطمئن على أنك بصحة جيدة ، ولقد سررت كثيراً جداً لأنني منذ وقت طويل لم أتلقى منك أية رسالة تطمئنني على أحوالك .

(أ) كشم ، "قشم" ، "قشن" ، وهي مدينة تقع في ساحل الجزيرة العربية وبذكر "غاسبار كوريا" أن ابن ملك "قشن" قد اعتاد الحضور للحاكم بشكل سنوي كي يطلب منه المساعدة لأجل طرد الممــاليك من مديننـــه . لأنهم قاموا ببناء حصن هناك ، وشرعوا في فرض الأتاوات عليه – Lendas IV p 365 انظر : – الأساطير ، ٤ ، ص ٣٦٥ .

(٩٣) رقم الوثيقة والهامش.

بناء عليه ؛ فبما أن الرّبّ قد منحني القوة على ضمان صحتك بشكل جيد ؛ فإنني أناشدك أن تحافظ على صحتك بالابتعاد عن الأكل والشرب والعيش بأفضل شكل .

لقد أخبرتني أن الرهبان هناك يسببون لك إزعاجاً شديداً ، وهذا الأمر ليس بمستغرب ، لأن هذا هو عملهم ، ولكن إذا ما واصلوا هذا ، فعليك أن تتجه إلى منزل في الريف مع بعض السكارى وأحد الهزليين للتسلية والترويح عن نفسك .

إنني أبلغك أن صديقك الأسقف قد أصدر أمراً بضرورة إحضار ذلك الكاهن الوغد للمثول أمامه في منصبه[أ] ، وقد كتب له خطاباً سوف يطلعك عليه "روى غونسالفيس" فيما يتعلق بالامتيازات العظيمة التي يتضمنها .

(أ) هذه إشارة إلى قس "ديو" الأب "جواو كويلهو" ، وهو متهم بالكثير من النقائص والعيوب ، فيما يتعلق بممارساته ومهامه الدينية .. انظر التحقيق في هذا الموضوع ، والذي تم في الثالث والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م ، بأمر من "دوم جواو دى كاسترو" . وهناك وثيقة حفظت في Torre do Tombo, Collecao de Sao Lourenco, Vol V, ff 53-76r .

ومن خلال بقية الرسائل الأخرى في نفس المجموعة التي نشرت العمل المذكور مثل المستشار "فرانسيسكو كوسكانو" (٨ يناير ١٥٤٧م – ص ٩٧) ، وأيضاً تلك الخاصة بالمطران نفسه – (١٠ يناير والأول من فبراير ص ص ٩٣ و٩٧) يمكن الاستدلال أنه في ظل الأفكار المقبولة التي طرحت بواسطة الأب "باولو دا سانتريم" ، و"دوم جواو ماسكارينهاس" و"فاسكو دا كونها" أن رجال الدين قد انفقوا على توجيه القس بالعودة إلى ديو .. وتلك غلطة طلب سامحته والعفو عنه من الحاكم بعد تذلل وخنوع .

وفي نهاية شهر يناير وعندما تم إرسال جواو كوالهو سجيناً إلى "غوا" ومعه سجلّ يتضمن كافة القضايا المتهم فيها ؛ كان المطران قد اقترح على السجان أنه إذا ما كانت هناك ضرورة فلتوثقه بالمزيد من الأغلال والسلاسل ومن ثم اتركه كي يرميها بعيداً .. (opus cit p 97) .

لابد لي من إرسال ذلك الخطاب إلى مولانا جلالة الملك ، كموضوع له أهميته البالغة .

ابني ، يجب أن تدرك معنى أخذ الرشوة والهدايا ، وأعدك أنني سوف أقوم بإعداد خدعة للأسقف ، وذلك كي يكف ويرسل "ميجيل فاز" كقسيس عام[أ] ، وحينها سوف يكون معي وسوف يقوم بتنفيذ كل الأشياء التي يأمر بها مولانا جلالة الملك .

أما بالنسبة للموضوع الذي تحدثت فيه معي وورد في رسالتك ؛ فإني أعدك بأني سأكتب لك بشأنه بشكل مطول فيما بعد .

وفي الختام ، لك مباركة الرّبّ ومباركتي

من ديو ، في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م

"دوم جواو دى كاسترو"

(أ) السيد ميجيل فاز كوتينهو القسيس العام في الهند ، ولقد وصفه المطران بأنه رجل متعقل ، حصيف ، متعلم وذو بصيرة . (OPUS cit 85) .

وقد عاد لتوه من البرتغال . وعموماً لم تطل إقامته كثيراً في الهند ، إذ أنه توفي في يناير من عام ١٥٤٧م .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

بعث رياض باشا رسالة إلـى ملك الجزائر علي بن عليان ، فيما يتعلق بالأتراك ، بتاريخ عام ١٥٤٦م : (٩٤)

* نسخة من الرسالة التي كتبها "لويس فالكاو" إلى ملك البصرة بشأن الأتراك ،

لقد دُهشت جداً عندما رأيت الوكيل هنا دون أن يحمل لي رسائل منكم ، وأن أعلم كم أصبح الأتراك قريبين من أراضيكم .

بما أن هذا الوقت ليس بالوقت المناسب كي أثير شكواي لكم فيما يتعلق بإهماله ، فإنني سوف أترك هذا الأمر لوقته المناسب .

عموماً ؛ كيف أنك لم تكتب لي بشأن قرارك ، وأنت تعلم تمام العلم استعدادي الكامل لمساعدتك عند الضرورة؟

فيما يتعلق بشأنك في الوقت الراهن ، أقول لك سيدي إن

(٩٤) رقم الوثيقة والهامش.

ملك "جزاير" كتب يخبرني أنه يستعد لمنع إصدار تراخيص المرور لأولئك الأنذال .

قد طلب منى أن أتفضّل بمساعدته ، لأنه طالما تمنى أن تتوطد صداقته بـ"البرتغاليين" .

لقد سررت جداً برسالته ، وبالمثل بتفكيره في تقديم تقرير بشأن قراره ونواياه وثقته في إقامة أواصر الصداقة معي ، وعلى الفور أعددت عدتي ، وذلك كي تعرف نيتي في التوجه لتقديم مساعدتي لك .

لقد أرسلت أحد "البرتغاليين" إلى هناك كي يبلغك أنني وبحول الله سوف أكون إلى جانبك في أقرب وقت ، وأن تخبره أيضاً عن الكيفية التي سوف أتبعها في رحلتي الخارجية للوصول إلى هناك ، وكم عدد أولئك الأنذال هناك ، وماذا فعلوا إثر وصولهم؟

يجب أن تخبرني عن كل ما قمت بإنجازه ؛ إذ من الأفضل أن أكون على علم بذلك .

ونظراً لضيق وقتي الآن ، لا يسعني في الختام إلا أن أدعو لك بالتوفيق والنصر على أعدائك .

* من رياض باشا ، حاكم بغداد إلى علي بن عليان ملك "جزاير " .

بعد عبارات المجاملة حسب العادات المتبعة ، أشار بقوله :

"لقد حافظت كما حافظت أنا طيلة هذه الفترة على علاقات الصداقة والودّ القائمة بيننا بحكم الجوار ، وظلت حركة القوافل منسابة بشكل جيد بين بلدينا ، والآن وفي هذا اليوم ، صدر أمر جلالة الملك

لي بالذهاب للاستيلاء على البصرة ، ومن هناك يترتب عليَّ الاتجاه إلى هرمز والهند لأجل محاربة المُضللين "البرتغاليين" ولتحريرهم من ديانتهم البغيضة وقتلهم .

الآن يجب على رجالي المغادرة فوراً وهم في كامل عدتهم وعتادهم وكل ما يلزمهم من أسلحة ثقيلة ومؤن عبر البر عن طريق "الزكية" ، ولقد اتفقنا على أن نلتقي في [القرنة] بالقرب منكم ، ومن هناك سوف نزحف براً للاستيلاء على البصرة عند النهر .

طالما أنني بَيَّتُّ العزم على القيام بهذا الأمر بنفسي ، فإنني سوف أطلعك على قراري في هذه الرسالة ، ولقد أخبرتك بذلك كي تبقى على علم بالمكان الذي سأكون فيه ، وأيضاً بسبب صداقتي بك .

إنني أخبرك بذلك كي تكون على شرف عهدك ، فأرجو أن تخلص الولاء والطاعة للملك كي تصبح ، وتحجز مكانك بين مجموعة أصدقائه ، لأنك لن تجد منه إلا كل خير فيما يتعلق بالامتيازات ، وكل الشرف والتكريم .

لعله من الأفضل والمفيد أن ترسل لي أحد الأشخاص البارزين ، وسوف أرسل لك نظيره من عندي كي يذهبا سوياً إلى الملك .

رجاء لا تهمل نصيحتي هذه ؛ لأني صديقك ، ولأني أدرك أن في طاعتك للملك كل الخير الذي سيعود عليك .

يأمرنا الله جلّ وعلا في كتابه الكريم بطاعة رسله وأولى الأمر فينا ، لأن ملكنا وهو ملك عادل حكيم يقدم لنا نصائحه القيِّمة ، وعليه أرجو

ألا تعمل بخلاف ما أقوله لك ، ولأن مهمتي في هذه الرحلة ليست ضد أحد سوى أولئك الفرنجة الأوغاد .

سوف أعمل على استئصالهم من وجه الأرض وتدمير منازلهم وتشتيت جموعهم ومسح اسمهم ، حتى لا يصبح لهم أي وجود في أي مكان .

يجب عليك أن تنضم إليَّ فوراً حتى لا يجدوا لهم موطئ قدم واحد في بلادي ؛ لأنه لا يجوز أن تدير ظهرك للشرف الذي سيعود عليك بالمناقب العظيمة والشهرة .

أما أنا وبصفتي صديقاً لك فسوف أكون الشخصية الثالثة في الأهمية بعد شخص الملك وشخصك ، وبالتالي لا ترفض مشورتي لأنني صديقك ، وسوف يتجه أتباعي من القرنة إلى البصرة ، وأرجو أن تستمع إلى نصيحتي وأنا في انتظار استلام رد منك .

* نسخة من الخطاب الذي أرسله "لويس فالكو" إلى ملك "جزير" .

لقد تلقيت رسالتين منك بواسطة وكيل ، وكلاهما بعثتا السرور في نفسي بسبب اهتمامك بي وباطلاعي على التقرير الخاص بوصول تلك الفئة الفاسدة من الناس ، وثقتك في التعويل على صداقتنا ، وإذا كان هؤلاء الأشرار بحكم حاجتهم للمساعدة منك ، قد كتبوا لك بتعبير ملؤه الخبث والنفاق ، فإن الفوائد التي يمكن أن يجنيها حكام عدن وكمران من السهل التكهّن بها ، لأنني أدرك أنك مطّلع على غياب العدالة ، وعلى الأعمال الخسيسة التي يرتكبها أولئك الناس ، ولن أتحدث عنهم أكثر من هذا .

بما إنك أبلغتني بأن أهتم بهذا الأمر قبل استفحاله لأن هدفهم هو الوصول إلى هذه القلعة ؛ فبوسعي أن أؤكد لك أنهم إذا ما فعلوا ذلك فسوف يواجهون ما يستحقون ، فقد شهدت قلعة "ديو" .

تعلم تماماً كيف يعاقب البرتغاليون أعداءهم ، وكيف يكسرون جبروتهم ، ولكن نظراً لتقاليدنا وما أمرنا به الرّبّ تعالى بضرورة مساعدة الضعيف المحتاج ؛ فإنني قد أعددت نفسي ليس لأنني أخشى أولئك الأشرار ، أو بسبب الفائدة التي يمكنني أن أحصل عليها من هذا العمل ، لكن تدفعني فقط الرغبة في تلبية طلبكم لأجل مساعدة ملك البصرة الذي تربطنا به علاقة صداقة مستمرة منذ عدة سنوات .

لابد من إلقاء اللوم على ملك البصرة إذ لولاه لما تجرأ هؤلاء الأنذال على المجيء إلى بغداد ، فلقد كتبت له قبل عدة أيام طالباً منه أن يهتم بواجبه ، ويتجه للاستيلاء على قلعة [الزكية] ، وأنني سوف أذهب لمساعدته لأنني إذا ما رافقت الأسطول عن طريق البحر ، وسلك هو الطريق البريّ ؛ فسوف يكون من الصعب أن يتمكنوا من الدفاع عنها .

لكن لم يكلف نفسه حتى الآن بالرد عليَّ كي يبلغني بمجيء وكيلي من هناك ، بل لم يكتب لي أيضاً عن حاجته طالباً المساعدة مني بالرغم من حاجته الشديدة والملحة للمساعدة ، لكن عودة إلى الموضوع فإنني أشير بأنني قد أعددت نفسي ، وسوف أنضم إليه بأسرع ما يمكنني ، وفي الوقت الراهن يترتب عليه أن يغلق مسارهم ، وهو رجل قويّ ، وبوسعه أن يفعل هذا ، وبالتالي سوف أخاطب ملك البصرة وأبلغه بأنه يفتقر للرجال والعدالة والحق .

أمّا بالنسبة للقلعة التي يزعم أنه سمح لي ببنائها في بلاده ، فهذا أمر أشكره عليه ، وعندما يتجه البرتغاليون إلى هناك فيمكن الوثوق في كل ما يفعلونه ، وسوف يعملون كل ما يجب عمله ، وسوف يتم سحق أولئك الناس ، وبالتالي فخير الكلام ما قَلّ ودلّ .

لن أضيف المزيد لهذه الرسالة ، وأدعو الرّبّ أن ينصرك على أعدائك .

وفي العام نفسه (١٥٤٦م)

وفي عهد الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، تم تكليف "لويس فالكاو" "Luis Falcao" للقيام بعمل اتفاقية سلام مع ملك "كامباي" "Campay" ، بتاريخ عام ١٥٤٦م ، وقد تمّ استعراض الأوضاع في البصرة وهرمز ، وكيف استولى الأتراك على البصرة : (٩٥)

في عهد الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" ، كلف "لويس فالكاو" للقيام بعمل اتفاقية سلام مع ملك "كامباي" ، والتي بعض تفاصيل شروطها لم توضع بطريقة مناسبة وصحيحة ، عندما تولى "جارسيا دي سا" سدة الرئاسة بعده بعث "دوم أنطونيو منديز دي كاسترو" كسفير ورسول لنفس ملك "كامباي" ، ويتعلق الأمر بجدار ساتر قام بتشييده بين المدينة والقلعة والذي قاد للحصار الأخير الذي فرضه على ديو .

(٩٥) رقم الوثيقة والهامش.

أمـر الملك حالياً "دوم أنطونـيو" لإعادة النظر في شروط اتفاقية السلام ، وإن ظهـرت له أنهـا لا تصب في مصالحه فعليه التباحث على أساس كل تلك الأمور التي يَحوم حولها الشك ، وفيما تنص عليه ، وعليه أن يحاول تعديل كل شيء تمّ الاتفاق عليه ، وجعْله مناسباً ليحقق ضمانة أكبر للمدينة ، وأفضل سبل الحراسة والدفاع عن القلعة ، دون المساس بمبدأ السلام والوفاق .

إن كان قد رأى أن الشروط ضد مصالحه ، ولا توجد أي طريقة معقولة يمكن تعديلها بها باستثناء أن تعود الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل الاتفاقية وإن ملك "كامباي" لا يريد شروطاً للسلام عادلة ومخلصة ؛ فعليهم التحول واستمرار الحرب التي كانوا قد شنّوها ضدّه من قبل .

كان الملك قد أخطر في وقت سابق من "باسين" أن عليه أن يعد الكثير من الخطط لأي حدث أو أمر قد يصيب الهند ، بما أن بها الكثير من الأراضي الخصبة الواسعة التي يمكن أن تعيل ستة آلاف رجل ، ونتيجة لذلك أوصى الملك "جارسيا دا سا" أن يحرص بالكتابة إليه عن بناء قوة كافية هناك لتبدد الخوف الذي قد يشعرون به من العدو لأن لهم جيراناً أقوياء .

بالرغم من أن الأمر قد بدا لسمُوّه في تقدّم مطّرد بناءً على الأهمية التي أولاها له "جارسيا دي سا" ، وكونها كانت أمراً هاماً لدولة الهند ؛ فقد أمر وأوصى بشدة دوم أنطونيو بأن عليه محاولة تعزيز ما وجد أنه ابتدأ ، وإن رأى أن يكون ذلك بقضاء الشتاء هناك ؛ فعليه ألا يفرط في أمور هامة أخرى أو يعرضها لأي مخاطر ، وعليه أن يقوم بذلك حتى

يواصل في أداء خدمة جيدة ، لكن عليه بالدرجة الأولى أن يذهب وينقذ "ديو" من محنتها ، بما أن رواتب وإعاضة أربعة آلاف رجل يمكن سدادها من دخل عائدات القلعة ؛ فسيكون من الممكن دائماً الاحتفاظ بهم هناك لأي وقت تستدعيه مصالحه .

بعد أن استولى الأتراك على البصرة ، وهي مدينة عند مصب نهر الفرات بالقرب من هرمز ، بدا الملك أكثر اهتماماً بشؤون الهند لوجود جار هنا يزرع ويحصد ، وبمنتهى الجدية ؛ حيث إن المكان هنا يُعَدّ مثالياً جداً لرسو السفن الشّراعيّة والمراكب التي تُبْحر بالمجاديف من كل نوع ، ومع وجود الخشب الذي يتم به بناء السفن وغيرها ، والأهم من ذلك أن العون التركي قريب جداً ، وفي المتناول دون الحاجة لأن يُرْسَل عبر دول أجنبية .

لذلك السبب والكثير غيره ؛ فإن الملك بعد أن اتضحت له أهمية هذا الأمر قرر البحث عن نصيحة رجالنا في هذا الخصوص ، بما أنهم الأقدر على إعطائه أفضل النصح والإرشاد ، وذلك لخبرتهم في الشؤون الهندية .

كانت رغبته أن يتم ذلك كتابة حتى بعد أن يكون كلٌّ منهم قد بحث الأمر من جميع جوانبه في متّسع من الوقت ليتمكن من شرح وإيضاح الأمر في وقت كاف .

الرجال الذين طلب نصحهم من الحاضرين والغائبين كانوا : "مارتيم أفونسو دي سوزا" ، "دوم ايستيفاو دي جاما" ، "أنطونيو دي سيلفيرا" ، الذي كان قائداً "لديو" خلال فترة حصارها الأول ، "روي لورنزو دي

تافورا" "Rui Lorenco de Tavora" ، "دوم جيرونيمو دي نورونها" ، "دوم جواو ماسكارينهاس" ، "دوم ألفارو دي كاسترو" ، "دوم جواو دي كاسترو الابن" ، "فيرناو رودريجز دي كاستيلو برانكو" "Fernao Roderigues de Castelo Branco" ، "جورجي دي ليما" ، "أنطونيو كوريا" ، "فيرناو بيريز دي اندرادا" "Fernao Perez de Andrade" ، "أليكسو دي سوزا" و"فرانسيسكو دي سوزا تافاريز" "Francisco de Susa Tavares" .

بعث الملك بكل وجهات نَظَر أولئك الرجال إلى "بيرو دي الكاسوفا كارنيرو" ، سكرتيره ، ليقدّمها لنائب الملك "دوم أفونسو" .

عندما تسلمها جميعاً كان ما يبتغيه الملك منه في هذه المسألة المتعلقة بـ البصرة هو ما يلي :

أولاً : عليه القيام في الحال وبمنتهى الجدية والاجتهاد بتقوية قلعة هرمز ؛ لأنه بالرغم من تلقه أخباراً عبر رسائل من "دوم مانويل دي ليما" الذي كان قائداً لها في ذلك الوقت بأنها كانت قوية ومحصّنة تماماً ، وأنها تستطيع الدفاع عن نفسها بطريقة ممتازة ، إلا أنه يعمل لجعلها أكثر قوة كما ذكر في تقرير كان قد بعث به إليه عن ذلك الموضوع ، وقال إنه سيزيد من المواد التي سيقوم بإحضارها من أجل ذلك .

كما أن عليه إصدار أوامر للسكان المحليين وعبيد المقيمين والملك أن يعملوا في القلعة ؛ حيث إنها شُيّدت للدفاع عن الكل ، وعليه وضح أنه من المستحسن حثهم على القيام بذلك .

كانت التجارة مع الأتراك ممنوعة تحت طائلة عقوبة كبيرة في هرمز ،

وفي أي جزء آخر من الهند ، وعلى البصرة ألا تقوم بأي اتصال مع تلك الأماكن بالرغم من نقص العائدات لمكتب جمارك هرمز الذي قد يحدث ويتمحّض عن هذا المنع ، كما أشار البعض في ملاحظاتهم ، لكنه كان لا يزال أمراً لا يستحق أن يولى باهتمام كبير ، وبالمثل الفائدة التي قد يجنيها العدوّ من هذه التجارة معهم .

لتوفير القوة الكافية والشجاعة لتلك الأماكن في ذلك المضيق ، ولإعاقة وصول الإمدادات والمؤن التي يأتي بها أتراك البصرة من جزر "الجزائر" ، ولضمان عدم إحضارهم لها بأمان ؛ فإن على سموّه أن يأمر نائب الملك بإرسال خمس عشرة سفينة ذات مجاديف من زوارق وغيرها لتطوف وتحرس مضيق هرمز ، وأن يجعل من الشخص الذي يراه الأفضل قائداً لها ، وإن كان قد تلقى معلومات بأن الأتراك يأتون بأسطول محترم وضخم ؛ فعليه أن يزيد من أسطوله إن كان ضرورياً حتى يتمكن من قتالهم .

ليضمن أمناً كثيراً من هذا الخطر ، أمر نائب الملك العمل ومحاولة الحصول على صداقة شيخ إسماعيل ، وهو الشيء الذي بدا سهلاً لأن الحروب التي كان يشنها مع الأتراك ، وليعرض له بوضوح أنها كانت رغبة سموّه لأن يكون على علاقة طيبة معه .

عند وصوله مباشرة كان عليه أن يستقبله بكلمات ودية ، وبعد تذكيره بخطورة الانسحاب والأضرار التي ستتكبدها دولته بوجود الأتراك بالقرب منها ، والسماح لهم ببناء حصون في البصرة ؛ فعليه أن يمنحه الدعم ومساعدته في طردهم من هناك .

عليه أن يقترح إن كان ذلك سيتحقق فسيكون عوناً له أن يشيد قلعة على جزيرة "مرزع" "Murzi" (التي عند مدخل نهر الفرات) قبل أن يصلوا إلى البصرة ، وهذا سيؤدي إلى دمار شامل للأتراك ، ويؤمن الوضع لكل الأماكن التي على ساحل المضيق .

بخلاف هذه الاتفاقية مع شيخ إسماعيل ، أمر الملك نائبه (الأمر الذي أشير به عليه في بعض النصائح التي سلمت له بخصوص هذا الموضوع) محاولة حث ملك جزر "الجزائر" (المقيمين عنده من القوم المقاتلين) بألا يثق في الأتراك ، لكن عليه أن يخشاهم ، ولا يسمح لهم بأخذ المؤن من أراضيهم أو مساعدتهم على حسابه ، وأن يقدم أسباباً أخرى محسوبة تجعله يكره الأتراك ، ويبحث على تقوية الصداقة معنا .

أوصاه بشدة أن يحرص على تسارع تلك الأحداث طبقاً لما عَلِمه من تحوّل الأمور والفائدة أو الضرر الذي قد ينتج من كل واحد منهم .

أعطى تعليمات ، حتى وإن كانت هناك اقتراحات من الهند ، مهما كانت مصادرها ، فإن عليه أن يذهب ويطرد الأتراك من البصرة ، ويقوم بتدميرها (الشيء الذي كان عليه معرفته من تلك التعليمات أنها صدرت له أوامر ليبدي له ذلك) ، ليس عليه القيام بذلك لأن مسؤوليته كان أن يحكم الهند ، وليس عليه في أي وقت أو في أي مناسبة قد تنشأ أن يكون من واجبه السفر بعيداً عن حدود الهند .

دليل الباحثين

الوثيقة رقم : ١

رسالة من "القسطنطينية" في الثامن والعشرين من شهر مايو عام ١٥٤٢م ، من "ديوغو دا ميسكيتا" "Diogo da Mesquita" إلى سكرتير الدولة "بيرو دي ألكاسوفا كارنيرو" "Pero de Alcacova Carneiro" ، مع ترجمة لرسالة كتبها التركي ، إلى سموه ، ومخبراً بأنه لا يشك في أنه سيعطيه أربعة آلاف قنطار فلفل مقابل الخمسة آلاف "مويو" "Moio" التي طلبها سموه وذلك يشير إلى السلام بين تركيا والبرتغال .

(صفحة رقم ٩)

الوثيقة رقم : ٢

اتفاقيات الاستسلام المبرمة بين "هيتور دا سيلفيرا" "Heitor da Silveira" وملك عدن في عام ١٥٤٢م ، الذي جعل نفسه تابعاً لملك البرتغال .

(صفحة رقم ١٥)

الوثيقة رقم : ٣

في عام ١٥٤٢م بعث سكان هرمز برسالة إلى ملك إسبانيا جاء فيها أنهم يطالبون بإعادة "مارتيم أفونسو دي ميلو" "Martim Afonso de Melo" كقائد لهرمز .

(صفحة رقم ١٧)

الوثيقة رقم : ٤

في عام ١٥٤٢م أرسل قاضي هرمز رسالة إلى الملك "دوم جواو الثالث" "D . João III" يذكر فيها الأحوال في هرمز .

(صفحة رقم ٢٠)

الوثيقة رقم : ٥

في العاشر من أغسطس عام ١٥٤٢م ، كتب "جواو دي سيبولفيدا" "Joao de Sepulveda" رسالة إلى الملك ، يذكر فيها أنه كان متوجهاً إلى ساحل ماليندي وأنه سيرتب الأمور لأن الأتراك سيأتون بأسطول ضخم للاستيلاء على ذلك الساحل .

(صفحة رقم ٢٥)

الوثيقة رقم : ٦

أرسل "ديوغو لوبيز دي سوزا" "Diogo Lopes de Sousa" ، رسالة إلى "دوم استيفاو دا جاما" "D . Estevado da Gama" ، الحاكم في الهند ، جاء فيها أن أشراف المضايق قد أرسلوا الرسل والسفراء إلى الأتراك يخبرونهم بتواجد الأتراك في البحر الأحمر ، بتاريخ عام ١٥٤٢م .

(صفحة رقم ٣٦)

الوثيقة رقم : ٧

وصف أحداث عام ١٥٤٢م ، كما وردت في كتاب : "عقود آسيا" "Da Asia Nova" ، للمؤرخ البرتغالي "ديوغو دو كوتو" "Diogo do Couto " ، والإجراءات التي اتخذها الحاكم للهند "مارتيم دي سوسا" في النظر في القوانين المتبعة والأمور الخاصة بالخزينة . **(صفحة رقم ٣٨)**

الوثيقة رقم : ٨

وصف دولة الهند ، ومنطقة الخليج ، وحكام الخليج الأوائل ، بتاريخ عام ١٥٤٢م . **(صفحة رقم ٥٧)**

الوثيقة رقم : ٩

أبرمت اتفاقية بين السكرتير "أنطونيو كاردوسو" "Antonio Cardoso" وبين ملك هرمز ، بنود الاتفاقية المتعلقة بتسديد كل الديون المستحقة لملك البرتغال ، بتاريخ عام ١٥٤٣م . **(صفحة رقم ١٠٥)**

الوثيقة رقم : ١٠

بعث حاكم هرمز ، "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى الملك ، هرمز ، في الخامس والعشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٤م يبين فيها علاقته مع والي البحرين . **(صفحة رقم ١٠٩)**

الوثيقة رقم : ١١

بعث الملك "دوم جواو الثالث" "D . Joao III" رسالة إلى "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، نائب الملك في الهند ، "إيفورا" "Ivora" ، الثاني عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٥م ، وفيها يذكر الأسطول البرتغالي والبحر الأحمر .

(صفحة رقم ١١٥)

الوثيقة رقم : ١٢

مراسلات تتعلق بالإعفاء من رسم القماش "للشاه طهماسب" ، هرمز الثاني عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٥م ، تبيّن العلاقة الودية مع ملك فارس .

(صفحة رقم ١١٧)

الوثيقة رقم : ١٣

بعث "دوم جواو الثالث" " D . Joao III " رسالة إلى "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، نائب الملك في الهند ، "إيفورا" "Ivora" ، في الثالث عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٥م ، يأمره فيها ألّا يتدخل في سفن التجار أو سكان الساحل العربي .

(صفحة رقم ١٢١)

الوثيقة رقم : ١٤

بعث جلالة الملك رسالة يأمر رجاله بعدم الاستيلاء على المساكن

عنوة في مدينة هرمز ، "إيفورا" "Ivora" ، الثالث عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٥م .

(صفحة رقم ١٢٥)

الوثيقة رقم : ١٥

صدر توجيه من جلالة الملك يشدد على منع البرتغاليين كيلا يتصرفوا بعدوانية تجاه ملك هرمز وأتباعه ، "إيفورا" "Ivora" الرابع عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٥م .

(صفحة رقم ١٢٨)

الوثيقة رقم : ١٦

رسالة من قاضي هرمز إلى سعادة الحاكم في الهند ، من هرمز في الرابع والعشرين من شهر أغسطس ، عام ١٥٤٥م ، يخبره أن مدينة ومملكة هرمز تنعم بالنمو والازدهار ، وتنعم بالهدوء والسلام .

(صفحة رقم ١٣٢)

الوثيقة رقم : ١٧

بعث كبير وزراء هرمز رسالة إلى حاكم الهند ، من هرمز في الرابع والعشرين من شهر أغسطس ، عام ١٥٤٥م ، يخبره بالرخاء والسلام بمدينة هرمز .

(صفحة رقم ١٣٧)

الوثيقة رقم : ١٨

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى حاكم الهند ، من هرمز

في الرابع من شهر سبتمبر ١٥٤٥م ، ويذكر أنه بالاستيلاء على عُمان ستصبح الجزيرة العربية خاضعة لمملكة هرمز . **(صفحة رقم ١٤١)**

الوثيقة رقم : ١٩

بعث قاضي هرمز رسالة إلى سعادة الحاكم من قاضي هرمز ، من هرمز في السادس من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٥م ، يخبره عن السفن في السويس وأنه لم يستطع الوصول إلى "القطيف" لوجود الحرب هناك . **(صفحة رقم ١٤٧)**

الوثيقة رقم : ٢٠

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى سعادة حاكم الهند ، من هرمز في الحادي والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٥م ، يخبره بأن سليمان باشا ، القائد التركي ، قد انتحر ، وبانتحاره اختفى أتباعه في الهند . **(صفحة رقم ١٤٩)**

الوثيقة رقم : ٢١

بعث قاضي هرمز رسالة إلى سعادة حاكم الهند "جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، من هرمز في الثاني والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٥م ، يخبره بأن "القطيف" بيد نور الدين ابن الريس شرف ، والريس محمود في البحرين . **(صفحة رقم ١٥٩)**

الوثيقة رقم : ٢٢

بعث الريس شرف رسالة إلى سمو الأمير "د . لويس" يشكره على الحفاوة والتكريم الذي استقبله به "د . جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، من "غوا" "Goa" في الثامن من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٥م ، يطلب حضور ابنه الريس نور الدين من القطيف إلى "غوا" في الهند .

(صفحة رقم ١٦٤)

الوثيقة رقم : ٢٣

مذكرات كتبها أسقف "بادري" "Paderi" "ميجيل فاز" "Miguel Vaz" عن دولة الهند ، وقدمت للملك "دوم جواو الثالث" "D . Joao III" ، "إيفورا" "Ivora" في شهر نوفمبر عام ١٥٤٥م ، تبيّن إعادة المسيحية إلى سوقطرة .

(صفحة رقم ١٦٧)

الوثيقة رقم : ٢٤

صدر امتياز منح رحلة إلى هرمز إلى المراقب "ديوجو ميريليس" "Diogo Mereles" ، وما يتعلق بالرحلات والأشخاص الذين ذهبوا فيما وراء البحار ، بتاريخ عام ١٥٤٥م ، ويذكر الوظائف الشاغرة .

(صفحة رقم ١٧٠)

الوثيقة رقم : ٢٥

بعث قاضي هرمز رسالة إلى حاكم الهند ، من هرمز في الثامن عشر

من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٥م ، يذكر له وضع ريس شرف في البرتغال ، وكذلك يذكر له طهماسب ملك فارس . **(صفحة رقم ١٧٧)**

الوثيقة رقم : ٢٦

بعث "بيرنارديم دي سوزا" "Bernadine de Sousa" رسالة إلى الملك "دوم جواو الثالث" "D . Joao III" ، في العشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٥م ، يذكر فيها أن الأتراك قادمون إلى هرمز . **(صفحة رقم ١٩٢)**

الوثيقة رقم : ٢٧

بعث "اليكسو كارفالهو" "Alexo Carvalho" رسالة إلى الملك "دوم جواو الثالث" "D . Joao III" ، من "غوا" "Goa" ، في العشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٥م ، يعدد خدماته لدى ملك هرمز . **(صفحة رقم ١٩٩)**

الوثيقة رقم : ٢٨

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى حاكم الهند ، من هرمز في يوم الثاني من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٥م ، محذراً بأن الأتراك سيصلون هرمز في بضعة أشهر . **(صفحة رقم ٢٠٣)**

الوثيقة رقم : ٢٩

بعث "سيباستيان لوبيز لوباتو" "Sebastiao Lopez Lobato" رسالة

إلى حاكم الهند ، هرمز ، في يوم الثامن عشر من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٥م ، يصف له ريس شرف في هرمز بعد أن عاد من البرتغال .

(صفحة رقم ٢٠٥)

الوثيقة رقم : ٣٠

بعث "دون جوان دي كاسترو" "D . Joao de Castro"رسالة إلى ابنه ، في يوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٥م ، يذكر الأوضاع في مدينة "قشن" .

(صفحة رقم ٢٠٩)

الوثيقة رقم : ٣١

بعث "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، رسالة عامة إلى الملك "جواو الثالث" "D . Joao III" ، عن الأحداث في تلك المناطق في الهند ، بتاريخ عام ١٥٤٥م ، وإعادة احتلال القطيف .

(صفحة رقم ٢١٢)

الوثيقة رقم : ٣٢

بعث "خواجا قاسم" رسالة إلى "ريس شرف" ، يُخطره فيها عن المبالغ التي أمر الملك والملكة بأن تؤدّى له ، وأنه يزورهم كل يوم ، والسكرتير و"دوم أنطونيو" و"فرناندو الفاريز" ، ومعلومات أخرى خاصة بالريس شرف ، بتاريخ عام ١٥٤٦م .

(صفحة رقم ٢١٩)

الوثيقة رقم : ٣٣

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلـى حاكم الهند ، من هرمـز في الأول من شهـر ينـاير ، عام ١٥٤٦م ، ويطلب خدمات لقلعة هرمز .

(صفحة رقم ٢٢٢)

الوثيقة رقم : ٣٤

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao"رسالة إلى حاكم الهند ، هرمز ، في السادس من شهر يناير ، عام ١٥٤٦م ، يصف له جنوب العراق وأن الأتراك يبنون قلعة في زكية .

(صفحة رقم ٢٣٢)

الوثيقة رقم : ٣٥

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى حاكم الهند ، هرمز في العاشر من شهر يناير ، عام ١٥٤٦م ، وذكر أن شيخ البصرة هاجم زكية ، وأن سلطان الأتراك قد توفي .

(صفحة رقم ٢٣٦)

الوثيقة رقم : ٣٦

بعث قاضي هرمز رسالة إلى الحاكم ، هرمز ، في الرابع عشر من شهر يناير ، عام ١٥٤٦م ، يذكر أحوال ريس شرف .

(صفحة رقم ٢٣٨)

الوثيقة رقم : ٣٧

بعثت "بيبي روهاك" "Baby Rohack" ، زوجة الريس شرف ، رسالة

إلى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو""D . Joao de Castro" ، هرمز ، في الثامن والعشرين من شهر يناير ، عام ١٥٤٦م ، تنكر أنها تبرأت من زوجها وتدعو الله أن ينزل العقوبة على الّذين وجهوا الإهانة لها .

(صفحة رقم ٢٤٢)

الوثيقة رقم : ٣٨

بعث "غونسالو فالكاو" "Goncalo Falcao" رسالة إلى الحاكم ، بتاريخ عام ١٥٤٦م ، يذكر فيها انتصارات الحاكم بالقرب من مملكة عادل خان المسلم .

(صفحة رقم ٢٤٥)

الوثيقة رقم : ٣٩

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" ، قائد هرمز ، رسالة إلى "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، نائب الملك في الهند ، هرمز ، في الأول من شهر فبراير عام ١٥٤٦م ، ويهدي الحاكم كتاب الإسكندر باللغة الفارسية .

(صفحة رقم ٢٤٧)

الوثيقة رقم : ٤٠

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى حاكم الهند ، من هرمز في الأول من شهر فبراير ، عام ١٥٤٦م ، يبيّن فيها أن كل المحاولات لم تكن كافية لثني أبناء ريس شرف عن أعمالهم الشريرة .

(صفحة رقم ٢٤٩)

الوثيقة رقم : ٤١

بعث "باستياو لوبيز" "Bastiao Lopez" رسالة إلى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، هرمز ، الثالث من شهر فبراير ، عام ١٥٤٦م ، وبها أمور تختص بموضع الشاه طهماسب . **(صفحة رقم ٢٥١)**

الوثيقة رقم : ٤٢

بعث كبير وزراء هرمز رسالة إلى الحاكم ، هرمز في الرابع من شهر فبراير ، عام ١٥٤٦م ، يذكر فيها مسألة نور الدين . **(صفحة رقم ٢٦٥)**

الوثيقة رقم : ٤٣

بعث ملك هرمز رسالة إلى السيد العظيم والحاكم ، هرمز في الرابع من شهر فبراير ، عام ١٥٤٦م ، بخصوص ريس شرف . **(صفحة رقم ٢٦٨)**

الوثيقة رقم : ٤٤

بعث "جارسيا دي بينها" "Garcia de Benha" رسالة إلى حاكم الهند ، هرمز ، الخامس من شهر فبراير ، عام ١٥٤٦م ، بخصوص تاريخ الإسكندر .

(صفحة رقم ٢٧٢)

الوثيقة رقم : ٤٥

بعث "جارسيا دي لابينها" "Garcia de Benha" رسالة إلى "دوم

جـواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، نائب الملك في الهند ، هرمز ، الخامس من شهر فبراير ، عام ١٥٤٦م ، بشأن الحصول على كتاب الإسكندر .

(صفحة رقم ٢٧٤)

الوثيقة رقم : ٤٦

بعث "باستياو لوبيز لوباتو" "Sebastiao Lopez Lobato" رسالة إلى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، هرمز ، في الخامس والعشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٤٦م ، بشأن الشاه طهماسب .

(صفحة رقم ٢٧٦)

الوثيقة رقم : ٤٧

بعث "فرانسيسكو دياس" رسالة من فارس ، بتاريخ الثالث عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م ، بشأن استلام أمين الصندوق "فابياو دا موتا" الأصناف الواردة من فارس .

(صفحة رقم ٢٨٨)

الوثيقة رقم : ٤٨

ترجمة رسالة بعث بها ملك هرمز إلى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، بتاريخ الخامس من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م ، يذكر أخبار الخليج العربي .

(صفحة رقم ٢٩٠)

الوثيقة رقم : ٤٩

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى حاكم الهند ، هرمز في السادس من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م ، يذكر اعتقال "مير برويز" "Berus" .

(صفحة رقم ٢٩٣)

الوثيقة رقم : ٥٠

بعث "باستاو لوبيز لوباتو" "Sebastiao Lopez Lobato" ، الوكيل التجاري لهرمز رسالة إلى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، هرمز في السادس من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر سجن "مير برويز" .

(صفحة رقم ٢٩٦)

الوثيقة رقم : ٥١

بعث "دوم جواو الثالث" "D . Joao III" رسالة إلى "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، نائب الملك في الهند ، "الميريم" "Almeirim" ، الثامن من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر أن سفن الأتراك والمماليك تبحر بحرية بسبب ضعف البرتغاليين .

(صفحة رقم ٣٠٢)

الوثيقة رقم : ٥٢

مراسلات ذات صلة بإعفاء من الرسوم الجمركية على الأقمشة "للشاه طهماسب" ، هرمز ، الثاني عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م ، والتي تسببت في الخلاف بين فارس والبرتغال .

(صفحة رقم ٣٠٤)

الوثيقة رقم : ٥٣

بعث "جورج دي باروس" "George de Barros" رسالة إلى الحاكم ، "لشبونه" ، السادس عشر من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م ، لأول مرة يسلك أهل "البندقية" طريق بيروت للبضائع المرسلة من هرمز بدلاً من طريق حلب .

(صفحة رقم ٣٠٨)

الوثيقة رقم : ٥٤

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى حاكم الهند ، هرمز في الثاني والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر أسباب اعتقال "مير برويز" .

(صفحة رقم ٣١٢)

الوثيقة رقم : ٥٥

بعث "سيباستياو لوبيز لوباتو" "Sebastiao Lopez Lobato" رسالة إلى حاكم الهند ، هرمز ، في الرابع والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥٤٦م ، وبها عائدات دار الجمارك في مدينة هرمز .

(صفحة رقم ٣١٤)

الوثيقة رقم : ٥٦

بعث "باستياو لوبيز لوباتو" "Sebastiao Lopez Lobato" ، وكيل هرمز التجاري رسالة إلى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، هرمز في الخامس والعشرين من شهر مارس ،

عام ١٥٤٦م ، ويذكر أن عرباً من الداخل أغاروا على قلعة "صحار" واستولوا عليها . **(صفحة رقم ٣١٦)**

الوثيقة رقم : ٥٧

بعث الخواجا شمس الدين غلام رسالة إلى "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، "كانانور" "Cananor" ، في الثالث والعشرين من شهر مايو ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر أن ملك الشحر استولى على "قشن" . **(صفحة رقم ٣٢٢)**

الوثيقة رقم : ٥٨

بعث "مانويل دي فاسكونسيلس" "Manuel de Vasconceles" رسالة إلى "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، "كانانور" "Cananor" في الرابع والعشرين من شهر مايو ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر أن ملك الشحر استولى على "قشن" بمساعدة الأتراك . **(صفحة رقم ٣٢٤)**

الوثيقة رقم : ٥٩

أنبـاء من هرمز بأن الأتراك قد وصلوا إلى البر ، واستولوا على البصرة وشيدوا قلعة ، وأن أربعاً من السفن "الغليون" "Galleon" التركية قد استولت على ظفار وشيدوا قلعة هناك ، بتاريخ شهر أغسطس عام ١٥٤٦م . **(صفحة رقم ٣٢٧)**

الوثيقة رقم : ٦٠

بعث الخواجا "مالاديم" "Maladem"رسالة إلى الحاكم ، هرمز ، السادس من شهر أغسطس ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر ما بين نور الدين ووالده الريس شرف .

(صفحة رقم ٣٣٠)

الوثيقة رقم : ٦١

بعث خواجا شمس الدين رسالة إلى "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، "كانانور" "Cananor" ، السابع عشر من شهر أغسطس ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر بأن السفن التركية اتجهت لمساعدة عدن .

(صفحة رقم ٣٣٢)

الوثيقة رقم : ٦٢

بعث ملك هرمز رسالة إلى الحاكم ، هرمز في الحادي والثلاثين من شهر أغسطس ، عام ١٥٤٦م ، يذكر ما بين الريس شرف وابنه الريس نور الدين .

(صفحة رقم ٣٣٦)

الوثيقة رقم : ٦٣

رسالة إلى الحاكم من "بيبي روهاك" "Baby Rohack" زوجة ريس شرف ، ووالدة ريس نور الدين ، تعدد صفاتهما وتطلب من الحاكم العفو عنهما ، من هرمز في السادس من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٦م .

(صفحة رقم ٣٣٩)

الوثيقة رقم : ٦٤

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى "دوم ألفارو دي كاسترو" "D . Alvaro de Castro" نائب ملك الهند ، من هرمز في الثامن عشر من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٦م ، يخبره أن الأتراك قد اقتربوا من البصرة حيث بنوا قلعة زكية .

(صفحة رقم ٣٤٣)

الوثيقة رقم : ٦٥

بعث قائد هرمز رسالة إلى نائب ملك الهند ، "جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، هرمز في الثامن عشر من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٦م ، يخبره عن الأتراك المتجهين إلى البصرة .

(صفحة رقم ٣٥١)

الوثيقة رقم : ٦٦

بعث ريس ركن الدين كبير وزراء هرمز رسالة إلى الحاكم ، هرمز في الثاني والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٦م ، يطلب العفو والسماح له بالرجوع إلى هرمز .

(صفحة رقم ٣٥٩)

الوثيقة رقم : ٦٧

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" ، قائد هرمز رسالة إلى نائب الملك ، "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، في الثاني والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر خلاف ملك "لار" وملك هرمز .

(صفحة رقم ٣٦١)

الوثيقة رقم : ٦٨

الاتفاقية التي وضعت بين "سيماو دى بوتلهو" "Simao de Botelho" ، الوكيل والمشرف على الخزينة ، وبين آخرين هنا ، فيما يتعلق بعقد اللؤلؤ الذي اشتراه الريس نور الدين ، هرمز ، في الثاني والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٤٦م .

(صفحة رقم ٣٦٣)

الوثيقة رقم : ٦٩

رسالة "سبستياو لوبيز لوباتو" "Sebastiao Lopez Lobato" إلى سعادة الحاكم ، هرمز ، السابع من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٦م ، يخبره بأن الأتراك قادمون إلى البصرة .

(صفحة رقم ٣٦٧)

الوثيقة رقم : ٧٠

بعث "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، رسالة إلى ابنه "د . ألفارو" "D . Alvaro" ، الرابع عشر من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٦م ، يخبره بإرسال سفن لنقل القوات إلى سواحل الهند لمنع وصول الأتراك القادمين من البحر الأحمر .

(صفحة رقم ٣٧٢)

الوثيقة رقم : ٧١

بعث "د . جواو دي ماسكارينهاس" "D . Joao de Mascarenhas" رسالة إلى الحاكم ، "ديو" "Diu" ، التاسع عشر من شهر

أكتوبر ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر وصوله إلى "باسين" "Bassin" الذي كان ميناء للأتراك .

(صفحة رقم ٣٧٧)

الوثيقة رقم : ٧٢

بعث "سيباستياو لوبيز لوباتو" "Sebastiao Lopez Lobato" رسالة إلى الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، هرمـــز في الثـــلاثين من شهر أكتوبر ، عام ١٥٤٦م ، يخبره بوصول الأتراك إلـى "قلهات" .

(صفحة رقم ٣٨٢)

الوثيقة رقم : ٧٣

بعث "براس دي أراغو" "Bras de Aragos" رسالة إلى الحاكم ، "غوا" "Goa" ، في الثالث من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م ، يخبره ببقاء ريس نور الدين في "غوا" .

(صفحة رقم ٣٩٢)

الوثيقة رقم : ٧٤

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلـــى "دوم جواو دي كاســـترو" ، "D . Joao de Castro" ، هرمـــز في الرابـــع من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م ، يذكر أن السفن التركية تدك ميناء "قلهات" وتتجه إلى مسقط .

(صفحة رقم ٣٩٥)

الوثيقة رقم : ٧٥

بعث حاجي فياض قائد القوافل القادمة من تركيا إلى هرمز ، وملا محمد قاضي ، كبير الوزراء السابق للبصرة قبل استيلاء الأتراك عليها ، رسالة إلى ريس ركن الدين ، قاضي كبير وزراء هرمز ، بغداد في شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م .

(صفحة رقم ٤٠٢)

الوثيقة رقم : ٧٦

بعث "رافاييل لوبو" "Rafael Lopo" رسالة إلى "دوم الفارو دي كاسترو" "D . Alvaro de Castro" ، مسقط في الحادي عشر من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م ، يخبره بأن العرب في مسقط في خوف شديد من وصول الأتراك .

(صفحة رقم ٤٠٤)

الوثيقة رقم : ٧٧

بعث "رافاييل لوبو" "Rafael Lopo" رسالة إلى الحاكم ، مسقط في الحادي عشر من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م ، يذكر فيها الأتراك عندما كانوا في مسقط والساحل الشرقي العماني .

(صفحة رقم ٤٠٦)

الوثيقة رقم : ٧٨

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى الحاكم

"جواو دي كاسترو" "Joao de Castro" ، هرمز في الثالث عشر من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر فيها أن الأتراك يهاجمون البصرة .

(صفحة رقم ٤١٠)

الوثيقة رقم : ٧٩

بعث الريس شرف رسالة إلى سعادة الحاكم ، "غوا" "Goa" ، في التاسع والعشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م ، يمدحه لانتصاره على ملك "كامباي" للتقرب إليه .

(صفحة رقم ٤١٥)

الوثيقة رقم : ٨٠

تعليمات من نائب الملك "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، للريس نور الدين كبير وزراء هرمز ، "ديو" في الثلاثين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م ، تتعلق بمنحه منصب كبير الوزراء لمدينة ومملكة هرمز ، أكدها سموه لريس نور الدين .

(صفحة رقم ٤١٨)

الوثيقة رقم : ٨١

بعث "سيباستياو لوبيز لوباتو" "Sebastiao Lopez Lobato" رسالة إلى "ألفارو دي كاسترو" "D . Alvaro de Castro" ، هرمز في الثلاثين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م ، يذكر فيها عن وصول الأتراك إلى مسقط ، وأن الأتراك في حشد عظيم للهجوم على البصرة .

(صفحة رقم ٤٢٩)

الوثيقة رقم : ٨٢

بعث "سيباستياو لوبيز لوباتو" "Sebastiao Lopez Lobato" رسالة إلى حاكم الهند ، هرمز في الثلاثين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر فيها مسألة احتلال "لار" لقلعة في أراضي مملكة هرمز ، وتدخل شاه طهماسب في المسألة .

(صفحة رقم ٤٣٣)

الوثيقة رقم : ٨٣

بعث الشيخ يحيى ملك البصرة ، للبرتغاليين يذكرهم بوصول الأتراك قريباً من البصرة ، البصرة في شهر ديسمبر عام ، ١٥٤٦م .

(صفحة رقم ٤٤١)

الوثيقة رقم : ٨٤

بعث علي بن عليان ، ملك الجزائر رسالة إلى قائد هرمز ، الجزائر ، بداية شهر ديسمبر عام ١٥٤٦م ، يذكر فيها قدوم الأتراك إلى زكية ومنها سيتوجهون إلى البصرة ومنها إلى هرمز .

(صفحة رقم ٤٤٣)

الوثيقة رقم : ٨٥

بعث ريس "ريكوندى" رسالة إلى سعادة الحاكم "دوم جواو دى كاسترو" "D . Joao de Castro" ، هرمز ، بتاريخ الرابع عشر من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م ، ويصف الأحداث عند دخول الأتراك البصرة .

(صفحة رقم ٤٤٦)

الوثيقة رقم : ٨٦

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى الحاكم "د . جواو دى كاسترو" "D . Joao de Castro" ، هرمز ، الرابع عشر من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م ، تبيّن قدوم الأتراك إلى الجزائر بالقرب من البصرة .

(صفحة رقم ٤٤٩)

الوثيقة رقم : ٨٧

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى سعادة الحاكم "دوم جواو دى كاسترو" "D . Joao de Castro" ، هرمز ، الخامس عشر من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر وصول الأتراك إلى زكية .

(صفحة رقم ٤٥٣)

الوثيقة رقم : ٨٨

بعث "رافائيل لوبو" "Rafael Lopo" ، قائد قلعة مسقط ، رسالة إلى "د . ألفارو دى كاسترو" "D . Alvaro de Castro" ، مسقط ، بتاريخ الخامس عشر من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م ، يذكر هداياه .

(صفحة رقم ٤٦١)

الوثيقة رقم : ٨٩

بعث "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، حاكم

الهند رسالــة إلــى الملك "دوم جواو الثالث" "D . Joao III" ، "ديو" في السادس عشر من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م ، ويصف له تقدم الأتراك ناحية البصرة .

(صفحة رقم ٤٦٣)

الوثيقة رقم : ٩٠

بعــث "رافـائيل لوبو" "Rafael Lopo" رسالة إلــى "دوم جواو دى كاسترو" "D . Joao de Castro" ، مسقط في الثاني والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر معاناة هرمز .

(صفحة رقم ٤٦٩)

الوثيقة رقم : ٩١

بــعث "سـباستياو لوبيز لوباتو" "Sebastiao Lopez Lobato" رسالة إلـى الحاكم ، هرمــز في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م ، ويـــذكر وصــول الأتراك إلى القرنة ، وملك البصرة يطلب العون .

(صفحة رقم ٤٧١)

الوثيقة رقم : ٩٢

بعث "لويس فالكاو" "Luis Falcao" رسالة إلى سعادة الحاكم "دوم جواو دى كاسترو" "D . Joao de Castro" ، هرمز ، في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٤٦م ، ويذكر وصول خادم ملك البصرة .

(صفحة رقم ٤٧٩)

الوثيقة رقم : ٩٣

بعث "دوم جواو دى كاسترو" "D . Joao de Castro" رسالة إلى ابنه "دوم ألفارو" "D . Alvaro" ، في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٥٤٦م ، يذكر طلب ابن ملك" قشن" لطرد الأتراك من "قشن" .

(صفحة رقم ٤٨٢)

الوثيقة رقم : ٩٤

بعث رياض باشا رسالة إلى ملك الجزائر علي بن عليان ، فيما يتعلق بالأتراك ، بتاريخ عام ١٥٤٦م .

(صفحة رقم ٤٨٥)

الوثيقة رقم : ٩٥

في عهد الحاكم "دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، تم تكليف "لويس فالكاو" "Luis Falcao" للقيام بعمل اتفاقية سلام مع ملك "كامباي" "Campay" ، بتاريخ عام ١٥٤٦م ، وقد تمّ استعراض الأوضاع في البصرة وهرمز ، وكيف استولى الأتراك على البصرة .

(صفحة رقم ٤٩١)

هوامش المجلد السابع

1- Arquivo Nacional da Torre do Tombo (TT), Lisboa, Corpo Chronologico (CC), Parte Maco 72, Document No. 16.

2- TT, Biker's Portuguese (Indian) Treaties, 1507-1615, I/3/160, 1507-1542,

- Diogo do Couto, Da Asia, Lisboa, 1736, Decada IV, Livro VI, Chapter X.

3- TT, Cartas dos Viso-Reis No. 66.

4- TT, Cartas dos Viso-Reis No. 91.

5- TT, Corpo Chronologico (CC) 1500-1630. I/3/143, 1529-1549, Part 1st Maco 79, Document No. 87.

6- TT, Cartas dos Viso-Reis No. 87.

7- Da Asia, Diogo do Couto, Lisboa, 1736, Decada V, Livro IX, Chapters 1, 5,

- Diogo do Couto, Da Asia, Coimbra, 1937 edition, pp. 553-559.

8- TT, Documenta Indica, Edidit Iosephus Wicki S. I. Romae Apud "Monumenta Historica Soc. Iesu", vol. I, pp. 197-218,

- British Library (B.L.), Add Ms 28461.

9- TT, Biker's Portuguese (Indian) Treaties, 1507-1615, I/3/160, 1507-1542,

- Da Asia, Diogo do Couto, Decada V, Livro IX, Chapter V.

10- TT, Corpo Chronologico (CC), Parte I, Maco 75, Document No. 104.

11- Partida para Portugal do filho mais velho de rais Xarafo: (Vos encomendo muito que pera o dito seu filho e pera seus criados e pessoas, que consigo trouxer; mandeis dar a embarcacao e gasalhado necessario, e em tudo receba de vos todo o favor e bom tratamento.), Obras, VI, pp. 155-156, Sem indicacao de cota.

12- Arquivo Nacional da Torre do Tombo (ANTT), Lisboa, Cartas de Ormuz a Dom Joao de Castro, f 65r-v.

13- Partida para Portugal do filho mais velho de rais Xarafo, Obras, VI, pp. 220-222, Sem indicacao de cota.

14- TT, Arquivo Portugues Oriental. Nova Goa, Imprensa Nacional. 1861 (fasc. 3. , p.II); 1865 (fasc. 5. P. I); 1876 (fasc. 6. , suplementos), (Arquivo 1) , Fasc. 5, p. I, d. 811,

- Arquivo de Goa (AG), Livro 1 de copias de ordens regias f 25.

15- TT, Arquivo 1 , Fasc. 5, p. I, d. 821,

- AG, Livro 1 de copias de ordens regias f 24.

16- TT, Cartas Missivas, No. 10 C. F. 36 ff 1r-2r.

17- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a Dom Joao de Castro, fos 1r-2v.

18- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a Dom Joao de Castro, fos 3r-4v.

19- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a Dom Joao de Castro, fo 129.

20- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a Dom Joao de Castro, fos 7r-9r.

21- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a Dom Joao de Castro, fos 10r-11r.

22- TT, *Gavetas*: As Gavetas da Torre do Tombo. 9 volumes. Lisboa, Centro de Estudos Históricos Ultramarinos. I (Gav. I-II), 1960; II (Gav. III-XII), 1962; III (Gav. XIII-XIV), 1963; IV (Gav. XV, macos 1-15), 1964; V (Gav. XV, macos 16-24), 1965; VI (Gav. XVI-XVII, macos 1-3), 1967; VII (Gav. XVII, macos 3-9), 1968; VIII (Gav. XVIII, macos 1-6), 1970; IX (Gav. XVIII, maços 7-13), 1971, Gavetas X, pp. 592-593,

- TT, Gavetas XX, Maco 7, Document No. 11.

23- TT, *Documentacao*: Documentacao para a Historia das Missões do Padroado Português do Oriente. Coligida e anotada por António da Silva Rego, Lisboa, Agência-Geral das Colónias. volumes: I (1499-1522), 1947; II (1523-1543), 1949; III (1543-1547), 1950; IV (1548-1550), 1950; VI (1555-1558), 1951; VII (1559), 1952, vol. III, pp. 209-219.

24- TT, Gavetas III, pp. 202, 205, 209, 215,

- TT, Gavetas XIII, Maco 8, Document No. 43.

25- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a Dom Joao de Castro, ff 18r-22v.

26- TT, Gavetas Antiges 1514-1711. I/3/146, 1531-1711,

- Gavetas II, Maco 10, Document No. 17.

27- TT, CC, Parte I, Maco 77, Document No. 24.

28- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a Dom Joao de Castro, fos 23r-24r.

29- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de Ormuz a Dom Joao de Castro, f 25r-v.

30- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, pp. 316-318,

- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, f 219.

31- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, pp. 110-1211,

- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, f 171.

32- TT, Cartas dos Viso-reis, No. 101.

33- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, fos 30r-35r.

34- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, fos 36r-37r.

35- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, fo 38r-v.

36- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, ff 39r-40r.

37- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, ff 44r-v.

38- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, f 83.

39- Partida para Portugal do filho mais velho de rais Xarafo, Obras, VI, p. 309, Sem indicacao de cota.

40- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, fo 45r.

41- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, ff 46r-49v.

42- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, fo 53-54.

43- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, ff 57r-58v.

44- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, f 59r-v.

45- Partida para Portugal do filho mais velho de rais Xarafo, Obras, VI, pp. 309-310, Sem indicacao de cota.

46- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, ff 61-64v.

47- TT, Biblioteca da Ajuda (BA), Lisboa, 51-VII-19 f 160.

48- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, f 67.

49- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, fo 69r-v.

50- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, ff 71r-72r.

51- TT, Documentacao, vol. III, p. 274,

- TT, CC, Parte I, Maco 77, Document No. 44.

52- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, f 65r-v.

53- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, vol. IV, f 401r-v.

54- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, fo 79r.

55- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, f 70.

56- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, ff 80r-81r.

57- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. III, ff 144-145f.

58- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. III, ff 146-147v.

59- Gaspar Corroea, Lendas da India (Lisboa: Academia Real das Sciencias de Lisboa, 1862) vol. 4, Chapter 48, pp. 524-525.

60- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, f 456v.

61- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. III, ff 160-161v.

62- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, f 452r-v.

63- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, ff 450r-451v.

64- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. II, pp. 118-123.

65- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, f 458-465v.

66- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, f 453-v.

67- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, f 547.

68- TT, CC, Parte II, Maco 241, Document No. 16.

69- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, ff 483r-484r.

70- ANTT, Elaine Sanceau, Letters from D. Joao de. Castro, pp. 173-176.

71- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. V, ff 215-216v.

72- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, ff 479-482r.

73- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, ff 455r-v.

74- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. II, pp. 123-127.

75- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, ff 141v-142r.

76- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. II, pp. 127-128 [ff 229r-v and 234v].

77- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, ff 485r-487r.

78- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. II, pp. 129-132 [ff 30-31v].

79- ANTT, Elaine Sanceau, Letters from D. Joao de. Castro, ff 21-22.

80- TT, Arquivo 1: Arquivo Portugues Oriental. Nova Goa, Imprensa Nacional. 1861 (fasc. 3. °, p. II); 1865 (fasc, 5.° p. I); 1876 (fasc, 6. °, suplementos), Fasc. 5, p. I, d. 84,

- AG, Livro das Moncoes IV, f 295r-v.

81- ANTT, Elaine Sanceau, Letters from D. Joao de. Castro, ff 73r-74v.

82- ANTT, Elaine Sanceau, Letters from D. Joao de. Castro, ff 75r-77v.

83- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, f 506.

84- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, f l. 1391.

85- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, f 498r-499r.

86- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, ff 290r-291r.

87- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, ff 458r-459v-487.

88- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. II, pp. 128-129 [ff 230-233v].

89- ANTT, Elaine Sanceau, Letters from D. Joao de. Castro, pp. 212-314.

90- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, f 504r-v.

91- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, ff 508r-510.

92- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, f 505r-v.

93- ANTT, Elaine Sanceau, Letters from D. Joao de. Castro, pp. 316-318,

- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, f. 219.

94- TT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. IV, f 494r, 495r-v, 496r-v.

95- Chronica do muyto alto e muyto poderoso rey destes reynos de Portugal dom Joao o III deste nome , Francisco de Andrade, approximately 1540-1614, Coimbra, Part IV, Chapter 71, pp. 271-275.

ISBN 978-9948-721-95-6
9 789948 721956
www.alqasimipublications.com